

منتدى مكتبة الاسكندرية

المجلس الأعلى للثقافة

# جرجيس

تأليف: أولدس هكسلي  
ترجمة: محمود محمود



Bibliotheca Alexandrina



0386247



# الجزيرة

تأليف  
أولدرس هكسلي  
ترجمة  
محمود محمود

القاهرة  
١٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة المترجم

يسرنى أن أقدم الى قراء العربية هذه القصة التى اقترحت على لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة ترجمتها فتمثلت اللجنة مشكورة بالموافقة .

· مؤلف هذه القصة هو الكاتب الانجليزى المعاصر أولدس هكسلى الذى ولد فى عام ١٨٩٤ ومات فى عام ١٩٦٤ . وقد قضى حياته كلها بين الكتب يقرأ ويكتب فى محاولة لاصلاح المجتمع بالنقد البناء ورسم صورة لعالم جديد تتوافر فيه السعادة والحرية للناس أجمعين .

وهو من ناحية أبية حفيد توماس هنرى هكسلى العالم الشهير ، وينتمى من ناحية أمه الى أسرة توماس أرنولد ناظر مدرسة رجبى المعروف فى عالم التربية فى بلاد الانجليز . ومن بين أفراد أسرته من كان أستاذا ، ومن كان عالما ، أو شاعرا ، أو روائيا . فهو من بيت علم وأدب ، تأثر فى نشأته بهذا الوسط الثقافى ، وتزود بقسط وافر من المعارف وقدر كبير من الألفاظ المعبرة ، ولما كان من الأدباء الموهوبين فقد كانت كتاباته دسمة تنطوى على فكر عميق وأسلوب رائع .

قاسى كثيرا فى طفولته من ضعف بصره الذى كاد أن

يفقده ويعيش ضريرا كفيف البصر ، وقضى أياما كثيرة وحده فى غرفة مظلمة لا يستطيع القراءة ولا تقع عيناه على شيء ، فانقلب الى دخيله نفسه يفكر ويتأمل . وكان لهذه الفترة من حياته أثرها الكبير فى كل ماكتب فيما بعد ، بعد مازال عنه خطر العمى الكامل واسترد شيئا من قدرته على الرؤيا . فهو يميل دائما الى التفكير المستقل والتأمل الصوفى .

غير أن ما أصابه فى عينيه لم يصرفه عن التعلم وادمان القراءة . وقد بدأ حياته الأدبية شاعرا محتذيا فى ذلك حذو أكثر الكتاب من جيله ، ولبث شاعرا طوال حياته حتى عندما تحول من التعبير بالكلام المنظوم الى النثر الفنى يكتب به القصص والمقالات . فهو فى نشره ينضح من الوجدان أكثر مما يبني على العقل والمنطق ، يحلق فى الخيال ويستخدم الطريف من التشبية والاستعارة والكناية .

ولما أتم تعليمه الجامعى فى أكسفورد رحل الى لندن واشتغل بالصحافة ، يكتب المقالات والقصص القصيرة .

ثم شرع بعد ذلك يكتب الروايات الطويلة متأثرا بمنهج الكاتب الروائى توماس بيكوك الذى عاش فى القرن التاسع عشر واشتهر بسعة الاطلاع وروح التهكم والخيال الجامح . وأخرج هكسلى العديد من الروايات التى اتخذ منها وسيلة لبث كثير من آرائه التى بشر بها .

وهو كاتب متنوع المواهب متنوع الموضوعات . يقول عنه أخوه العالم جوليان انه الرجل الوحيد الذى يحمل معه دائرة المعارف البريطانية حينما يقوم برحلة طويلة أو يطوف حول العالم . ولكنه - على الرغم من عمق ثقافته



وغزارة علمه - لم يقصر نفسه على مجرد التفكير ، بل كان يمارس كثيرا من الأعمال ويعاشر الكثير من الرجال - وكانت حياته الاجتماعية خصبة تمده بكثير من التجارب والخبرات .  
يقول فى احدى قصصه التى كتبها فى باكورة حياته الأدبية :

« أكثر الناس يقبل على معركة الحياة يخوضها بآراء مسبقة عن كل شئ وله فلسفة جاهزة يحاول أن يخضع لها أمور هذه الدنيا بأسرها . وهذا وضع مقلوب ، والصحيح هو أن يمارس المرء حياته أولا ، ثم يحاول بعد الخبرة أن يصوغ فلسفته وآراءه التى تتفق مع الحياة كما عرفها» .

وعلى هذا النهج سار هكسلى فى حياته . يمارس العمل ويكتسب الخبرة قبل أن يصوغ الرأى ، لا تكبله قيود المبادئ والأصول والتقاليد الموروثة . ومن أجل هذا كان ثائرا على المؤلف . وكانت له آراء عجيبة لايسيفها المجتمع ، ولكنه وضع حريته فى الرأى فوق استرضاء الجماهير .

وشغل نفسه طوال حياته بالعلاقة بين العلم والمجتمع ، فكتب روايته الشهيرة «العالم الطريف» التى سبق لى أن نقلتها الى اللغة العربية . وفى هذه الرواية عبر هكسلى عن خوفه من سيطرة العلم سيطرة كاملة على حياة الناس . وأشفق على المجتمع البشرى من المغالاة فى تطبيق العلم الى الحد الذى تنتفى معه فى حياته العاطفة والشعر وتقدير الجمال .

فى مثل هذا العالم الذى يقوم على قواعد العلم دون غيرها تصبح الحياة آلية يتشابه فيها زيد مع عمرو وتتلاشى المميزات الخاصة لكل فرد .

كان هكسلى فى كتابه هذا متشائما فى مستقبل البشرية الى أقصى الحدود . وبعد ما مرت السنون أدرك أن هذا التشاؤم لا يودى الى اصلاح أسباب المعاناة والشقاء ، فأخرج كتابا آخر أسماه «عود الى العالم الطريف» راجع فيه آراءه السابقة ، وكان أكثر تفاؤلا وأشد ميلا الى الفكر البناء ، ودعا الى المزيد من الديمقراطية والحرية ، والى رفع مستوى المعيشة بضبط النسل وتنظيم الأسرة .

ولبت يفكر فى تصوير عالم جديد تتوافر للمرء فيه الحرية والسعادة ، وأخيرا انتهى الى رسم صورة خيالية لهذا العالم فى قصته «الجزيرة» التى أقدمها اليوم الى القراء .

ولى مع هذا الكتاب قصة . فلقد كنت دائما شغوفًا بكل ماكتب هكسلى أقرأه وأتدبره وأنقل بعضه الى العربية بنصه الكامل أحيانا وفى صيغة ملخصة أحيانا أخرى . حتى كان صيف عام ١٩٦٢ حينما أتيت لى فرصة لزيارة الولايات المتحدة الامريكية ، وطفقت بالعديد من ولاياتها . ولما بلغت سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا وقابلت هناك المسئولين عن تنظيم رحلتى ، بادرنى أحدهم بقوله انهم يعلمون عنى أنى من المولعين بأدب هكسلى ، ولما كان الرجل فى ذلك الحين يقيم فى بركلى على مقربة من مدينة سان فرانسيسكو أستاذًا زائرا فى جامعة كاليفورنيا يلقى على طلبتها محاضرات فى الأدب المعاصر ، فقد اتصلوا به يخطرونه بقدمى ، وتفضل بدعوتى الى زيارته بمنزله . ولبيت الدعوة بسرور بالغ لأننى وجدت فيها فرصة ألتقى فيها بهذا الكاتب العظيم ، وأجرى معه حديثا يزيدنى علما وبصيرة بفكره ونظراته فى الحياة .

ودهشت لبساطة المنزل ، وتواضع الرجل ، وأخذنا



نتجاذب أطراف الحديث زهاء ساعتين ، وأذهلنى منه عمق ثقافته واتساعها وشمولها ، فهو على دراية تامة بتقدم العلوم الطبيعية ، وبالتاريخ السياسى وتاريخ الاذيان ، وبكثير من اللغات الحية واللغات البائدة ، وآداب الشعوب ، ومشكلاتها السياسية والاقتصادية ، ونظريات التطور وعلم النفس الحديث ، والفنون القديمة والحديثة بضرورها كافة ، وعلوم الفلسفة والتربية . . . ماذا أقول ! اننى لا أكون مغاليا اذا قلت ان الرجل موسوعة علمية كاملة ، امتزجت فى شخصه مختلف المعارف والثقافات ، وكون لنفسه من هذا المزيج فلسفته الخاصة التى أخرجها فى كتب أدبية رائعة تتسم بروعة الاسلوب والأداء .

وراعنى من الرجل خاصة وعيه لمشكلات هذه المنطقة من العالم التى نعيش فيها ، منطقة الشرق الأوسط ، مهبط الوحي والديانات ، وعطفه على العروبة وآمالها ، وميله الى التصوف وتقديره له ، وايثاره التصوف الاسلامى على التصوف البوذى الهندى ، لأن النوع الأول من التصوف منشئ بناء ، فى حين أن التصوف البوذى سلبى هدام ، لا يحث على عمل ، ولا يدفع الى خلق أو ابتكار وأخذ يروى لى أبياتا من الشعر بالانجليزية هى ترجمة لشعر جلال الدين الرومى الذى أبدى اعجابا شديدا به - كما عبر عن أسفه الشديد لأنه لايعرف اللغة العربية لكى يتمكن من أن ينهل من الثقافة الاسلامية من مصادرها الأصيلة .

وأردت أن أظفر من الرجل فى نهاية الزيارة بحديث عن أحدث آرائه فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد وتقدم العلوم والحضارة البشرية عامة ، أنشره بعد عودتى لبلادى ، فقال :

خير من حديث مطول ربما لايلم بكل أطراف الموضوع أن  
أهدى اليك آخر مؤلفاتي لعلك واجد فيه بغيتك ، ونهض الى  
مكتبته وعاد منها بكتاب أمهره بعبارة اهداء لطيفة ، فقبلته  
منه شاكرا ، ثم انصرفت \*

والكتاب الذى أهدانى اياه هو قصة «الجزيرة» التى أشرت  
اليها من قبل فى هذه المقدمة ، ولعل هذه القصة هى آخر  
ماكتب قبل وفاته \* وعكفت على الكتاب أقرأه ، وعزمت على  
أن أنقله الى اللغة العربية ، ومضت السنون دون أن أحقق  
ما اعتزمت حتى كانت هذه الفرصة الطيبة التى أتاحتها لى  
المجلس الأعلى للثقافة \*

والكتاب عبارة عن قصة حول جزيرة خيالية اسمها بالا  
تقع فى بقعة نائية بالمحيط الهادى بعيدة عن حضارات الشرق  
والغرب ، عاش أهلها مائة وعشرين عاما فى مجتمع مثالى  
توافرت فيه كل أسباب الحرية والسعادة ، لايتقيد بما ألفنا  
من نظم ، فلا هو بالمجتمع الرأسمالى ، ولا هو بالمجتمع  
الشيوعى \* أهله متصوفون يؤمنون بالعلم الحديث وامكاناته ،  
العلم الذى يتحرر به الانسان ، وليس العلم الذى يستعبد  
الانسان \* وان كان العلم فى قصة «العالم الطريف» قد جعل  
الحياة على الأرض جحيما ، فالعلم ذاته فى هذا العالم الجديد  
قد أقام على الأرض نعيما \*

وقد تم هذا اللقاء بين الشرق والغرب ، وهذا التزاوج  
بين العلم والايمان عندما وفد الى جزيرة بالا طبيب من أهل  
الغرب يمثل العلم الحديث استدعاه حاكم الجزيرة لمعالجته من  
مرض عضال ألم به وكاد أن يودى بحياته ، وهذا الحاكم رجل  
بوذى مغرق فى تصوفه ، وأفلح الطبيب فى علاج الرجل



فنشأت بينهما صداقة قوية ترمز للجمع بين العلم والدين ،  
واتخذ الحاكم طبيبه وزيرا له ، وتعاهدا على اصلاح الأمور  
فى مملكة بالا على هذا الأساس . وسرعان ما أخذ الناس  
جميعا بهذا الاسلوب الجديد من العيش الذى يجمع بين العلم  
والايمان .

وبهذه الجزيرة ثروات طائلة من البترول والمعادن اثارت  
حسد العالم المحيط بها ومطامع المستعمرين وشركات  
الاستثمار فى أوربا وأمريكا . فرأى أحد مديرى هذه  
الشركات الذى يملك كذلك الكثير من الصحف أن يبعث الى  
بالا وكيلا عنه - هو ويل فارنبى - أحد المحررين فى صحفه ،  
ليستطلع مجالات الاستثمار فى الجزيرة ، ويلتقى بالمسؤولين  
فيها يدرس معهم امكان ابرام اتفاق مشترك شبيه بما يحدث  
عادة فى بلاد الثروة البترولية .

ويصل ويل فارنبى بعد مشقة الى الجزيرة ويجوس خلالها  
ويتعرف على أهلها وأمورها فيرى العجب الذى يستنكره أولا ،  
ولكنه لا يلبث أن يقتنع به ويعتقد فيه .

ماذا رأى ويل فارنبى فى جزيرة بالا ؟

رأى قوما يأخذون بالصوفية البوذية مسلكا فى حياتهم  
وبالعلم الحديث طريقا الى التقدم والتطور .

والصوفية فوق هذه الجزيرة سبيل لتحرير النفوس من  
سلطان المادة ، وطريق الى بلوغ الاستنارة الكاملة والوعى  
الشامل بالتأمل العميق فى الحياة ومغزاها .

وقد أفاض الكاتب فى مواضع عدة من الكتاب فى تفصيل  
الكلام عن البوذية وأشار الى كثير من معالمها وأعلامها ، وقد

أوضحت في هوامش من عندي بنيد قصيرة ما يشير إليه الكاتب من اسرار هذه العقيدة الدينية ، كما حاولت في الهوامش كذلك أن افسر ماقد يفمض على القارئ من الاشارات والاعلام التاريخية الكثيرة التي يوردها في سياق القصة بفرض أن القارئ على علم مسبق بها .

واهل بالا يفيدون من قوة الايحاء والتنويم المغناطيسى فى تعليم الأطفال وعلاج المرضى ، ويمكنهم بتأثير عقار يتعاطونه اسمه «الموكشا» أن يعيشوا فى احلام حلوة عذبة يتصلون فيها بالواحد الأحد ويتأملون فى خلق السموات والأرض ، ويتحدون مع الكون بمظاهره كافة – وذلك هدف من اهداف التصوف السامية .

ولأهل بالا فلسفتهم الخاصة فى التربية وتنظيم الأسرة ، وفى الاقتصاد والسياسة ، وفى العلاقات الانسانية ، والفنون والثقافة ، ونظرة الانسان الى الموت ، والتكنولوجيا الحديثة ، وكل شأن من شؤون الحياة ، متحررين تماما من العقد وقيود الماضى ومن الاستعمار البغيض .

وفى رواية «الجزيرة» مجال فسيح لعرض هذه الآراء وأمثالها فى حوار ممتع ، لأنها ليست قصة بالمعنى المألوف . فهى تكاد أن تخلو من العقدة ، ولا تأبه بتحليل الشخصيات . إنما هى قصة لعرض الآراء والأفكار .

ولست أريد أن أسترسل فى مقدمة الكتاب فى بسط كل ما جاء به من طريف هذه الآراء والأفكار ، وأوثر على ذلك ان أضع الكتاب بين يدي القارئ يستغرق فيه مع خيال الكاتب الذى أمل ان يجد فيه متعة ذهنية ولذة روحية .



ولم يكن هكسلى فى كتابه هذا متفائلا كل التفاؤل  
بسيادة النظام الجديد ، لأن العالم ما تزال به كثير من الشرور  
التي تفتك بمحاولات التقدم وبما تحرزها الشعوب من نعمة  
الحرية والاستقرار والاستقلال .

وفى قمة هذه الشرور نقمة المطامع المادية والاستعمار .  
ولذلك نرى هكسلى يتخيل فى نهاية القصة بأن الطامعين من  
أهل الغرب يهيكون مع أحد الحكام المستبدين فى بلد مجاور  
لبالا مؤامرة للاستيلاء عليها ، فيدخل هذا الحاكم المستبد  
الجزيرة غازيا ليحكمها حكما مطلقا ويمنح المستثمر الاجنبى  
امتيازات يستولى بها على ثروة البلاد . وبهذا تنتهى القصة  
وتخضع أرض الأحلام الى الواقع المرير .

ومما شجعتنى على القيام بترجمة هذا الكتاب هو تلك  
الدعوة التى ينطوى عليها الى الأخذ بالعلم والايمان والى  
الجمع بين فلسفة الشرق الروحية وفلسفة الغرب المادية فى  
كيان واحد ، وهو ما نهدف إليه فى نهضتنا الجديدة، وما يتطلع  
اليه المفكرون والمصلحون فى العالم الحديث .

**محمود محمود**

## الجزيرة

تأليف : أولدس هكسلي  
ترجمة : محمود محمود

« عندما نضع مثلا أعلى  
لنا أن نفترض ما نشاء  
على أن نتجنب المستحيلات»  
أرسطو

« انتباه »

بهذه الكلمة صاح النادي ، وكأن زممارا قد نطق فجأة  
بصوت واضح •

« انتباه ، انتباه »

هكذا أخذ الصوت يكرر النداء بنفس النغمة العالية  
الرتيبة التي تخرج من الأنف •

وكان ويل فارنبى مستلقيا بين أوراق الاشجار الذابلة  
وكانه جثة هامدة ، شعره مشعث ، ووجهه ملطخ بصورة بشعة ،  
به كدمات ورضوض ، وثيابه رثة ملوثة بالوحل ، عندما  
تيقظ من غفوته مدعورا •

وكان مولى قد نادته صائحة : لقد آن أن تنهض وترتدى  
ثيابك لكى لا تتأخر عن موعدك بالمكتب •

فاعتدل قائما وقال لها «شكرا لك ياعزيزتى» •

وأحس ألما حادا بركبته اليمنى ، وبصنوف أخرى من  
الألم فى ظهره ، وذراعيه ، وجبهته •

« انتباه »

أخذ الصوت يردد هذه الكلمة دون أدنى اختلاف فى  
النغم • فاتكأ فارنبى على أحد مرفقيه ، وتلفت حواليه ، ولشد

ما كانت حيرته عندما لم تقع عينه على الحائط المكسو بالورق الرمادى . وعلى السجف الصفراء التى تغطى غرفة نومه فى لندن ، وانما وقعت على أرض فضاء وسط الاشجار ، وعلى الظلال المستطيلة والاضواء المائلة التى تظهر فى الغابة فى الصباح الباكر .

« انتباه »

لماذا قالت «انتباه» ؟

ولكن الصوت أخذ يردد القول «انتباه ، انتباه» بشكل يدعو الى العجب ويخلو من المعنى !

وتساءل : مولى ؟ مولى ؟

وكان هذا الاسم قد فتح فى داخل رأسه نافذة ، وفجأة وبذلك الشعور الرهيب بالذنب الذى يحسه المرء فى أعماقه شم رائحة «الفورمالدهايد» ، ووقعت عينه على تلك المريضة النحيلة خفيفة الحركة وهى تخب فى السير أمامه على طول الدهليز الاخضر ، وطرقت أذنه خشخشة ردائها المنشى . وكانت تكرر قولها «رقم ٥٥» ، ثم توقفت ، وفتحت بابا أبيض اللون ، فولجه ، ورأى مولى فوق سرير مرتفع أبيض - مولى بالضمائد تغطى نصف وجهها ، فاعرة فاها .

وناداهما «مولى ، مولى ...»

وتهدج صوته ، وأخذ يبكى ، ويناشدها «حبيبتي !» وليس من مجيب . ومن فمها المفتوح صعدت زفرات خافتة متلاحقة بغير معنى . وهو يكرر النداء «حبيبتي ، حبيبتي ...»

وعندئذ دبت الحياة فجأة وللحظة قصيرة فى اليد التى  
كان يمسك بها • ثم عادت الى السكون •

وقال « هذا أنا ، أنا ويل »

ومرة أخرى اهتزت أصابعها • وفى بطء زائد وبجهد  
ياد أطبقت على يده ، وضغطت عليها لحظة ، ثم أرخت أصابعها  
ثانية ولا حراك فيها •

وصاح ذلك الصوت غير الانسانى : « انتباه ، انتباه » •  
وسارع الى اقناع نفسه بأنها لم تكن سوى حادثة ، فلقد  
كان الطريق مبتلا ، وانزلت العربية عبر الخط الأبيض ، وهو  
أمر يتكرر حدوثه ، والصحف مليئة بأمثاله ، وما أكثر ما أبلغ  
عن أشباهها ، فروى مثلا « ان أما وأطفالها الثلاثة قد لاقوا  
حادثهم فى تصادم عنيف ••• »

ولكن هذا لا يهم الآن ، وانما المهم هو أنها عندما سألته  
ان كانت تلك هى النهاية حقا ، رد عليها بالايجاب • المهم أنه  
فى أقل من ساعة زمن بعد ماخرجت تحت المطر من تلك المقابلة  
الأخيرة المخجلة كانت (مولى) فى عربة الاسعاف تلفظ أنفاسها  
الأخيرة •

ولم يكن قد أعارها التفاتا عندما أولته ظهرها لكى  
تنصرف • بل ولم يجرؤ على ذلك ، فان نظرة أخرى الى ذلك  
الوجه الشاحب الذى يعانى الألم قد تفوق قدرته على الاحتمال  
وكانت قد نهضت من مقعدها وتحركت ببطء شديد تدرع  
الغرفة من جانب الى جانب ، بل تحركت ببطء لتختفى من  
حياته • فهل يسترجعها ، ويطلب عفوها ، ويقول لها انه  
مازال يحبها ؟



وللمرة المائة ناداه المزمارة بصوت واضح الى الانتباه .

وهل أحبها فعلا فى أى وقت مضى ؟

وعادت به ذاكرته الى همستها وهى تتلفت خلفها عند عتبة الباب قائلة «تصبحك السلامة يا ويل» . ولقد كانت «هى» التى قالت «اننى مازلت أحبك يا ويل ، على الرغم من كل ماحدث» بصوت هامس يخرج من أعماق القلب .

وبعد هنيهة انغلق باب الغرفة خلفها دون أن يحدث صوتا مسموعا ، ثم كانت طقطقة المزلاج التى توارت بعدها عن الأنظار .

وقفز من مكانه وانطلق نحو الباب الخارجى وفتحه واستمع الى خطوات تراجعها على الدرج ، وكأنها شبح عند منبليج الصباح خلف وراءه عطرا خفيف الرائحة مألوفا أخذ يتلاشى فى الهواء . وأغلق الباب مرة أخرى وأخذ يجول فى غرفة النوم الرمادية والصفراء وتطلع من النافذة . وبعد بضع ثوان رآها وهى تعبر الطريق وتركب السيارة . واستمع الى صوت مفتاح التحريك وهو يدور بصوت عال ، دفعة أولى، ثم دفعة ثانية . وبعدئذ استمع الى طنين المحرك ، فهل يفتح النافذة ؟ وأصغى الى نفسه وهو يصيح فى خياله «مهلا مهلا يامولى ، مهلا !»

وظلت النافذة مغلقة ، وبدأت السيارة فى التحرك ، ودارت عند الناصية ، وأصبح الطريق خاليا . وفات الأوان، واستمع الى صوت ساخر أجش وهو يكرر القول «الحمد لله لقد فات الأوان !» ومع ذلك فقد كان الاحساس بالذنب فى صميم الفؤاد . وتأنيب الضمير يحز فى نفسه . ولكنه

استطاع برغم هذا التأنيب أن يشعر بشيء من السرور . فلقد كان هناك شخص وضع فاسق همجي ، شخص غريب بغيض - ولكنه يعبر في الواقع عما في نفسه - تساوزه الفرحة بأنه لم يعد أمامه الآن ما يعوقه عن الظفر بما يريد ، وما يريد هو عطر آخر ؟ هو الدفء والمرونة ينبعثان عن جسم أكثر نضارة وشبابا .

ثم نادى المزمار «انتباه» .

نعم «انتباه» انتباه الى مخدع بايز الذي يفوح بالمسك ، والذي يتوارى في فجوة قرنفلية اللون كالفرولة ، لها نافذتان تطلان على شارع تشارنج كروس يتسرب من خلالهما طوال الليل وميض خاطف يصدر عن لوحة مرتفعة عالية تعلن عن «بورترجين» وتقع على الجانب الآخر من الطريق . وكلمة «جين» قرمزية اللون - وقد أمسّت الفجوة لعشر ثوان «قلبا مقدسا» . ولعشر ثوان معجزة تلاً لأ الوجه المتورد - الذي كان يلاصقه - وكأنه وجه صاروفيم ، وقد صاغته نار الحب الدفينة في صورة أخرى . ثم حدث بعد ذلك تحول أشد عمقا في ظلام الليل . ودقت الساعة دقة أولى ، وثانية ، وثالثة ، ورابعة . . . . ربي اجعلها تدق أبد الآبدين ! وعندما دقت الساعة الكهربائية دقتها العاشرة تبدت له رؤية أخرى - رؤية الموت والفرع الأكبر . ذلك أن الاضواء هذه المرة كانت خضراء وتحولت فجوة بايز الوردية لعشر ثوان مقببة الى بؤرة من الوحل ، واستحالت بايز الى ما يشبه الجثة التي أصابها صرع بعد الموت . وعندما اتخذ اعلان «الجين» اللون الأخضر تعذر نسيان ما حدث وحقيقة الانسان الذي كان . ولم يعد بوسعه الا أن يغمض عينيه ويغوص - ان استطاع - بدرجة أشد عمقا

فى العالم الآخر ، عالم الشهوات الحسية ، وأن يغوص بعنف ،  
وعن عمد ، فى تلك الثوبات التى تطير بصوابك ، وهى ثوبات  
كانت مولى المسكينة غريبة عنها تماما – (انتباه ! ) مولى التى  
هى الآن فى ضمائدها ، وفى مثواها الرطب فى هايجيت

ولقد كانت هايجيت – بطبيعة الحال – هى السبب الذى  
يجعله يغمض العين كلما سقط الضوء الأخضر على بابز وهى  
عارية فيحيلها الى لون الجثة • ولم تكن مولى وحدها هى مجال  
بخاطره ، فلقد رأى ويل من خلف جفنيه المطبقين أمه شاحبة  
اللون كالكاميو (حجر كريم) روحانية الوجه مستسلمة للألم ،  
يدأها فى صورة بشعة وقد أصابهما التهاب المفاصل فهبط  
بهما الى مستوى دون مستوى البشر ، كما رأى أخته مود واقفة  
خلف كرسي المقعدين الذى كانت تعتليه الأم وقد كساها الشحم  
واهتز جسمها كما يهتز الهلام واستولت عليها المشاعر التى  
لم تعبر عنها قط تعبيرا صحيحا بالحب الذى يبلغ ذروته •

« كيف تستطيع ذلك يا ويل ؟ »

وردت مود العبارة قائلة « نعم • كيف تستطيع ؟ »  
بصوتها الرنان المرتعش والدمع يساقط من عينيها •

ولم يجر جوابا ، أى جواب فى ألفاظ يستطيع أن يتفوه  
بها فى حضورهما ، وان استطاع فان هاتين الشهيديتين – الأم  
التى استشهدت فى زواج غير سعيد ، والأخت التى استشهدت  
فى برها بأمرها – لا يمكن أن يفقها قوله • لاجواب اللهم الا ان  
كان فى لفظ اشد ما يكون موضوعية علمية فاحشة ، وفى  
صراحة مرفوضة • يسألانه « كيف استطاع أن يفعل ذلك »  
لقد استطاع ، بل لعله أرغم عمليا على ذلك ، لأن لبابز

خصائص بدنية معينة لم تكن من صفات مولى ، كما كانت  
في بعض اللحظات تسلك سلوكا لا يمكن ان يتطرق اليه ذهن  
مولى .

وسادت فترة طويلة من الصمت ، ثم - وعلى غير انتظار -  
عاد الصوت الغريب يردد قوله :

« انتباه ، انتباه »

انتباه الى مولى ، وانتباه الى مود والى امه ، وانتباه الى  
بايز ، وفجأة برزت من ضباب الغموض والاضطراب ذكرى  
ثانية ، فلقد أوى الى ركن بايز القرنفلى ضيف آخر ، وارتعش  
جسمها نشوة من عناقه . فشعر بالاضافة الى الاحساس  
بالذنب - بهم في قلبه وغصة في حلقه .

« انتباه »

اقترب الصوت ، ونادى من مكان ما جهة اليمين . وادار  
ويل رأسه ، وحاول ان ينهض حتى يشهد المنظر بصورة  
اوضح . غير ان الذراع التي كان يستند اليها بدأت ترتعش،  
ثم هوت وسقط بين أوراق الشجر . ولما كان مجهدا الى حد  
لايستطيع معه استرجاع الماضى فقد استلقى مكانه لفترة  
طويلة محدقا الى أعلى من خلال جفتين نصف مغمضين نحو عالم  
من حوله لم يدرك له كنها . أين هو ؟ وكيف وصل الى هذا  
المكان ؟ ولم يكن ذلك مهما في حد ذاته ، اذ لم يكن يهمه في  
تلك اللحظة سوى ما يحس من ألم ومن ضعف قاتل . ومع ذلك  
فقد دفعه اهتمامه العلمى الى . . .

هذه الشجرة - مثلا - التى الفى نفسه (لسبب ليس  
يعرفه) ملقى تحتها ، وهذا الجذع المرتفع بقشرته الرمادية ،

وبأعلاه عقدان متقاطعان من الاغصان المرقشة بضوء الشمس  
– هذه الشجرة على هذه الصورة لا بد أن تكون من أشجار  
الزان • ولكنها ان كانت كذلك فان أوراقها لا يصح أن تكون  
دائمة الخضرة كما بدت – وهنا أعجب ويل بنفسه لوضوح  
منطقه • ولماذا ترفع شجرة الزان جذورها كالأكواع فوق  
سطح الأرض على هذا النحو؟ وهذه الدعائم الخشبية  
العجيبة التي تستند اليها الشجرة الشبيهة بشجرة الزان  
ما مكانها من الصورة؟

وما أعجب هذه الفراشات التي تنقض هناك فى ضوء  
الشمس الشديد • لماذا هى فى هذا الحجم الكبير ، لازوردية  
بشكل غير مألوف أو سوداء كالمخمل ، واسعة العينين بها كلف  
غير معهود؟ والارجوان يطل من الكستناء ، والفضة منثورة  
فوق الزمرد ، وفوق التوباز (حجر كريم) ، وفوق الياقوت  
الأزرق!

« انتباه »

وصاح ويل فارنبى بصوت ظنه عاليا مزعجا ، «من  
هناك؟» فى حين أن كل ماخرج من فيه لم يكن سوى صوت  
منخفض رفيع مرتعش •

ثم ساد سكون طويل ومخيف للغاية فيما بدا • وبرزت من  
الفجوة التى تقع بين دعامتين خشبيتين من دعائم الشجرة  
حشرة لها أربع وأربعون رجلا ، ضخمة سوداء اللون ، وظهرت  
للعيان لحظة ، ثم أسرعت مبتعدة وهى تجرى بأرجلها العديدة  
القرمزية واختفت فى فجوة أخرى •

وبصوته الخفيض صاح مرة أخرى «من هناك؟»

وسمع خشخشة في الاشجار التي كانت على يساره ،  
وفجأة ظهر طائر اسود ضخيم في حجم الغراب - وليست بي  
حاجة الى القول بأنه لم يكن غرابا - وكأنه وقواق قد أطل من  
ساعة حائط \* وصفق بجناحين أطرافهما بيضاء ، ثم اندفع  
في الفضاء الذي يفصله عن ويل ، واستقر فوق أدنى أغصان  
شجرة صغيرة ذابلة تبعد أقل من عشرين قدما عن المكان الذي  
كان يرقد فيه \* ولاحظ ويل أن منقار الطائر يرتقالي اللون،  
وتحت كل عين بقعة صفراء جرداء ، وان له الغادا صفراء  
فاتحة تغطي رأسه ومؤخرته ، مع لمة كثيفة من اللحم العارى \*  
وهز الطائر رأسه في خيلاء وحدق فيه بعينه اليمنى أولا ثم  
بعينه اليسرى بعد ذلك ، وبعدئذ فتح مناقرة البرتقالي ،  
وصفر عشر مسرات أو اثنتي عشرة مرة بنغم منخفض على  
المستوى الخامس من السلم الموسيقى ، وصدر عنه صوت شبيه  
بالغواق ، وفي كلمات غنائية بنغمة (دو دو سول دو) صاح  
قائلا «الآن وفي هذا المكان يا قوم ، الآن وفي هذا المكان  
يا قوم» \*

وكان هذه الكلمات قد ضغطت على زناد ، وفجأة تذكر  
كل شيء \* هنا بالا الأرض المحرمة ، المكان الذي لم يزره  
صحافي قبل اليوم \* ولا بد أن يكون هذا الوقت هو الصباح  
الذي تلا ذلك المساء الذي فقد فيه رشده فأبحر وحده خارج  
ميناء راندانج لوبو \* تذكر كل شيء : الشراع الأبيض الذي  
انتفخ بالرياح فاتخذ شكل ورقة المنغوليا ، والماء يتدفق عند  
مقدم السفينة ، وبريق الماس على قمم الامواج ، والقنوات  
التي تشبه اليشم المجعد ، وعبر المضيق شرقا تلك السحب ،  
وعجائب ذلك اللون الأبيض المنحوت الذي يعلو براكين بالا -



وفى جلسته عند ذراع الدفة تنبه الى نفسه فاذا به يغنى  
ويشعر بسعادة لا تشوبها شائبة وبدرجة لا يتصورها العقل •  
وحملت الرياح فوق موج البحر الصاخب نشيده الخدى  
ثغنى فيه بوحدته الموحشة •

وليست بنا حاجة الى القول بأن ما حذر منه كل الملاحين  
المحذرين المجريين قد حدث - العاصفة الهوجاء تهب من أين  
لا يدري ، والرياح العاتية والمطر والموج تشور فجأة مسعورة  
مجنونة ••••

وتغنى الطائر «الآن وفى هذا المكان يا قوم ، الآن وفى  
هذا المكان يا قوم» •

وخطر له أنه من العجيب حقا أن يكون هنا تحت الاشجار  
ولا يكون هناك فى قاع مضيق بالا ، بل - وهو أسوأ من ذلك -  
ألا يكون حطاما عند سفح الجبل • لانه حتى بعد أن استطاع  
بمحض المعجزة أن يقود سفينته الغارقة خلال الموج ويرسيها  
على الشاطئ الرملى الوحيد بين تلك الاميال من سواحل بالا  
الصخرية - حتى مع ذلك لم تكن النهاية • فلقة كانت التلال  
شامخة - ولكن فى أعلى مكانه المنخفض كان هناك واد ضيق  
يجرى فيه تيار من الماء تقطعه مساقط شفاقة متتابعة ، وكانت  
هناك أعشاب وأشجار تنمو بين جدران من الجير الرمادى -  
ستمائة أو سبعمائة قدم من الصخر عليه أن يتسلقها - فى  
حذاء خفيف كحذاء لعبة التنس • وكل مواقع الاقدام زلقة  
تغمرها المياه • وفوق ذلك تلك الأفاعى ، واحداها سوداء  
تلتف فوق الغصن الذى كان يتشبث به • وبعد خمس دقائق  
تكورت الأفعى الخضراء الضخمة هناك فوق صخرة ناتئة فى

المكان الذى كان يتأهب ليخطو عليه • فزع يتلوه فزع أشد •  
وقد انخلع قلبه لمراى الأفعى وسحب قدمه بشدة • وأفقدته  
توازنه هذه الحركة المفاجئة التى لم يحسب لها حسابا • ومرت  
به برهة طويلة من الغثيان وهو موقن فى جزع شديد أن هذه  
هى نهايته • وترنح عند الحافة ثم هوى • الموت ، الموت ،  
الموت ! وبعدئذ الفى نفسه - وفى أذنيه صوت الخشب يتطاير  
شظايا - معلقا فى أغصان شجرة صغيرة ، وجهه مخدوش ،  
وركبته اليمنى مجروحة تسيل منها الدماء ، ولكنه ما برح على  
قيد الحياة • فتابع تسلقه فى عناء شديد ، وقد ألمته ركبته  
وأوجعته ، ولكنه واصل التسلق • ولم يكن له عن ذلك بديل •  
ثم أخذ النور يتلاشى ، وفى النهاية كان يتسلق فى شبه  
الظلام ، يدفعه الايمان واليأس القاتل •

وصاح الطائر «الآن وفى هذا المكان يا قوم» •

غير أن ويل فارنبى لم يكن فى هذه الآونة ولا هذا المكان •  
بل كان هناك فوق الصخور وفى لحظة السقوط المفزعة •  
وخشخشت الأوراق الجافة تحت قدميه وأخذته الرعشة ، فكان  
يرتجف فى عنف شديد وعلى غير ارادته من قمة رأسه الى  
أسفل قدميه •

وفجأة لم يعد الطائر واضح العبارة وبدأ يصيح . وطرق  
أذنيه صوت بشرى حاد يقول «المينة» (طائر آسيوى) . وأضاف  
بعد ذلك شيئاً فى لغة لم يفهما ويل . ثم استمع الى صوت  
خطى فوق أوراق الشجر الجافة ، أعقبها صيحة ذعر . وساد  
الصمت بعد ذلك . وفتح ويل عينيه فرأى طفلين رائعين  
يتفرسانه وعيونهما تحملق فى دهشة وفزع مريع . أصغرهما  
صبى نحيل الجسم ربما كان فى الخامسة أو السادسة من عمره  
لايستتره سوى ازار أخضر اللون . والى جواره تقف فتاة  
صغيرة تكبره بأربع أو خمس سنوات تحمل فوق رأسها سلة من  
الفاكهة . وكانت ترتدى ثوبا قرمزي اللون يكسوها من  
خصرها حتى عقبيها . أما ما فوق الحصر فقد كان عاريا ،  
بشرتها تتلألأ فى ضوء الشمس فتتخذ لون النحاس الباهت  
المطلى بلون وردى . ووجه ويل نظرتة من طفل الى آخر .  
ما أجملهما ، وما أكملهما ، وما أشد ما هما عليه من أناقة ،  
وما أشبههما بالسلالة الأصيلة . أما الصبى فهو مخلوق رائع  
الحسن قوى متكور وجهه كالملاك . والفتاة مخلوقة أخرى  
رائعة الجمال ، دقيقة الملامح ، وجهها صغير الحجم مستطيل  
جاء النظرات تحوطه ضفيران من الشعر الاسود .

ثم كانت صيحة أخرى مباغته . والطائر فى مجتمه  
فوق الشجرة الذابلة يتلفت فى عصبية يمنة ويسرة ، وبعد  
صيحة أخيرة من الذعر انطلق فى الفضاء . ومدت الفتاة

يدها لمصافحة ويل دون أن ترخى نظرتها الى وجهه • أما الطائر فرفرف جناحيه ، ثم استقر ، واهتز هزة كبرى ، اتزن بعدها ، وبعدئذ طوى جناحيه وشرع فوراً في فواق متواصل • وشخص اليه ويل بغير دهشة ، فأى شيء كان حينذاك ممكن الوقوع - حتى الطيور الناطقة التي تجثم فوق اصبع طفل صغير • وحاول ويل أن يبسم لهما ، غير أن شفثيه كانتا لاتزالان ترتعشان • وقد قصد بابتسامته أن يتودد اليهما ولكنها بدت كأنها حركة في الوجه تدعو الى الخوف • واختفى الصبي خلف أخته •

وكف الطائر عن الفواق وبدأ يكرر لفظه لم يفهم ويل لها معنى • هل كانت هذه اللفظة «رونا» ؟ كلا ، كانت «كارونا» بالتأكيد •

ورفع يدا مرتجفة وأشار الى الفأكة في السلة لمستديرة : المنجة والموز • • • وسال اللعاب من فمه الجاف • وقال «أنا جائع» : ثم أحس أن الطفل في مثل هذه الظروف القريبة قد يكون أكثر تفهما له اذا هو اصطنع اللهجة التي يتحدث بها رجل صيني يلعب دورا في ملهة موسيقية ، فغير من عبارته وجعلها كحديث الاجنبى عن اللغة •

وفي لغة انجليزية سليمة قال الطفل «هل تريد أن تأكل ؟»

فرد عليه بقوله «نعم ، آكل ، آكل»

فهزت الطفلة رأسها وقالت للمينة «ابتعدى» • وصدر عن الطائر صوت احتجاج وعاد الى مجثمه فوق الشجرة الذابلة

ورفعت الطفلة ذراعيها الصغيرتين النحيلتين بحركة كحركة الراقصة ورفعت السلة من فوق رأسها ووضعتها فوق الأرض، وأنتقت اصبع موز وقشرته ، ويمزيج من الاحساس بالخوف والشفقة تقدمت نحو الرجل الغريب ، وبلغة غير مفهومة صاح الطفل منذرا وتشبث بردام أخته - ونطقت الطفلة كلمة تدل على الاطمئنان ثم وقفت على مبعدة من المخاطر ورفعت اصبع الموز وسالت الرجل :

« هل تريده ؟ »

ومذ ويل فارنبى يده وهى ماتزال ترتعش \* وبحذر شديد تقدمت الفتاة ثم وقفت ، ثم قبعت ، وتطلعت اليه فى ايمان شديد \*

وقال وقد نفذ صبره «اسرعى» \*

ولكن الفتاة الصغيرة لم تتمجل ، وظلت تحديق فى يده تحاول أن تثبين ان كانت بها أدنى اشارة الى حركة مريبة ، ثم انحنت الى الامام ، ومدت ذراعها فى حذر شديد \*

وتوسل اليها قائلا « الله » \*

وباهتمام مبالغت كررت الفتاة قولها « الله ؟ »

وسألته «أى اله ، فهناك آلهة كثيرة» \*

وأجابها وقد نفذ صبره «من تشاءين منهم» \*

وأجابته «اننى فى الواقع لا أحب أيا منهم ، انما أنا أحب الواحد الرحيم» \*

وتوسل اليها قائلا «اذن فكونى رحيمة بى واعطنى هذا الاصبع من الموز» \*

وتغير تعبيرها ، وقالت معذرة « آسفة » •  
 ونهضت منتصبية القامة وخطت الى الامام خطوة سريعة  
 وأسقطت الفاكهة فى يده المرتمشة •  
 وقالت «هاكها» ثم قفزت الى الخلف بميدا عن مناله  
 كالحيوان الصغير الذى يتفادى المصيدة •  
 وصفق الصبى الصغير بيديه وضحك ضحكة عالية •  
 فالتفتت وقالت له شيئاً ما ، وأوماً برأسه المستدير قائلاً  
 «ليكن ذلك ياسيدتى» وهرولاً بميدا متسللاً وقد شق طريقه  
 خلال جسر من الفراشات الزرقاء والكبريتية ، وتوغل بين  
 ظلال الغابة فى الجانب البعيد من الوادى •  
 وفسرت موقفها للرجل قائلة «قلت لتوم كريشنا اذهب  
 وعد ومعك شخص ما» •  
 وأكل ويل اصبع الموز وطلب اصبعاً ثانية وثالثة • ولما  
 تخفف من ألم الجوع أحس الحاجة الى اشباع رغبته فى  
 الاستطلاع •  
 وتساءل «كيف تتحدثين الانجليزية بهذه الفصاحة؟»  
 قالت «لأن كل انسان يتحدث الانجليزية» •  
 « كل انسان ؟ »  
 قالت «أقصد عندما لايتحدثون لغة أهل بالاً» •  
 ولما كان الموضوع لايشوقها أدارت وجهها ولوحت بيده  
 صغيرة سمرأء ، وأخذت تصفر •  
 ومرة أخرى أخذ الطائر يردد «الآن وفى هذا المكان



ياقوم» ، ثم هبط من مجثمه فوق الشجرة الذابلة واستقر فوق  
كتف الفتاة التي أخذت تقشر موزة أخرى أعطت ويل ثلثيها  
وقدمت ماتبقى للمينة .

وسألها ويل «هل هذا طائر ك؟»

وهزت رأسها

وقالت « المينات كالضوء الكهربائي لاتخص أحدا دون

الآخر » .

« ولماذا يتفوه بهذا الكلام »

وأجابته صابرة «انه تعلمها» وكأنها بنغمة حديثها تقول

له : يا حمار !

« ولماذا علموه هذا الكلام ؟ «انتباه» و «الآن وفي هذا

المكان ؟ »

وأخذت تفكر فى اللفظ الصحيح الذى تعبر به لهذا

الأبله العجيب عن الأمر الواضح فقالت «لأن ذلك ماينساه

المرء ، أليس كذلك ؟ أقصد أنك تنسى أن تتنبه الى ما هو

حادث ، وهو مايعنى أنك لست هنا ولا فى هذا الزمان .

« والمينات تطير هنا وهناك لتذكركم - أليس كذلك ؟»

فأومأت برأسها بالايجاب ، لأن تلك بطبيعة الأمر هى

الحال . ثم ساد الصمت .

وسألته «ما اسمك ؟»

وعرفها ويل بنفسه

« واسمى مارى ساروجيتنى ماك فيل »

« ماك فيل ؟ » غير معقول •

وأكدت له أن اسمها ماك فيل •

« وأخوك الصغير اسمه توم كريشنا ؟ »

وأومات بالموافقة •

« ياللعجب ! »

« وهل أتيت الى بالا بالطائرة ؟ »

« جئت من البحر »

« من البحر ؟ وهل لديك سفينة ؟ »

« كانت لى سفينة » وتمثلت فى ذهن ويل الأمواج وهى تتكسر فوق حطام السفينة التى جنحت الى الشاطئ ، واستمع فى أذنه الباطنية الى صوت اصطدامها – وأخذت توجه اليه الأسئلة فيروى لها ماحدث : العاصفة ، والتجاء السفينة الى الساحل ، ومخاطر التسلق المزعجة ، والأفاعى ، وفزعه من السقوط ... ثم أخذ يرتعش مرة أخرى بدرجة أشد من أى وقت مضى •

وأصغت اليه مارى ساروجينى باهتمام وبغير تعليق •

ولما خفت صوته ثم سكت بعد ذلك تقدمت نحوه والطائر مايزال جاثما فوق كتفها ، وركعت الى جواره •

وقالت وهى تضع يدها فوق جبهته «اسمع يا ويل ، علينا أن نتخلص من هذا الفزع » وكانت تتكلم بنغمة الخبير وهدوء الواثق من أمره •

واصطكت أسنانه وقال «خبرينى كيف يكون ذلك» •

فقلت «كيف ؟ بالطريقة المألوفة طبعاً . اذكر لى ثانية  
قصة الأفاعى وكيف سقطت » .

وهز رأسه قائلاً « لا أحب ذلك » .

قالت «بالتأكيد أنت لاتحب ، ولكن عليك أن تفعل .  
اصغ الى ماتقوله المينة » .

وكان الطائر مافتىء ينصح بقوله «الآن وفى هذا المكان  
أيها القوم» .

وأستطردت قائلة «انك لاتستطيع أن تكون هنا وفى هذه  
الآونة الا أن تخلصت من هذه الأفاعى . قص على  
قصتها » .

وكادت عيناه أن تدمعا وهو يقول «لا أريد ، لا أريد» .  
فأضافت .مارى ساروجينى قولها جادة «اذن لن تتخلص  
منها أبداً . وستظل تزحف داخل رأسك دائماً . وأنت تستحق  
هذا الجزاء » .

وحاول أن يتحكم فى رعشته ، ولكن جسمه لم يعد ملكا  
له . وكان شخصا آخر كان صاحب الأمر ، وقد عقد العزم على  
اذلاله بنية سيئة بغية ايقاع الأذى به .

وقالت مارى ساروجينى «تذكر ماحدث لك وأنت طفل  
صغير . ماذا صنعت أمك عندما ألحقت بنفسك أذى ؟»

وكانت أمه عند ذاك قد احتضنته وقالت له «ولدى  
العزیز ، طفلى العزیز» .

وفى نغمة تنم عن الدهشة والدهول قالت مارى «هل

فعلت ذلك ؟ يا للفظاعة ! انها بذلك تضاعف الايذاء» وكررت القول فى شىء من السخرية ، ولدى العزيز ، «لست أحسب الا أن الايذاء قد لازمك ساعات متواصلات ، وانك لن تنساه » .

ولم يعلق على ذلك ويل فارنبى بشىء ، بل استلقى مكانه فى صمت ، وهو يرتعد فى رجفة لا يستطيع كبتها .

« اذا أنت لم تفعل ، فلا بد لى من أن أفعل ذلك أنا بنفسى . اسمع يا ويل : كانت هناك أفعى كبيرة لونها أخضر ، وكدت أن تدوسها . كدت ان تدوسها فأصابتك بذعر أفقدك توازنك فسقطت . والآن قل هذا الكلام بنفسك - هيا » .

وفى صوت خافت طائع قال «كدت أن أدوسها ، ثم ...» ولم يستطع أن يكمل العبارة . وأخيرا استطاع أن يخرج من بين شفثيه قوله «ثم سقطت» بصوت يكاد لا يسمع .

وعندئذ استرجع حالة الفزع - غثيان الخوف ، وهزة الذعر التى أفقدته توازنه ، ثم ازدياد المخاوف ، والثقة المروعة بأن تلك هى نهايته .

« قلها مرة أخرى » .

« كدت أن أدوسها ، ثم ... »

واستمع الى نفسه وهو ينشج .

« حسن يا ويل ، اصرخ ! اصرخ ! »

وتحول النشيج الى أنين . ولما شعر بالنجل ضغط على أسنانه وكف عن الأنين .

وصاحت به «لاتفعل ذلك . أخرج أنتك ان كانت تريد

أن تنطلق • واذكر تلك الحيلة ياويل ، وتذكر كيف سقطت » •

وخرج الأثنين من فيه مرة أخرى وبدأ يرتعش بصورة لم يعهدها من قبل •

• « والآن أذكر لي ما حدث » •

« اننى أستطيع أن أرى عينيها ، وأستطيع أن أرى لسانها وهى تخرجه وتدخله » •

« نعم انك تستطيع أن ترى لسانها • وماذا حدث بعد ذلك ؟

• « فقدت توازنى وسقطت » •

• « قل ذلك مرة أخرى ياويل » وكان يتنهد باكيا •

• وأصرت على أمرها « قل ذلك مرة أخرى » •

• « سقطت » •

• « مرة ثانية » •

فقال «سقطت» وهو يكاد يتمزق اربا اربا •

« مرة ثانية ياويل ، مرة ثانية » وقالت ذلك فى عناد

شديد •

« لقد سقطت ، سقطت ، سقطت •••• »

وكف عن النحيب شيئاً فشيئاً ، وخرج اللفظ من فيه

فى يسر ، وخفت آلام الذكرى التى أثارته الكلمات •

وكرر قوله «لقد سقطت» للمرة المائة •

وهنا قالت له ماري ساروجيني «ولكنك لم تسقط سقطة  
كبرى» •

« نعم ، لم أسقط سقطة كبرى » •

وقالت الفتاة «فقيم اذن هذه الضجة» •

ولم يكن في نغمتها حقد أر سخرية ، ولا أقل اشارة الى  
ملامة • انما كانت توجه اليه سؤالا سهلا صريحا يتطلب ردا  
سهلا صريحا • أجل ، فيم كانت كل هذه الضجة ؟ ان الحية لم  
تلدغه ، وعنقه لم يندق • ومهما يكن من أمر فكل ماحدث قد  
وقع بالامس • أما اليوم فهناك هذه الفراشات ، وهذا الطائر  
الذي يدعو الى الانتباه ، وهذه الفتاة التي تحدثت اليه مؤنبة  
ناقدة ، وبدت كالملاك مما جاء ذكره في الأساطير العجيبة وعلى  
بعد خمس درجات من خط الاستواء ، واسمها – صدقت أم  
لم تصدق – ماك فيل •

وضحك فارنبي بصوت عال •

وصفقت الفتاة بيديها وضحكت هي الأخرى • وبعد  
لحظة شارك الطائر القابع فوق كتفها في الضحك وكأنه  
شيطان مأد الوادي بجلجلة صوته الذي رددت صدهاء الأشجار  
وكان العالم بأسره قد انشطر نصفين من هذه المهزلة الكبرى –  
مهزلة الوجود •



وفجأة سمع ويل فارنبى صوتا عميقا يعلق على ما حدث  
ويقول «يسرنى أن كل ما وقع انما يدعو الى الضحك» .

وتلفت ويل خلفه ورأى رجلا صغير الحجم نحيفا فى زى  
أوربى ويحمل حقيبة سوداء . وايتسم الرجل لويل . وقدر  
ويل أن الرجل فى أواخر خمسينياته . وكانت فوق رأسه  
قبعة من القش تخفى تحتها شعرا أبيض غزيرا ، وأنفه عجيب  
الشكل يشبه المنقار ، وعيناه زرقاوان لا تتفقا مع وجهه  
الأسمر .

ونادته مارى ساروجينى صائحة «جدى !»

وتلفت الرجل الغريب من ويل الى هذه الطفلة .

وسألها «م تتعجبين؟»

وبدأت مارى تتكلم ثم سكتت عن الكلام برهة لتجمع  
أفكارها ، ثم قالت «كان فى سفينة بالأمس وهبت العاصفة  
فتحطمت السفينة ولجأ الى الشاطئ هناك . فكان عليه أن  
يتسلق الجبل . وكان فوق الجبل بضعة أفاع ، ثم سقط ، ولكن  
لحسن حظه كانت هناك شجرة ولذلك فلم يحدث شئ سوى  
إصابته بدرجة من الرعب ، الذى سبب له رعشة شديدة ،  
ولذلك أعطيته بعض الموز ، وحثته على أن يكرر ما حدث  
ألف ألف مرة . وبغته أدرك أن الأمر لم يستحق ما أحسه من

ذعر • أقصد أن كل شيء قد مضى وانتهى مما جعله يضحك ،  
ومع ضحكه ضحكت ، وبعدئذ ضحكت المينة •

وقال الجد موافقا على ما فعلت «حسنا جدا» •

والتفت الى ويل فارنبى وخاطبه بقوله «والآن بعد  
الاسعاف السيكلوجى دعنى أفحص مايمكننى أدائه لأخينا  
هذا الحمار المسكين • وبهذه المناسبة أقول لك أنا الدكتور  
روبرت ماك فيل • فمن أنت ؟ »

وقبل أن يجير الرجل جوابا قالت مارى ساروجينى «اسمه  
ويل ، واسمه الآخر فار ••• لست أذكر بقية هذا الاسم  
الثانى» •

« فارنبى على وجه الدقة • وليام أسكويث فارنبى •  
وكان والدى - كما تتوقعون - من الاحرار المتحمسين • حتى  
وهو مخمور ، بل وبخاصة وهو مخمور» وصدرت عنه ضحكة  
ساخرة عالية لا تشبه فى شيء تلك الضحكة المرححة التى ملأ  
بها شذقيه وعبر بها عن ترحيبه بما تنبه اليه من أنه لم يحدث  
فى الواقع شيء يستحق ما أثار من ضجة •

وسألته مارى ساروجينى باهتمام شديد «وهل أحببت  
والدك ؟ »

وأجابها ويل «ليس بالقدر الذى ينبغى» •

وأفهم الدكتور ماك فيل الفتاة «أن مايعنيه هو أنه كان  
يكره أباه» ثم أضاف عرضا «ان كثيرين يكرهون آباءهم» •  
ثم جلس القرفصاء وشرع يفك أحزمة حقيبته السوداء

وقال مخاطبا ويل «أظن أنك أحد رجالنا الامبرياليين  
السابقين» .

وقال فارنبي مؤكدا «ولدت في بلومزبرى» .  
فاستنتج الدكتور أنه «من الطبقة العليا ، ولكنه ليس  
فردا من فئة الجيش أو أعيان المقاطعة» .

وعاد فارنبي الى الحديث فقال «هذا صحيح ، ولقد كان  
والدى محاميا وصحافيا سياسيا ، وذلك عندما لم يكن  
مشتغلا بتماطى الخمور» . أما أمى - فقد لاتصدقون أنها ابنة  
رئيس الشمامسة ، أى والله رئيس الشمامسة» وضحك مرة  
أخرى كما ضحك من قبل على حب والده للبراندى .

وحدق الدكتور ماك فيل فى الرجل لحظة ، ثم التفت  
مرة أخرى الى أحزمة حقييته .

وبنغمة العالم الموضوعى قال «عندما تضحك بهذا الشكل  
يصبح وجهك قبيحا بدرجة عجيبة» .

وأخذ ويل بهذه الملاحظة وحاول أن يخفى اضطرابه بشيء  
من التطرف ، فقال «انه قبيح دائما» .

«بل على العكس انه جميل من وجهة نظر بودلير ، الا عندما  
يمن لك أن تصدر أصواتا كمواء الضبع» . لماذا تحدث هذه  
الاصوات ؟»

وقال ويل «أنا صحافى ، مراسل خاص ، يؤجر على  
تجوله فى أنحاء العالم ليرى مايشاهد من أسباب الفزع  
الشائعة» . أى صوت آخر كنت تتوقع منى ؟ كوكو ؟ بلا بلا ؟  
ماركس ماركس ؟» وضحك مرة أخرى ، ونطق باحدى

طرائفه التى أتقنها • وقال «أنا رجل من الراضين لكل شىء» •

وقال الدكتور ماك فيل «حسنًا ، حسنًا جدا • والآن دعنا نباشر العمل» وأخرج من حقيبته مقراضا وشرع يمزق الجانب المهلهل الملطخ بالدماء من السروال الذى كان يكسو ركبة ويل الجريحة •

وحدق فيه ويل وتعجب الى أى حد بقى هذا الرجل اسكتلنديا على أصله والى حد استحال الى بالانيزى (من أهل بالا) • عيناه زرقاوان وأنفه بارز ولاشك • أما بشرته السمراء ، ويداه الدقيقتان ، ورشاقة حركته فهى بالتأكيد من مكان يقسع جنوبى تويد (فى اسكتلنده) ويبعد عنها كثيرا •

وسأله «هل ولدت هنا؟»

وهز الدكتور رأسه ايجابا «فى شيفابيورام ، فى يوم وفاة الملكة فكتوريا» •

وبعد قصة أسيرة من المقراض وقع جانب السروال وانكشفت ركبة ويل • وفحصها أولا بدقة الدكتور ماك فيل وقرر أنها «ملطخة» ثم أضاف «ولكن لا أظن أن الجرح خطير» والتفت الى حفيدته وقال لها «أريدك أن تعودى الى المحطة وتطلبى الى فيجايا أن يحضر الى هذا المكان ومعه أحد الرجال الآخرين • وقولى لهم أن يأخذوا نقالة من المستشفى» •

وأومات مارى ساروجينى برأسها ونهضت دون أن تنبس ببنت شفة وأسرعت مهرولة فى الوادى •

وتابع ويل بنظرته هذه الفتاة ذات الجسم الصغير - ونظر  
الى رداؤها السفلى الأحمر وهو يتأرجح من جانب الى آخر ، والى  
جدعها ذى البشرة الملساء وقد تلالأ فى لون ذهبى وردى فى  
ضوء الشمس •

وقال للدكتور ماك فيل «حفيدتك رائعة حقا» •

وبعد فترة من الصمت قال الدكتور «كان أبوها أكبر  
أبنائى ، وقد مات منذ أربعة أشهر فى حادث وهو يتسلق  
الجبيل» •

وتتمم ويل معزيا ، ثم كانت فترة أخرى من الصمت •  
وفتح الدكتور ماك فيل زجاجة الكحول ، ثم مسح يديه  
وقال لويل محذرا «سيؤلمك هذا قليلا ، وأقترح أن تصغى  
الى الطائر» ولوح بيده فى اتجاه الشجرة الذابلة التى عادت  
اليها المينة بعد رحيل ماري ساروجينى •  
« أنصت اليه جيدا ، وركز الانصات ، وسوف أصرف  
ذهنك عن الألم » •

وأصغى ويل فارنبى ، وعادت المينة الى موضوعها الأول •  
وكان المزمار الناطق ينادى «انتباه ، انتباه» •  
وسأل ويل «انتباه الى ماذا؟» أملا أن يظفر بجواب شاف  
أفضل من الجواب الذى تلقاه من ماري ساروجينى •

قال الدكتور ماك فيل «الى الانتباه» •

« انتباه الى انتباه ؟ »

« طبعاً » •

وتغنت المينة بلفظة «الانتباه» وكأنها تؤكد قولها  
ساخرة .

« هل لديكم العديد من هذه الطيور الناطقة ؟ »  
فوق الجزيرة . تلك كانت فكرة راجا العجوز . كان يظن ذلك  
في مصلحة الناس . وربما كان الأمر كذلك . وان كان في  
ذلك شيء من الظلم على المينات المسكينة . غير أن الطيور  
لمحسن الحظ لاتفهم حديث البشر ، حتى ان كان الحديث من  
القديس فرنسيس ( ١ ) « واستطرد قائلاً « تصور أن تكون  
الموعظة لأنواع مختلفة من الطيور الطيبة ! أى ادعاء هذا !  
لماذا لم يسكت ويدع الطيور تعظه هو ؟ » وأضاف قائلاً بنغمة  
أخرى « يحسن بك الآن أن تصنى الى صاحبتنا التى فى  
الشجرة ، فأنا سوف أنظف جراحك » .

« انتباه »

« هاهى ذى » .

وجفل الرجل وعض على شفثته .

« انتباه ، انتباه ، انتباه » .

نعم لقد صدق . فان أنت أمعنت فى الاصغاء ، خف عنك  
الآلم .

« انتباه . انتباه . . . . »

وقال الدكتور ماك فيل وقد أخذ يضمم الجرح « اننى  
لا اتصور كيف حاولت أن تتسلق هذا الجبل » .

(١) فرنسيس الاسيزى قديس ايطالى ( ١١٨٢ - ١٢٢٦ ) عرف  
بـ:حبه الشديدة للانسان والحيوان - المترجم .

واستطاع ويل أن يضعك ، وقال «أذكر بداية قصة  
أريون (١) (الأرض المجهولة) ، فقد جاء فيها (ومن حسن  
الحظ أن العنابية السماوية كانت الى جانبي» \*

وطرقت أذنه أصوات صادرة عن الجانب الآخر مع  
الوادى • فأدار ويل رأسه ورأى مارى ساروجيني وهي تخرج  
من بين الأشجار ، أزارها يتأرجح وهي تخطو ، وسار من خلفها  
رجل ضخم كالتمثال البرنزي عاريا الى خصره ويحمل فوق  
كتفه أعمدة من الخيزران وقماشاً ملفوفاً لنقالة خفيفة ، ويتبع  
هذا العملاق شاب مراهق نحيل القوام ، أسمر البشرة ،  
يرتدى سروالاً قصيراً أبيض \*

وعندما اقترب الرجل الشبيه بالتمثال البرنزي قال  
الدكتور ماك فيل «هذا فيجايا باتاشاريا ، وهو مساعدى»

«فى المستشفى؟»

وهز الدكتور ماك فيل رأسه وقال «فى حالات الطوارئ  
فقط اذ أننى لم أعد أمارس الطب • هذا الرجل وأنا نعمل  
معاً فى محطة للتجارب الزراعية • أما موروجان مالندرا  
(ولوح بيده مشيراً الى الفتى الأسمر) فهو معنا مؤقتاً ، يدرس  
علم التربة وتربية النبات» \*

وانتحي فيجايا جانبا ووضع يده الضخمة على كتف  
زميله ، ودفعه الى الامام • ونظر ويل الى ذلك الوجه الغض  
العابس ، وعرف فوراً بشيء من الدهشة والذهول أنه ذلك  
الشاب أنيق الملبس الذى التقى به منذ خمسة أيام فى راندنج  
لوبو ، والذي ركب معه سيارة الكولونيل ديبا المرسيديس

(١) قصة لصمويل بتلر (١٨٣٥ - ١٩٠٢) الكاتب الانجليزى وهي  
عبارة عن وصف لمدينة خيالية اتخذها وسيلة للسخرية من العقائد والأفكار  
السائدة - المترجم \*

البيضاء وطاق بها أرجاء الجزيرة • وابتسم ، وانفجرت  
شفته للكلام ولكنه تحكم فى ارادته • وهز الفتى رأسه بشكل  
غير ملحوظ ولكن بصورة تؤكد لويل ماطاق بخاطره •  
ولم ويل فى عينيه تعبيرا عن توسل المكروب • وتحركت  
شفته دون أن يحدث بهما صوتا وكأنه قال «أرجوك ،  
أرجوك ...» وأعاد ويل انضباط وجهه •  
وقال فى نغمة تنم عن المعرفة عن المعارضة الرسمية •  
« أهلا بك يامستر مالندرا » •  
وتنفس موروجان الصعداء وقال «أهلا» وانحنى قليلا  
الى الأمام •

وتلفت ويل حوالبه ليرى ان كان الآخرون قد لاحظوا  
ما حدث • أما مارى ساروجينى وفيجايا فقد كانا مشتغلين  
بالنقالة ، وأما الدكتور فكان يعيد أدواته الى حقيبته  
السوداء • وتم أداء المهزلة القصيرة بغير مشاهدين • وواضح  
أن موروجان الصغير كان لديه ما يدعو الى رغبته فى اخفاء  
أنه كان فى راندنج • فلقد كان الكولونيل ديبا أكثر من والد  
للفتى الذى كان يراعه • كما كان موروجان أكثر من ابن  
طائع - كان يقدس الكولونيل تقديسا • فهل كانت العلاقة  
مجرد اعجاب طالب برجل قوى قام بتفجير ثورة ناجحة ، صفى  
فيها المعارضة ونصب نفسه دكتاتورا ؟ أم هل كانت هناك  
مشاعر أخرى تساوره ؟ هل كان موروجان يؤدى دور  
أنطونينوس لهذا الهادريان (١) صاحب الشارب الأسود ؟ ربما  
كان هذا هو شعوره نحو أعضاء العصاة العسكرية من رجال  
فى منتصف العمر ، وربما كان هادريان يحب الفتيان الوسيمين •

---

(١) امبراطور روماني ( ٧٦ - ١٣٨ ) كان يصطفى انطونينوس وقد  
تبناه ليخلفه من بعده - المترجم •



وتصور ويل أن ذلك ربما كان السبب فى امتناع الكولونيل ديبا عن أن يقدم اليه موروجان تقديما رسميا ، فكل ما ذكره عنه عندما سمح للفتى بالدخول فى مكتب الرياضة هو قوله «هذا هو مورو ، صديقى الصغير مورو» ثم نهض ووضع يده على كتف الفتى وسار معه الى الأريكة وجلس الى جواره . وسأله موروجان «هل تسمح لى بقيادة المرسيديس ؟» وابتسم الدكتور ابتسامة الرضى وهز رأسه ذا الشعر الاسودالناعم . وكان فى ذلك دليل آخر على الظن بأن العلاقة العجيبة بينهما هى أكثر من مجرد صداقة . وكان موروجان كالمسعود أمام عجلة القيادة فى سيارة الكولونيل الرياضية . ولا يمكن أن يسمح أحد بقيادة السيارة لمثل هذا السائق وهو مطمئن على نفسه الا عاشق مفتون ، فما بالك والراكب ضيفه . وقد بلغ مؤشر السرعة العشرة بعد المائة مرتين فى السهل الذى يقع بين راندنج لوبو وحقول البترول . ثم كانت الحالة أسوأ كثيرا من ذلك على الطريق الجبلى بين حقول البترول ومناجم النحاس . وفى الطريق كانت هناك فجوات غائرة . وعلا صوت عجلات السيارة وهى تدور عند النواصي ، وخرجت العجول المائية من غابات الخيزان وكانت على بعد أقدام قليلة أمام السيارة ، وهبطت اللوريات التى تبلغ حمولة كل منها عشرة أطنان وهى تترار مخطئة فى جانب الطريق . واستجمع ويل شجاعته وسأل الشاب «ألست فى حالة عصبية الى حد ما ؟» ولكن الشاب كان مخلصا كما كان مفتونا فقال «اذا عرف المرء أنه انما ينفذ مشيئة الله - وأنا أعرف ذلك - يامستر فارنبى فليس ثمت ما يدعو الى أن يكون عصبيا . عندئذ تكون العصبية نوعا من الكفر بالله» . وحاول موروجان أن يتفادى عجلا فى الطريق فأنحرف فى مسيره ،

وفتح العلبة الذهبية للسجائر وقدم الى ويل واحدة من تبغ  
البلقان .

ونادى فيجايا قائلاً «مستعدون!»

وأدار ويل رأسه ورأى النقالة ملقاة على الأرض الى  
جانبه .

وقال الدكتور ماك فيل «حسنًا ! دعنا نحمله عليها ،  
ولنكن جد حريصين \* \* \*

وبعد دقيقة واحدة كان الموكب يشق طريقه فى طريق  
ضيق يقع بين الأشجار . وقد ركبت العربّة مارى ساروجينى ،  
وجاء جدها فى المؤخرة ، وسار بينهما موروجان وفيجايا على  
طرفى النقالة .

وتطلع فارنبى من سريره المتحرك وأخترق بنظره ظلمة  
الأشجار الخضراء وكأنه فى قاع البحار ، وفوق رأسه وعند  
السطح استمع الى خشخشة أوراق الشجر ، والى صوت  
القردة . ثم رأى عددا من طير أبى قردان يتوثب هنا وهناك ،  
وهى أشبه بكائنات من خلق الخيال المضطرب ، وكان الطير  
يسبح فى سحب من الاعشاب .

وسأله فيجايا وقد انحنى لينظر فى وجهه وهو جزوع .

« هل تشعر بارتياح ؟ »

ورد عليه ويل بابتسامة .

وقال «أنا مرتاح راحة الترف» .

وطمأنه الآخر بقوله «ليس المكان بعيدا وسوف نبلغه

بعد بضعة دقائق» .

«وأين هو المكان؟»

« محطة التجارب • انها أشبه بروثامستد • هل زرت  
روثامستد عندما كنت فى انجلترا ؟ »

وقد سمع ويل طبعا بالمكان غير أنه لم يزره قط •  
واستطرد فيجايأ قائلاً «ان العمل يدور به منذ أكثر من  
مائة عام» •

وقال الدكتور ماك فيل «منذ مائة وثمانية عشر عاما على  
وجه التحديد • وقد بدأ لوز وجلبرت العمل فى المخصبات فى  
عام ١٨٤٣ • وجاء أحد تلاميذهما الى هذا المكان فى أوائل  
الخمسينات لمساعدة جدى فى تشغيل المحطة • وكانت الفكرة  
ايجاد روثامستد فى المناطق الحارة - فيها ومن أجلها» •

وشاع الضوء فى الحضرة الداكنة وبعد دقيقة واحدة  
خرجت المحفة من الغابة الى الوهج الشديد الذى يتميز به  
ضوء الشمس فى المناطق الحارة • ورفع ويل رأسه وتلفت  
حواليه • وقد باتوا على مقربة من أرض مدرج ضخم • وعلى  
عمق خمسمائة قدم امتد واد فسيح تتخلله الحقول الخضراء ،  
وتنتشر فوقه مجموعات من الأشجار ومن البيوت المتلاصقة •  
وفى الناحية الأخرى كانت السفوح تتصاعد آلاف الاقدام  
متجهة صوب نصف دائرة من الجبال • ومن الوادى الى القمم  
التي بدت كالحائط تشقه الشرفات امتدت حقول الأرز على  
مسطح واحد من الأرض فى شكل مصاطب تمتد فوق مصاطب  
أخرى ذهبية اللون أو خضراء ، مما أظهر فى وضوح كل  
ارتفاع أو انخفاض فى المنحدر وكأن الصورة قد صممت  
عن قصد وبدوق سليم • ان الطبيعة هنا لم تعد مجرد طبيعة،

والمنظر الطبيعي هنا قد صمم ورد الى أصوله الهندسية وقام بأدائه مصور وهب معجزة البراعة الفنية فرسم هذه الخطوط المتعرجة وهذه الأشرطة من الألوان البراقة الصافية .

وبعد صمت طويل شق سكوته الدكتور روبرت بسؤاله «ماذا كنت تصنع فى راندنج؟»

• « اجمع مادة لمقال عن نظام الحكم الجديد »

• « أظن أن الكولونيل جدير بالاطخبار عنه »

وضحك ويل وهو يقول «أنت مخطيء . فهو ليس الا دكتاتورا «عسكريا» . ومعنى ذلك أن الموت يلوح فى الأفق . والموت دائماً خبر من الأخبأر . حتى رائحة الموت التى تفوح من بعيد خبر من الاخبأر . ولذلك طلب الى أن أمر بهذه الجزيرة وأنا فى طريق عودتى من الصين» .

وكانت هناك أسباب أخرى أثر ألا يتعرض لذكرها ، فالصحف ليست الا هما واحدا من هموم اللورد الديقهايد . وانما هو من ناحية أخرى يمثل شركة بترول جنوب شرقى آسيا ، كما يمثل شركة النحاس الأجنبية الامبريالية المحدودة . ومن الناحية الرسمية جاء ويل الى راندنج ليشتتم رائحة الموت فى جوه العسكرى ، غير أنه كلف كذلك بالتعرف على آراء الدكتاتور بالنسبة لرأس المال الأجنبى ، ومدى استعداده لتخفيض الضرائب ، وأية ضمانات يقدمها لعدم التأميم ، ومقدار الأرباح التى يسمح بتصديرها ؟ وكمن من التقنيين والاداريين الوطنيين يجب استخدامهم ؟ ومجموعة أخرى من التساؤلات العديدة . ولكن الكولونيل ديبا كان فى الواقع دمثا للغاية ومتعاوننا ، ومن ثم كانت تلك الرحلة بالسيارة

التي قادها موروجان بسرعة رهيبية الى مناجم النحاس .  
«لا تزال بدائية يا عزيزي فارنبي ، وبحاجة ماسة كما تلمس  
بنفسك الى المعدات الحديثة» . وتذكر الآن ويل أنه كان قد  
اتفق على لقاء آخر في نفس هذا الصباح . وتصور الكولونيل  
جالسا الى مكتبه وأمامه بلاغ من رئيس الشرطة بأن «المستر  
فارنبي قد شوهد أخيرا وهو يبحر في قارب صغير وحيدا في  
مضيق بالا . وبعد ساعتين هبت عاصفة شديدة . . والمفروض  
أنه قد لاقى حتفه» . ولقد كان الأمر غير ذلك ، فهذا هو حي  
يرزق فوق الجزيرة المحرمة .

وكان جوالدهايد قد ذكر له في آخر مقابلة لهما «أنهم  
لن يسمحوا لك بتأشيرة دخول ، ولكنك ربما تستطيع أن  
تتسلل الى الشاطئ متنكرا ، فألبس بورنسا أو ما يشبهه كما  
فعل لورنس العرب» .

ووعده ويل جادا «سوف أحاول» .

« على أية حال اذا أنت استطعت أن تطأ بقدمك أرض  
بالا فتوجه رأسا الى القصر . فرانى - وهى الملكة الأم هناك  
صديقة لى من زمن بعيد . وقد قابلتها للمرة الأولى منذ ست  
سنوات فى لوجانو . وكانت تقيم هناك مع فوجيلى المعجوز  
وهو صاحب بنك الاستثمار ، وصديقتة مهتمة بالروحانيات  
وقد أعدت لى جلسة روحانية . الوسيط بوق ، والصوت  
مباشر حقيقى - الا أن الكلام لسوء الحظ كان بالألمانية .  
وعلى كل حال - بعد ما أعادوا الاضاءة - تبادلنا معها حديثا  
طويلا » .

« مع البوق ؟ »

« لا ، لا ، مع رانى ، فهى امرأة رائعة ، تتزعم حملة صليبية «للاشادة بدور الروح» .

« وهل هذه الحركة من اختراعها ؟ »

« قطعاً ، وأنا شخصياً أوثرها على حركة «إعادة التسليح الخلقى» ، وهى مفضلة فى آسيا . ولقد تحدثنا عنها ذلك المساء ، ثم تحدثنا بعد ذلك عن البترول ، وبالا مليئة به . ولقد حاولت شركة بترول جنوب شرقى آسيا لعدة سنوات أن تستولى عليه . وكذلك فعلت جميع الشركات الأخرى ، ولكن دون جدوى . فلم تعط فى هذا السبيل امتيازات لأى فرد . وهذه هى سياستهم الثابتة ، ولكن رانى لاتوافق عليها ، فهى تحب أن ترى للبترول أثرا طيبا فى العالم ، كأن يمول الحملة الصليبية للروح مثلا . ولذلك فكما قلت لك اذا ذهبت الى بالا فتوجه رأسا الى القصر ، وتحدث معها ، لتصل الى حقيقة أمر الرجال الذين بيدهم اصدار القرارات . واكشف لنا ان كانت هناك قلة تحبذ الافادة من البترول ، واسأل كيف نستطيع أن نعاونهم على الاستمرار فى جهودهم الطيبة» . وفى نهاية حديثه وعد ويل بمكافأة مجزية اذا توجت جهوده بالنجاح ، مكافأة تكفيه أن يتفرغ عاما كاملا «لا أريد منك بعد اليوم تقارير . لست أريد الا فنا ربيعاً ، أريد فنا» وضحك ضحكة عالية داعرة كأنه لم يقل « فنا » وانما قال كلمة بنديئة . ياله من مخلوق غير معقول ! ولكنه على الرغم من ذلك كان يكتب لصحف تافهة يملكها مخلوق غير معقول ، وكان على استعداد أن يرثى لكى يؤدى عملا قدرا لرجل وضيع . والآن لا يستطيع أن يصدق أنه فوق أرض بالا . ان العناية السماوية لسن حظه كانت حليفته لكى يرتكب

— لغرض هام بالتأكيد — مهزلة عملية خبيثة مما تكرر  
السماء لها ارادتها .

وردته الى الواقع الراهن مارى ساروجينى بصوتها الحاد  
اذ قالت له «هانحن قد وصلنا» .

ورفع ويل رأسه مرة أخرى ، وأدرك أن الموكب الصغير  
قد انحرف عن الطريق وسار من خلال ثغرة فى جدار أبيض  
يكسوه الجص . وعلى يساره ، وفوق مصاطب مرتفعة متتالية  
رأى صفا من المباني المنخفضة تحوطها الاشجار . وأمامه  
مباشرة طريق واسع على جانبيه أشجار النخيل ينحدر نحو  
بركة لوتس يقبع على أبعاد أطرافها تمثال حجرى ضخم لبوذا .  
ولما اتجهوا يسرة أخذوا يتسلقون الى أعلى مصطبة بين الأشجار  
المزهرة وخلال العطور المختلطة . وخلف أحد الجدران وقف  
عجل ذو سنام ناصع البياض لايتحرك منه سوى فكليه وهما  
يجتران الطعام ، متآله بجماله الهادئ غير المهموم . وعندئذ  
تراجع عاشق اوربا» (١) الى الماضى وشهد ويل زوجا من طيور  
يونو تجرر ريشها فوق العشب ، وفتحت مارى ساروجينى  
مزلاج باب حديقة صغيرة .

وقال الدكتور ماك فيل وقد التفت الى موروجان « هذا  
بيتى ذو الطابق الواحد . اسمح لى أن أعاونك على صعود  
السلم » .

(١) فى الاساطير اليونانية أميرة فينيقية عشقها زيوس فاتخذ شكل  
عجل أبيض اللون وأغراها على ركوبه ليسبح بها وهى فوق ظهره الى جزيرة  
كريت — وهناك حملت منه وأنجبت له ثلاثة أطفال — المترجم .

توجه توم كريشنا ومارى ساروجينى الى جيرانهما من  
أطفال البستاني ليسترخيا بعد الظهر . أما سوزيلا ماك فيل  
فقد جلست وحيدة فى غرفة المعيشة المظلمة فى بيتها تسترجع  
ذكريات سعادتها التى ولت وآلام ثكلها الحاضر . ودقت  
ساعة المطبخ منتصف الساعة ، وأن لها أن تخرج ، وتنهدت  
ثم نهضت وانتعلت صندلها وسارت فى الوهج الشديد الذى  
يسود المناطق الحارة بعد الظهر ، وتطلعت الى السماء ورأت  
سحبا كثيفة فى أعلى البراكين تصعد نحو سمت رأسها .  
وعرفت أن المطر سوف يسقط بعد ساعة ، وتنقلت من بقعة  
ظليلة الى أخرى وشقت طريقها على الطريق الذى تقع على  
جانبية الاشجار . وانطلق من فوق احدى الاشجار الباسقة  
سرب من الحمام محدثا بريشه قمقمة مسموعة . وطار الحمام  
صوب الغابة بأجنحته الخضراء ومناقيره المرجانية وصدوره  
التى يتغير لونها فى الضياء كعرق اللؤلؤ . ما أجمل الحمام  
وما أشد روعته ! وأوشكت سوزيلا أن تعود لترى لمحة السرور  
البادية على وجه ديوجولد ، ولكنها تحكمت فى ارادتها وصوبت  
نظرها نحو الأرض . فلقد ولى ديوجولد الى الأبد ، ولم يبق  
لها سوى الألم الذى يشبه التألم الذى يلح على خيال المرء ، بل  
واحساسه ، من عضو من أعضاء الجسم قد تم بتره ولم يعد الا  
وهما من الأوهام ، وأخذت تحدث نفسها وتقول «البتير ،  
البتير . . . » وامتلات عيناها بالدموع ، ثم كفت فجأة عن



البكاء ، فالبتر ليس عذرا للأسى ، وعلى الرغم من مسوت ديوجولد فان الطيور ما برحت على جمالها ، وأطفالها وكل الأطفال الآخرين بحاجة قصوى الى المحبة والعون والتعلم .  
واذا كان غيابها حاضرا على الدوام فى ذهنها ، فانما ذلك لتذكر أنها منذ لحظة الوفاة يجب أن تحب ولديها وأن تعيش من أجلهما ، وتفكر فيهما ، كما ينبغي لها أن تتصور الامور وتتفهمها لا بعينيها وعقلها فحسب بل بما كان له كذلك من عقل وعينين ، هما كذلك عقلها وعيناها - قبل الكارثة - فلقد كانا يتحدان فى السرور وفى التفكير .

وبلغت بيت الدكتور ، وصعدت السلم ، وعبرت الشرفة وولجت غرفة المعيشة ، وألفت حماها جالسا قرب النافذة يحتسى الشاي البارد من كأس من الفخار ويقرأ ( مجلة الفطريات) ورفع بصره حينما اقتربت ، واستقبلها بابتسامة الترحيب .

« كم أنا سعيد ياعزيزتى سوزيلا لانك استطعت الحضور » .

وانحنى وقبلت خده الحشن

وسألته «ماهذا الذى بلغنى من مارى ساروجينى . هل صحيح أنها وجدت رجلا ملقى على الشاطئ ؟ »

« من انجلترا - ولكن عن طريق الصين وراوندنج . وقد تحطمت سفينته . وهو صحافى » .

« ماشكله ؟ »

« شكله كالمسيح المنتظر ، ولكنه أكثر فطنة من أن يمتقد

فيه أو فى رسالته . وهو أرهف حسا - حتى ان آمن بها - من أن ينفذها • عضلاته تريد الحركة ومشاعره تريد الايمان ، ولكن أطراف أعصابه ومهاراته لاتسمحان له بذلك » •

« أحسب اذن أنه بأأس جدا » •

« بلغ من بؤسه أنه يضحك كالضبع » •

« وهل يدرك أنه يضحك كالضبع ؟ » •

« نعم يدرك ، وهو بهذا فخور ، بل ويتفنى به فيقول ، أنا رجل أرفض كل شىء » •

وسألت « وهل أصابه أذى شديد ؟ »

« ليس شديدا • بيد أن حرارته قد ارتفعت ، وقد أعطيته مضادات للجراثيم • وعليك الآن أن تضاعفى مقاومته بالعلاج الطبيعى » •

« سأبذل جهدى » وبعد فترة من السكون قالت « لقد ذهبت وأنا فى طريق العودة من المدرسة الى لاکشمى » •

« وكيف وجدتھا ؟ »

« تقريبا كما هى • كلا • بل ربما كانت أسوأ قليلا مما كانت عليه بالأمس •

« هذا ما أحسسته عندما رأيتها هذا الصباح » •

« من حسن الحظ أن آلامها لاتسوء كما يبدو • ونستطيع أن نعالجها نفسيا • وقد عالجتنا اليوم الغثيان ، واستطاعت أن تتناول شرابا • ولا أظن أنها فى حاجة بعد ذلك الى السوائل تتعاطاها عن طريق الأوردة » •

قال «الحمد لله ! فان الحقن التي كانت تتعاطاها كانت مصدرًا للعذاب . ما أحوج المرء الى شجاعة كبرى لمواجهة أى خطر حقيقى ، ولكن عندما تكون الحقنة تحت الجلد أو فى العرق فالفزع مدقع غير معقول» .

وعاد بذاكرته الى أيام الزواج الأولى ، حينما فقد أعصابه ذات مرة ووصفها بالجبن لأنها أثارت ضجة كبرى . وكانت لاكشمى قد صرخت واستسلمت لاستشهادها وتوسلت اليه أن يعفو عنها فأشعلت فى قلبه نارا . وصاح «لاكشمى ، لاكشمى . . .» وبعد بضعة أيام سوف تلفظ أنفاسها الأخيرة ، بعد سبعة وثلاثين عاما . ثم سأل بصوت مرتفع «فيم كنتما تتحدثان ؟»

وأجابته سوزيلا «فى لاشيء بالذات» . ولكنهما فى الواقع تحدثا عن ديوجولد ، وانها لم تستطع أن تستعيد ما حدث بينهما . وقالت الأم فى همس وهى تموت «هذا وليدى الأول . لم يطرأ على ذهنى أن الأطفال يمكن أن يكونوا على هذه الصورة الجميلة» . وتلألأت عيناها الفائرتان فى محجزيهما ، وابتسمت شفتاها اللتان هربت منهما الدماء . وواصلت الكلام بصوتها الضعيف الخشن «ما أصغر يديه ، وما أحوج فمه الصغير الى الطعام !» وبيد مرتعشة عجفاء لمست موضع ثديها الذى كان يعملوه قبل العملية التى أجريت لها فى العام السابق . وكررت قولها «لم أعرف ذلك قط من قبل» وكيف كان يتسنى لها أن تعرف قبل الحادث ؟ لقد كان كشافا جديدا ، رؤيا مارسها باللمس والمحبة .

« هل تدركين ما أعنى ؟ » وأومات سوزيلا برأسها .

وبطبيعة الحال كانت تدرك - أدركت ذلك من علاقتها بطفليها،  
أدركته فى رؤى أخرى من اللمس والمحبة أحست بهما مع  
ديوجولد الرجل وقد استحال صغيرا يداه دقيقتان وفمه جائع  
شبه • وهمست المرأة وهى فى فراش الموت «كنت أخشى  
عليه ، فلقد كان قويا ، مستبدا يستطيع أن يوقع بغيره الأذى  
وأن يهدد وأن يحطم • ولو أنه تزوج من امرأة أخرى •••  
ولكننى أحمد الله أنك كنت له زوجا !» وتحركت يدها العجفاء  
من المكان الذى كان موضعا لثديها ولمست بها ذراع سوزيلا ،  
وأحنت رأسها وقبلتها ، وأخذها بيكيان •

وتنهذ الدكتور ماك فيل ، ونظر الى أعلى ، وهز بدنه هزة  
خفيفة وكأنه رجل خرج من الماء ، وقال «اسم الرجل الذى  
كان ملقى على الشاطئ فارنبى ، ويل فارنبى» •

وكررت سوزيلا قولها «ويل فارنبى ؟ يحسن بى أن أذهب  
اليه وأرى ماذا أستطيع أن أصنع له» • ثم استدارت بجسمها  
وانصرفت •

وتابعها الدكتور ماك فيل بالنظر ، ثم مال الى الخلف فى  
كرسيه وأغمض عينيه • وفكر فى ولده ، وفكر فى زوجته ،  
لاكشمى التى تسدبل رويدا رويدا حتى تنتهى ، فكر فى  
ديوجولد وكأنه شعلة مضيئة مشتعلة انطفأت فجأة • فكر فى  
تتابع التفجرات والمصادفات غير المعقولة التى تتألف منها  
الحياة - فكر فى كل ما هو جميل ومفزع وعبث ، الذى يتألف  
فيخلق نموذجا لمصير الانسان لا يمكن تفهمه ولكنه مع ذلك له  
خطورته المقدسة • وقال محدثا نفسه وقد تذكر وجه سوزيلا  
عندما أخطرها بما حدث لديوجولد «ياللاه من امرأة بائسة» •  
ثم ذكر المقال الخاص بالنبات الفطرى المخدر الذى نشرته

«مجلة الفطريات» - وهذا أمر آخر ناشز يتخذ له مكانة على صورة ما فى نموذج الحياة • ووردت على ذهنه الكلمات التى جاءت فى احدى القصائد القصيرة العجيبة التى نظمها راجا المعجوز •

كل شىء

لا يآبه أبدا بغيره

ولكن الأشياء جميعا

تعمل فى تكامل

وان تباعدت

لغير يتجاوز خيرنا

ولكائن أكثر خلودا مع زواله

وأكثر أبدية مع تضاوله

من المعبود فى علاه

وسمع ويل للباب صريرا وبعد لحظة استسمع الى وقع  
خطوات خفيفة والى خشخشة ثياب ، ثم أحس يدا فوق كتفه  
وسمع صوت امرأة ، منخفضا موسيقيا ، يسأله عن حالته •  
وأجاب دون أن يفتح عينيه «حالتى سيئة» •

ولم ينم صوته عن الأسى على حاله ، أو على طلب الحنان  
- ولا يحس السامع فيه الا غضب الرواقى من الأمر الواقع ،  
وكأنه رجل سئم أخيرا مهزلة الكتمان فأفصح مستاء عن  
الحقيقة •

« حالتى سيئة »

وامتدت اليه اليد مرة اخرى • واستمع الى صوت يقول  
«انا سوزيلا ماك فيل ام مارى ساروجينى» •

وادار ويل رأسه وفتح عينيه على مضض ، واذا بصورة  
مكبرة لمارى ساروجينى أشد منها سمرة تجلس الى جوار سرييره  
تبتسم له فى قلق ينم عن المودة ، ولو انه بادلها ابتسامه  
بابتسامه لكان ذلك عليه جهدا كبيرا ، فاكتفى بقوله «كيف  
حالك» ثم شد ملاءة السرير قليلا الى اعلى وأغمض عينيه  
مرة أخرى •

ونظرت اليه سوزيلا فى صمت ، نظرت الى الكتفين برزت  
عظامهما ، والى القفص الصدرى المختفى تحت بشرة شحوبها  
النوردى جعله يبدو فى عينيهما البالانين ضعيفا بدرجة عجيبة  
عرضة للأمراض ، ونظرت الى وجهه الذى لفحته الشمس  
وقد تحددت ملامحه كأنه تمثال منحوت لايرى الا على مبعده  
— وهو مع ذلك شديد الحساسية وقد أصابته رعشة جعلتها —  
أكثر من وجهه العارى — تراه وكأنه رجل سلخ جلده وترك  
لآلامه •

وأخيرا قالت له «سمعت انك من انجلترا» •

وتمتم ويل منفعلا «لا يهمنى من أين جئت ولا الى أين أنا  
ذاهب • وليكن من الجحيم الى الجحيم» •

واستطردت قائلة «كنت فى انجلترا بعد الحرب مباشرة  
طالبة» وحاول ألا يصغى ، غير ان الأذان ليست لها جفون ،  
ولم يكن هناك مهرب من الصوت المتطفل •

وقال هذا الصوت «كانت لى زميلة فى قسم علم النفس ،

يعيش أهلها فى ولز • وطلبت الى أن أعيش معهم فى الشهر  
الأول من عطلة الصيف • هل تعرف ولز ؟ »

وكان بالطبع يعمرها ، فلماذا تضايقه بذكرياتها  
السخيفة ؟

واستطردت سوزيلا قائلة « كنت أحب المشى هناك بجوار  
الماء ، أنظر عبر الخندق المائى الى الكاتدرائية - وبينما كانت  
تنظر الى الكاتدرائية فكرت فى ديوجولد وهو على ساحل البحر  
تحت النخيل ، فكرت فيه وهى يعطيها الدرس الأول فى تسلق  
الصخور ويقول لها « انت على الحبل ، فى أمان تام ، ولا يمكن  
أن تسقطى ... » وكررت هذه العبارة : « لا يمكن أن تسقطى »  
فى مرارة شديدة - ثم تذكرت مبدأ « الآن وفى هذا المكان »  
وتذكرت أن عليها واجبا يجب أن تؤديه ، وتذكرت - وهى  
تلقى نظرة أخرى على الوجه محدد الملامح المسلوخ - ان  
أمامها انسانا يتألم • واستطردت قائلة « ما أروعها ، وما أشد  
هدوءها »

وأصبح الصوت كما خيل لويل فارنبى أكثر موسيقية  
وأشد بعدا بشكل عجيب • وربما كان ذلك السبب فى أنه لم  
يعد يستنكر تطفله •

« احساس بالهدوء غير عادى - شانتى ، شانتى ، شانتى ،  
انه هدوء لا يتصوره العقل » •

وكان الصوت كان يتغنى ويأتى من عالم آخر فيما يبدو •  
وتغنى الصوت قائلا « اننى أستطيع أن أغمض عيني وأرى  
كل شىء فى وضوح • أستطيع أن أرى الكنيسة - انها ضخمة ،  
وأكثر ارتفاعا من الأشجار الباسقة التى تحيط بقصر الاسقف •

أستطيع أن أرى العشب الأخضر والماء وضوء الشمس الذهبي وهو يسطع فوق الحجر ، والظلال المائلة بين التلال . ثم انصت ! اننى أستطيع أن أسمع الأجراس ، الأجراس والغربان . الغربان فى البرج - هل تسمع الغربان ؟ »

نعم ، انه يستطيع أن يسمع الغربان فى وضوح تماما كما يسمع الآن تلك البيغاوات فى الأشجار التى تقع خارج نافذته ، فلقد كان هنا ، كما كان فى نفس الوقت هناك - هنا فى هذه الغرفة المظلمة الحارة الرطبة قريبا من خط الاستواء ، ولكنه كذلك كان هناك ، فى العراء فى ذلك المنخفض البارد على حافة منديبس ، حيث الغربان تصرخ من فوق برج الكتدرائية ، وصوت الاجراس يتلاشى فى صمت الحضرة .

واستأنف الصوت قائلاً « وهناك سحب بيضاء ، والسماء الزرقاء بين سحابة وأخرى شاحبة ، رقيقة ، لطيفة للغاية » .

وكرر هذه الكلمة (لطيفة) . السماء الزرقاء اللطيفة فى نهاية الاسبوع فى شهر ابريل الذى قضاه هناك مع مولى قبل نكبة زواجهما . كانت هناك وسط العشب أزهار الربيع والدانديليا ، وكانت هناك عبر الماء الكنيسة الضخمة تملو شامخة وكأنها تتحدى جموح سحب ابريل الرطبة بهندستها الصارمة ، تتحدى البرية وتكملها فى الوقت نفسه وتتفق معها فى انسجام تام . هكذا كانت الحال بينه وبين مولى ، وهو ماينبغى أن تكون عليه الحال .

« والأوز العراقى . . . » وكأنه يصفى الآن الى الصوت وهو يفنى حالما .



نعم الأوز ! الأوز الأبيض يتحرك عبر مرآة من اليشم  
والكهرمان الأسود - مرآة تملو وتهبط وترتعد وكأنها  
تتنفس ، حتى كانت صورها الفضية تتكسر ثم تلتئم ، تتجزأ  
ثم تتكامل .

« ما أشبهها بشعارات النبالة المنقوشة . رومانسية ،  
جميلة بصورة تفوق التصديق - ومع ذلك فهي طيور حقيقية  
فى مكان حقيقى . ما أقربها الى الآن فانى لأكاد ألمسها ، ومع  
ذلك ما أبعدا ، فهي تبعد عنى مئات الأميال . بعيدة جدا  
فوق تلك المياه الساكنة ، وكأنها تتحرك بفعل السحر ، فى  
هوادة وفى عظمة . . . »

تتحرك فى عظمة وجلال ، تملو بها المياه المظلمة وتهبط  
كلما تقدمت بصدورها المستديرة ، تملو المياه وتهبط ثم  
تترجع فى موجات صغيرة تأخذ فى الاتساع وخلفها نبات  
يتألق كما تتألق رؤوس السهام . وقد استطاع أن يرى الأوز  
وهى تتحرك عبر المياه المظلمة ، واستطاع أن يسمع صوت  
الغربان وهى فوق البرج ، واستطاع أن يشم - خلال رائحة  
المطهرات المختلطة بعبق الجاردينيا التى تحيط به - رائحة  
الحنديق الغوطى الذى يشق ذلك الوادى الأخضر البعيد ، تلك  
الرائحة الباردة الهادئة التى تحمل معها عبر الأعشاب .

« انها تطفو بغير جهد » .

« تطفو بغير جهد » لقد أعطته هذه الألفاظ احساسا  
عميقا بالرضى .

وقالت «كنت أجلس هناك ، انظر وأمعن فى النظر ،  
وبعد هنيهة أشعر كأننى كذلك أطفو ، أطفو مع الأوز فوق

سطح الماء الهادئ الساكن بين الظلمة من تحتى وحنان السماء الشاحبة من فوقى . وأطفو فى الوقت ذاته فوق ذلك السطح الآخر بين هنا القريب وهناك البعيد ، بين الحاضر والمستقبل» وفيما بين هذه السعادة التى عادت الى ذاكرتها ، وهذا الحاضر الغائب الملح الموجه كانت تجول بخاطرها . وقالت بصوت مرتفع «كنت أطفو على السطح بين الواقع والخيال ، بين ما يأتينا من الخارج وما يأتينا من الداخل ، من الأعماق السحيقة هنا » .

ووضعت يدها على جبينه ، وقد تحولت الألفاظ بغتة الى الاشياء والحوادث التى ترمز لها ، وأصبحت الخيالات وقائع . فلقد كان فعلا يطفو .

وألح الصوت فى هدوء مرددا «أطفو ، أطفو كالطائر الأبيض فوق سطح الماء . أطفو فوق نهر الحياة العظيم - نهر عظيم صقيل أملس يتدفق فى سكون شديد حتى لتكاد تظننه مسترسلا فى نوم عميق - نهر نائم ، ولكنه يتدفق بشدة لاتقاوم .

« تتدفق الحياة فى سكون وبدرجة لاتقاوم وتصب فى حياة أخرى أكمل ، فى هدوء حى أشد عمقا ، وأكثر ثراء وأقوى وأتم لانها تدرك كل ألامك وأسباب تعاستك ، تدركها وتضمها اليها وتدمجها فى طبيعتها . وفى الهدوء تسبح الآن، تسبح فوق هذا النهر الأملس الساكن الذى ينام ومع ذلك فهو لايقاوم ، وهو لايقاوم على وجه التحديد لانه نائم . وأنا أطفو معه» . وكانت توجه خطابها الى هذا الرجل الغريب . ولكنها كانت تخاطب نفسها كذلك ولكن على مستوى آخر .

«أطفو بغير جهد ، لا أقوم بأى عمل • أنما يكفينى أن أترك  
نفسى على سجيتهما ، وأسمح لنفسى بأن تسترسل ، وأسأل نهر  
الحياة هذا النائم الذى لايقاوم أن يحملنى الى حيث يتجه ،  
وأنا على علم تام أنه يتجه الى حيث أريد ، الى حيث ينبغى لى  
أن أتجه : الى حياة أعمق ، الى هدوء حى • مع النهر النائم  
- بغير مقاومة - الى الازعان والقبول التام» •

وعلى غير ارادة منه وعلى غير وعى تنهد ويل فارنبى تنهدا  
عميقا • ما أشد السكون الذى ساد العالم من حوله ! ياله من  
سكون صاف عميق ، على الرغم من أن البيغاوات كانت فى  
حركة دائمة وراء نافذته ، وعلى الرغم من أن الصوت الذى  
كان ينصت اليه ما يبرح يشدو الى جواره ! سكون وفراغ ، ومن  
خلال هذا السكون وهذا الفراغ يتدفق النهر ، نائما  
لايقاوم •

وحدقت سوزيلا فى الوجه المستلقى على الوسادة • وبدا  
لها فجأة كأنه وجه فتى صغير ، كوجه الطفل فى صفائه  
وسكونه ، وقد اختفت تجاعيد التجهم التى كانت تخطط  
جبهته ، وانفرجت الشفتان اللتان كانتا مطبقتين من شدة  
الألم ، وخرجت الأنفاس فى بطء وانسياب يكاد لا يحسها  
انسان • وتذكرت بفتة الألفاظ التى ترددت فى ذهنها حينما  
حدقت ذات ليل مقمر فى البراءة التى بدت على وجه  
ديوجولد : « انها تعطىها النوم المحبوب » •

وقالت بصوت مسموع «النوم ، النوم» •

وكان السكون قد أمسى مطلقا والفراغ أشد عمقا •

• وأخذ الصوت يقول «نائم على سطح النهر النائم ، وفوق

النهر ، فى السماء الشاحبة ، ترى سحب ضخمة بيضاء .  
وعندما تخترق ببصرك السحب تحس كأنك تسبح متجها اليها .  
نعم تسبح نحوها ، فالنهر الآن يجرى فى الهواء ، وهو نهر  
لا يرى يملك الى الامام والى أعلى ، ثم يسمو بك ويسمو « .  
الى أعلى خلال الفراغ الصامت ، ولقد أمست الصورة هى ذات  
الشيء » والالفاظ هى الخبرة بعينها .

واستطرد الصوت قائلا « من الوادى الحار الى الجبال الطلقة  
وبغير جهد » .

نعم فلقد كان هناك « يونجفراو » ناصع البياض فى زرقة  
السماء ، وكان هناك (مونت روزا) . . .

« ما أنقى الهواء الذى تتنفسه . انه صاف نقى مشبع  
بالحياة ! »

وتتنفس بممق فسرت فى بدنه الحياة الجديدة . ثم هبت  
ريح خفيفة عبر الحقول التى كستها الثلوج ، باردة على  
بشرته ، لطيفة مستحبة ، وقال الصوت وكأنه يردد ما يدور  
برأسه من أفكار ويصف ما يمارس من تجارب « البرودة ،  
البرودة . النوم . ومن البرودة الى مزيد من الحياة . ومع  
النوم الى الرضى ، الى التكامل ، الى الهدوء الحى » .

وبعد نصف ساعة عادت سوزيلا الى غرفة الجلوس .

وقال لها حموها «خبرينى ، هل أفلحت ؟»

وأومات برأسها بالايجاب .

وقالت «حدثته عن مكان فى انجلترا ، فطار اليه صوابه

أسرع مما توقعت • وبعدئذ أعطيته بعض الايحاءات عن  
حرارته •••»

« وعن ركبته كما أتعشم » •

« طبعا » •

« ايحاءات مباشرة ؟ »

« لا ، غير مباشرة • انها دائما أفضل • وجعلته على وعى  
بصورة جسده ، ثم جعلته يتخيل أن جسمه أضخم كثيرا مما  
هو عليه في واقع الحياة – وان ركبته أصغر من حقيقتها •  
شئ صغير تافه يثور على ما هو أضخم منه وأفخم • ولم يعد  
هناك شك في من يفوز » • ثم نظرت الى ساعة الحائط وقالت  
«يالله ، لا بد أن أسرع والا تأخرت على طلابي في المدرسة» •

كانت الشمس فى بداية شروقها عندما دخل الدكتور روبرت حجرة زوجته بالمستشفى . ووقعت عيناه على وهج يرتقى الى تقابله دلال متعرجة للجبال المقابلة . واستحالت الرؤية فجأة الى وهج على شكل قوس يخطف البصر بين قمتين من قمم الجبال . ثم استكمل القوس شكل نصف الدائرة ، واخترقت الحديقة التى تظهر من النافذة الظلال الطويلة الأولى ، وأسهم النور الذهبية الباكراة . وعندما صوب نظره مرة أخرى نحو الجبال شهد الشمس المشرقة بكل بهائها الذى لايحتمل .

وجلس الدكتور روبرت الى جوار السرير ، وأمسك بيد زوجته وقبلها . وابتسمت له ثم التفتت ثانية نحو النافذة .

وقالت هامسة «ما اسرع دوران الأرض» وبعد فترة من الصمت أضافت «وذات صباح سيكون شروق الشمس هو الأخير بالنسبة الى»

ومن خلال الغناء الجماعى المضطرب من زقزقة الطيور ونقيق الحشرات ، اخذت المينة تنشد «كارونا ، كارونا . . .»  
وأعدت لأكشى الكلمة «كارونا» ثم قالت «الرأفة . . .»  
وألح فى الحديقة صوت بوذا المزمارى مرددا «كارونا ، كارونا» .

واستطردت قائلة « ولن أكون بحاجة اليها طويلا بعد ذلك » • ولكن كيف تكون حالك أنت يا عزيزى روبرت ؟ »

قال « ان المرء يجد القوة اللازمة بطريقة ما »

«ولكن هل هى القوة الصحيحة ، ام قوة الدروع ، وقوة الاعتكاف ، والقوة التى تلتمسها فى عملك وافكارك دون ان تعير التفاتا الى اى أمر آخر ؟ اذكر كيف كنت آتيك وأجذبك من شمرك لكى تتنبه ؟ من يقوم بهذا بعد ما امضى ؟ »

ثم دخلت احدى المرضات ومعها كوب من الماء المحلى بالسكر • ودس الدكتور روبرت احدى يديه تحت كتفى زوجته ورفعها الى وضع الجلوس • ولامست الممرضة بالكوب شفيتها ، واحتست لاكشمى قليلا من الماء ، وابتلعت الماء بصعوبة ، ثم شربت مرة ثانية وثالثة ، وأدارت وجهها من الكأس المقدمة اليها الى الدكتور روبرت • وكسا وجهها الذابل نور يضىء بصورة عجيبة لاتتفق مع هذا الموقف الذى يثير الانزعاج •

وأخذت بصوتها الخافت الأجنش تنشد ترنيمات تذكرها من عهد الطفولة • ثم صممت قليلا وقالت «شئ مضحك هذا الذى يعود الى ذاكرتى ، ولكنى كنت دائما مضحكة جدا ، أليس كذلك » •

وحاول الدكتور روبرت أن يبادلها الابتسام وقال موافقا «نعم لقد كنت مضحكة جدا» •

« كنت تقول ما أشبهك بالبرغوث • لحظة هنا ولحظة

أخرى بعيدا هناك • ولا عجب انك لم تستطع أن تعلمنى !»

ورد عليها مسؤكدا «ولكنك علمتنى • ولولا انك كنت تجذبييننى من شسمى وتدعيننى الى أن أنظر الى العالم وتساعديننى على فهمه ، فكيف كانت تكون حالى اليوم ؟ أعشى ضعيف الرؤية – على الرغم من كل ماتعلمت • ولكن لحسن حظى أنى فكرت فى الزواج منك ، ولحسن الحظ كنت من الففلة بحيث توافقين ، وكانت لديك الحكمة والذكاء اللذين عالجتنى بهما • ويمد سبعة وثلاثين عاما من التعلم على كبر كدت أصير انسانا » •

وهزت رأسها وقالت «ولكننى لازلت برغوئا • ومع ذلك حاولت ، وبذلت الجهد • ولست أدرى ان كنت قد أدركت ذلك ياروبرت • كنت، دائما أخطو على أطراف أصابع قدمى • أجاهد فى سبيل بلوغ المكان الذى كنت تحتله تؤدى فيه عملك وتمكر فيه وتطلع • على أطراف قدمى ، أحاول أن ألحق بك ، وأحاول أن أرقى الى جانبك ، ولقد كان ذلك وربى أمرا شاقا على نفسى ! ولكم بذلت جهدا اثر جهد ! وضاعت كل جهودى هباء ، لانى لم أكن سوى برغوئ أبكم أتوئب بين الناس والزهور والقطط والكلاب • ان حياتك الثقافية الرفيعة كانت أرقى من أن أصعد اليها ، بله أن أغوص فيها • وعندما حدث هذا (ورفعت يدها ثانية ووضعتها مكان ثديها المقطوع) كففت عن المحاولة • فلا مدرسة ولا مذاكرة منزلية، وكان عندى لذلك عذر دائم» •

وساد صمت طويل •

وأخيرا قالت الممرضة «هلا أخذت جرعة أخرى ؟»



واتفق معها الدكتور روبرت وقال «نعم يجب أن تتناولى المزيد» .

وابتسمت له لاكشمى مرة أخرى وقالت «وأخالف التماليم المقدسة ؟ » ومن خلال قناع الشينخوخة والمرض المميت شهد الدكتور روبرت بفتة الوجة الضاحك ، الفتاة التى هام بها حبا منذ منتصف عمره ، وكأنه عشقها بالأمس فقط .

وعاد الدكتور بعد ساعة الى بيته .

وبعد ما غير الضمادة التى كانت تلتف حول ركبة ويل فارنبى قال له «ستبقى اليوم وحيدا ، اذ لا بد لى من أن أذهب فى عربتى الى شيفابورام لاجتماع مجلس الشورى . وحوالى الثانية عشرة سوف تأتى اليك احدى ممرضاتنا الطالبات لتمطيك الحقنة وتناولك الطعام . وبعد الظهر عندما تنتهى سوزيلا من عملها بالمدرسة تمر بك ، أما الآن فلا بد لى من أن أنصرف» . ونهض الدكتور روبرت ووضع يده لحظة فوق ذراع ويل وقال «حتى المساء» .

وفى طريقه الى الباب توقف وتلفت خلفه وقال :

« لقد كدت أنسى أن أعطيك هذا . وأخرج من أحد الجيبين الجانبيين لسترته المرتخية كتيبيا صغيرا أخضر اللون وقال «هذه مذكرات راجا المعجوز عن (حقيقة كل شىء وعن التصرف المعقول ازاء حقائق الأمور) » .

وقال ويل وهو يتناول الكتاب الذى قدم اليه «ياله من عنوان عجيب ! »

واكد له الدكتور روبرت أنه سوف يحب كذلك محتواه .

«انه يقع فى بضع صفحات - ولكنك ان أردت أن تعرف حقيقة بالا فلن تجد مايعرضها عليك خيرا مما فيه» .

وبهذه المناسبة سأل ويل «ومن هو راجا المعجوز؟»

« بل الأصح أن تقول من كان هو ، فلقد مات سنة ٣٨- بعد ما حكم فترة أطول مما حكمتها الملكة فكتوريا بثلاث سنوات . ومات ابنه الأكبر قبل موته ، وخلفه حفيده ، وكان غيبيا غير أن حياته لم تطل . وراجا الحالى هو ابن الحفيد» .

« وهل لى أن أوجه اليك سؤالا شخصيا ، كيف جاء فى الصورة انسان اسمه ماك فيل ؟ »

« جاء الى بالا ماك فيل الأول أيام حكم جد راجا المعجوز - ونسميه راجا عهد الاصلاح . وفيما بينهما ، جد راجا المعجوز وجدى الأكبر ، خلقا بالا الحديثة .

وعزز راجا المعجوز عملهما المشترك ، وسار به شوطا آخر ، ونحن اليوم نبذل الجهد لنحدو حدوه » .

ورفع ويل كتاب «مذكرات عن حقيقة كل شيء» .

« وهل يعطينى هذا الكتاب تاريخ الاصلاحات ؟ »

وهز الدكتور ماك فيل رأسه وقال «انه يذكر فقط المبادئ الاساسية - اطلع عليها أولا . وعندما أعود من شيفابورام فى المساء أحكى لك شيئا عن التاريخ . وسوف تكون أكثر تفهما لما حدث فعلا اذا بدأت بمعرفة مايجب عمله - ماينبغى دائما وفى كل مكان أن يفعله أى انسان لديه فكرة واضحة عن حقيقة كل شيء . ولذلك أقول لك اقرأ

هذا الكتاب ، ولا تنس أن تشرب عصير الفاكهة المقرر لك في  
الحادية عشرة » .

وراقبه ويل وهو ينصرف ، ثم افتح الكتيب الأخضر وبدأ  
يقرأ .

### - أولا -

ليس لأحد حاجة الى أن يذهب الى مكان آخر . فنحن  
جميعا - لو عرفنا - بالفعل هناك .

لو انى عرفت من أنا فى الحقيقة لكففت عن التصرف  
وفقا لما أظن من أنا ، فاذا كففت عن التصرف وفقا لما أظن من  
أنا اذن لعرفت من أنا .

أنا فى الحقيقة - لو سمح لى المانوى (١) (الذى أظننى  
هو) أن أعرف - توفيق بين لا ونعم أعيش حياتى فى قبول  
تام وفى تجربة مباركة باللامشئوية .

كل الألفاظ فى الدين مبهمه ، ومن يتشدد باسم بوذا ،  
أو الله ، أو المسيح ، يجب أن يتطهر أولا .

ان المانوى المنعزل الذى أظن أننى هو يحكم على نفسه  
بغيبية الأمل التى تتكرر الى ما لا نهاية ، وبالصراعات التى  
تتكرر الى ما لا نهاية مع غيره من المانويين الطموحين الخائبين

---

(١) نسبة الى مافى المصلح الايرانى الذى ظهر فى القرن الثالث وادعى  
النبوة وبشر بعقيدة مثنويه أساسها الصراع بين الخير والشر - المترجم

وذلك لأن أمله فى ألا يخلد سوى «نعم» فى كل أمرين  
متنازعين لا يمكن ... بتمكم طبيعة الأشياء - أن يتحقق .

صراعات واحباطات - ذلك هو موضوع التاريخ كله بل  
وتقريباً موضوع تاريخ الاحياء كلها . قال بوذا كلمة واقعية  
وشى «انى أرىكم الاعزان» ولكنه كذلك أرانا نهاية الاحزان:  
معرفة الذات ، والتبؤل التام ، وتجربة اللامثنوية  
المباركة (١) .

### - ثانياً -

إذا عسرفنا من نعم فى الحقيقة أدى بنا ذلك الى الحياة  
الطيبة . والحياة الطيبة تؤدى الى أصح أنواع العمل الطيب .  
ولكن العمل الطيب لا يؤدى فى حد ذاته الى الحياة الطيبة .  
فقد يكون المرء فاعلاً للخير دون أن يعسرف من هو فى الحقيقة .  
والأحياء الذين يتصننون بفعل الخير ليسوا أناساً طيبين ،  
وما هم إلا أعمدة المجتمع .

وأكثر الأعمدة كأعمدة شمشون ، فهى قائمة ولكنها ان  
عاجلاً أو آجلاً تنهار . ولم يظهر مجتمع كان أكثر العمل  
الطيب فيه نتيجة للحياة الطيبة ولذلك كان صحيحاً دائماً .  
وليس معنى ذلك أنه لن يقوم مثل هذا المجتمع أو اننا فى بالا  
مجانين لاننا نحاول أن نوجد هذا المجتمع .

(١) فى هذه المبادئ كثير من الغموض ، وخلاصتها ان الوجود وحدة  
لا تتجزأ ، والفرد جزء من الكل ، وهو أساس من أسس البوذية - المترجم

## ـ ثالثا ـ

الرواقي ومن يمارس اليوجا شخصان صالحان ينتهيان الى نتائجهما الطيبة بدعواهما باطراد أنهما شخصان آخران • ولكنك لست بدعواك أنك شخص آخر ـ حتى ان كان هذا الشخص غاية في العمل العليل والحكمة ـ بمستطيع أن تخرج من عزلتك المانوية الى كونك انسانا طيبا •

الحياة الطيبة هي أن تعرف من أنت في الحقيقة ، ولكي تعرف من أنت في الحقيقة يجب أن تعرف أولا لحظة بلحظة من أنت فيما تظن ، وما تنفعنا هذه المادة السيئة من التفكير اليه من احساس وعمل • ان لحظة واحدة من المعرفة الصافية الكاملة لمن أنت فيما تظن ـ ولكنك لست به في الواقع ـ توقف لمبة الألفاظ المانوية لحظة من الزمن • فاذا أنت كررت لحظات الادراك بمن لست به ، حتى تصبح هذه اللحظات زمنا متصلا وجدت نفسك بغتة عالما من أنت في الحقيقة •

التركيز ، والتفكير المجرد ، والتدريب الروحي ـ العزلة المنتظمة في عالم الفكر • الزهد ومذهب المتعة ـ عزلة منتظمة في عالم الحس والشعور والألم • ولكن الحياة الطيبة هي في العلم بمن أنت في الحقيقة بالنسبة لجميع الخبرات • لتكن اذن واعيا ـ واعيا في كل موقف ، وفي كل وقت ، أيا كان ما تعمل أو تعاني ، معقولا كان أم غير معقول ، سارا أو غير سار • هذه هي اليوجا الصحيحة ، التدريب الروحي الوحيد الذي يستحق الممارسة •

« كلما ازدادت معرفة بالأمفردات ازدادت معرفة بالله »

هكذا قال سبينوزا ، واذا ترجمنا لغته الى لغتنا يمكن أن نقول  
«كلما ازدادت معرفة بنفسك بالنسبة لكل ضروب التجارب ،  
زادت فرصتك في ادراكك - فجأة ذات صباح جميل - من  
أنت في الواقع .»

صدق القديس يوحنا . فالكلمة في عالم مبارك صامت  
لم تكن «مع» الله ، انما كانت هي «الله» ، شيئا يعتقد فيه .  
الله رمز لما يدور في الافئدة ، اسم مجسد لكلمة مجردة .

ان الايمان شيء يختلف كل الاختلاف عن العقيدة .  
العقيدة هي أن تأخذ بأفكار كلمات لم تحلل مأخذا جسديا  
للغاية - سواء في ذلك كلمات بولس أو ماركس أو هتلر -  
فان الناس يأخذونها مأخذا جديا مبالغا فيه ، فماذا يحدث ؟  
ان ما يحدث هو تكافؤ المتناقضين في التساير بشكل غير  
معقول - السادية (حب ابناء الآخرين) ازاء الواجب ، أو  
(وهو أسوأ بدرجة لا تقارن) السادية باعتبارها واجبا ،  
الورع يقابله جنون العظمة ، الاحسان يواسون به ضحايا  
قضاة التحقيق المنتمين لكنيستهم والصلبيين المتعصبين  
لذئبيهم . أما الايمان - فعلى نقيض ذلك - لا يمكن أن يؤخذ  
مأخذا جديا مبالغا فيه . لان الايمان هو الثقة - التي لها  
ما يبررها عمليا - في قدرتنا على أن نعرف من نحن في  
الحقيقة . وعلى أن ننسى المانوى الثمل ونستبدل به الحياة  
الطليبة . اللهم اعطنا اليوم ايمانا وخلصنا يارب من  
العقيدة .

ثم سمع ويل طرقا على البساط ، فرفع بصره عن الكتاب  
ونادى «من هناك ؟»

ورد عليه صوت أعاد اليه ذكريات بغيضة عن الكولونيل  
ديبا وعن الرحلة الخيالية بعربة المرسيديس البيضاء ، وقال  
الصوت « هو أنا » \*

وفي صندل أبيض على قدميه ، وسروال قصير أبيض ،  
وساعة معصم من البلاتين تقدم مروجان نحو سرير ويل \*  
« ما أجمل الشعور الذى دفعك الى أن تحضر لرؤياى ! »

ولو كان الزائر شخصا آخر غير مروجان لبادر بسؤاله  
« كيف أنت الآن » ولكن مروجان كان مشغولا بنفسه كلية مما  
يفقده القدرة حتى على أن يتظاهر بأدنى اهتمام بأى شخص  
آخر \* وقال متبرما « أتيت الى بابك منذ ثلاثة أرباع الساعة ،  
ولكن الرجل المعجوز كان مايزال هنا ، لذلك عدت الى البيت ،  
واضطرت الى مجالسة أمى والرجل المقيم معنا وهما يتناولان  
الفطور \* \* \* »

وسأله ويل « ولماذا تخرجت من الدخول عندى حينما كان  
الدكتور روبرت معى ؟ هل فى حديثك معى مايتنافى وقواعد  
السلوك ؟ »

فهز الفتى رأسه فى قلق وقال « كلا بالتأكيد ، انما أردت  
ألا يعرف السبب فى زيارتى » \*

وابتسم ويل وقال « السبب ؟ ان عيادة المريض من عمل  
الاحسان ، وهى أمر مستحب للغاية » \*

ولم يكن لسخريته أثر على مروجان الذى واصل تفكيره  
فى شؤنه الخاصة ، وقال « أشكرك لانك لم تذكر لهم أنك  
رأيتنى من قبل » قال ذلك فى اقتضاب يكاد يبلغ حد الغضب \*

وكأنه كان يستنكر الاعتراف بما ناله من فضل ، وتميز غيظا  
من ويل لأنه أسدى إليه معروفا يستحق العرفان •

وقال ويل «كنت أدرك انك لم ترد ان أقول شيئا عن ذلك  
ومن ثم تعاشيت الكلام» •

وتمتم موروجان بين أسنانه قائلا «أردت أن أشكرك»  
بنغمة تكاد تنم عن قوله «يالك من خنزير قدر!»

وبآدب زائف قال ويل «عفوا» •

ياله من مخلوق عذب ! بهذا كان يفكر وهو يتطلع في  
شغف وابتهاج الى جذعه الذهبى الأملس ، والى وجهه الملتفت  
ناحية أخرى ، متناسقا كالتمثال لم يعد أولمبيا ولا كلاسيكيا  
- وجه هلينى ، سهل الحركة انساني الى أبعد الحدود • انه  
كالوعاء الجميل الذى لا نظير له - وماذا عسى أن يحتوى هذا  
الوعاء ؟ وتحسر ويل على أنه لم يوجه هذا السؤال بصورة  
أكثر جدية قبل أن يتصل ببايز التى لا توصف • ولكن بايز  
كانت أنثى - ولما كان طبيعيا فى علاقته الجنسية فان هذا  
السؤال العنلى الذى يتساءله الآن لم يكن ذا موضوع • ولكنه  
سؤال فى محله من غير شك بالنسبة الى هذا المخلوق الصغير  
المقود نصف الاله الذى يجلس فى طرف السرير ، خاصة اذا  
كان السائل حساسا نحو الغلمان •

وسأله «أفلم يعلم الدكتور روبرت انك ذهبت الى  
راندنج ؟»

« كان بطبيعة الحال على علم بذلك • كما كان كل امرئ  
على علم به • ولقد ذهبت الى هناك لأعود بأمى ، وكانت هناك



مع بعض أقربائها ، وذهبت الى هناك لاعود بها الى بالا . وكان الأمر رسميا مطلقا» .

«اذن لماذا لم تردنى أن أذكر اننى التقيت بك هناك ؟»

وتردد موروجان لحظة ، ثم حدق ببصره فى ويل متحديا ، وقال «لأننى لم اردهم أن يعلموا أننى قابلت الكولونيل ديبا» .

تلك اذن هى حقيقة الأمر ، وقال ويل بصوت مرتفع «ان الكولونيل ديبا رجل يدعو للاعجاب» ، وأراد بذلك أن يقول كلمة معسولة يستخلص بها ثقة موروجان .

ولما زالت عن موروجان رييته ظهر فى الحال ماكان يكنه فى صدره . وتهلل بالحماسة وجهه العباس ، وبغته تجلى أنطونيوس بكل ماكان يتصف به من جمال جذاب ، هو جمال مراهقته الغامضة . وقال «أى انه رجل يدعو للاعجاب» ، ولأول مرة منذ دخل غرفة ويل بدا أنه أدرك وجوده وقدم له أكثر بسامته مسودة . ذلك أن ذكر الكولونيل بالاعجاب حمله على أن ينسى ضفينته ، ومكنه فى ذلك الحين من أن يهب حبه كل مخلوق – حتى هذاالرجل الذى كان يدين له بالعرفان المرير . وأردف قائلا «انظر الى ماقدم لراندينج !»

وقال ويل دون التزام «لاشك انه يفعل الكثير لراندينج» .

ومرت سحابة بوجه موروجان المشرق ، وقال مقطبا جبينه «ولكنهم لا يرون ذلك هنا ، ويعدون رجلا فظيعا» .

• « من يظن ذلك »

« كل انسان تقريبا ! »

« ولذلك لم يريدوا لك أن تقابله ؟ »

وابتسم موروجان ابتسامة عريضة ، وعلى وجهه مسحة التلميذ الشرير الذى انتهز فرصة التفات المعلم الذى ولاه ظهره وقال «ظنوا أنني مع أمى كل الوقت» •

وانتهز هذه الفرصة ويل توا وسأله «وهل كانت امك تعلم انك كنت فى مقابلة مع الكولونيل؟»

« طبعا » •

« ولم تعترض ؟ »

« بل أيدتنى » •

ومع ذلك فان ويل كان على ثقة تامة من انه لم يخطيء عندما ظن أن موروجان مع ديبا كان أشبه بأنطونيوس مع هادريان • هل كانت المرأة كفيفة البصر ؟ أم هل لم ترد أن ترى ماكان يحدث ؟

وقال بصوت مسموع «ولكن اذا كان الأمر لايهمها ، لماذا كان الدكتور روبرت وزمرته يعارضون؟» ونظر اليه موروجان مرتابا • وأدرك ويل انه غامر بالخوض فى أمر محظور ، فغير مجرى الحديث ، وقال مبتسما «هل تظن أنه كان يستطيع أن يحولك الى العقيدة فى الدكتاتورية العسكرية؟»

وفى هذا الاتجاه الجديد للحديث سار موروجان ، وقد انفرجت أسارير وجهه وابتسم قائلا «لم يكن الامر كذلك.

بالضبط ، ولكن كان قريبا من هذا» وهز كتفيه وأردف قائلا  
«الموضوع سخيف ، ولا يمدو أن يكون بروتوكول أحمر» .

وتحير ويل حقيقة وقال :

« ألم يخبروك بشيء عنى ؟ »

« لست أعرف أكثر مما ذكر لي الدكتور روبرت بالأمس»

وألقى موروجان برأسه الى الخلف وقال ضاحكا «تقصد

كونى طالبا ؟ »

« وما يضحكك من كونك طالبا ؟ »

وصرف الفتى نظره مرة أخرى وقال «لاشئ ، لاشئ»

البيتة» ثم ساد الصمت ، وأخيرا قال وهو لا يزال منصرف

النظر «السبب فى انه من المفروض ألا ألقى الكولونيل ديبا

هو أنه رئيس دولة ، وأنا كذلك رئيس دولة . وحينما نلتقى

يكون فى الموقف سياسة دولية » .

« وماذا تمنى ؟ »

« أنا راجا بالا » .

« أنت راجا بالا ؟ »

« منذ عام ٤٥ حينما مات أبى » .

« وأمك أذن هى رانى » .

« هى كذلك » .

وتذكر ويل مقاله له الديهايد «أذهب رأسا الى القصر» .

ولكن ها هو ذا القصر يأتيه رأسا . والعناية السماوية كانت

قطعا الى جانب جو الديهايد ، وتعمل لمصلحته .

وسأله « وهل أنت أكبر الابناء ؟ »

وأجابه موروغان «الابن الأوحده» • ثم أكد وحدانيته  
مرة أخرى وقال «الطفل الأوحده» •

قال ويل «اذن ليس فى الأمر أدنى شك • يا الهى ! لقد  
كان ينبغى لى أن أنادىك بصاحب الجلالة أو بلىقت السيد على  
الأقل» • قال ذلك ضاحكا ، غير أن موروغان استجاب  
للحديث بجديفة تامة وبالتظاهر فجأة بالكرامة الملكية •

وقال « بهذا تنادىنى فى نهاية الاسبوع القادم ، بعد عيد  
ميلادى • حينما أبلغ الثامنة عشرة ، أى عندما يبلغ الراجا فى  
بالا سن الرشد • أما حتى هذا الحين فانا موروغان ميلندرا ،  
مجرد طالب يتعلم شيئا عن كل شيء — بما فى ذلك تربية  
النبات واستطرد فى شيء من السخرية قائلا «حتى أكون على  
علم بما أقوم به حينما يحين الحين » •

« والى أن يحين الحين ماذا عسك فاعل ؟ »

وقد لمس ويل فيما بين أنطونىوس الوسيم ووظيفته  
الكبرى تناقضا يثير الضحك حقا» وواصل الحديث بنغمة  
المزاح ، متسائلا •

« وكيف تنوى أن تباشر العمل ؟ هل تطيح بالرؤوس ،  
وتقول « أنا الدولة » ؟ »

واشتدت جدية موروغان وكرامته الملكية فقال مؤنبا  
«لا تكن غيبيا» •

وفى ابتهاج شديد أخذ ويل يسلك مسلك المعتذر وقال  
«انما أردت أن أعرف الى حد سوف يكون حكمك مطلقا» •

ورد عليه موروجان فى وقار قائلاً «بالا ملكية  
دستورية» •

«أو بعبارة أخرى ، انك سوف تكون رأساً رمزياً - تسود  
ولا تحكم كملكة انجلترا» •

ونسى موروجان كرامته الملكية فكاد يصيح بقوله «كلا ،  
كلا • ليس كملكة انجلترا • ان راجا بالا لايسود فقط • انما  
يحكم كذلك» • واشتدت ثورة موروجان حتى لم يستطع  
يجلس فى سكون ، فقفز الى أعلى وبدأ يذرع الغرفة جيئة  
وذهاباً ، وأضاف قائلاً «راجا بالا يحكم حكماً دستورياً ، ولكنه  
وأيم الحق يحكم ، انه يحكم» وسار نحو النافذة وأطل منها ،  
ثم عاد بعد لحظة سكون وجابه ويل بوجه تحول - من أثر المسحة  
الجديدة التى انتابته - الى رمز للقبح النفسانى المعروف ،  
فى صورة فاتنة ولون رائع • وفى عبارة وبنغمة ، استمدهما  
قطعا من أحد أبطال العصابات الامريكىة التى تظهر فى  
السينما ، قال «سوف أريهم من الرئيس هنا» • واستطرد  
وكأنه يتلو من النص الممجوج الشائع على السنة أمثال هؤلاء  
الابطال «ان القوم هنا يحسبون انى العوبة بين أيديهم كما كان  
أبى العوبة بينهم ، ولكنهم يخطئون خطأ جسيماً» • وصدرت  
عنه ضحكة خبيثة تكاد أن تكون مكبوتة وهز رأسه الجميل  
البيغض وكرر قوله «انهم يخطئون خطأ جسيماً» •

وخرج اللفظ من بين أسنانه المطبقة وشفثيه اللتين كادتا  
ألا تتحركان • وبرز فكه الاسفل وبدا كفك المجرم فى سلسلة  
هزلية ، وأبرقت عيناه فى برود بين جفنين شبه مغمضين •  
وبدا فى صورة مضحكة ومريمة فى آن واحد • وقد أمسى

أنطونيوس كاريكاتيرا لكل الأبطال الذين خلدتهم الصور من قديم الأزل •

وسأله ويل «من كان يدير البلاد حينما كنت قاصرا؟»

وأجاب موروجان فى ازدراء «ثلاث مجموعات من الرجعيين القدامى • مجلس الوزراء ، ومجلس النواب ، ثم مجلس الشورى الذى يمثلنى أنا الراجا » •

وقال ويل «مساكين هؤلاء الرجعيون القدامى • سوف يصدمون صدمة كبرى عما قريب» •

وبروح الاستهتار التى اصطنعها فى مرح شديد ، ضحك ضحكة عالية وقال «كل أملى أن أكون هنا لأرى ماسوف يحدث» •

وشاركه موروجان ضحكه ، لا بوصفه بطلا قويا مرحا خبيثا ، ولكن بمزاج مختلف وملامح متغيرة ظهرت فجأة تجعل من العسير عليه - كما أدرك ويل - أن يلعب دور البطل القوى ، وانما ضحك كالتلميذ الشرير الظافر الذى كان على صورته منذ لحظات • وكرر قوله سعيدا «ستكون صدمة حياتهم» •

« وهل وضعت خططا معينة ؟ »

قال موروجان «قطعا» وبحركات وجهه أخلى التلميذ الشرير المنتصر مكانه لرجل السياسة ، الرزين الذى يصطنع الدمثة عندما يعقد مؤتمرا صحافيا • «ستكون الأولوية لتحديث هذا المكان • انظر الى ما استطاعت راندنج أن تفعله بسبب نصيحتها الذى تحصل عليه من عائد البترول» •

وسأله ويل بتلك اللهجة الساذجة التي تنم عن جهل مطبق والتي علمته التجارب الطويلة أنها خير وسيلة لاستخراج المعلومات من السذج وممن يظنون بنفسهم الأهمية الشخصية « وهل لا تحصل بالا على نصيب من عائد البترول؟ »

قال موروجان « لا تحصل على قرش واحد • مع أن الطرف الجنوبي من الجزيرة يطفح بالبترول • وإذا استثنينا عددا قليلا من الآبار التافهة التي يستهلك بترولها محليا فان الرجعيين القدامى لا يحركون ساكنا ، بل انهم لا يسمحون لغيرهم أن يفعل شيئا» وتملك الغضب موروجان السياسي • ونم صوته كما نمت ملامحه الآن عن البطل القوي ، وأردف قائلا «لقد تقدمت عروض كثيرة من مختلف الجهات - من شركة بترول جنوب شرقى آسيا ، ومن شل ، والشركة الهولندية الملكية ، وشركة ستاندارد فى كلفورنيا • ولكن هؤلاء الغافلين لا يعيرونها أذانا مصغية » •

« وهل لا تستطيع أن تغريهم بالاصغاء؟ »

وقال البطل القوي «سأرغمهم على الاصغاء» •

وقال ويل « هكذا تكون المهمة » ثم سأل عرضا «وآى العروض تفكر فى قبوله ؟ »

« يتعامل الكولونيل ديبيا مع شركة ستاندارد بكلفورنيا ، ويرى أن الأفضل أن نتعامل معها نحن كذلك»

« لو كنت مكانك ما فعلت هذا الا بعد أن يتقدم الى بعض المتنافسين على الأقل.» •

« ذلك ما أراه أنا أيضا ، وكذلك أُمى »

« هذه هى الحكمة » •

« أُمى متحمسة لشركة جنوب شرقى آسيا للبترول • وهى

تعرف رئيس مجلس الادارة ، اللورد الديهايد » •

« هل تعرف اللورد الديهايد ؟ ياللعجب ! » قال ذلك ويل

بدهشة المبتهج التى لها أبلغ الأثر» ثم أضاف «جو ألدديهايد

صديقى ، وأنا أحرر فى صحفه ، بل أعمل سفيرا خاصا له •

وبينى وبينك هذا هو السبب فى رحلتنا الى مناجم النحاس ،

لأن جو يشتغل فى النحاس كذلك ولكن بصفة ثانوية ، أما

ميله الأول فهو نحو البترول» •

فقال موروجان وقد حاول أن يبدو داهية فى السياسة

«كم هو مستعد أن يعرض ؟»

وانتهز ويل هذه القصة وأجاب كأحسن ما تكون الاجابة

فى أسلوب ملوك المال كما يظهرون على الشاشة «أكثر قليلا

• مما تعرضه شركة ستاندارد» •

وقال موروجان وكأنه أيضا يتحدث على الشاشة «هذا

عدل» وأوما برأسه كالحكيم • ثم سادت فترة طويلة من

الصمت • ولما عاد الى الحديث كان كرجل السياسة الذى

يتفضل بمقابلة مع مندوبى الصحف •

قال « سوف أستخدام نصيبنا من عائد البترول بالطريقة

الآتية : خمسة وعشرون فى المائة من مجموع الأموال التى

تحصل عليها تنفق فى اعادة بناء العالم» •



وسأله ويل فى أدب جم «قل لى يدقة ماتراه لاعادة بنام العالم؟»

« عن طريق الحرب الصليبية للروح ؟ هل تعلم عنها شيئاً ؟ »

« بالطبع ومن ذا الذى لا يعرفها ؟ »

وقال رجل السياسة جادا «انها حركة عالمية كبرى كالمسيحية فى نشأتها ، وقد أسستها أمى» \*  
وبدت على ويل الرهبة والدهشة \*

وأعاد موروجان قوله «نعم أسستها أمى» ثم أضاف مؤكداً «أعتقد أنها الأمل الوحيد للإنسان» \*  
وقال ويل فارنبى «تماما» \*

واستطرد رجل السياسة حديثه فقال «هكذا انفق الخمسة والعشرين فى المائة الاولى من نصيبى \* أما ما تبقى فسوف أنفقه على برنامج مكثف للتصنيع» وغير من نفمة الحديث مرة أخرى وقال «ان الحمقى الكبار هنا يريدون أن يصنعوا بعض المواقع فقط ويتركوا الباقي كما كان عليه منذ ألف عام» \*  
« فى حين انك تريد أن تذهب بالتصنيع الى آخر الشوط – تصنع من اجل التصنيع» \*

« كلا \* بل أصنع من أجل البلاد \* أصنع لكى أجعل بالا بلدا قويا ، ولكى أجبر غيرنا على احترامنا \* انظر الى راندنج \* انهم هناك فى غضون خمس سنوات سوف يصنعون كل انواع البنادق ومدافع الهاون والذخيرة التى هم فى حاجة اليها بيد ان الوقت يحتاج الى وقت طويل لكى يصنعوا الدبابات

ولكنهم حتى آنئذ يستطيعون ان يشتروها من سكودا بأموال  
البتروول .»

وتساءل ويل متهكما «ومتى يرقون الى صنع القنبلة  
الهيدروجينية ؟»

فأجاب موروجان «انهم لن يحاولوا ذلك» وأردف قائلاً  
«ومهما يكن من أمر فان القنبلة الهيدروجينية ليست وحدها  
السلح الأساسى» وقد نطق هذه العبارة مستمتعا بها . وكان  
من الواضح أن ذكر (السلح الاساسى) كان محببا الى مسامعه  
ثم أضاف «أقصد الاسلحة الكيماوية والبيولوجية - ان  
الكولونيل ديبا يسميها القنابل الهيدروجينية التى يملكها  
الانسان المسكين . ان من أول مشروعاتى بناء مصنع كبير  
لمبيدات الحشرات» . وضحك موروجان وغمز باحدى عينيه  
وقال «واذا استطعت أن تصنع مبيدات الحشرات فأنت تستطيع  
أن تصنع غاز الاعصاب» .

وتذكر ويل ذلك المصنع الذى لم يتم بناؤه والذى يقع  
فى احدى ضواحي راندنج لوبو .  
وكان قد سأل عنه الكولونيل ديبا وهما يمرقان قريبا منه  
فى عربة المرسيديس «ما هذا؟»

وأجابه الكولونيل «مبيدات للحشرات» ثم بابتسامة لطيفة  
كشف بها عن أسنانه الوضاعة أضاف «وقريبا سوف نصدرها  
لكل أنحاء جنوب شرقي آسيا» .

وقد ظن آنئذ - بطبيعة الحال - ان الكولونيل يعنى  
مايقول . أما الآن - وقد سخر فى نفسه - فانه يرى أن

الكولونيلات هم كولونيلات ، وان الصبية - حتى من أمثال  
موروجان - فهم صبية محبون للمدافع . وسوف يكون هناك  
دائما كثير من المهام للمراسلين الخاصين خاصة بتجارب  
الموت .

ورفع ويل صوته سائلا « اذن فأنت سوف تقوم بتقوية  
جيش بالا ؟

« قوى الجيش ؟ لا ، أنا سوف أخلقه ، فان بالا ليس لها  
جيش » .

« بتاتا ؟ »

« بتاتا ، فكلهم مسالمون » وخرجت من فيه هذه اللفظة  
« مسالمون » فى اشمزاز وسخرية « وسوف أبدأ من لاشىء » .  
« تعنى أنك سوف تخلق الروح العسكرية وتدخل  
الصناعة ؟ »

« تماما » .

وضحك ويل قائلا «عود الى الآشوريين ، سوف ترجع  
فى ثورتك الى التاريخ القديم» .

قال موروجان «هذا ما أرجوه ، وهذه سياستى - ثورة  
مستمرة» .

وصفق له ويل وقال «حسنا» .

« سوف أوصل الثورة التى بدأها منذ مائة عام الجمد  
الأكبر للدكتور روبرت عندما قدم الى بالا وعاون جدى الأكبر  
على تنفيذ الإصلاحات الأولى . ولقد قاما بعمل جدير حقا

بالاعجاب - ولكنهما لم يوفقا فى كل ما قاما به من أعمال» •  
ثم هز رأسه بشعره المجعد جادا رافضا رافضا قاطعا لبعض  
ما قاما به - وبرزانة مصطنعة كأنه طالب يودى دور بولونيس  
فى مسرحية هاملت فى حفل نهاية الفترة الدراسية • ثم أردف  
قائلا «ولكنهما على أية حال قاما بعمل ما ، فى حين أننا نحكم  
اليوم بمجموعة من المحافظين الذين لا يفعلون شيئا ما • انهم  
محافظون بدائيون لا يحركون ساكنا لادخال الاصلاحات  
الحديثة • وهم كذلك محافظون فى الصميم - فهم يرفضون  
ان يغيروا أية فكرة من الأفكار الثورية السيئة القديمة التى  
يجب ان تتغير • انهم لا يصلحون الاصلاحات • والحق أقول لك  
ان بعض ما كان يسمى بالاصلاحات يدعو حقا للاشمئزاز» •

« تقصد الاصلاحات المتعلقة بالجنس ! »

فأوما موروجان برأسه والتفت ناحية أخرى - ولشد  
ما كانت دهشة ويل عندما لاحظ ان موروجان قد أحمر  
خجلا •

وقال « اضرب لى مثلا »

ولكن موروجان عجز عن الافصاح عما بنفسه

وقال « اسأل الدكتور روبرت ، واسأل فيجايا • انهما  
يحسبان ذلك امرا يدعو للاعجاب • بل الجميع هنا يرى هذا  
الرأى • ومن ثم فان أحدا لا يجب التغير • انهم يريدون أن  
يبقى كل شىء كما كان ، وبنفس الطريقة التى تدعو الى  
الاشمئزاز ، دائما والى الأبد » •

وكرر العبارة صوت رنان يدعو الى الضيق قائلا :

« دائما والى الأبد » .

• ووثب موروجان من مقعده وصاح « أماه » .

والتفت ويل فرأى عند الباب امرأة ضخمة متوردة مدثرة فى لفائف من الموصلين الأبيض (وذلك فى رأيه يتنافى الانسجام الطبيعى ، لأن مثل هذا الوجه وهذا الجسم يتلاءم معه عادة اللون البنفسجى الزاهى واللون الأحمر المشوب بالزرقة واللون الأزرق الكهربى) . ووقفت مكانها وعلى فمها تلك الابتسامة التى توحى بأدراكها للغموض المحيط ، وذراعها الاسمر المترهل مرفوعة وهى تضغط على جانب الباب وكأنها ممثلة عظيمة ، أو المغنية الأولى التى يعترف لها الجميع وقد وقفت عند أول ظهورها لتتقبل تصفيق الاستحسان من الممجبين بها فى الجانِب الآخر من أضواء المسرح . كما ظهر فى الخلف ينتظر فى قلق إشارة البدء رجل مديد القامة يرتدى بدلة من الداكرون بنى اللون ، وقد حاول موروجان أن يتمرف إليه من خلال تلك الكتلة التى كادت أن تملأ المدخل - وهى أمه - ثم حياه باسم باهو .

وكان باهو مايزال عند أحد جوانب المسرح ولكنه انحنى دون أن ينبس ببنت شفة .

ثم التفت موروجان مرة أخرى الى أمه ، وسألها « هل قدمت على قدميك ؟ » وكانت نعمته تنم عن عدم التصديق وعن قلقه المشوب بالاعجاب . لم يكن يتصور كيف تمشى الى هذا المكان . فان كانت قد فعلت فهى من الابطال . ثم سألها أخيرا « وهل مشيت الطريق كله ؟ » .

وردت مداعبة بلطف « نعم كل الطريق يا ولدى » ، ثم

أنزلت ذراعها المرفوعة وطوقت بها جسم الفتى النحيل ،  
وضمته - وهى فى ثوبها الفضفاض - الى صدرها الضخم ،  
ثم أخلت سبيله • وقالت «استولت على احدى نزواتى» •  
ولاحظ ويل أنها تحملك على الاستماع الى لفظها «نزوة»  
بتأكيدها عليها فى نطقها بطريقة خاصة • وبنفس طريقة  
التأكيد هذه قالت «ان صوتى الضعيف قال لى «أذهبى الى زيارة  
الرجل الغريب الذى يقيم فى بيت الدكتور روبرت ، فسألت  
هذا الصوت الضعيف ، هل أذهب الآن على الرغم من حرارة  
الجو؟» ونفذ صبر صوتى الضعيف فرد قائلاً ، امسكى لسانك  
السخيف أيتها المرأة وافعللى كما تؤمرين ، وهأنذا يامستر  
فارنى» • وامتدت يدها يفوح منها شذى قوى من رائحة  
خشب الصندل ، ثم تقدمت نحوه •

وانحنى ويل نحو أصابعها الغليظة المرصعة بالجوهر  
وتمتم بكلمات اختتمها بقوله «ياصاحبة السمو» •

ونادت «باهو!» باسمه المجرى من غير ألقاب مستغلة فى  
ذلك حقها الملكى •

واستجابة لهذا النداء دخل الغرفة - بعد انتظار طويل  
لدوره - هذا الممثل الثانوى ، وقدمته باسم صاحب السعادة  
عبد الباهو سفير راندنج «عبد البير باهو» (وتحدثت  
بالفرنسية ) لأن أمه كما قالت كانت فرنسية ولكنه تعلم  
الانجليزية فى نيويورك» •

وتصور ويل وهو يصفح يد السفير انه شبيه

بسا فونارولا (١) ، ولكنه سا فونارولا بنظارة على احدى عينيه  
وحلة قصها خائط في سا فيل رو (٢) بلندن \*

وقالت الرانى « باهو مستشار الكولونيل ديبا ، أو ذهنه  
المفكر » \*

« اسمحى لى يا صاحبة السمو انك أكثر رفقا بى منك  
للكولونيل » \*

وتحدث بلفظ وأسلوب رجال البلاط الى حد كاد أن يكون  
تهكميا ، يدعو الى السخرية لانه أراد أن يمثل به الاحترام  
والمدلة فى آن واحد \*

فقال «الذهن فى مكانه الطبيعى - الرأس \* اما أنا  
فلست سوى جزء من الجهاز العصبى المتعاطف فى راندينج» \*

وقالت الرانى «وأى تعاطف ! باهو يامستر فارنبى له  
صفات كثيرة من بينها أنه آخر الارستقراطيين \* ويجب أن  
تزرور بلاده اما أشبهها (بألف ليلة وليلة) \* اذا صفقت بيديك  
كان فى خدمتك فى الحال ستة من الخدم \* وهم هناك يحتفلون  
بأعياد ميلادهم ، و يقيمون الحفلات الليلية فى الحدائق \*  
الموسيقى والمرطبات والراقصات ، ومائتا حارس يحملون  
المشاعل \* انها حياة هارون الرشيد بعد سبكها فى صيغة  
حديثه » \*

وقال ويل « هذا وصف بهيج » وقد تذكر القرى التى مر  
بها فى عربة الكولونيل ديبا المرسيديس البيضاء - تذكر

---

(١) مصلح دينى ايطالى عاش فى القرن الخامس عشر كان يتشدد  
فى مقاومة الانحلال الخلقى - المترجم \*

(٢) شارع فى لندن مشهور بالحياطين الممتازين - المترجم \*

الاكواخ المسقوفة بالقش المضفور بالقضبان ، والقاذورات ،  
والأطفال المصابين بالرمد ، والكلاب الهزيلة ، والنساء اللائى  
تنوّن بالأحمال الثقيلة .

واستطردت رانى تقول «ذوقه رفيع ، وعقله مليء  
بالمعرفة» ثم أخفضت صسوتها وقالت «ويتخلل ذلك كله  
احساس عميق قوى بالمقدسات» .

• وأحنى مستر باهو رأسه ، ثم ساد الصمت بعد ذلك .

وفى أثناء ذلك اجتذب موروجان مقعدا ، وجلست فوقه  
بوزنها الذى يبلغ مائة كيلو جرام الذى تؤكد به جلالتها دون  
أن تلتفت خلفها ، وهى على ثقة ملكية بأن طبائع الاشياء  
تقتضى أن يكون هناك دائما شخص قريب المنال يكفل امتناع  
الاحداث السيئة كما يكفل الاحتفاظ بالكرامة .

ووجهت حديثها الى ويل قائلة له «أرجو ألا تحس أن  
زيارتى لك نوع من التطفل» وأكد لها أنه لا يشمر بهذا  
الاحساس ، ولكنها - مع ذلك - استمرت فى تقديم الأعدار  
وقالت « كان ينبغى لى أن أخطرك مقدما وأن أحصل على اذن  
منك ، ولكن صوتى الضعيف قال لى «لا» . يجب أن تدهبى  
فورا ، لماذا لست أدرى ، ولكننا سوف نعرف السبب فى الوقت  
المناسب من غير شك» . وحدقت فيه بعينيها الكبيرتين الجاحظتين  
وابتسمت له ابتسامة مبهمّة ، وأردفت قائلة «والآن كيف  
حالك أولا ياعزيزى مستر فارنبى ؟»

• كما ترين ياسيدتى • حالتى جيدة للغاية» .

وحدقت فى وجهه بعينيها الجاحظتين فى إمعان ارتيك له ،  
وقالت «حقا ؟ انك فى نظرى الرجل البطل الذى يراعى



شعور الآخرين ويطمئن أصدقائه حتى وهو على سرير الموت» \*

قال «انت تمالقيننى ، ولكن حقا انا فى حالة جيدة •  
حالة جيدة بصورة تدعو الى الدهشة ، بل هى - اذا اخذنا  
كل شىء فى الاعتبار - معجزة» \*

قالت رانى « (معجزة) هى الكلمة التى استخدمتها عندما  
سمعت نبأ نجاتك • لقد كانت حقا معجزة» \*

وروى ويل مرة اخرى النص الذى ورد فى كتاب  
(الأرض المجهولة) (١) وهو «من حسن الحظ أن العناية الالهية  
كانت الى جانبي» \*

وبدأ مستر باهو يضحك ، ولما لاحظ أن الرانى قطعاً لم  
تدرك المغزى ، غير رأيه وفى براعة زائدة حول صوت المرح  
الى سعال مسموع •

وقالت الرانى « ما أصدق هذا القول ! » فى صوت قوى  
رنان يتذبذب بدرجة تثير الحس» وواصلت حديثها قائلة «ان  
العناية الالهية دائماً فى جانبنا» ورفع ويل حاجبه متسائلاً ،  
فأضافت قولها «أقصد فى أعين أولئك الذين يفهمون حقا»  
مؤكددة لفظتى «يفهمون» و «حقاً» • ويصدق هذا الكلام حتى  
وان بدت كل الأمور متأمرة ضدنا» ، وبالفرنسية قالت «حتى  
عند الكوارث» واستطردت قائلة «أنت تفهم الفرنسية طبعاً  
يامستر فارنبى ؟» وأوماً ويل بالايجاب • وواصلت حديثها  
«الفرنسية كثيراً ماتواتينى أيسر من لغتى القومية ، أو

---

(١) سبقت الاشارة اليه - المترجم

الانجليزية أو لغة أهل بالا - وبعد ما قضيت عدة سنوات فى  
سويسره فى المدرسة أولا ثم بعد ذلك عندما تدهورت صحة  
ولدى (وهنا ربتت على ذراع موروجان العارية) واضطررنا  
الى العيش فى الجبال • ويوضح ذلك ماذكرت من أن العناية  
الالهية كانت دائما فى جانبنا • قالوا لى ان ولدى الصغير على  
حافة الاصابة بالسلس فنسيت كل ماتعلمت ، وطار صوابى  
خوفا وذعرا ، وغضبت من ربي لانه رضى بهذا الذى حدث •  
ولكن ماكان أشد عمای ! فلقد شفى ولدى وكانت تلك  
السنوات التى قضيناها وسط الثلوج الدائمة أسعد أيام  
حياتنا • أليس كذلك يا حبيبي ؟ »

ووافقها الصبى بقوله «نعم كانت أسعد أيام حياتنا»  
بنغمة تنم عن الاخلاص التام •

وابتسمت الرانى بشعور الانتصار ، ولوت شفيتها  
الحمراوين ، وبصوت خافت فرجتها لترسل عن بعد قبله •  
وواصلت حديثها قائلة «فأنت ترى يا عزيزى فارنبى - والأمر  
يفصح عن نفسه حقا - ان شيئا لا يحدث مصادفة • هناك خطة  
كبرى ، تتفرع منها خطط عديدة صغرى • هناك خطة صغرى  
لكل واحد منا » •

وفى أدب جم قال ويل «هذا صحيح» •

وواصلت الرانى حديثها قائلة «لقد انقضى زمن كنت  
أدرك فيه ذلك بعقلى • أما الآن فأنا أدركه بقلبى • أنا  
حقا • • • » وهنا توقفت لحظة لتتأهب لنطق الكلمة الصوفية  
التالية مؤكدة لها ، وهى « • • • أفهم » •

وعندئذ تذكر ويل مقالته عنها جو البدهايد وهو أنها «متأثرة

بالروحانيات الى أبعد الحدود» • ولاشك في معرفة هذا الرجل  
الذى تردد على جلسات استحضار الأرواح طوال حياته •

فقال «أعتقد ياسيدتى انك روحانية بالطبيعة» •

واعترفت بذلك قائلة «منذ ميلادى ، ولكن كذلك وفوق  
ذلك بالتدريب • ولست بحاجة الى أن أقول التدريب على شيء  
آخر» مؤكدة هذه العبارة الأخيرة •

«شيء آخر؟»

« على حياة الروح ، والمرء كلما سار شوطاً على الطريق  
فان كل المواهب الروحية وكل القوى المعجزة تتطور  
تلقائياً » •

« أصحيح هذا ؟ »

وأكد له موروجان فخورا «ان أمى تستطيع أن تقوم بما  
لايتصور العقل» •

وقالت بالفرنسية « لاتبالغ يا حبيبى» •

وأصر موروجان على ما ذكر وقال «ولكنها الحقيقة» •

وأضاف السفير «انها حقيقة أستطيع أن أؤكدها» ثم أردف  
قائلاً وهو يبتسم مخاطراً «أؤكدها على مضمض منى • ولقد  
كنت طوال حياتى من المتشككين فى هذه الأمور ، ولم أكن  
أحب أن أرى المستحيل يتحقق • ولكنى لسوء الحظ أميل الى  
الصدق • فاذا حدث المستحيل فعلاً أمام عيني فأنا مضطر على  
الرغم منى (بالفرنسية) أن أكون شاهداً على ما وقع • ان  
سموها تقوم فعلاً بأمور لايتصورها العقل» •

وتهللت الرانى بالسُرور وقالت «حسنا ، مادمت تريد أن تعبر بهذه الصورة - ولكن لاتنس شيئاً أبداً يا باهو • ان المعجزات ليست لها البتة أية أهمية ، وانما المهم هو (الشيء الآخر) - الشيء الآخر الذى يبلغه المرء فى نهاية (الطريق) » • وبالتحديد قال مروجان «بعد ( المرحلة الرابعة ) يا أمى • • • » •

ورفعت الرانى اصبعها الى شفيتها وقالت «هذه أشياء لايتحدث فيها المرء يا حبيبي» •

وقال الصبى «أنا آسف» وأعقب ذلك صمت طويل مشحون بالمعانى •

وأغمضت الرانى عينيها ، وأسقط مستر باهو نظارته ثم أغمض عينيها وأمسى صورة لسفونارولا وهو يصلى فى صمت • ماذا كان يجرى خلف هذا القناع ، قناع استجماع النفس الصارم والذى يكاد أن يتجرد من المادة ؟ تعجب ويل لما شاهد وأخيرا قال :

« هل يجوز لى ياسيدتى أن أسأل كيف بدأت السير فى الطريق؟» مؤكداً لفظة «الطريق» •

ولزمت الرانى الصمت ثانية أو ثانيتين ، واكتفت بجلوسها مغمضة العينين ، تنفرج شفتاها عن ابتسامة بوذا التى تنم عن سعادة غامضة ، وأخيرا أجابت بقولها «العناية السماوية كشفت لى عن الطريق» •

« صحيح ، ولكن لا بد أن تكون هناك مناسبة ، ومكان ، وأداة بشرية » •

قالت « وف أخبرك » وفتحت جفنيها والفي نفسه مرة  
أخرى سحط النظر من هاتين العينين الجاحظتين اللتين لمعا في  
حملقة لاتحيد يمنا أو يسرة .

حدث ذلك في لوزان في السنة الأولى من تعليمها  
السويسرى . وكانت الأداة البشرية المختارة هي مدام بولوز  
المحبوبة الصغيرة ، وهي زوجة الاستاذ بولوز المحبوب الكبير ،  
والاستاذ بولوز هو الرجل الذى عهد اليه رعايتها والدها  
المرحوم سلطان راندنج . وكان الاستاذ في السابعة والستين  
من عمره ، يعلم الجيولوجيا ، بروتستانتيا ينتمى الى طائفة  
متزمتة ، ولولا أنه كان يتعاطى كأسا من النبيذ مع العشاء ،  
ويؤدى صلاته مرتين فقط فى اليوم ، ويلتزم بالزواج بامرأة  
واحدة لحسبته من المسلمين . وتحت هذه الرعاية يتفتح  
ذهن أميرة راندنج ، وتبقى بغير تأثر من الناحيتين الخلقية  
والعقائدية . ولكن السلطان لم يحسب لزوجة الاستاذ  
حسابا . كانت مدام بولوز فى الاربعين فقط من عمرها ،  
بدينة ، عاطفية ، فوارة فى حماسها ، اعتنقت أخيرا مذهب  
الصوفية وتحمست له بشدة ، وان تكن من الناحية الرسمية  
من مذهب زوجها البروتستانتى . وفى حجرة فى أعلى بيت  
مرتفع قريبا من ميدان ريبون اتخذت لها مكانا للتعبد تأوى  
اليه سرا لتقوم بتدريباتها على التنفس ، وتمارس التركيز ،  
وتستحضر كندالينى ، كلما توافر لها الوقت . كانت  
تدريباتها عنيفة ، ولكن جزاءها كان عظيما بدرجة حدود  
العقل . وعند الفجر ذات ليل من ليالى الصيف بينما كان  
الاستاذ الطيب مستلقيا يغط فى نومه غطيظا متواترا تحت  
المصلى بطابقين ، تجلى لها السيد كوت هومى وشعرت بوجوده  
معها .

وهنا توقفت الرانى عن الحديث بشكل مؤثر .  
وقال مستر باهو «هذا أمر غير عادى» .  
وبدافع الواجب ردد العبارة وراهه ويل وقال «أمر غير  
عادى» .

واستأنفت الرانى روايتها . وكانت مدام بولوز قد  
أحست بسعادة لم تستطع اخفاءها فأفشت سرها . وصدرت  
عنها اشارات غامضة ، وتدرجت من الاشارات الى الثقة ، ومن  
الثقة الى دعوة لزيارة المعبد وتلقى التعاليم . وبعد فترة  
وجيزة من الزمن أخذ كوت هومى يخص الطالبة الجديدة  
بأفضال تفوق ما كان يقدمه لمعلمتها .

واختتمت الرانى حديثها قائلة «ومنذ ذلك اليوم ظل  
السيد يعاوننى على المضى قدما» وأكدت على كلمتى «المضى  
قدما» .

وتساءل ويل بينه وبين نفسه : المضى قدما نحو ماذا ؟  
كوت هومى وحده يعلم . ولكن أيا كان المكان الذى توجهت  
اليه فانه لم يشعر بميل اليه . وظهر على ذلك الوجه الوردى  
الضخم تعبير كان بغيضا الى نفسه بصورة عجيبة - تعبير عن  
هدوء سائد . وعن احترام للذات ثابت لا يتزعزع . وذكرته  
بصورة عجيبة بجو الديهايد . وكان جو أحد هؤلاء الاثرياء  
السعداء الذين لا يشعرون بوخز الضمير ، وانما يستمتعون  
بأموالهم بغير وازع ، وبكل ما يمكن أن يشتروه بهذه الأموال  
من نفوذ أو سلطان . وأمامه الآن فصيحة أخرى من فصائل  
جو الديهايد - على الرغم من ارتدائها الموصلين الابيض ،  
ومما يحيط بها من غموض ، ومما تثيره من عجب - أنثى ثرية

تحكمت فى السوق - ولا أعنى سوق النحاس أو فول الصويا،  
وانما أعنى الروحانية الخالصة والسادة الذين يصعدون الى  
السماء ، وهى الآن تفرك يديها سعيدة بمجال استثمارها •  
• وواصلت الرانى حديثها قائلة «اليكم مثالا لما قدمه لى •  
منذ ثمان سنوات - أو على وجه التحديد فى اليوم الثالث  
والعشرين من شهر نوفمبر من عام ١٩٥٢ - جاءنى «السيد»  
وأنا فى حالة التأمل صباحا ، جاء بشخصه ، وبكل أمجاده  
وقال لى «لابد من شن حملة دينية ، حركة عالمية لانقاذ  
البشرية من تدمير نفسها بنفسها ، وأنت يا بنيتى الأداة  
المكلفة» فقلت «أنا؟ حركة عالمية؟ هذا عبث ، فأنا لم ألق  
طوال حياتى خطابا واحدا ، ولم أسطر كلمة واحدة للنشر ،  
ولم أكن قط زعيمة ولا داعية نظام» فقال وقد حيانى  
بابتسامة حلوة من ابتساماته التى تفوق الوصف ، وعلى  
الرغم من ذلك فأنت التى سوف تشنين الحملة - الحملة الروحية  
العالمية • وسوف تقابلين بالضحك ، ويدعونك المجنونة ،  
المتهوسة ، والمتعصبة • ولكن الكلاب تنبح والقافلة تسير •  
ولقد قدر للحملة الروحية أن تتحول من دعوات مبدئية تثير  
الضحك الى قوة عظمى • قوة للخير ، قوة سوف تنقذ العالم  
فى نهاية الأمر ، وبعد هذا تركنى ، مذهولة ، متحيزة ،  
مدعورة لا أعى شيئا • ولكن ذلك أمر عارض ، وعلى أن أطيع •  
ولقد أطعت • فماذا حدث؟ ألقىيت الخطاب ووهبى هو  
الفصاحة ، وقبلت عبء الزعامة ، ولأنه كان يسير متخفيا الى  
جانبى تبعنى الناس • وطلبت المعونة فتدفق على المال وهأنذا  
كما ترون •• ولوحت بيديها الغليظتين وكأنها تغض من شأن  
نفسها ، وابتسمت ابتسامة غامضة ، وكأنها تقول «مسكينة

أنا ، ولكنى لا أملك نفسى ، بل أنا ملك للسيد كوت هومى » •  
وكررت قولها « وهأنذا كما ترون » •

وقال مستر باهو مخلصا « هأنت هنا والحمد لله » •

وبعد فترة ما سأل ويل الرانى ان كانت قد أصرت دائما  
على الشعائر التى تعلمتها بالعناية الالهية فى معبد مدام  
بولوز •

وأجابت بقولها « دائما • ولم أعد أستغنى عن التأمل ،  
وكأنه كالطعام لا غنى عنه » •

« أولم يشقى عليك ذلك بعد الزواج ؟ أعنى قبل أن  
تعودى الى سويسره ، فلقد كانت عليك بالضرورة واجبات  
رسمية كثيرة مضمينة » •

وردت الرانى فى نفمة تغنى عن مجلدات ضخمة من  
التعليق الذى يسىء الى شخصية زوجها الراحل ، من حيث  
فلسفته فى السياسة العالمية وعاداته الجنسية وقالت « دع  
عنك الواجبات غير الرسمية » وفغرت فاهها لتفصل ما أجملت  
ثم لاذت بالصمت ، ونظرت الى موروجان ونادته « يا حبيبى » •

وكان موروجان مشغولا بتلميع أظافر يده اليسرى التى  
وضعها فى راحة يميناه ، فتطلع فى دهشة المذنب وقال « ماذا  
يا أماه ؟ »

وتجاهلت الرانى ماكان يفعل بأظافره وغفلته الواضحة  
ازاء ماكانت تقول ، وابتسمت له ابتسامة مغرية وقالت له  
« كن ملاكا واذهب وآتنى بالسيارة » • ووجهت حديثها الى  
ويل قائلة له « ان (صوتى الضعيف) لايعترض على أن أعود



الى البيت سيرا على قدمي فهو على بعد بضع ياردات من هذا المكان ولكن في هذا الجو الحار ، وفي مثل سنى . . . » .  
وكانت كلماتها تستدعي شيئا من النفاق في الرد . ولكن ويل شعر بأن الحرارة التي لاتسمح بالسير على الاقدام لاتسمح كذلك ببذل الجهد اللازم للتظاهر باخلاص زائف يقنع .  
ولحسن الحظ كان على مقربة منهما دبلوماسي محترف ، رجل من رجال البلاط المدربين ، يستطيع أن يعوض أوجه النقص التي تصدر عن صحافي أخرق . فضحك باهو بملء شديقه ، ثم اعتذر عما بدر منه من مرح .

وقال «معذرة فالموقف يدعو فعلا الى الضحك» وكرر عبارة الراني «في مثل سنى . . . » وضحك مرة أخرى ، ثم أردف قائلا «ان موروجان لم يبلغ الثامنة عشرة بعد ، وأنا أعرف عمر أميرة رانديج - وصغر سنها - عندما اقترنت براجا بالا .

وفي تلك الأثناء نهض موروجان مطيعا وقبل يد أمه .  
ولما انصرف من الغرفة قالت الراني «الآن نستطيع أن نتحدث بحرية أكثر» . وانطلقت في الكلام متحررة - ونم وجهها ، ونعمة حديثها ، وعيناها الجاحظتان ، وهيكل جسمها المرتعش كله عن استنكارها ولكنها تجاهلت الأمر وقالت (اذكروا محاسن موتاكم) ولذلك لم تذكر عن زوجها الا أنه كان رجلا من بالا مثاليا . وممثلا صادقا لبلاده . والحقيقة المؤلمة هي أن وجهه بالا المشرق الناعم كان يخفى فسادا مروعا .

ورفعت يديها مرتاعة وخشخششت أساورها في فزع شديد تقول «عندما أذكر ماحاولوا أن يلحقوه بوليدى منذ

عامين ، عندما كنت أقوم برحلتى العالمية فى سبيل الحملة  
الروحية ، أذكر كم قاسيت من فراقه طوال هذه المدة •  
ولكن (السيد) كان قد بعثنى لاداء رسالة وذكرتنى (صوتى  
الضعيف) انه من الخطر أن أصحب وليدى معى • ولقد عاش  
خارج البلاد زمنا طويلا وأن له أن يعرف البلد الذى سيؤول  
اليه حكمه • لذلك قررت أن أتركه هنا • وعين مجلس  
الشورى لجنة للوصاية : واللجنة امرأتان لكل منهما أبناء  
بلغوا سن الرشد ، ورجلان •

يؤسفنى أن أقول (وأسقى أشد من غضبى) أن الدكتور  
روبرت ماك فيل كان أحدهما • وموجز القول ، ماكدت أن  
أخرج أمنة من هذا البلد حتى شرع هؤلاء الأوصياء الأعزاء  
الذين عهدت اليهم بوليدي ، ولدى الوحيد ، يعملون لمحو  
تأثيرى ، ويعملون بنظام يامستر فارنبى على أن يحطموا كل  
القيم الخلقية والروحية التى تعبت فى بنائها خلال العديد من  
السنين » •

وفى شىء من الخبث أبدى ويل دهشته (لأنه بطبيعة الحال  
كان يعرف ماكانت الرانى تتحدث عنه) • القيم الخلقية  
والروحية كلها ؟ ومع ذلك لم يكن بالامكان لاحد ما أن يكون  
أكثر شفقة به من الدكتور روبرت والآخرين ، ولم يكن  
بامكان السامرين الطيبين أنفسهم أن يكونوا أكثر منهم  
احسانا •

وقالت الرانى «اننى لا أنكر عليهم شفقتهم، ولكن الشفقة  
ليست هى الفضيلة الوحيدة» •

ووافقها ويل وقال «طبعاً» وأخذ يعدد كل الصفات التى

كان من الواضح أن الرانى تفتقر اليها ، وقال «هناك أيضا  
الاخلاص ، والصدق ، والتواضع ، والايثار . . .» .

وقالت الرانى بحدة «لقد نسيت الطهارة» وأكدت على هذه  
الكلمة «الطهارة أساسية ، الطهارة شىء لا بد منه » .

« ولكنى فهمت أنهم هنا فى بالا لا يرون هذا الرأى ،  
فقلت الرانى «انهم بالتأكد لا يرون ذلك» . واستطردت  
تذكر له كيف ان وليدها قد عرض عمدا للنجاسة ، بل لقد  
شجعوه ايجابيا على الاسترسال فيها مع احدى الفتيات اللائى  
نضجن قبل الأوان وسلكن سلوكا فوضويا وفى بالا الكثيرات  
منهن ، ولما عرفوا أنه ليس من طراز الفتيان الذين يفررون  
بالبنات. (لأنها نشأته على أن يعتبر المرأة مقدسة بالضرورة)  
شجعوا الفتاة على أن تبذل جهدها لكى تغرر به .

وتعجب ويل فى نفسه متسائلا وهل نجحت معه الفتاة ؟  
أم هل قام اصداقأؤه الذين فى مثل سنه بتحصيله ضد الميل الى  
البنات ، أو قام به بصورة أكثر فعالية واحد ممن يكبرون  
أنطونيوس أكثر خبرة وأشد فسادا ، سويسرى سبق الكولونيل  
ديبا ؟

وأخفضت الرانى صوتها وقالت الى حد الهمس الذى  
تسمعه على المسرح تعبيرا عن الفزع « لم يكن ذلك أسوأ  
ما حدث . فان احدى الامهات فى لجنة الوصاية – وألفت  
النظر الى أنها من الامهات – نصحته أن يتلقى بعض  
الدروس » .

« أى نوع من أنواع الدروس ؟ »

وغضنت أنفها كأنها تشم رائحة المجارى وقالت «دروس

فيما يتحشمون ويسمونه الحب» وتحول اشمئزازها الى سخط  
وقالت «دروس - اسمح لي أن أقول - من امرأة أكبر سنا» .

• وصاح السفير «رحماك يارب» .

وردد ويل بعده على سبيل الواجب «رحماك يارب !»  
وكان يدرك أن هؤلاء النسوة المسنات كن في عين الراني  
منافسات أشد خطورة حتى من أكثر الفتيات الفوضويات ممن  
نضجن قبل الأوان . فمعلمة الحب البالغة تكون اما منافسة ،  
تتمتع بميزة الحرية في تجاوز حدود التحريم ، وهذا أمر بشع  
لا يجوز .

وفي شيء من التردد قالت الراني «انهن يقمن بتعليم  
طرق خاصة» .

• واستفسر ويل «أى طرق تقصدين؟»

ولكنها لم تستطع أن تحمل نفسها على الخوض في  
التفصيلات المنفرة . ومع ذلك فان ذلك لم يكن ضروريا لان  
موروجان (بارك الله فيه) رفض أن يستمع الى هذه الدروس .  
دروس في الفسق من امرأة يصح أن تكون له أما - ان مجرد  
الفكرة أصابته بالتقرز . ولا عجب ، فلقد نشأ على احترام  
مبدأ الطهارة . «هل تعرف معنى براهما شاريا؟»

• قال ويل «نعم» .

« وهذا سبب آخر جعل مرضه نعمة غير منظورة ، رحمة  
من الله حقا جاءت في حينها . ولا أظن أنى كنت أستطيع أن  
أربيه هكذا في بالا ، فهنا كثير من المؤثرات السيئة . هنا

قوى تعمل ضد الطهارة ، وضد الأسرة ، بل وضد محبة  
الأم » .

وسدد ويل أذنيه ليحسن الاصغاء وقال :

« هل أصلحوا حتى الامهات ؟ »

وأومات برأسها ايجابا وقالت « انك لا تتصور الى أى حد  
وصلت الأمور هنا . ولكن كوت هومى كان يعلم الاخطار التى  
لا بد أن نلاقيها فى بالا . فماذا يحدث ؟ يمرض وليدى  
وينصحنا الأطباء بالعودة الى سويسره لكى نبتعد عن الأذى » .  
وسألها ويل « كيف سمح لك كوت هومى بالقيام بحملتك  
الروحية ؟ ألم ير ماذا كان عساه أن يحدث لمروجان بمجرد  
أن توليه ظهره ؟ »

وقالت الرانى « كان يرى كل شيء . المغريات ، والمقاومة ،  
والهجوم المكثف الذى تقوم به قوى الشر مجتمعة ، ثم الخلاص  
فى اللحظة الأخيرة » . وأضافت لمزيد من الايضاح « أن  
موروجان لم يخبرنى بما كان يحدث . ولكن بعد ثلاثة أشهر  
أمست هجمات قوى الشر أقوى مما يحتمل . وصدرت عنه  
بعض التلميحات غير أنى كنت مستغرقة تماما فيما كلفنى به  
(سيدى) فلم أعبرها التفاتا . وأخيرا كتب الى خطابا شرح فيه  
الأمر كله تفصيلا . فألغيت محاضراتى الأربعة الأخيرة فى  
البرازيل وطرت الى بلدى بأسرع ما استطاعت طائرات الجت  
أن تحملنى . وبعد مضى اسبوع عدنا الى سويسره . وليدى  
وأنا وحدنا وكنا مع (السيد) » .

وأغمضت عينيها ، وبدت على وجهها لمحة من نشوة التأمل  
والتفكير . وصرف ويل نظره مشمئزا . هذه المرأة التى

قدست نفسها لانها ظنت أنها سوف تخلص العالم ، هذه الأم التي تتشبهت بابنها وتلتهمه التهاما - هلا نظرت الى نفسها لحظة كما ينظر اليها الناس ؟ هل لديها أدنى فكرة عما فعلت ، وعما لاتزال تفعل ، بابنها الصغير المسكين التافه ؟ أما عن السؤال الأول فالاجابة بالنفي قطعا ، أما عن السؤال الثانى فليس بوسع المرء الا أن يفكر . ربما كانت تجهل حقا ما فعلت بالفتى . ولكن ربما - أيضا - كانت على علم به . ربما عرفت وآثرت ماكان يحدث مع الكولونيل على ماكان يمكن أن يحدث لو قامت على تربية الصبى امرأة ، فالمرأة قد تحل محلها ، أما الكولونيل فلقد كانت تعرف أنه لن يفعل ذلك .

« وقال لى موروجان ان فى نيته أن يصلح هذه التي يزعمون انها اصلاحات » .

وقالت الرانى بنغمة ذكرت ويل بجده رئيس الشمامسة «ليس بوسعى الا أن أدعو الله أن يمنحه القوة والحكمة ليفعل ذلك » .

وسألها ويل «وماذا تظنين بمشروعاته الأخرى : البترول، والصناعات ، والجيش ؟»

وضحكت ضحكة خفيفة لتذكره بأنه يتحدث الى شخص مر بالمرحلة الرابعة ثم قالت «أنا لا أكثرث كثيرا بالاقتصاد والسياسة . اسأل باهو عن رأيه» .

وقال السفير «لا أملك الحق فى أن أبدى رأيا ، فأنا غريب أسئل دولة أجنبية» .

وقالت الرانى «ليست أجنبية جدا» .

« فى عينيك ياسيدتى ، وفى عينى كما تعلمين جيدا .  
ولكنها فى عين حكومة بالا أجنبية تماما » .

وقال ويل « ولكن ذلك لا يمنعك من أن يكون لك رأى .  
انه يمنعك فقط من أن تعتنق الآراء المحلية المعتمدة» ثم  
أضاف «وبهذه المناسبة أنا لست هنا بصفتى المهنية ، ولا أنت  
معى فى مقابلة صحافية أيها السفير . كل ذلك بعيد كل  
البعد عن التسجيل» .

« بعيد كل البعد عن التسجيل ، لذلك وبصفتى الشخصية  
وحدها وليس بصفتى الرسمية ، أقول انى أعتقد أن صديقنا  
الصغير على أتم صواب» .

« ومعنى ذلك طبعا انك تعتقد أن سياسة حكومة بالا خطأ  
تماما » .

وقال مستر باهو ، وقد ضحك ضحكة فولتيرية تاللاً معها  
قناع سافونارولا العظمى الحاسم «انها تعد خطأ تماما لانها  
على أتم صواب» .

وقالت الرانى محتجة «صواب !»

قال «بل أتم صواب لانها رسمت تماما بحيث يصبح كل  
رجل وكل امرأة وكل طفل فوق هذه الجزيرة الساحرة على أتم  
مايمكن أن يكون حرا وسعيدا» .

وصاحت الرانى «ولكنها السعادة الزائفة ، وحرية  
(النفس الدنيا) » .

وقال السفير وقد انحنى كما يملى عليه الواجب «اننى  
أنحنى لبعد نظرك الثاقب يا صاحبة السمو . ولكن السعادة مع

ذلك هى السعادة زائفة أو صحيحة ، والحرية ممتعة للغاية  
علا مستواها أو هبط . وليس من شك فى أن السياسة التى  
شرعها المصلحون الأولون والتى تطورت مع مرور السنين كانت  
ملائمة - بصورة تدعو للاعجاب - لتحقيق هذين الهدفين » .  
وقال وييل « وهل تحس أن هذين الهدفين غير  
مستحيين ؟ »

« بل على العكس من ذلك ، كل امرئ يحبهما ، ولكنهما  
لسوء الحظ لم يعودا مناسبين ، وقد باتا غير متلاءمين بتاتا مع  
الموقف الراهن فى العالم بعامة وفى بالا بخاصة » .  
« وهل هما اليوم أشد تنافرا مع الظروف مماكانا عليه  
عندما بدأ المصلحون يعملون على توفير الحرية والسعادة ؟ »

وأوما السفير برأسه ايجابيا وقال « فى تلك الايام كانت  
بالا ماتزال مختفية فى خريطة العالم ، فكانت فكرة تحويلها  
الى واحة من الحرية والسعادة أمرا معقولا . ان المجتمع المثالى  
يمكن أن يعيش مادام منقطع الصلة عن بقية العالم . ولقد  
كانت بالا قابلة تماما للحياة حتى عام ١٩٠٥ . ولكن الدنيا  
تغيرت تماما بعد ذلك فى أقل من جيل واحد . الصور  
المتحركة ، والعربات ، والطائرات ، والراديو ، والانتاج  
الكبير ، والمذابح الكبرى ، والاتصال الجماهيرى ، وفوق هذا  
كله مجرد الضخامة - تزايد السكان فى أحياء الفقراء وفى  
الضواحي التى أخذت تتضخم وتتزايد . وما أن حل عام  
١٩٣٠ حتى كان بمستطاع أى مشاهد ثاقب النظر أن يرى  
الحرية والسعادة أمران لايتحققان لثلاثة أرباع الجنس  
البشرى . والآن وبعد مرور ثلاثين سنة أخرى أصبحا أبعد عن



امكان التحقيق • ثم ان العالم الخارجى قد أخذ يقترب من هذه الجزيرة الصغيرة جزيرة الحرية والسعادة • أخذ يقترب باحاراد وفى غير تراخ • وما كان مثاليا قابلا للحياة لم يعد اليوم كذلك» •

« ولذلك وجب أن تتغير بالآهـ هل هذا هو ماتوصلت اليه ؟ »

وطأطأ باهو رأسه وقال «تتغير تغيرا جذريا» •

وقالت الرانى بحماسة المتنبىء السادى «تتغير جذورا وفروعا» •

وواصل باهو حديثه قائلا «وذلك لسببين مقنعين ، أولهما أنه ليس بالامكان لبالا أن تبقى مختلفة عن بقية العالم ، وثانيهما أنه ليس من حقها أن تختلف» •

« ليس من حق الناس أن يكونوا أحرارا وسعداء ؟ »

ومرة أخرى قالت الرانى شيئا موحيا عن السعادة الزائفة والحرية الباطلة •

وتقبل مستر باهو مقاطعتها باحترام ، ثم نظر الى ويل •

وقال فى اصرار « ليس من الصواب أن تزهو بما أنعم عليك فى وجه هذه الكثرة من البائسين • هذه مباهاة وقحة ، واهانة مقصودة لبقية البشر ، بل ان ذلك كفران بنعمة الله » •

وتمتتمت الرانى فى شغف شديد وقالت «الله ، الله ، الله •••»

ثم فتحت عينيها وقالت «ان القوم هنا فى بالا لايؤمنون  
بالهكم ، ولا يعتقدون الا فى التنويم المغناطيسى وفى وحدة  
الوجود وفى الحب الذى لاتقيده حدود» وأكدت على هذه  
الكلمات فى سخط واشمئزاز .

وقال ويل «ولذلك فأنت الآن تقترحين أن تجعلهم  
أشقياء أملا فى أن يستردوا بذلك ايمانهم بالله . هذه طريقة  
للهداية ، وربما أفلحت ، وربما كانت الغاية تبرر الوسيلة» .  
ثم هز كتفيه وأضاف قوله «ولكنى أرى أن هذا الأمر سوف  
يحدث لا محالة ، خيرا كان أم شرا ، وبغض النظر عما يحسه  
أهل بالا اذاعه . وليس من الضرورى أن يكون المرء من  
الانبياء لكى يتكهن بأن موروجان سوف ينجح ، فهو يمتلى موجة  
المستقبل ، وموجة المستقبل هى من غير شك موجة البترول  
الخام . وبمناسبة الحديث عن الحامية وعن البترول « وهنا  
وجه نظره نحو الرانى» أقول انتى أعلم أنك على معرفة  
بصديقى القديم جو الديهايد » .

« هل تعرف اللورد الديهايد ؟ »

« جيدا » .

ثم أغمضت عينيها ثانية وابتسمت لنفسها وهزت رأسها  
فى بطء وقالت «ولذلك كان صوتى الضعيف ملحا ! لقد  
فهمت » . وبنغمة أخرى سألته :

« كيف حال هذا الرجل العزيز ؟ »

وأكد لها ويل «انه لايزال على صفاته» .

« وياها من صفات نادرة • أنا أسميه الرجل صاحب الطائرة الورقية (قالت ذلك بالفرنسية) » •

وتحير ويل وقال «صاحب الطائرة الورقية؟»

وشرحت ماتمنى وقالت «انه يقوم بعمله هنا ، ولكنه يمسك بخيط فى يده ، وفى طرف الخيط الآخر ترتبط الطائرة الورقية ، وهى تحاول دائما أن تطير الى أعلى وأعلى والى (الأعلى) • وحتى وهو يؤدي عمله يحس الجذب الدائم الى أعلى ، يحس أن الروح فى شد وجذب مع البدن • عجبا ! رجل من رجال الأعمال ، ومن أقطاب الصناعة – ومع ذلك فان الشيء الوحيد الذى يهمله حقا هو خلود الروح» •

وبزغ الضياء • لقد كانت هذه المرأة تتحدث عن ادمان الديهايد للروحانية • فذكر تلك الجلسات الاسبوعية مع السيدة هاربتل الاوتوماتية (التي تطلق لعقلها الباطن العنان يعبر عن نفسه) ومع السيدة بييم التي كان يسيطر عليها هندي كايوى يدعى باويو) ومع الآنسة تيوك وبوقها المصقول الذى تخرج منه فى همس له صرير كلمات كهنوتية يدونها بالخط المختزل السكرتير الخاص لجو وتقول «اشتر الاسمنت الاسترالى ، ولا تنزعج لهبوط أسعار أطعمة الافطار، تخل عن أربعين فى المائة من أسهمك فى المطاط واستثمر المال فى شركة آ•ب•م وفى وستنجهاس •••» •

وسألها ويل «وهل أخبرك عن ذلك السمسار الراحل الذى كان يعرف دائما موقف السوق فى الاسبوع التالى؟»

وقالت رانى منغمسة فى أفكارها «هذه مزايا روحية ، مجرد مزايا روحية • ماذا كنت تتوقع غير ذلك • ومع ذلك

فقد كان من المبتدئين فقط ، وفى الحياة الراهنة التجارة هى عمله فى الدنيا الذى يحاسب عليه (هورما) • وقد كتب عليه أن يقوم بما أداه وما يؤديه وما سوف يؤديه» • ثم أضافت مؤكدة بعد ما توقفت قليلا وكأنها تصغى ، ورفعت اصبعها ومالت برأسها «وما سوف يؤديه - كما يحدثنى صوتى الضعيف - يتضمن أشياء عظيمة وعجيبة هنا فى بالا» •

ويالها من طريقة روحية لقولها هذا ما أريد أن يحدث! لا كما أشاء ولكن كما يشاء الله - ولحسن المصادفة مشيئة الله تتفق دائما ومشيتتى • وضحك ويل فى نفسه ولكنه احتفظ برأسه مستقيمة كأشد ماتكون الاستقامة •

وسألها «وهل ينبئك صوتك الضعيف بشيء عن شركة جنوب شرقى آسيا للبترول؟»

وأصفت الرانى مرة أخرى ، ثم أومأت برأسها وقالت «بكل وضوح» •

قال ويل «ولكنى علمت أن الكولونيل ديبا لا يذكر سوى شركة ستاندارد يكلفورنيا» • واستطرد سائلا «وبهذه المناسبة ، لماذا تهتم بالاكل هذا الاهتمام بميل الكولونيل الى شركات البترول ؟»

وقال مستر ياهو بصوت رنان «ان حكومتى تفكر فى اطار خطة خمسية للتعاون والتنسيق الاقتصادى بين مجموعة الجزر» •

« وهل هذا التعاون والتنسيق بين مجموعة الجزر يعنى أن تمنح شركة ستاندارد حق الاحتكار؟»

« اذا ماكانت شروط شركة ستاندارد أفضل من شروط منافسيها» .

وقالت الرانى «أو بعبارة أخرى اذا لم يتقدم أحد بعرض مالى أفضل» .

وقال لها ويل «كنت قبل مجيئك الى هنا أتحدث مع موروجان فى هذا الموضوع . قلت له ان شركة جنوب شرقى آسيا للبتروول مستعدة لأن تعطى راندينج ماتقدمه لها ستاندارد مع زيادة قليلة» .

« خمسة عشر فى المائة زيارة ؟ »

« لنجعلها عشرة فى المائة » .

« لتكن اثنا عشر ونصف فى المائة » .

ونظر اليها ويل فى اعجاب . وكانت - اذا أخذنا فى اعتبارنا انها بلغت المرحلة الرابعة - رائعة حقا .

وقال «سوف يصرخ جو الديهايد من الألم ، ولكنك سوف تحصلين على الأثنى عشر فى المائة التى تخصك ، وأنا على يقين من ذلك» .

وقال مستر باهو «سوف يكون هذا بالتأكيد اقتراحا جذابا» .

« العقبه الوحيدة هى أن حكومة بالا لن تقبله » .

وقالت الرانى «ان حكومة بالا سوف تتغير سياستها عما قريب» .

« هل تظنين ذلك ؟ »

وأجابت الرانى فى نعمة دلت تماما على أن معلوماتها قد  
أتتها رأسا من فم ( السيد ) اذ قالت «أنا لا أظن ، أنا  
(أعرف)» .

وسألها ويل «وهل يساعدنا فى شىء عندما تتغير السياسة  
اذا كان الكولونيل ديبا يوصى بشركة جنوب شرقى آسيا  
للبتروول بكلمة منه طيبة ؟»

« لاشك فى ذلك » .

واتجه ويل ببصره الى باهو «وهل أنت مستعد سيدى  
السفير أن توصى خيرا لدى الكولونيل ديبا ؟»

ورد المستر باهو ردا دبلوماسيا مراوفا صاغة فى كلمات  
مركبة كأنه يخاطب جمعية عمومية لاحدى المنظمات الدولية ،  
وذلك حين قال «نعم من ناحية ، ولا من ناحية أخرى . الأمر  
من جهة يبدو أبيض ، ومن زاوية أخرى يبدو اسود  
فاحما» .

وأصغى ويل فى صمت وأدب ، واستطاع أن يرى وأن  
يسمع - من وراء قناع سافونارولا ، ومن خلف المنظار  
الارستقراطى الذى يغطى عينا واحدة ، ومن خلال لغة  
السفراء - السمسار الشرقى الذى يطلب العمولة ، وينتظر  
النفحة التى يرجوها فى ذلة رسمية حقيرة . وكم توعد جلالة  
الرانى التى تنتسب عضوا فى جماعة دينية لقضاء حماستها  
لرعاية شركة جنوب شرقى آسيا للبتروول ؟ انه يراهن على أن  
المبلغ كبير جدا ، لا لشخصها طبعا ، كلا ، كلا ! ولكن للحملة  
الدينية ، من أجل مجد أكبر لكوت هومى من غير شك .

وقد بلغ مستر باهو نهاية خطابه أمام المنظمة الدولية

وذلك حين قال «ويجب لذلك أن يكون مفهوماً أن أى عمل  
أيجابى من جانبه لا بد أن تحكمه الظروف كلما وحينما وإذا  
تبينت هذه الظروف • وأرجو أن يكون كلامى واضحاً» •

وأكد له ويل «انه غاية فى الوضوح» ، وواصل حديثه  
بصراحة تعمد أن يجافى بها اللياقة قائلاً «دعونى أشرح  
دوقفى من هذا الموضوع • كل ما يهمنى أنا شخصياً هو المال •  
الفان من الجنيهات دون أن أودى نظير ذلك عملاً ما ، وعماماً  
من الخيرية لكى أعاون فيه جو الديهايد فى وضع يده على  
بالا» •

وقالت الرانى « ان اللورد الديهايد رجل كريم الى درجة  
تلفت النظر » •

ووافقها ويل قائلاً «نعم تلفت النظر اذا أخذنا فى  
اعتبارنا العمل الضئيل الذى أستطيع أن أقوم به فى هذه  
المسألة • وليست بى حاجة الى القول أنه يكون أكثر كرماً لأى  
امرىء يقدم له معونة أكبر» •

وساد صمت طويل • ومن بعيد كان طائر المينة يدعو فى  
رتابة الى الانتباه • انتباه الى الجشع ، وانتباه الى النفاق ،  
وانتباه الى السخرية الرخيصة ••• ثم سمعوا طرقتاً على  
الباب •

وقال ويل «ادخل» ثم التفت الى مستر باهو وقال له  
«لتواصل هذا الحديث فى وقت آخر» •

• وهز باهو رأسه قبولاً •

• وأعاد ويل قوله «ادخل» •

ودخلت الغرفة فتاة فى أواخر العقد الثانى من عمرها  
تخطو خطى رشيقة وترتدى فى نصفها الأسفل ثوبا أزرق  
اللون وفى أعلى سترة من غير أزرار تعرى وسطها ولا تغطى  
الا حيناً بعد حين ثديين فى استدارة التفاح • وعلى وجهها  
الاسمر الناعم ابتسامة تحية صداقة شديدة ، وعلى جانبى  
الابتسامة غمازتان فى خديها • وبدأت كلامها بقولها «أنا  
الممرضة أبو ، رادا أبو» ووقعت عينها على زائرى ويل  
فأسرعت قائلة «عفوا ، لم أكن أعرف ...»

وأشارت الى الرانى فى غير مبالاة •

أما مستر باهو فقد نهض قائماً مجاملة منه وصاح فى  
حماسة قائلاً «الممرضة أبو • هذا الملاك الصغير المسعف من  
مستشفى شيفابورام • يالها من مفاجأة سارة !»

وكان واضحاً لويل أن المفاجأة لم تكن البتة سارة  
للفتاة •

وقالت دون أن تبتسم «كيف حالك يامستر باهو»  
وسرعان ما التفتت الى جهة أخرى وبدأت تشغل نفسها بأحزمة  
الحقيبة المصنوعة من القنب والتي كانت تحملها •

وقال مستر باهو «ربما نسيت يا صاحبة السمو أننى كان  
لابد لى فى الصيف الماضى من عملية جراحية» ثم قال على وجه  
التحديد «عملية فتق» • وقد اعتادت هذه السيدة الشابة أن  
تأتينى كل صباح وتقوم بغسلى • وكان ذلك بالضبط فى  
الثامنة وخمس وأربعين دقيقة • وبعد اختفائها كل هذه  
الشهور ها هى ذى الآن مرة أخرى !»



وقالت الرانى وكأنها تتلقى وحيا «التزامن جزم من خطلة  
كبى» .

وقالت المرضة الصغيرة وقد وجهت بصرها الى أعلى  
بعيدا عن حقيبة العمل ، وهى لاتزال تبتسم «مفروض على أن  
أعطى حقنة لمستر فارنبى» .

وصاحت الرانى وقد غالت فى أداء دورها الملكى  
متظاهرة بالملاطفة والمداعبة قائلة «أوامر الطبيب أوامر لا بد  
أن تطاع ، وأضافت قولها :

«السمع طاعة ، ولكن أين سائقى ؟»

ونادى صوت مألوف قائلا «سائقك هنا» .

وكان موروجان واقفا بالباب وكأنه فى جماله صورة  
لجانيميد (١) . وبدت على وجه المرضة الصغيرة لمحة من  
السرور .

وعبرت بمجاملة أخرى ، اما يأخذها علامة على الاحترام ،  
واما يعتبرها استهزاء وسخرية ، وذلك حين قالت .

« أهلا موروجان - أقصد يا صاحب السمو » .

وقال الفتى بنغمة قصد بها أن تكون التحية عارضة من  
بعيد « أهلا يارادا» وسار الى حيث كانت تجلس أمه مارا بها ،  
وقال «العربة عند الباب ، أو الأخرى أن أقول ماتسبمينه  
عربة» وبضحكة تهكمية قال موجهها حديثه الى ويل «أنها من  
طراز أوستن الصغيرة من انتاج عام ١٩٥٤ . وهى أحسن

---

(١) ساقى الآلهة فى الميثولوجيا اليونانية - المترجم

مايمكن أن يقدمه هذا البلد المتقدم فى الحضارة لأفراد العائلة الملكية» • وأضاف فى مرارة «أما رانديج فتعطى سفيرها بنتلى»

وقال مستر باهو وقد نظر الى ساعته «هذه البنتلى سوف تأتينا الى هنا بعد عشر دقائق • فهل لى أن أستسمحك ياساحبة السمو فى الانصراف؟»

ومدت الرانى يدها ، وانحنى نحوها بكل الورع الذى يبيده كاثوليكي مخلص حينما يقبل خساتم الكاردينال ، ثم اعتدل قائما والتفت الى ويل •

« أعتقد - وقد أكون منطئا - أن مستر فارنبي يستطيع أن يحتملنى لفترة قصيرة أخرى ، فهل أبقى؟»  
وأكد له ويل أنه يسر لبقائه •

وقال مستر باهو للممرضة الصغيرة «وأرجو ألا يكون هناك اعتراض من الوجة الطبية» •

وقالت الفتاة بتغمة تنم عن وجود موانع قوية لاتقوم على أساس طبي «ليس من الوجة الطبية» •

وبمساعدة موروجان قامت الرانى من فوق كرسيها منتصبه ، ومدت يدها المحلاة بالجواهر وقالت بالفرنسية «الى اللقاه ياعزيزى فارنبي» • وابتسمت ابتسامة حلوة رأى فيها ويل الخطر الاكيد كل الخطر •  
« مع السلامة يامدام » •

واتجهت نحو الممرضة وربتت على خدها ومقرت من الغرفة • وتبعها موروجان كالقارب الصغير الذى يسير خلف سفينة كبرى منتفخة الشراع •

وبعد أن انغلق الباب وراءهما انفجرت الممرضة الصغيرة  
وقالت « يا الهى ! »

وقال ويل « وأنا على اتفاق تام معك » .

وتلألاً الضوء الفولتيرى لحظة على وجه باهو الانجيلي ،  
وكرر قوله « يا الهى ! » ثم أردف قائلاً « ذلك ماتفوه به تلميذ  
انجليزى عندما رأى الهرم الأكبر لأول مرة . والرانى تترك  
فى الرائى نفس الأثر . انها أشبه بالأثر الضخم » . وأخذ  
الضوء المتألئى يختفى وعاد وجه باهو كوجه سافونارولا  
تماما لا لابس فيه ، وأمست كلماته - بصورة واضحة - سالحة  
للنشر .

وبدأت الممرضة الصغيرة فجأة تضحك .

وسألها ويل « ما يضحكك ؟ »

فقالت وهى تلهث « لقد شهدت (الهرم الأكبر) بغتة  
مرتديا الموصلين الأبيض - وهو الرداء الذى يسميه الدكتور  
روبرت الكسوة الصوفية » .

وقال مستر باهو « وصف بارع ، بارع جدا » ومع ذلك  
فقد أضاف بصيغة دبلوماسية « لست أرى لماذا لا يلبس  
المتصوفون الكساوى البيضاء ان راق لهم ذلك » .

وتنهدت الممرضة الصغيرة تنهدا عميقا ، ومسحت دموع

الفرح التى تقاطرت من عينيها ، وشرعت تستعد لاعطاء  
المريض حقنته •

ووجهت خطابها الى ويل قائلة له «اعرف تماما مايدور  
فى خلدك • أنت ترانى أصغر من أن أتقن عملا» •  
« أنا بالطبع أرى أنك صغيرة جدا » •

« أنتم تلتحقون بالجامعة فى الثامنة عشرة وتمكثون بها  
أربع سنوات • أما نحن فنبدأ فى السادسة عشرة ونواصل  
الدراسة حتى نبلغ الرابعة والعشرين - ننفق نصف الوقت  
فى الدراسة ونصفه الآخر فى العمل - كنت أدرس علم الأحياء  
وأقوم فى نفس الوقت بهذا العمل لمدة عامين • ولذلك فلست  
بتلك الغفلة التى قد تبدو لك • والواقع أنى ممرضة أتقن  
عملى» •

وقال مستر باهو «هذا كلام أويده بغير تحفظ - الأنسة  
رادا ليست فقط ممرضة تتقن عملها ، بل هى ممرضة من  
الطراز الأول قطعا» •

غير أن ما عناه حقا - كما تيقن ويل وهو يتمعن فى  
الملامح التى بدت على ذلك الوجه الذى يشبه وجه الراهب أمام  
الاشراء الشديد - هو أن الأنسة رادا كان لها خصر من الطراز  
الأول ، وسرة من الطراز الأول ، وثديان من الطراز الأول •  
ولكن صاحبة السرة والخصر والثديين قد استنكرت كما بدا  
بوضوح اعجاب سافونارولا ، أو استنكرت على الأقل الاسلوب  
الذى عبر به عن اعجابيه - وقد غالى السفير الذى قابلته  
بالصدود فى أملة فى رد الهجوم •

وأشعلت الممرضة المصباح الغازى لتغلى الابرة فوق ناره،  
وكانت فى هذا الوقت تقيس حرارة مريضها .

وقالت « ٩٩٢ » .

وسألها مستر باهو « وهل يعنى ذلك أنى لابد أن أبعد ؟ »  
وردت عليه الفتاة بقولها « ليس بسببه » .

قال ويل « لذلك أرجوك أن تبقى » .

وأعطته الممرضة الحقنة المضادة للحيويات ، وأخرجت من  
احدى الزجاجات التى كانت فى حقيبتها سائلا أخضر اللون  
وصبت منه ملء ملعقة ورجت المحلول فى نصف كسوب من  
الماء .

« اشرب هذا » .

وكان مذاقه شبيها بالمخلوطات العشبية التى يستبدلها  
بالشاي المتحمسون للتغذية الصحية .

وسألها ويل « ما هذا » .

وقالت انه مستخرج من نبات جبلى من فصيلة الناردين  
(عقار مهدى للأعصاب) .

وأسستردت الممرضة الصغيرة قائلة « انه يساعد على  
أزالة القلق دون أن يحمل من يتعاطاه على النوم . ونحن  
نُعطيه المناقهن ، كما أنه يفيد فى الحالات العقلية » .

« ومن أى الفتتين أكون ؟ العقلين أم الناقهين ؟ »

وردت بغير تردد « كلاهما » .

وضحك ويل ضحكة عالية وقال «هذا جزاء من يطلب  
الثناء» .

وأكدت له «أنها لم تقصد أن تكون فظة في كلامها» .  
وأضافت «كل ما قصدت أنى لم أقابل قط انسانا من الخارج  
ليس حالة من الحالات العقلية» .

« ومنهم السفير ؟ »

ووضعت السائل موضع المسئول حين قالت «ومارأيك  
أنت ؟ »

وأحال ويل الأمر الى مستر باهو وقال له «أنت خير فى  
هذا المجال» .

وقالت الممرضة الصغيرة «سويا الأمر بينكما . اذ على أن  
أنصرف لكى أعد طعام المريض» .

وراقبها مستر باهو وهى تنصرف ، ثم رفع حاجبه الأيسر  
واسقط متظاره وشرع بطريقة نظامية فى تنظيف العدسة  
بمبنديله ، وقال لويل «أنت منحرف بصورة ما ، وأنا منحرف  
بصورة أخرى . أنت فصامى (ألست كذلك ؟) وأنا - من  
الطرف الآخر فى الدنيا - مصاب بجنون العظمة . وكلانا من  
ضخايا أوبئة القرن العشرين . وليس الوباء هذه المرة هو  
(الموت الاسود) ، انما هو (الموت الرمادى) . وبعد لحظة من  
الصمت سأل صاحبه «ألم تهتمك السلطة فى أى وقت من  
الأوقات ؟»

وهز ويل رأسه مؤكدا وقال «مطلقا . لايمكن للمرء أن  
يملك السلطة ولا يلتزم» .

« والفرع من الالتزام بالنسبة اليك أشد من المتعة التي تحسها في ازاحة الناس من حولك ؟ »

• « بالآلاف المرات »

« ولذلك لم تكن السلطة تفريك في أى وقت من الأوقات » -

وقال ويل «أبدا» وبعد فترة من السكون أضاف بنغمة أخرى «دعنا نتحدث في العمل» -

وردد باهو قوله «الى العمل» - اذكر لى شيئا عن اللورد الديهايد» -

• «انه كما قالت الرانى رجل كريم بشكل ملحوظ» -

«لاتهمنى فضائله ، يهمنى ذكاؤه فقط» - الى أى حد هو حاد الذكاء ؟»

« تبلغ به حدة الذكاء أن يدرك أن المرء لا يؤدي عملا بغير مقابل » -

وقال مستر باهو «حسنا» - انقل له عنى أن العمل الفعال الذى يقوم به الخبراء فى المواضع الاستراتيجية يقتضيه أن يتأهب لكى يدفع لك على الأقل عشرة أمثال ماسوف يدفعه لك» -

• « سوف أحرر له خطابا بهذا الشأن » -

ونصحه مستر باهو «أن يفعل ذلك اليوم» وأضاف «لأن الطائرة تغادر شيفابورام غدا مساءً ، ولن يصدر بعد ذلك بريد لمدة أسبوع كامل» -

وقال ويل « أشكرك على ما أخبرتنى به • والآن بعد ما انصرفت صاحبة السمو وذلك المراهق الذى يصدم لكل شىء دعننا نتحدث فى لون آخر من الاغراء • ماذا ترى فى الجنس ؟ »

وبيد عظمية سمرء تتحرك الى الامام والى الخلف أمام وجهه قام مستر باهو بحركة تشبه مايفعله المرء عندما يريد أن يتخلص من مجموعة من الحشرات المزعجة وقال «الجنس لايعدو أن يكون لونا من ألوان التسلية • وهو مصدر للاغظة يضايق وينذل ، ولكن الرجل الذكى يستطيع دائما أن يتصدى له » •

وقال ويل « ما أشق أن يدرك المرء رذائل الآخرين » •

« صدقت • وعلى المرء أن يلتزم بالخطأ الذى يبتليه الله به — وهذا ماكان ينصح به لوثر • ومن المهم ألا يأثم المرء غير ائمه ، لا اثم غيره • وفوق هذا كله لاتفعل مايفعله أهل هذه الجزيرة • لا تحاول أن تتصرف وكأنك بالضرورة عاقل وبالطبيعة فاضل • كلنا آثم معتوه نركب سفينة واحدة والسفينة غارقة دائما » •

« وعلى الرغم من ذلك فانه ليس لمخلوق مهما يكن تافها أن يترك السفينة • هل هذا ماتريد أن تقول ؟ »

« قليل منهم يحاول أحيانا أن يتركها ، ولكنهم لايزهبون بعيدا • فان التاريخ والمخلوقات التافهة الاخرى يتكفلون باغراقهم مع الآخرين • ولذلك ليس لبالا أدنى فرصة » •

وعادت الى الغرفة الممرضة الصغيرة حاملة صينية •



وقالت وهي تربط ممسحة حول عنق ويل «هذا كله طعام  
بوذي ما خلا السمك ، ولكننا قررنا أن تكون الأسماك من  
الخضراوات من الناحية العملية» .

• وشرع ويل فى تناول الطعام .

وبعد ما ابتلع ما ملأ به فاه أولا سألها قائلاً «كم من  
الأجانب قابلت فى حياتك باستثناء الرانى وموروجان وأنا  
وصاحبى هنا ؟»

• وأجابت قائلة «قابلت مجموعة الاطباء الامريكان .  
جاءوا الى شيفابورام فى العام الماضى حينما كنت أعمل  
بالمستشفى المركزى» .

«وماذا كانوا يفعلون هنا ؟»

«أرادوا أن يعرفوا لماذا تنخفض عندنا نسبة الاصابة  
بالأمراض العصبية والشرائين القلبية – عجباً لهؤلاء  
الاطباء !» وهزت رأسها ثم قالت «لقد أفزعونى حقاً يامستر  
فارنبى ، وأفزعوا كل من بالمستشفى» .

• «ولذلك أنت ترين أن الطب عندنا بدائى جداً» .

« هذا وصف خاطيء . انه ليس بدائيا . انه اما مريع  
واما منعدم . المضادات الحيوية مدهشة – ولكن ليست هناك  
البتة وسائل لزيادة المقاومة حتى لاتعوت للمضادات الحيوية  
ضرورة . والعمليات الجراحية خيالية – ولكن اذا نظرنا الى  
تعليم الناس كيف يسلكون فى حياتهم دون أن تقطع من  
جسمهم أجزاء لم نجد شيئاً بتاتا . وهكذا على طول الخط .  
درجة الامتياز لرتقك اذا تقطعت أوصالك ، وفشل ذريع فى

الحفاظ على صحتك • اذا استبعدنا نظم المجارى والفيتامينات المركبة يبدو أنكم لم تفعلوا البتة شيئاً فى سبيل الوقاية ، ومع ذلك يقول المثل عندكم (الوقاية خير من العلاج) » •

قال ويل «ولكن العلاج يدعو الى الاعجاب أكثر مما تدعو اليه الوقاية • كما أنه يجلب للطباء كسبا أكثر» •

وقالت المريضة الصغيرة «ربما صح ذلك بالنسبة للطباء عندكم ، ولكنه لا يصح عندنا فأطباءنا يتقاضون أجورهم للحفاظ على صحة الناس» •

« وكيف يتم ذلك ؟ »

« لقد سألنا أنفسنا هذا السؤال مائة عام ، ووجدنا له اجابات عدة • اجابات كيمساوية ، واجابات سيكولوجية ، واجابات تتعلق بما تأكل ، وكيف تمارس الحب ، وما تسمع وما ترى ، واحساسك بمن تكون فى هذا العالم» •

« وأى الاجابات أفضل ؟ »

« لاتكون احداها أفضل بغير الاجابات الاخرى » •

« أى أنه ليس لديكم دواء لكل داء » •

« وهل يمكن أن يكون هناك ؟ ثم روت الانشودة الصغيرة التى تحفظها كل طالبة تمرىض عن ظهر قلب منذ اليوم الأول من تدریها ، وهى :

« أنا جمهور

أخضع لعدد من القوانين

بمقدار ما عندى من أفراد

كل كائنا تى كيمائيا ملوثة  
وليس هناك علاج واحد  
لما يستحيل أن يخضع لسبب واحد »

« ولذلك فنحن نحارب فى جميع الجبهات ، سواء كان الأمر وقاية أم علاجاً » وأكدت قولها «جميع الجبهات : من نظام التغذية الى الايعاء الذاتى ، ومن الأيونات السلبية الى التأمل والتفكير» .

وعلق على ذلك ويل بقوله «معقول جدا» .

وقال باهو «ربما كان أكثر من معقول . هل حاولت مرة أن تتكلم كلاما معقولا مع مجنون ؟» وهز ويل رأسه . «أنا فعلت ذات مرة» . ورفع خصلة الشعر التى وخطها المشيب والتى كانت تميل الى أحد جانبيه جبهته ، وظهرت تحت حد الشعر أثر جرح مثلث ، شاحب اللون غريب الشكل وسط البشرة السمراء . وقال «لحسن حظى أن الزجاجاة التى رمانى بها كانت رقيقة جدا» . وسوى شعره المنفوش ووجهه بصره نحو المرضة الصغيرة . وكان وجهه يتلأأ كله بنوع من المرح الفولتيرى المريب وهو يقول «لاتنس يا آنسة رادا أن لاشيء يطير بصواب من لا عقل له أكثر من العقل . وبالا جزيرة صغيرة يحيط بها احاطة كاملة ألفان وتسعمائة مليونا من مرضى العقول . ولذلك حذار من المبالغة فى التعقل . وفى بلد المجانين لايمكن أن يصبح صاحب العقل الكامل ملكا . انهم يعدمونه بغير محاكمة» .

وضحك ويل غير مبالي ، ثم صوب نظره مرة أخرى نحو المرضة الصغيرة ، وسألها .

« أليس لديكم من يطلب دخول مستشفى الأمراض العقلية ؟ »

«عندنا مثل ما عندكم – أقصد بالنسبة لعدد السكان  
على الأقل هذا ماورد فى الكتب الدراسية»  
«ولذلك فان السكنى فى دنيا العقلاء لاتختلف عن السكنى  
فى دنيا غير العقلاء»

«ليس الأمر كذلك مع اولئك الذين تجعلهم كيمياء  
أبدانهم من مرضى العقول • هؤلاء يولدون عرضة للمرض •  
والمتابع الصغيرة التى قد لا يلاحظها غيرهم تحطمهم تماما •  
ولقد بدأنا من عهد قريب فقط نكشف عن الاسباب التى  
تجعلهم عرضة للمرض ، وبدأنا نتبينهم قبل أن ينهاروا وما  
أن تم فيرزهم حتى أمكننا أن نزودهم بقدر من المناعة •  
الوقاية كما ذكرت من قبل – وطبعاً من جميع الجبهات فى  
وقت واحد»

«اذن فهناك فارق – حتى لمن قدر لهم أن يكونوا من  
مرضى العقول – بين أن يولد الانسان فى عالم عاقل أو أن  
يولد فى عالم غير عاقل»

« وهناك أيضا فارق بالنسبة للمصابين بأمراض عصبية •  
نسبة مرضى الأعصاب عندكم واحد لكل خمسة أو حتى  
أربعة • أما عندنا فالنسبة واحد لكل عشرين • وهذا الواحد  
المنهار يجد العلاج ، فى جميع الجبهات ، أما التسعة عشر الذين  
يتماسكون فقد وجدوا الوقاية فى جميع الجبهات • ويعود بى  
هذا الحديث الى أولئك الاطباء الامريكان • وكان ثلاثة منهم  
من أطباء العلاج النفسانى ، وأحد هؤلاء يدخن السيجار بغير

توقف وفى لغته لكنته الألمانية • وقد وقع عليه الاختيار لكي يحاضرنا • ويألها من محاضرة !» وأمسكت الممرضة الصغيرة برأسها بين كفيها وقالت «لم أسمع قط شيئاً مثلها» •

« فى أى موضوع كانت ؟ »

« كانت عن طريقة معالجتهم لمن تبدو عليهم أعراض عصبية • ولم نكد نصدق ماسمعنا • انهم لا يحاربون أبداً فى جميع الجبهات ، انما يحاربون فى نصف جبهة واحدة • المريض عندهم لا جسم له اذا استثنينا الفم والشرح • انه ليس كائنا عضوياً ، ولم يولد بهيكل عام أو بمزاج خاص • كل ما لديه طرفاً جهاز هضمى ، وأسرة ، ونفس • ولكن أى نفس ؟ انها قطعاً ليست العقل كله ، أى ليست العقل كما هو على حقيقته • وكيف يمكن أن تكون كذلك فى حين أنهم لا يأخذون تشريح بدن المريض فى اعتبارهم ، أو تركيبه الكيماوى الحيوى ، أو وظائف أعضائه ؟ العقل مستخلص من الجسد ، هذه هى الجبهة الوحيدة التى يحاربون فيها ، بل وليس فى هذه الجبهة بأسرها • واستمر الرجل صاحب السيجار يتحدث عن اللاشعور • ولكن اللاشعور الذى أعاروه انتباههم هو اللاشعور السلبي ، أى النفايات التى يحاول الفرد أن يتخلص منها بالقائها فى القاع • ولم يذكر كلمة واحدة عن اللاشعور الايجابى • ولم يحاولوا مساعدة المريض على أن يفصح عن مكنون نفسه لدفعة الحياة أو لطبيعة بوذا • بل ولم يحاولوا أن يعلموه زيادة الوعى فى حياته اليومية • وأنت تعرف نداء المينة «الآن وفى هذا المكان ، وانتباه» • وحاكت فى ذلك طيور المينة ، ثم

واصلت حديثها قائلة «هؤلاء القوم يكتفون بترك مريض الأعصاب البائس يتمرغ في عاداته القديمة التي لا تجعله بكليته في مكانه وزمانه \* والأمر من أوله الى آخره بلاهة في بلاهة ! والعجيب أن صاحب السيجار لم يعترف بذلك ، وكان ماهرا في عرضه غاية المهارة \* ومن ثم فان الامر عنده ليس بلاهة ، انما هو بالضرورة شيء ارادى ، شىء ما يدفع المريض نحو مسلكه — كأن يكون مخمورا ، أو أن يلوك لنفسه فكرة سخيفة حتى يعمتد في صحتها لمجرد ورودها في كتاب مقدس \* ثم انظر الى رأيهم فيما هو طبيعى \* صدق أو لا تصدق أن الرجل العادى عندهم هو من يشعر باللذة الجنسية والذى يتكيف مع المجتمع» ومرة أخرى وضعت الممرضة رأسها بين راحتيهما \* ثم أضافت «ان ذلك أمر لا يتصوره العقل ! انهم لا يفكرون فى جدوى اللذة الجنسية ، ولا يفكرون فى لون مشاعرك أو آرائك أو مدركاتك \* ثم ماذا عن المجتمع الذى يفترضون تكيفك معه ؟ هل هو مجتمع عاقل أو مجنون ؟ وحتى ان كان عاقلا بدرجة قصوى ، فهل من الصواب أن تتكيف معه تماما ؟ »

وقال السفير وعلى شفتيه ابتسامته المتلاثلة «من يريد الله لهم الدمار يجعلهم مجانين \* وتستطيع أن تقلب القضية وتقول يجعلهم عقلاء — وربما كان هذا الوضع المقلوب أبعد أثرا» \* ثم نهض المستر باهو وسار نحو النافذة وقال «لقد وصلت عربتى ، ولا بد لى من العودة الى شيفابورام والى مكتبى» والتفت الى ويل وحياه مودعا لفترة طويلة وبمبارات بليغة \* وعندئذ تغلى عن صفة السفارة وقال لويل «لا تنس أن تحرر الخطاب \* انه غاية فى الأهمية» وتبسم تبسم المتأمر وحرك

ابهام يمناه على الاصبعين الأولين ، وكأنه يعد المال غير  
المنظور .

وبعد ما انصرف قالت المريضة الصغيرة « الحمد لله  
واستوضحها ويل « بم أساء ؟ أليس هذا أمرا عاديا ؟ »  
قالت « تقدم مالا لامرأة تريد أن تضاجعها - وهى لاتحبك ،  
فتعرض عليها مزيدا من المال . هل هذا من الأمور العادية فى  
البلد الذى وفد منه ؟ »

وأكد لها ويل « ان ذلك أمر عادى الى أبعد الحدود » .  
« ولكنى لم أستحسنه » .  
« لقد لمست ذلك . واليك سؤالا آخر . ماذا عن  
موروجان ؟ »

« وما يدفعك الى هذا السؤال ؟ »  
« حب الاستطلاع . وقد لاحظت أنكما التقيتما من قبل .  
فهل كان ذلك عندما كان هنا منذ عامين وحده بغير أمه ؟ »  
« وكيف عرفت ذلك ؟ »

« حدثنى عصفور صغير ، أو على الأصح عصفور ضخيم  
جدا » .

« الرانى ! لا بد أنها روت لك القصة وكأنها تروى عن  
سدوم وعمورية » .

« ولكن لسوء حظى أنها حجبت عنى التفاصيل المثيرة .  
مجرد تلميحات غامضة - ذلك كل ما باحت به لى . تلميحات  
- مثلا - عن نساء محتكات من أمثال ميسالينا امبراطورة

رومانيسة خانت زوجها) يعطين دروسا فى الحب للشبان  
السذج» •

« وهل كان بحاجة الى هذه الدروس ! »

« وتلميحات أيضا عن فتاة فى مثل سنه فوضوية نضجت  
قبل الأوان » •

وانفجرت الممرضة ابو ضاحكة •

« هل تعرفينها ؟ »

« هذه الفتاة الفوضوية التى نضجت قبل الأوان هى  
أنا » •

« أنت ؟ وهل الرانى على علم بذلك ؟ »

« ان موروجان ذكر لها الوقائع ، ولم يذكر لها الاسماء ،  
وأنا من أجل ذلك شكورة جدا • فلقد سلكت سلوكا سيئا ،  
فقدت صوابى لشخص لم أحبه فى الواقع وأذيت شخصا آخر  
أحبيته • لماذا يكون الانسان غبيا بهذه الدرجة ؟ »

قال ويل «للقلب أسبابه ، وللهرمونات أسبابها» •

وساد صمت طويل • وقد انتهى من تناول السمكة  
المسلوقة الباردة ومن الخضروات • وناولته الممرضة أبو طبقا  
من سلطة الفواكه •

قالت «انك لم تر موروجان قط مرتديا بيجامته الساتان  
البيضاء» •

« هل فاتنى شىء هام ؟ »

« انك لا تتصور كم يبدو جميلا فيها • وليس لأحد الحق



فى أن يكون على هذا القدر من الجمال • انه يتنافى مع الحشمة ، ويعطى صاحبه امتيازاً على غيره بغير حق» •

ان رؤيته فى هذه البيجاما الساتان البيضاء التى حصل عليها من (سلكا) هى التى حملتها فى النهاية على أن تفقد صوابها ، وقد فقدته فقدانا تاما الى حد أنها تحولت الى شخص آخر خلال شهرين - وأمست فتاة حمقاء تطارد شخصا لايطيقها وتهجر شخصا أحبها دائما كما أحبته دائما •

وسألها ويل «الى حد وصلت مع الفتى الذى ارتدى البيجاما ؟»

أجابت «حتى الفراش • ولكنى لما بدأت أقبله قفز من فراشه وأغلق على نفسه الحمام • وأصر على ألا يخرج منه حتى أناوله ببيجامته من خلال النافذة وأعدده وعدا شريفا انى لن أضايقه» • والآن أرى ماحدث أمرا يدعو الى الضحك • أما فى ذلك الحين «•••» وهزت رأسها واستكملت حديثها «فقد كانت مأساة كبرى • ولا بد أنهم قدروا من مسلكى بعد ذلك ماحدث • واتضح أن الفتيات الفوضويات اللائى ينضجن قبل الأوان لا يصلحن ، وان ما هو بحاجة اليه دروس نظامية» •

قال ويل «أنا أعرف بقية القصة • الابن يكتب لأمه ، والأم تعود بالطائرة الى الوطن وتنقله فورا الى سويسره» •

« ولم يمودا الا منذ نحو ستة أشهر ، وقد قضيا على الأقل نصف هذه الفترة فى راندنج فى ضيافة عممة موروجان» •

وأوشك ويل أن يذكر الكولونيل دييا ، غير أنه تذكر أنه وعد موروجان أن يكون حريصا فلزم الصمت •

وسمع صوت صفارة آت من الحديقة -

وقالت الممرضة الصغيرة «عن اذنك» واتجهت نحو  
النافذة - وابتسمت سعيدة بما رأت ولوحت بيدها وقالت  
«هذا رانجا» -

«ومن هو رانجا؟»

«صديقى الذى حدثتك عنه - انه يريد أن يوجه اليك  
بمضى الاسئلة - فهل تسمح له بالدخول دقيقة واحدة؟»  
«طبعاً» -

وعادت الى النافذة ولوحت له بحركة استدعاء -

«أفهم من ذلك أن البيجاما الساتان البيضاء قد اختفت  
نهائياً من الصورة» -

وأومأت برأسها ايجاباً وقالت «لقد كانت مأساة من فصل  
واحد - وسرعان ما استرجعت صوابى - وعندما استرجعته  
وجدت رانجا - كما كان دائماً - فى انتظارى» -

وانفتح الباب على مصراعيه وولج الغرفة شاب طويل  
نحيل فى حذاء الألعاب الرياضية وفى سروال خاكي قصير -  
وقال معرفاً نفسه وهو يصافح ويل «أنا رانجا  
كاراكوران» -

وقالت رادا «لو انك تعجلت حضورك خمس دقائق لسرك  
أن تلتقى بمستر باهو» -

وكشر رانجا مشمئزاً وقال «وهل كان هنا؟»  
وسأل ويل «وهل هو على هذه الدرجة من السوء؟»

وأخذ رانجا يعدد اتهاماته وقال «أولا ، هو يكرهنا -  
ثانيا ، هو تابع حقير خاضع للكولونيل ديبا - ثالثا ، هو سفير  
غير رسمي لجميع شركات البترول - رابعا ، هذا الخنزير  
المقشّر حاول أن يتصل برادا - خامسا ، انه يطوف هنا وهناك  
معاضرا فى ضرورة الاحياء الدينى ، بل لقد نشر فيه كتابا  
كاملا قدم له شخص فى مدرسة هارفارد للاهوت - وهو جزء  
من العملة التى تشن ضد استقلال بالا - ان ديبا يخفى سيئاته  
فى دعواته للايمان بالله - لماذا لايعترف المجرمون بما  
يقترفون ؟ كل هذا الكلام التافه عن المثالية يسبب  
الغثيان » -

ومدت رادا يدها وقرصت أذنه ثلاث قرصات قوية -  
فبدا عليه الغضب أولا ثم انفجر ضاحكا وهو يقول «أيتها  
الصغيرة ... أنت على حق - ومع ذلك فلم تك بك حاجة الى  
قرص أذنى بهذه الشدة » -

واستوضح ويل راندا « هل هذا هو ماتفعلين دائما كلما  
حاد عن الخط المستقيم ؟ »  
« كلما حاد عنه فى وقت غير ملائم أو لأمر ليس بوسعه  
أن يصنع فيها شيئا » -

واتجه ويل نحو الفتى وسأله « وهل لا بد لك دائما من أن  
تقرص أذننها ؟ »

وضحك رانجا وقال «أنا أؤثر أن أضربها على عجزها -  
ولكن لسوء الحظ أنها قلما تكون بحاجة الى ذلك » -  
« وهل معنى ذلك أنها أكثر اتزاننا منك ؟ »

« أكثر اتزاناً؟ انها عاقلة بدرجة غير عادية »

« وأنت عاقل بالدرجة المطلوبة؟ »

وهز رأسه وقال «ربما انحرفت عن الوسط قليلا الى اليسار ، فأنا أحيانا أصاب باكتئاب شديد - أحس أنني لا أصلح لشيء» .

قالت راندا «فى حين أنه فى الواقع جيد الى درجة أنهم أعطوه منحة لدراسة الكيمياء الحيوية بجامعة مانشستر» .

« وماذا تصنعين به عندما يقوم ازراك بهذه الحيل اليايسة التى لا يرتكبها الا آثم بائس؟ تشدين أذنيه؟ »

قالت « نعم أفعل ذلك كما أفعل أشياء أخرى» وتبادلت مع رانجا النظرات ، ثم انفجرا ضاحكين .

قال ويل «كفى ، كفى» واستطرد قائلاً «وهذه الاشياء الأخرى - بحكم طبيعتها - تعنى تطلع رانجا الى مغادرة بالا لمدة عامين؟ »

قال رانجا «ليس الى هذا الحد» .

وقالت راندا فى ثبات «ولكن لا بد له من الذهاب» .

وقال ويل متعجبا «وهل سيكون سعيدا عندما يذهب الى هناك؟ »

قال رانجا «ذلك ما أردت أن أسألك عنه» .

« لن يعجبك الجو ، ولن يعجبك الطعام ، ولن تعجبك الضوضاء ولا الروائح ولا العمارة ، ولكنك سوف بالتأكيد

تمعجب بالعمل ، وأرجح أنك سوف تحب عددا لا بأس به من  
الناس» .

وسألت رادا « وماذا عن الفتيات ؟ »

وأجاب «كيف تريدني أن أرد على هذا السؤال ؟ نفاقا  
أم صدقا ؟ »

« صدقا » .

« الحق يا عزيزتي أن رانجا سوف ينجح في هذا المجال  
نجاحا باهرا . وعشرات الفتيات سوف يجدهن فاتنا بدرجة  
لاتقاوم . وبعض هؤلاء الفتيات فاتن . فكيف يكون شعورك  
إذا عجز عن المقاومة ؟ »

« سوف أسر له » .

والتفت ويل الى رانجا وسأله « وهل يسرك اذا التمس  
عزاءها مع شاب آخر أثناء غيابك ؟ »

قال « أود أن أكون مسرورا ، اما ان كنت أسر فعلا فذلك  
أمر آخر » .

« هل سوف تطلب اليها أن تعدك بالوفاء ؟ »

« لن أطلبها بأي وعد » .

« حتى مع كونها فتاتك ؟ »

« انها ملك نفسها » .

وقالت الممرضة الصغيرة «وهو ملك نفسه له الحرية أن  
يفعل ما يريد» .

وتذكر ويل الفجوة القرنفلية التي كانت تضم سرير  
بايز وضحك من الاعماق ، وأضاف قوله «وله الحرية فوق هذا  
فى أن يفعل ما لا يريد» . وألقى نظرة على وجه رانجا ثم  
على وجه رادا ، ولحظ أنهما يرمقانه فى دهشة ، واستطرد  
قائلا بنغمة أخرى وبايتسامة مختلفة «ولكنى نسيت - أحكما  
عاقل بدرجة غير عادية والآخر يميل عن الوسط قليلا الى  
اليسار . ولذلك فأنتما لايمكن أن تتفهما مايتحدث عنه  
صاحب، حالة عقلية مستوردة ، مثل» . ودون أن يعطيها  
الفرصة لكى يجيبا عن سؤاله سألهما «خبرانى ، منذ متى ..»  
وكف عن الكلام ، ثم قال «ربما كنت فى سؤالى غير حكيم .  
فان كان الأمر كذلك قولالى لاتندخل فيما لايعنيك . ولكنى  
أود أن أعرف منذ متى قامت بينكما الصداقة ، باعتبارى من  
المهتمين بدراسة الانسان» .

وسألته الممرضة الصغيرة «هل تعنى (صديقين) أم تعنى  
(عاشقين) ؟

« ولماذا لاتكونان هذا وذاك ونحن بصدد هذا الحديث؟»

« لقد قامت بيننا الصداقة منذ ما كنا طفلين صغيرين ،  
ثم أصبحنا عاشقين منذ ما بلغت الخامسة عشرة والنصف وبلغ  
هو السابعة عشرة لمدة عامين ونصف العام - اذا طرحنا عن  
اعتبارنا قصة البيجاما البيضاء» .

« وهل لم يعترض أحد ؟ »

« ولماذا يعترض ؟ »

وردد ويل بعدها «فعلا لماذا - ولكن الواقع أن كل امرئ

فى الجزء من العالم الذى جئت منه يعترض فعلا» •

وسأل رانجا «وماذا عن الفتيان الأخرين» •

« نظريا هذا أمر أشد تحريما مما هو فى حالة الفتيات ،  
وعمليا ••• تستطيع أن تتصور ما يحدث عندما يتجمع  
خمسمائة أو ستمائة صبى مراهق فى مدرسة داخلية • هل  
يحدث مثل هذا هنا؟»

« طبعا » •

« انى أتعجب » •

« تتمعجب ؟ لماذا ؟ »

• « لأن البنات لسن محرمات » •

• « ولكن نوعا من العشق لا يستبعد النوع الآخر » •

• « وكلاهما مشروع ؟ » •

• « بالطبع » •

«أذن ماكان لأحد أن يكثرث اذا شغف موروجان بصبى  
آخر يرتدى البيجاما؟»

• « اذا كانت العلاقة طيبة » •

وقالت رادا «ولكن الرانى - لسوء الحظ - قد احتاطت  
لذلك احتياطا شديدا بحيث لم يكن له أن يهتم بأحد غيرها  
وغير نفسه بطبيعة الحال » •

• « لافتية » •

« ربما يحدث ذلك اليوم ، لست أدرى • كل ما أعلمه  
أنه فى أيامنا لم يكن فى دنياه فتية • لافتية ، ولا فتيات

بالتأكيد • لم يكن فى حياته غير أمه والعادة السرية والأسياء الصاعدون • ولم تكن فى حياته سوى اسطوانات الجاز والعربات الرياضية والآراء الهتلرية بأن يكون زعيما عظيما يحول بالا الى مايسميه الدولة الحديثة» •

قال رانجا «منذ ثلاثة أسابيع كان هو والراني بالقصر فى شيفابورام • ووجها الدعوة الى جماعة منا من طلاب الجامعة لزيارة القصر والاستماع الى آراء موروجان - فى البترول والتصنيع ، والتلفزيون ، والتسليح ، والحملة الروحية» •

«وهل استطاع أن يهدى احدا الى مذهبه» ؟

وهز رانجا رأسه وقال «لماذا يستبدل اى انسان شيئا سيئا هزيلا مملا بشيء دسم جيد شائق الى أبعد الحدود ؟ اننا لسنا بحاجة الى زوارقكم السريعة او الى تلفزيونكم وحروبكم وثوراتكم ، ونهضتكم . وشعاراتكم السياسية وذلك الكلام الفسارغ الميتافيزيقى الذى يصدر عن روما وموسكو • هل لم تسمع من قبل بفكرة (ماثيونا) ؟ »

— وما تلك ؟

«وأجاب رانجا : «دعنا نبدأ من الخلفية التاريخية» • وبحذقة طالب الجامعة حينما يلقى محاضرة فى موضوعات لم يسمع بها هو نفسه الا أخيرا تدفق فى الحديث قائلا : «لقد وفدت البوذية الى بالا منذ نحو ألف ومائتى عام ، ولم تفد اليها من سيلان ، كما كان يتوقع ، ولكن من البنغال ، وعن طريق البنغال فيما بعد من التبت • وترتب على ذلك أننا



صبرنا من أتباع ماهاياما (١) ، وتتشبع بوذيتنا بمبادئ  
تانترا (٢) \* هل تعرف ماهي تانترا؟»

واضطر ويل الى أن يعترف بأنه ليس لديه عنها الا فكرة  
غامضة \*

وضحك رانجا ضحكة اخترق بها حاجز الحذقة الذي  
اصطنعه وقال : «فى الواقع أن علمى بها لايزيد عن علمك بها  
الا قليلا \* تانترا موضوع ضخم ، وأكثر مابه فى ظنى سخر  
وخرافة لاتستحق الا كتراث \* ولكنها لاتخلو فى صميمها من  
الممنى \* التانتري لاينبذ الدنيا ولا ينكر قيمتها \* لايهرب فى  
نيرفانا (١) بعيدا عن الحياة ، كما يفعل رهبان المدرسة  
الجنوبية \* كلا \* فى التانترا يقبل المرء العالم ويفيد منه ،  
وهو يفيد من كل مايصنع ومن كل مايحدث له ، ومن كل  
مايسمع ويرى ويلمس ويتذوق ، فكلها وسائل لتحريره من  
سجن نفسه» \*

وقال ويل فى نعمة معتدلة تنم عن الشك «هذا حديث  
طيب» \*

وفى اصرار قال رانجا : «وهناك أشياء أخرى غير ذلك» \*

وأضاف - وقد تحولت حذقة الشباب الى حماسة الشباب  
الذى يعتنق مذهباً حديثاً - وهذا هو الفارق بين فلسفتنا  
وفلسفتكم - فلاسفة الغرب - حتى خيارهم - ليسوا الا

---

(١) شعبة من البوذية تقول بوجود الله - المترجم

(٢) طائفة تمارس السحر - المترجم

(١) النيرفانا فى البوذية هى فناء الفرد فى الروح الأسمى - المترجم

محدثين يجيدون الحديث • أما فلاسفة الشرق فهم فى الاغلب محدثون لا يجيدون الحديث ، غير أن هذا أمر لا يهم • فالكلام ليس هو المقصود • فلسفتهم براجمية (عملية) وممكنة التطبيق • وهى شبيهة بفلسفة الفيزياء الحديثة - غير أن التطبيقات فيها نفسية والنتائج تتجاوز الطبيعة الميتافيزيقيون عندكم يصدرن أحكاما عن طبيعة الانسان والكون ، ولكنهم لا يقدمون للقارئ أية وسيلة لاختبار مدى الصدق فى هذه الاحكام • أما نحن فاذا أصدرنا أحكاما تابعناها بمجموعة من العمليات التى نستخدمها لاختبار مدى الصدق فيما نقول • خذ مثلا لذلك قولنا «أنت هكذا» وهو لب فلسفتنا • وكرر العبارة «أنت هكذا» وقال : وما أشبه ذلك بالفرض فى الميتافيزيقا • ولكن مايعنيه حقا هو التجربة النفسية ، ويصف الفلاسفة عندنا العمليات التى يمكن للمرء عن طريقها أن يعيش التجربة ، بحيث يمكن لأى فرد يرغب فى أداء العمليات اللازمة أن يختبر بنفسه صدق العبارة : (أنت هكذا) • وهذه العمليات يسمونها يوجا أو ديانا أو زن أو - فى حالات معينة خاصة - ماثيونا •

- ويؤدى بنا هذا الى سؤالى الأول ، وما هى الماثيونا ؟

- ربما كان من الافضل أن توجه هذا السؤال الى

رادا •

والتفت ويل نحو الممرضة الصغيرة وسألها «ماهى ؟»

وأجابت فى جد ورزانة «هى يوجا الحب» •

- مقدسة هى أم دنسة ؟

- لا فرق بين الأمرين •

وأضاف رانجا : هذا هو المهم \* حينما تمارس الماثيوننا،  
تجد أن الحب الدنس هو الحب المقدس \*  
وروت الفتاة نصا بالسنسكريتية \*  
— لاتعبرى بالسنسكريتية ! ماذا تعين ؟  
— ترجم ياراندا \*  
— صفة الاستنارة \*

• وأومات راندا برأسها موافقة والتفتت ثانية نحو ويل  
وقالت : المعنى أن التبوذ (أى أن تكون بوذا) موجود فى  
(يونى) \*

« فى يونى ؟ » وتذكر ويل تلك الرموز الحجرية (للانثى  
الخالدة) التى اشتراها هدايا للفتيات اللائى كن يعملن بمكتبه  
من بائع أحذب فى بنارس \* وكان يدفع ثمان أنات (عملة  
هنديّة) ثمانا (لليونى) السوداء، واثنتى عشرة للتمثال الأكبر  
قداسة وهو (يونى لنجام) \* ثم سأل «هل التبوذ فى يونى  
حرفيا أو على سبيل المجاز؟» \*

وقالت المريضة الصغيرة وقد ضحكت احدى ضحكاتها  
الصادرة من قلبها بغير تكلف والتى تعبر عن سرورها «ياله  
من سؤال مثير للضحك ! وهل تظن أننا نمارس الحب على  
سبيل المجاز؟ وكررت عبارتها السنسكريتية وقالت «ان هذا  
الضرب من التبوذ مقصود بحرفيته الكاملة المطلقة» \*

ثم سأله رانجا : هل سمعت من قبل بجماعة  
أونيدا (١) ؟

(١) جماعة دينية تدعو الى كمال الخلق تأسست فى أمريكا سنة ١٨٤٨  
وكان أفراد الجماعة يجعلون الملكية مشاعة ويمارسون الزواج المشترك  
ويعهدون برعاية الاطفال الى المجموع - المترجم

وأوما ويل برأسه ايجابا • فقد عسرف مؤرخا أمريكيا  
تخصص في مجتمعات القرن التاسع عشر ، وسأل بدوره «ولماذا  
عرفتها أنت ؟»

— لأنها ذكرت في كل الكتب التي درسناها عن تطبيق  
الفلسفة • والماثيونا أساسا هي بعينها ما أسماء جماعة أونيدا  
(عفة الذكور) وهو ما عرفه الرومانيون الكاثوليك من قبل  
وأطلقوا عليه مصطلحا لاتينيا معناه (التحفظ في الجماع) •  
وكررت الممرضة الصغيرة كلمة (التحفظ) وقالت «ان  
ذلك يثير في الضحك دائما ، شاب متحفظ !» وبدت غمازتان  
في خديها كما تلالأت أسنانها البيضاء وهي تضحك •  
وقال لها رانجا بحدة «لاتكوني سـخيفة ، نحن  
جادون » •

وعبرت عن أسفها وقالت «ولكن التحفظ في الواقع أمر  
يثير الضحك» •

واختتم الحديث ويل قائلا «هو في ايجاز تحديد النسل  
بغير استخدام موانع الحمل» •

وقال رانجا : هذه ليست الا بداية القصة • ولكن  
الماثيونا شيء آخر فوق ذلك ، شيء أكثر أهمية وفي صيغة  
التأكيد قال هذا الطالب الجامعي المتحدلق وقد واصل حديثه  
جادا تذكر النقطة التي كان فرويد يضرب على وترها دائما •  
— أي نقطة • كانت نقاطه كثيرة •

— النقطة الخاصة بالجنس عند الاطفال • ان مانولد به ،  
وما نمارسه خلال الطفولة الباكرة والمتأخرة هو شعور بالجنس

ينتشر فى الكائن العضوى كله • هذا هو الفردوس الموروث،  
ولكن الطفل يفقد هذا الفردوس كلما نما • والمائونا محاولة  
منظمة لاسترداد هذا لفردوس •

والتفت الى رادا ووجه اليها الخطاب قائلا «ذاكرتك  
جيدة • ماهى تلك العبارة التى جاءت على لسان سبينوزا والتى  
تروى فى كتاب الفلسفة التطبيقية؟»

وروت راندا «اجعل الجسم قادرا على أداء كثير من  
الاشياء • ذلك يساعدك على كمال العقل ولذلك تبلغ الحب  
العقلى لله •»

قال رانجا : ومن هنا كانت كل أنواع اليوجا بما فيها  
المائونا •

وأكدت الفتاة أنها يوجا حقيقية ، مثل يوجا راجا ويوجا  
كرما ويوجا باكتى • بل انها تفضلها كثيرا عند أكثر الناس •  
المائونا فعلا تبلغ بهم الى هناك •

وسألها ويل وأين هناك هذا ؟

– هناك هو حيث تعرف •

– أعرف ماذا ؟

قالت «تعرف من أنت فى الواقع ، أى تعرف (انك هكذا)  
وأنا هكذا ، وهذا هو أنا» وظهرت الغمازتان ثانية وأبرقت  
الاسنان ، وأشارت الى رانجا وأضافت « (وهذا أيضا هو) •  
وأشارت الى رانجا وقالت «غير معقول ، أليس كذلك» ثم  
أخرجت لسانها مشيرة اليه وقالت «ومع ذلك فهذا هو  
الواقع •»

وابتسم رانجا ، ومد يده ومس بسبايته طرف أنفها ، ثم

قال «انه ليس واقعا فحسب ، بل هو حق ملهم» - ولذلك عليك أن تلزمى الأدب آيتها الشابة» •

وقال ويل «اننى أعجب لماذا لانكون جميعا من المستنيرين - أقصد انه اذا كان الامر مجرد ممارسة الحب بطرق خاصة • ماجوابكم على هذا؟»

وبدأ رانجا يتحدث ، وقال : أقول لك •••

ولكن الفتاة قاطعتة قائلة : استمع ، استمع !

وأصغى ويل ، واستمع الى ذلك الصوت العجيب غير الانساني الذى كان أول مارحب به فى بالا آت من بعيد واضحا وان يكن خافتا • وكان الصوت يردد «انتباه ! انتباه !» •

- الطائر الملعون مرة أخرى •

- ولكن ذلك هو السر •

- انتباه ؟ انك منذ لحظة كنت تقولين انه شيء آخر • وماذا عن ذلك الشاب «المتحفظ»؟

- انما ذلك ييسر له الانتباه •

وأمن على ذلك رانجا وقال : انه فعلا ييسره له • وذلك هو سر الماثيوننا • ليست الطرق الخاصة هى التى تجعل من ممارسة الحب يوجا ، انما هو نوع الوعى الذى يجعله هذه الطرق ممكنا • الوعى بما عندك من احساسات والوعى بما فى الحس من لاحس •

- وما هو اللاحس ؟

– هو المادة الخام للحس الذى تمدنى به اللا نفس •

– وهل تستطيع أن توجه انتباهك الى اللا نفس؟

– طبعاً •

والتفت ويل الى الممرضة الصغيرة وسألها «وأنت أيضا؟»

أجابت «أوجه انتباهى الى نفسى والى لا نفسى فى آن واحد • وكذلك الى لا نفس رانجا ، والى نفس رانجا ، والى جسم رانجا ، والى جسمى وكل ما يحسه • والى كل الحب وكل الصداقة • والى لغز الشخص الآخر – ذلك الغريب تماما الذى هو النصف الآخر لنفسك ، والذى هو شبيه بلا نفسك • وفى أثناء ذلك يتنبه المرء الى كل الأشياء التى يراها المرء بعيدة عن الرومانسية ، غليظة ، بل خسيصة ، اذا كان رقيق العاطفة ، أو اذا كان – وهو أسوأ – روحانيا مثل الرانى العجوز المسكينة • غير أن هذه الأشياء ليست خسيصة لأن المرء يتنبه كذلك – اذا كان على وعى تام بها – الى أنها فى جمال كل ماعداها ، وفى روعة كل شئ سواها» •

واختتم رانجا الحديث بقوله «ماثيونا هى ديانا» وقد ظل

أن استعمال لفظة أخرى قد يفسر كل شئ •

وسأله ويل «وما هى ديانا؟»

– هى التأمل •

– التأمل •

وتذكر ويل تلك الفجوة القرنفلية التى تعلقو شارع تشارنج كروس • ولم تكن لفظة «التأمل» فى ظنه لتتناسب مع الموقف • ولكن عندما فكر فى الأمر مرة ثانية وجد أنه حتى

فى هذا الموقف كان هناك نوع من الخلاص • ولم تكن تلك اللمحات الخاطفة فى الضوء المتغير الذى يعلن عن (بورترز جين) سوى لمحات تنأى به عن احساساته الذاتية البغيضة أثناء النهار • كما كانت كذلك - لسوء الحظ - لمحات خاطفة تبعده عن بقية كيانه - تنأى به عن الحب ، وعن الذكاء ، وعن الآداب العامة ، وعن كل أنواع الوعى ماعدا الوعى بتلك النوبة التى انتابته فى الضوء الشاحب أو فى الوميض الوردى الذى كان يصدر عن أرخص الاوهام وأشدها ابتذالا • ثم أعاد النظر الى وجهه رادا المضىء • أية سعادة أحس بها ! وأى دليل قاطع لا على الخطيئة التى أصر المستر باهو على أن يجدل الدنيا آمنة من أجلها ، ولكن على نقيضها الذى يبعث على السعادة والصفاء • وجهها يهز المشاعر هزا عميقا ، ولكنه رفض أن يهتز • انه أمر لا بد أن يطاع • ولكنه غير بورة التفكير فاستطاع أن يرى الامر كله مهزلة أكيدة • ماذا عسانا فاعلون لنظفر بالخلاص ؟ الجواب هو أن نلبي نداء الطبيعة •

وايتسم لهذه الفكاهة التى تفكه بها لنفسه ، وألقى سؤالا تهكميا حيث قال «هل تعلمتم الماثيونا فى المدرسة ؟»

وأجابت رادا بواقعية بالغة محت بها كل ما بدا فى سؤاله من سخيرية كسخرية رابليه ، وقالت «نعم فى المدرسة» •

وأضاف رانجا «كل امرىء يتعلمها» •

— ومتى يبدأ التعليم ؟

— فى نفس الوقت تقريبا الذى نبدأ فيه تعليم حساب



المثلثات والمستوى الأعلى فى علم الأحياء ، أى بين الخامسة  
عشرة والخامسة عشرة والنصف •

– وبعد ما يتعلم الطالب الماثيونا ، ويخرج الى الدنيا  
ويتزوج – ان كنتم تتزوجون ؟

• وأكدت له رادا أنهم يتزوجون •

– هل يواصلون ممارستها ؟

لا يمارسها الجميع بطبيعة الحال ، ولكن يمارسها  
الكثيرون •

– فى كل الأوقات ؟

• – الا اذا أرادوا أن يكون لهم طفل •

– وماذا عمّن لا يريد أطفالاً ولكنه ربما أراد شيئاً من  
التحول عن الماثيونا – ماذا يفعل ؟

• قال رانجا باقتضاب «موانع الحمل» •

– وهل هذه الموانع ميسورة ؟

– ميسورة ! الحكومة توزعها مجاناً وبغير مقابل – الا  
بالطبع ما يدفع فى سبيلها من ضرائب •

وأضافت رادا «ان ساعى البريد يوزع على كل فرد ثلاثين  
سنة فى بداية كل شهر » •

– ولا يكون هناك أطفال ؟

– فقط من نريد منهم • وليس لأحد أكثر من ثلاثة ،  
وأكثر الناس يكتفى باثنين •

قال رانجا وقد عاد الى حذلقته وهو يدلى باحصاءات فى حديثه «وكانت النتيجة أن عدد السكان عندنا يتزايد بأقل من ثلث فى المائة كل عام ، فى حين أن نسبة الزيادة فى راندنج تبلغ مبلغها فى سيلان – نحو ثلاثة فى المائة . والنسبة فى الصين اثنان فى المائة ، وفى الهند حوالى واحد وسبعة من عشرة » .

قال ويل : كنت فى الصين منذ شهر واحد فقط . فظيعة! وفى العام الماضى قضيت أربعة أسابيع فى الهند ، وقيل الهند كنت فى أمريكا الوسطى ، ونسبة الزيادة فيها تفوق حتى رندانج اسيلان . هل قام أحدكما بزيارة رندانج لوبو ؟ . وهز رانجا رأسه ايجابا .

وأضاف قوله : اذا بلغ الطالب الصف السادس فى المرحلة العليا من التعليم يقضى ثلاثة أيام فى رندانج – وهذه الزيارة جزء من الدراسة المتقدمة فى علم الاجتماع . انهم يجعلون الطالب يرى بنفسه ما عليه العالم الخارجى .

وسأله ويل : وما رأيك فى العالم الخارجى ؟

وأجاب رانجا بسؤال آخر حيث قال : هل أطلعوك عندما كنت فى رندانج لوبو على الأحياء الفقيرة ؟

– على العكس . حاولوا جهودهم أن يخفوها عنى . ولكنى أفلت منهم .

وتذكر فى وضوح انه أفلت منهم وهو فى طريقه عائدا الى الفندق بعد حفلة الكوكتيل الرهيبة التى أقامتها وزارة الخارجية فى رندانج . كل من له أية مكانة كان هناك . كل

الأعيان وزوجاتهم - فكننت ترى الأزياء الرسمية والأوسمة ،  
ومنتجات ديور والزمرد - كل الأجانب من ذوى الأهمية  
- دبلوماسيون كثيرون ، ورجال البترول من بريطانيين  
 وأمريكان ، وستة أعضاء من البعثة التجارية اليابانية ،  
وصيدلية من ليننجراد ، ومهندسان من بولندا ، وسائح  
ألمانى هو - بالمصادفة - ابن عم كروب فون بوهلن ، ورجل  
أرمنى ملغز يمثل اتحادا ماليا هاما جدا فى طنجة ، وأربعة  
عشر تقينيا تشييكيا عليهم سسيما الانتصار جاءوا مع شحنة  
الدبابات والمدافع الكبيرة والمدافع الرشاشة التى وصلت فى  
الشهر الماضى من سكودا - وقد حدث نفسه وهو يهبط فوق  
درجات السلم الرخامية بوزارة الخارجية الى ميدان الحرية  
قائلا « هؤلاء هم القوم الذين يحكمون العالم - ان  
ألفين وتسعمائة مليون منا تحت رحمة حفنة من رجال  
السياسة ، وبضعة آلاف من أصحاب المال والقادة العسكريين  
والمرابين - أنتم سيانيد (١) الأرض - والسيانيد لايفقد أبدا  
نكهته » .

وبعد أضواء حفلة الكوكتيل ، وبعد الضحكات والرائحة  
الزكية التى تفوح من الكانايبه (٢) ومن النساء المعطرات  
بالشانيل بدت تلك الأزقة التى تقع خلف قصر العدالة الجديد  
المديث حالكة الظلام عالية الضوضاء - وظهر أولئك الفقراء  
البائسون ممسكين فى (شارع الاستقلال) تحت أشجار النخيل  
وكان الله والناس قد تخلوا عنهم بتاتا بدرجة أكبر من  
تخليهم عن تلك الألوف التى تبينت يائسة بلا مأوى الذين  
شهدهم مستلقين كالجثث فى طرقات كلكتا - ثم طاف بنخاطره

(١) مادة كيماوية - المترجم

(٢) خبز محمص مخلوط بالخبز أو الكافيار - المترجم

ذلك الولد المسفير ، ذلك الهيكل العظمى الدقيق ذو البطن المتكور الذى التقطه وهو جريح يرتعش اثر سقوطه من ظهر فتاة صغيرة تحمله وهى لا تكاد تكبره حجما - التقطه وسار خلف الفتاة حتى بلغ به الى مخزن بغير نوافذ هو بيتهما وكان يقطنه تسعة انفس (وقد عد الرؤوس المصابة بالقوباء) (١) .

وقال : اننا نبقى الأطفال احياء ، ونشفى المرضى ، ونمنع المجارى من التسرب الى الماء الذى نشربه - هكذا يبدأ الإنسان فى عمل أشياء حسنة فى حد ذاتها بصورة واضحة . ولكن كيف ينتهى الإنسان ؟ انه ينتهى بمضاعفة مقدار البؤس البشرى وتعريض المضارة للخطر . وكأنها فكاهة عملية كبرى يبدو أن الآلهة تلهو بها حقا .

وابتسم لرانجا ورائد ابتسامة عريضة تنم عن الغضب والنقد المرير .

ورد عليه رانجا قائلا : أن الآلهة لا شأن لها بهذا ، والتمكاهة ليست من عند الآلهة ، انها من صنع الإنسان وحده . ان هذه الأشياء ليست كالجاذبية أو القانون الثانى لديناميكا اشراة وليست من المحتوم أن تحدث . فهى لا تحدث الا اذا بلغ بالناس الغباء أن يسمحوا لها بالحدوث . ونحن هنا فى بالا لم نسمح لها بالحدوث ، ولذلك فان الفكاهة لا تنطبق علينا . المرافق الصحية عندنا جيدة طوال ما يقرب من قرن من الزمان - ولازلنا خفيفى الزحام ، ولسنا من البائسين . ولا نخضع لدكتاتورية . والسبب فى ذلك بسيط جدا : فقد اخترنا أن نتصرف بطريقة واقعية معقولة .

---

(١) داء فى الجسد يتقشر منه الجلد وينجرد منه الشعر - المترجم

وسأله ويل : وكيف تسنى لكم أن تختاروا ؟

قال رانجا : القوم الصحاح كانوا أذكىاء فى الوقت الصحيح . ولكن يجب الاعتراف كذلك بأنهم كانوا محظوظين . والواقع أن بالا بوجه عام كانت محظوظة بصورة غير عادية . فقد حالفها الحظ - أولا - بأنها لم تكن مستعمرة لأى أحد . أما رندانج فلها ميناء عظيمة جلبت لها الغزو العربى فى العصور الوسطى . أما نحن فليست عندنا ميناء لذلك تركنا العرب وشأننا ، ومازلنا بوذيين أو شيفيين (١) - هذا اذا لم نكن من أتباع مذهب تانثرا اللا أدريين .

وسأله ويل : وهل أنت من هؤلاء - من أتباع مذهب تانثرا اللا أدريين ؟

وعلق على ذلك رانجا بقوله : بعد تهذيب المذهب ببعض مبادئ ماهايانا (٢) . ولنمد الى رندانج بعد العرب غزاهو البرتغاليون . أما نحن فقد نجونا . لا ميناء ولا برتغاليين ومن ثم لم تكن لدينا قلة كاثوليكية ، ولا هراء الكفار الذين يقولون انها ارادة الله أن يتكاثر الناس حتى يسبحوا فى حالة من البؤس دون مستوى الانسانية ، ولم نقاوم تحديد النسل بطريقة منظمة . وليس ذلك وحده مانعنا به : فبعد مائة وعشرين عاما من احتلال البرتغاليين جاء الهولنديون الى سيلان ورندانج . وبعد الهولنديين جاء الانجليز . ونجونا من هذين الوباءين . فلا هولانديين ولا انجليز . ولذلك لم نعرف كبار المزارعين ، ولا مشقة العمال ، ولا بيع المحصولات

(١) شفيا اله هندوكى مدمر - المترجم .

(٢) طائفة بوذية تقول بان الحب هو قلب الوجود ، وهو أكثر واتعية

من العالم المادى - المترجم .

لتصديرها للخارج ، ولا استنزاف التربة بطريقة نظامية ،  
كما لم نعرف الويسكى ، ومذهب كالفن ، ولا مرض الزهري ،  
ولا الأديبين الأجانب . تركنا وشأننا لنتحمل مسئولية  
أعمالنا .

— بالتأكيد كنتم محظوظين .

وواصل رانجا حديثه قائلا : وفوق هذا الحظ المذهل  
كانت ادارة موروجان المصلح ، وهى ادارة جيدة مذهلة ،  
وكذلك وجود اندرو ماك فيل . هل حدثك الدكتور روبرت  
عن جده الأكبر ؟

— قليلا .

— هل حدثك عن تأسيس محطة التجارب ؟

وهز ويل رأسه .

قال رانجا : محطة التجارب لها دخل كبير فى سياستنا  
السكانية . وكانت بداية كل شىء مجاعة . وقد قضى الدكتور  
أندرو قبل قدومه الى بالا بضع سنوات فى مدراس . وفى  
السنة الثانية من اقامته هناك لم تهب الرياح الموسمية ،  
فاحتقرت المحاصيل ، وجفت الأحواض بل والآبار . ولم  
يتوافر الطعام الا للانجليز والاغنياء . ومات الناس كما يموت  
الذباب . وفى مذكرات الدكتور أندرو فقرة مشهورة عن  
المجاعة - وصف لها وتعليق عليها . وكان قد استمع الى كثير  
من المواعظ حينما كان صبيا ، ومن هذه المواعظ موعظة كانت  
عالقة بذهنه وهو يعمل بين الهنود الجائعين . وتلك هى «ليس  
بالخبز وحده يعيش الانسان» — هذا نصها . وقد بلغ الواعظ  
من الفصاحة ما حمل الكثيرين الى اعتناق مذهبه . «ليس بالخبز

وحده يعيش الانسان» . ولكنه رأى حينئذ أنه بغير الخبز  
لا عقل ولا روح ولا ضياء باطنيا ولا الآب فى السماء . ليس  
هناك الا الجوع ، واليأس ، ثم اللامبالاه وأخيرا الموت» .

قال ويل : وهذه فكاهة كونية أخرى : «من عنده يعطى ،  
ومن ليس عنده يؤخذ منه حتى مايملك» - أى مجرد احتمال  
أن يكون انسانا . وهذه أشد الفكاهات قسوة ، وأكثرها  
شيوعا . ولقد رأيت ملايين الرجال والنساء يتأثرون بها ،  
وملايين من الاطفال - فى كل أرجاء العالم .

ولذلك تستطيع أن تدرك لماذا تركت المجاعة فى ذهن  
الدكتور أندرو هذا الأثر الذى لايمحى . فاعتزم كما اعتزم  
صديقه الراجا أن يتوافر فى بالا الخبز على الأقل . ومن ثم  
كان قرارهما بإنشاء محطة التجارب . وكانت روثامستد فى  
المنطقة الاستوائية ناجحة نجاحا عظيما . فبعد بضع سنوات  
كانت عندنا أنواع جديدة من الأرز والذرة والدخن وثمره  
الخبز ، وفصائل أفضل من الماشية والدجاج ، ووسائل أفضل  
للفلاحة والمركبات . وفى الخمسينات أنشأنا أول مصنع  
للفوسفات الممتاز شرقى برلين . وبفضل كل ذلك تحسنت  
التغذية ، وطالت الأعمار ، وقلت وفيات الاطفال . وبعد  
عشر سنوات من تأسيس محطة روثامستد الاستوائية أجرى  
الراجا تعدادا للسكان . وكان عدد السكان من قبل ثابتا الى  
حد كبير لمدة قرن ، أما الآن فقد بدأ يتزايد . وتنبأ الدكتور  
أندرو أن بالا سوف تتحول الى نوع من أحياء الفقراء الفاسدة  
شبيهة بما عليه رندانج اليوم . فماذا كان يمكن عمله ؟ وكان  
الدكتور أندرو على علم بماالتس . «انتاج الطعام يتزايد  
بمتوالية عددية ، أما السكان فيتزايدون بمتوالية هندسية» .

وليس أمام الانسان الا أحد أمرين : اما أن يترك الأمر للطبيعة التي تحل مشكلة السكان بالطريقة المعروفة القديمة، بالمجاعات والأوبئة والحروب ، واما يحد من عدده بالكبت الذى لايتنافى وقواعد الأخلاق (وقد كان مالتس من رجال الدين) .

وكررت الممرضة الصغيرة هذه العبارة ، الكبت الذى لايتنافى وقواعد الأخلاق ، ونطقت العبارة باللهجة الاندونيسية التي تحاكي بها فى سخرية ماقال به هذا الرجل الاسكتلندى المتدين . وأضافت «بهذه المناسبة هل تعلم أن الدكتور أندرو تزوج من عهد قريب بابنة أخ الراجا التي تبلغ من العمر ستة عشر عاما؟»

وقال رانجا : ولقد كان ذلك سببا آخر فى مراجعة نظرية مالتس . اما المجاعة واما الكبت كما قال . لايد أن تكون هناك طريقة أفضل وأسعد وأكثر انسانية ، هي وسط بين طرفى مالتس . وبالطبع كانت هناك مثل هذه الطريقة حتى فى عهد مالتس ، حتى قبل عهد الموانع الحديدية لواد البذور المنوية . كان هناك الاسفنج والصابون والغلاف المانع المصنوع من كل ماعرف من مواد غير مسامية ، من الحرير الناعم الى أحشاء الأغنام المصمتة . كل الدروع التي تضبط النسل على طريقة بالا .

— وكيف استجاب الراجا ورعاياه لهذه الطريقة ؟  
بالفزع ؟

« أبدا . فهم بوذيون مخلصون ، وكل بوذى مخلص يعلم أن الانسان ليس الا وادا مؤجلا . وعلى المرء أن يبذل قصارى



جهده لكي يعتمد عن عملية الميلاد والموت ، ومن الخير ألا تسترسل في وضع ضحايا في هذه العجلة من غير داع • ضبط النسل عند البوذي له معنى ميتافيزيقي • وله مغزى اجتماعي واقتصادي لمجتمع القرية الذي يزرع الأرض • ولا بد أن يتوافر عدد من الشباب للعمل في الحقول ولكي يعولوا المسنين والصغار • على ألا يزيد عددهم عن المطلوب ، لان ذلك لو حدث لما توافر الغذاء للمسنين ولا للعمال ولا لاطفالهم • كان الزوجان في الماضي ينجبان ستة أطفال لكي يبقى منهم اثنان أو ثلاثة • ثم توافر الماء النقي ووجدت محطة التجارب • فأمكن أن يبقى خمسة من الاطفال الستة • وأمست الانماط القديمة للتكاثر بغير معنى • ولعل الاعتراض الوحيد على تحديد النسل بطريقة أهل بالا هو سذاجتها • ولكن لحسن الحظ كان هناك لها بديل أفضل منها • فلقد كان الراجا ممن يمتنقون مذهب تانترا فتعلم يوجا الحب • وعلم الدكتور أندرو بماثيونا ، ولما كان من رجال العلم المخلصين وافق على تجربتها ، وتلقى هو وزوجته التعليمات اللازمة •

— وماذا كانت النتائج ؟

— الموافقة عليها بحماسة •

وقالت رادا : وهذا هو احساس الناس جميعا بها •

— دعينا من هذه التعميمات الكاسحة ! هناك من يحس هذا الاحساس ، وهناك من لا يحسه • ولقد كان الدكتور أندرو من المتحمسين • ونوقش هذا الموضوع باستفاضة • وفي النهاية قرروا أن موانع الحمل — يجب أن تكون كالتربية — مجانية ، تدعمها الضرائب • تشمل كل فرد بقدر

الامكان وان تكن غير الزامية . ولاولئك الذين أحسوا الحاجة الى شيء أكثر تهديبا تعليمات خاصة بشأن يوجا الحب .  
- هل تقصد أن تقول انهم تعلموها ولم يصيهم أذى ؟

- انها لم تكن فى الواقع شاقة جدا . وكانت الماثيونا عقيدة معتمدة ، ولم يطلب الى أحد أن يقترب منكرا يخالف الدين . بل على العكس من ذلك كانت لهم فى ذلك فرصة مواتية لكى يلتحقوا بالنخبة الممتازة اذا هم تعلموا أسرارها .

وقاطعته الممرضة الصغيرة قائلة «ولاتنس أهم نقطة فى الموضوع . ان يوجا الحب بالنسبة للنساء ، كل النساء - ولست أعبا بما ذكرت عن التعميمات الكاسحة - تعنى الكمال ، تعنى التحول والخروج من أنفسهن للتمام» . وكانت فترة من الصمت ، أعقبته بمواصلة الحديث بنغمة أكثر خفة وذلك حين قالت «والآن حان الوقت لكى نتركك لراحتك بعد الظهر» .

وقال ويل «أود - قبل أن تنصرفى - ان أحرر خطابا ، مذكرة مختصرة لرئيسى أخبره فيها أننى على قيد الحياة ولست فى خطر مباشر من التهام المواطنين هنا لى» .

وذهبت رادا الى مكتب الدكتور روبرت تبحت فيه عن ورق وقلم وظرف وعادت بها .

وبخط غير مستقيم كتب ويل «وأخيرا انتصرت . تحطمت بى السفينة ، وقابلت الرانى ومعاونها من رندانج الذى أفضى الى أنه يستطيع أن يسلم البضاعة اذا نفحته (بقشيشا) على

خدمته (وكان محدد الطلب) فطالب بعشرين ألف جنيه . فهل  
أفوض على هذا الأساس ؟ اذا أبرقتنى (موافق على الاتفاق  
المقترح) واصلت السعى . أما اذا أبرقتنى (لا داعى للتعجل  
فى الاتفاق) أسقطت الأمر من حسابى . أخبر أمى أننى فى  
أمان وسوف أكتب اليها قريبا» .

وناول رانجا الظرف مغلقا ومعنونا وقال له «اليك هذا  
وهل لى أن أرجوك لتشتري لى طابعا وتلقى هذا الخطاب فى  
البريد فى وقت يسمح بإرساله فى طائرة الغد؟»

ووعده الفتى قائلا «بغير تأخير» .

وانطلقا ، وأحس ويل بوخز فى ضميره . يالهما من  
شاب وشابة فاتنين ! ومع ذلك فهو يتأمر مع باهو ومع قوى  
التاريخ ليقلب دنياهم . وواسى نفسه بأنه اذا لم يفعل ما هو  
بصدده فان شخصا آخر سوف يفعل . وحتى اذا ما ظفر جو  
الديهيد بالامتياز فسوف يستمران فى ممارسة الحب بالطريقة  
التي ألفاها ، أم هل هذا مستحيل ؟ .

وما أن بلغت الممرضة الصغيرة باب الغرفة حتى التفتت  
وراءها لتتفوه بكلمة نهائية وأشارت باصبعها اليه وقالت  
له «كف عن القراءة وانصرف الى النوم» وأكد لها ويل باقتناع  
عنيده أحقق أنه لاينام أثناء النهار .

انه لا يستطيع أن ينام أثناء النهار ، ولكنه عندما نظر بعد ذلك الى ساعته وجد انها بلغت خمسا وعشرين دقيقة بعد الرابعة وكان منتعشا بدرجة مذهلة . فعاد الى كتاب «مذكرات عن حقيقة كل شيء» وواصل قراءته التي كان قد انقطع عنها .

اللهم هبنا اليوم ايماننا ، واحمنا يارب من العقيدة .  
الى هذه العبارة كان قد وصل في هذا الصباح ، والآن الى جزء جديد ، الخامس :

أنا كما أظن نفسى وأنا كما أنا فى الحقيقة - وبعبارة أخرى الحزن ونهاية الحزن . ان ثلث كل الاحزان تقريبا التى لا بد للشخص الذى أظن أننى هو من تحملها لا مفر منها . ذلك هو الحزن الكامن فى الظروف البشرية ، هو الثمن الذى ينبغى أن ندفعه لقاء كوننا أصحاب حس رقيق وكائنات واعية بنفسها ، متطلعين الى التحرر ولكن خاضعين لقوانين الطبيعة ولأوامر ترغمننا على أن نواصل المسير خلال الزمان الذى لا يمكن أن يعود وخلال عالم لا يبالي البتة بسعادتنا ، نحو عجز الشيخوخة والموت الأكيد . أما الثلثان الباقيان من جميع الاحزان فهى من صنع أيدينا ، وهى - فيما يخص العالم - لا لزوم لها .

وقلب ويل صفحة الكتاب . وسقطت على سريره ورقة ،

فالتقطها وألقى عليها نظرة ، فاذا بها تحتوى على عشرين  
سطرا كتبت بخط صغير واضح وذيلت بهذين الحرفين (س \* م \* )  
أنها قطعاً ليست خطاباً \* هي قصيدة ومن ثم فهي ملك  
مشاع ، وقرأ مايلي :

فى مكان ما بين الصمت الموحش  
والألوف المؤلفة من مواعظ الأحد الماضى ،  
فى مكان ما بين كنيسة كالفن (اللهم احفظنا)  
وشبه جزيرة ليزارد (١)  
فى مكان ما بين الرؤيا والحديث  
فى مكان ما بين مايجرى على الألسن  
من لفظ ملطخ وملوث  
والنجم الأول  
حيث ترفرف الفراشات الكبيرة حول أشباح الزهور ،  
يقع مكان واضح حيث أنا  
- ولم أعد أنا -  
برغم ذلك أذكر  
حكمة ليل طويل من الحب  
على الجانب الآخر ،  
وأذكر كذلك  
وأنا أصغى الى الريح  
تلك الليلة الأخرى

---

(١) شبه جزيرة فى كورنوال بانجلترا - المترجم

الأولى بعد الترمل  
والنوم يجافى الجفنين  
والموت الى جوارى فى الظلام -  
كل ذلك لى ، وأين منه الفرار !  
ولكن أنا  
- ولم أعد أنا -  
فى هذا المكان الصافى  
بين فكرى وصمتى  
أرى كل ماكان لى وضاع منى  
الآلام والمسرات  
وهى تتوهج كزهر الجنطيانا  
وسط أعشاب الالب  
زرقاء اللون صافية متفتحة

وبين نفسه ونفسه كرر ويل هاتين اللفظتين «زهر  
الجنطيانا» ، وذكر تلك العطلة الصيفية التى قضاها فى  
سويسرة وهو فى الثانية عشرة ، وذكر المراعى المرتفعة فوق  
جريندلوالد وزهورها الغريبة ، وفراشاتها التى لاتشبه  
الفراشات الانجليزية ، وذكر السماء الزرقاء الداكنة وضوء  
الشمس والجبال الشامخة المضيئة على الجانب الآخر من الوادى .  
وكل ما عن لأبيه أن يقول هو انها أشبه ما تكون باعلان عن  
شكولاتة نسلة المخلوطة باللبن - وأصر وقد بدت عليه امارات  
الاشمئزاز على أنها «ليست شكولاتة حقيقية ، بل شكلاته  
باللبن» . وعقب ذلك تعليق تهكمى على الصورة التى كانت

ترسمها أمه بالألوان المائية - صورة سيئة (ويالها من مسكينة)  
ولكنها ترسم بعناية العاشق صاحب الضمير الحى . «اعلان  
الشكلاته باللبن الذى لفظته نسلة» . ثم كان دوره : «بدلا  
من أن تنفق وقتك حالما متجولا هنا وهناك بضم مفتوح  
كالقروى المعتوه لماذا لاتعمل شيئا فيه ذكاء على سبيل التغيير؟  
راجع قواعد اللغة الالمانية مثلا» . ومد يده فى حقيبته وأخرج  
من بين البيض المسلوق جيدا والسندويتشات ذلك الكتاب  
الصغير البنى المقيت . ياله من رجل بغيض ! ومع ذلك - ان  
صح ماتقول سوزيلا - يجب أن أكون قادرا الآن بعد كل هذه  
السنين على أن أراه متألقا كزهر الجنطيانا - ثم ألقى ويل  
نظرة أخرى على آخر سطر من سطور القصيدة :

« زرقاء اللون صافية متفتحة »

وسمع صوتا يألفه يقول «ثم ماذا . . .»

والتفت نحو الباب ، وقال «تكلمى عن الشيطان . أو على  
الأصح اقرأى ماكتب الشيطان» . ورفع الورقة الى أعلى لكى  
تطالعها .

وألقت عليها سوزيلا نظرة وقالت «تقصد هذا . وهل  
تكفى النوايا الطيبة لتبدع شعرا طيبا !» وتنهدت وهزت  
رأسها .

واستمر فى حديثه قائلا « كنت أحاول أن أرى والدى  
كزهر الجنطيانا . غير أن كل ماحصلت عليه صورة ملحة  
لروث مريع» .

وأكدت له أن الروث يمكن أن يرى كالجنطيانا .

– لا يكون ذلك فى ظنى الا فى المكان الذى كنت تكتبين  
عنه – ذلك المكان الصافى الذى يقع بين الفكر والصمت ؟  
• وأومات سوزيلا برأسها موافقة •  
– كيف تبلغين هذا المكان ؟  
– انك لاتبلغه ، انما هو يأتى اليك • أو على الأصح  
«هناك» هو فى الواقع «هنا» •  
وشكا لها بقوله : ما أشبهك برادا الصغيرة • ترددتين  
كالبغباء مايقول راجا العجوز فى مستهل هذا الكتاب •  
قالت : اذا كنا نرده فلأنه حق ، واذا نحن لم نرده كنا  
منكرين للواقع •  
وسألها : أى واقع ، انه بالتأكيد ليس واقعى •  
ووافقته قائلة له : ليس واقعك فى الوقت الحاضر ، ولكن  
ان أنت فعلت الأشياء التى يوصى بها راجا العجوز ربما صار  
واقعك •  
وبعد صمت قليل سألتها : هل كانت لك مشكلات مع  
والديك ؟ أم هل كنت دائما ترين الغائط كزهر الجنطيانا ؟  
أجابت : ليس فى هذه السن • لابد أن يكون الاطفال  
مثنويين مانويين • ذلك هو الثمن الذى يجب أن ندفعه جميعا  
لكى نتعلم مبادئ انسانيتنا • اما أن يرى المرء غائطا وكأنه  
زهر الجنطيانا ، أو بالأحرى يرى الغائط والجنطيانا على حد  
سواء كأنهما «جنطيانا» فذلك أمر لايتحقق الا بعد التخرج  
من الجامعة •  
– ماذا اذن فعلت بأبويك ؟ تكثيرين وتحتملين مالايحتمل ؟  
أم هل كان أبوك وأمك يهتملان ؟



أجابت : كل منهما محتمل على حده وبخاصة والدى ،  
ولكنهما معا لا احتمالان – لأن كليهما لا يحتمل الآخر • امرأة  
صاخبة مرحة منطلقة تزوجت من رجل منطو على نفسه شديد  
الحساسية يجدها مثيرة لاعصابه دائما – خاصة – كما أظن –  
فى الفراش • انها لم تكف عن الاتصال به ، فى حين أنه لم  
يكن البادئ قط • حتى كانت فى عينه ضحلة غير مخلصه له ،  
وكان فى عينها بلا قلب ، محقرا من شأنها يفترق الى المشاعر  
الانسانية الطبيعية •

– كنت أحسب أنكم هنا أكثر حصافة من أن تقعوا فى  
هذا الفخ •

وأكدت له أنهم فعلا أكثر حصافة «فنحن نعلم البنين  
والبنات بصفة خاصة ماذا يتوقعون من الناس الذين يختلفون  
عنهم فى التكوين البدنى وفى المزاج ، ولكن يحدث أحيانا  
– لسوء الحظ – أن الدروس لا يكون لها تأثير كبير فيما يبدو •  
وليس هناك ما يدعونى الى أن أذكر أن البعد السيكولوجى بين  
فرد وآخر يكون فى بعض الحالات أكبر من أن يسمح بالاتصال •  
على أية حال الواقع أن أبى وأمى لم يكونا على اتفاق • والله  
وحده يعلم كيف وقعا فى حب متبادل • ولما اشتد التقارب  
بينهما وجدت أمى فى تزمته ايداء لها ، فى حين أن حبها  
الشديد للزمالة بغير حواجز جعله ينكمش فى حيرة من أمره  
وفى نفور • وكنت دائما أتعاطف مع أبى • فأنا شبيهة به فى  
مزاجى وفى تكوينى البدنى • ولست البتة على شبه بأمى •  
وأذكر – حتى وأنا فى نعومة أظفارى – كيف كنت أتحاشى  
مرحها الشديد ، وقد كانت تعتدى دائما على عزلتى •  
وما زالت» •

– هل ترينها كثيرا ؟

– قلما أفعل ذلك . لها عملها الخاص وأصدقائها  
الخاصون . الأم ، في دنيانا اسم لوظيفة بكل معنى الكلمة .  
وبعد ما تؤدي الوظيفة تماما يسقط هذا اللقب . ويبدأ نوع  
جديد من العلاقة بين الطفل السابق والمرأة التي كانت تدعى  
«أما» . فان كانا على اتفاق يستمر بينهما التلاقي في كثير  
من الأحيان . أما ان كانا على غير اتفاق فانهما يفترقان .  
ولا ينتظر منهما أحد أن يتعلق أحدهما بالآخر ، وليس هذا  
التعلق مرادفا للمحبة – ولا ينظر اليه كأمر جدير بالتقدير  
بصفة خاصة .

– ولذلك فالأمور كلها الآن على مايرام ، ولكن كيف  
كانت الامور حينذاك ؟ ماذا حدث عندما كنت طفلة تتعرعرعين  
بين شخصين لم يمكن سد الفجوة التي كانت تفصل بينهما ؟  
أنا أعرف ماذا يعني ذلك – أعرف أنه يقلب ما تعودنا أن  
نختتم به القصص الخيالية ، ويجعل النهاية « وهكذا عاشا  
بعد ذلك بغير ثبات ولبير نبات » .

قالت «وزيلا : وأنا على يقين أننا اذا لم نكن قد ولدنا  
في بالا . لعشنا بعد ذلك ، بغير ثبات وغير نبات ، وعلى أية  
حال – اذا أخذنا في اعتبارنا كل الاظروف – استطعنا أن  
نسير معا سيرا طيبا بدرجة ملحوظة .

– وكيف تسنى لكم ذلك ؟

– لم نفعله بأنفسنا ، بل فعله لنا غيرنا . هل قرأت ماقال  
راجا العجوز عن التخلص من ثلثي الاحزان التي نصنعها  
بأيدينا بغير مبرر ؟

وأوما ويل برأسه ايجابا وقال : كنت أقرؤه عندما  
قدمت .

وواصلت حديثها قائلة : فى الأيام السيئة السالفة كانت  
الأسر فى بالا مثلما هى عندكم اليوم مضحية بأفرادها ، ظالمة ،  
داعية للكذب . ولقد بلغت من السوء ما حدا بالدكتور أندرو  
وراجا المصلح أن يقررا ضرورة اعادة النظر فيها . واستغلا  
الإخلاق البوذية والشيوعية البدائية فى القرية لخدمة الأهداف  
المعقولة . وعلى مدى جيل واحد تغير نظام الاسرة كله من  
أساسه . وترددت لحظة ثم واصلت الحديث « ولأوضح لك  
ما أعنى فى حدود حالتى الخاصة - طفلة وحيدة لشخصين لم  
يكن بينهما تفاهم وكانا دائما على خلاف فى الاهداف أو فى  
شجار فعلى . فى الأيام الخوالي كانت الفتاة الصغيرة التى تنشأ  
فى مثل هذه الظروف تنتهى اما الى الهلاك ، واما الى التمرد ،  
واما الى الاستسلام للنفاق من أجل الالتزام بالتقاليد . أما  
فى ظل النظام الجديد فلم يكن لزاما على أن أتحمل عناء  
لا ضرورة له . فلم أتطم ولم أضطر الى التمرد أو  
الاستسلام للنفاق من أجل الالتزام بالتقاليد . أما فى ظل  
النظام الجديد فلم يكن لزاما على أن أتحمل عناء لا ضرورة  
له . فلم أتطم ولم أضطر الى التمرد أو الاستسلام . لماذا ؟  
لانه منذ اللحظة التى استطعت فيها أن أمشى كانت لى حرية  
الهروب » .

وكرر قوله : الهروب ؟ الهروب ؟ هذا أمر حسن جدا  
يدرجة لاتصدق .

وشرحت له كيف أن «الهروب» من صلب النظام الجديد .  
إذا صار (بيت الابوين ، البيت الحلو) كما يقولون غير محتمل،

يسمح للطفل ، بل يشجع على الهجرة الى بيت من بيوته  
الاخري ، ووراء هذا التشجيع ثقل الرأى العام كله » •

– وكم بيتا للطفل فى بالا ؟

– نحو عشرين فى المتوسط •

– عشرون ! يا الهى !

ووضحت له سوزيلا ذلك بقولها : كلنا ننتمى الى ناد من  
نوادى التبني المتبادل (ويختصر هكذا : ن . ت . م . ) • وكل ناد  
من هذه النوادى يتألف من نحو خمسة عشر الى خمسة وعشرين  
زوجا مختلطا • العرائس والمرسان المنتخبون حديثا ،  
والقدامى أصحاب الاطفال الكبار ، والاجداد وآباء الاجداد –  
كل فرد فى النادى يتبنى كل فرد آخر • لكل منا بخلاف أقربائه  
بصلة الرحم عدد معين من نائبات الامهات ونواب الآباء ،  
ونائبات العمات والاعمام ، ونواب الاخوة والاخوات ،  
ونائبات العمات والاعمام ، ونواب الاخوة والاخوات ،  
ونواب صغار الاطفال والاطفال الذين هم فى مرحلة المشى  
والابناء المراهقون •

وهز ويل رأسه : ذلك ينمى عشرين أسرة بعد ما كانت  
أسرة واحدة هى التى تنمو •

ولكن ماكان ينمو من قبل هو نوع الأسرة عندكم • أما  
العشرون فكلها نوع الأسرة عندنا • ثم قالت وكأنها تقرأ  
تعليمات فى كتاب للطهو «خذ عبدا مأجورا عاجزا عجزا  
جنسيا ، وأنثى ساخطة ، واثنين (وان شئت) ثلاثة من صغار  
مدمنى التلفزيون ، وانقع ذلك فى مخلوط من مذهب فرويد  
والمسيحية المخففة ، واحفظ كل ذلك فى زجاجة محكمة الغلق  
فى شقة ذات أربع غرف • ودعه يطهى ببطء فى عصيره

لخمسة عشر عاما . أما طريقة طهونا فمختلفة تماما : خذ  
عشرين زوجا راضين جنسيا وذريتهم ، وأضف اليهم العلم  
والبداهة والفكاهة بكميات متساوية . واغمس ذلك فى بوزية  
تانترية ، ودع ذلك يغلى بببطء الى ما نهاية فى وعاء مكشوف  
فى الهواء الطلق فوق لهب فوار من المحبة .

وسألها : وماذا يخرج من الوعاء المكشوف ؟

— نوع من الأسرة مختلف تماما . ليس مانعا كالأسرة  
عندكم ، وليس مقدرا ولا ملزما . هى أسرة جامعة ، ليست  
مقدرة ، وهى اختيارية . عشرون زوجا من الآباء والامهات ،  
وثمانية أو تسعة من الآباء السابقين والامهات السابقت  
وأربعون أو خمسون طفلا منوعا من جميع الأعمار .

— وهل يبقى الناس فى ناد واحد للتبنى طوال  
حياتهم ؟

— كلا بالطبع . الاطفال الكبار لا يختارون آباءهم أو  
اخوتهم أو أخواتهم الخاصين بهم . بل ينطلقون ليختاروا  
مجموعة أخرى ممن يكبرونهم ، ثلثة أخرى من زملائهم ومن  
يصغرونهم . ويتبناهم هذا النادى الجديد كما يتبنى — عندما  
يحين الوقت — أبناءهم . علماء الاجتماع عندنا يسمون هذه  
العملية تهجين صغار الاحياء . وهى فى مجالها نافعة كتهجين  
الفصائل المختلفة من الذرة أو الدجاج . علاقات أصح فى  
جماعات أكثر مسئولية ، وتعاطف أوسع وتفاهم أعمق .  
وهذا التعاطف والتفاهم متاح لكل فرد فى (ن . ت . م .) من  
الاطفال الرضع الى من يجاوزون المائة عام .

— يجاوزون المائة عام ؟ ما مدى طول العمر عندكم ؟

أجابت : انه يطول عاما أو عامين أكثر منه عندكم .  
عشرة في المائة منا فوق خمسة وستين . والكبار يتقاضون  
معاشا اذا عجزوا عن الكسب . ولكن المعاش بطبيعة الحال  
لايكفى ، فهم يحتاجون الى شيء نافع ويبيعت على التحدى ،  
وهم يحتاجون الى أناس يعنون بهم ويجدون منهم المحبة لقاء  
هذه العناية ، ون . ت . م . يلبى هذه الحاجات .

قال ويل : هذا كلام أرتاب في مماثلته للدعاية التي  
نسمعها عن أحد المجتمعات (الكميون) الصغيرة الجديدة .

وأكدت له قائلة : ما أبعد التشابه بين ن . ت . م  
والكميون . فالنادى (ن . ت . م) لاتديره الحكومة ، وانما  
يديره أفراده . ونحن لسنا عسكريين ، ولا يهمننا تخريج  
أعضاء ملائمين للحزب . انما يعيننا أن نخرج كائنات بشرية  
جيدة . ونحن لانغرس فى الاذهان تعاليم خاصة . ثم اننا  
لانبعد الاطفال عن آبائهم . بل على العكس من ذلك نعطيهم  
آباء اضافيين كما نعطي الآباء أطفالا اضافيين . ومعنى ذلك  
أننا حتى فى دار الحضانة نتمتع بدرجة معينة من الحرية ،  
وتزداد هذه الحرية كلما نما الفرد وبات بوسعه أن يتعامل  
مع مجال فى الخبرة أكثر اتساعا وأن يتحمل مسئوليات  
أضخم . فى حين أنك لاتجد فى الصين حرية بتاتا . الاطفال  
يعهد بهم الى مروضى أطفال رسميين ، من واجبهم أن يحولوهم  
الى خدام مطيعين للدولة . والامور أفضل من ذلك بكثير فى  
عالمكم ، ولكنها مع ذلك سيئة . أنتم لاتخضعون لمروضى  
الاطفال المعينين من قبل الدولة ، ولكن مجتمعكم يحكم عليكم  
بقضاء الطفولة فى أسرة مائعة ، بها مجموعة واحدة من

الأقارب ومجموعة واحدة من الآباء • وهذه المجموعات مفروضة عليكم فرضاً بقدر وراثي • لا يستطيع الفرد منكم أن يضر منها ، أو أن يستأجر ، أو أن يذهب الى آخرين على سبيل تغيير المناخ المعنوي والسيكولوجي • وقد تسمونها حرية ، ولكنها كالحرية في كشك التلفون •

وتوسع ويل في الفكرة وأخذ يروى (وهو يتصور حياته الماضية) فقال : الفرد محبوس مع شخص متمنر ساخر ، وشخص مسيحي مضح بحياته ، وفتاة صغيرة أدخل المتمنر الرعب في نفسها وهددها الشهيد بمناشدته مشاعرها الطيبة حتى أصيبت بالبلاهة المهتزة • هذا هو البيت الذي لم أفر منه حتى بلغت الرابعة عشرة وجاءت عمتي ماري لتسكن الى جوارنا •

– وأبواك البائسان لم يفراقك منك •

– لم يكن الأمر كذلك • فلقد وجد والدي في الخمر مهرباً ووجدته أمي في الكنيسة الانجليزية • وكان لا يد أن انفذ الحكم الخاص بي دون اى تخفيف • اربعة عشر عاماً من العبودية العائلية • كم احسبك ! انك حرة كالطائر !

– ليس الى هذا الحد الشعري ! إنما كنت حرة ككائن بشري نام – حرة كشخص مستقبلي أن يكون امرأة – ولم تتجاوز حرיתי ذلك • التبنى المتبادل يكفل للأطفال الحماية من الظلم ومن أسوأ عواقب عدم الكفاءة الأبوية ، ولكن لا يكفل لهم الحماية من النظام او من ضرورة قبول المسؤوليات • بل – على النقيض من ذلك – انه يضاعف من مسؤولياتهم ، ويعرضهم لضروب مختلفة من النظام • فى عائلاتكم المقدره

عليكم ، المانعة ، يقضى الاطفال - كما قلت - فترة طويلة  
من الحبس تحت رقابة مجموعة واحدة من السجنائين الابويين .  
وقد يكون هؤلاء السجنائون الابويون طيبين عاقلين وأذكياء .  
فى هذه الحالة يخرج صفار المساجين بغير أذى الى حب كبير .  
غير أن الواقع أن أكثر السجنائين الابويين عندكم ليسوا طيبين  
أو عاقلين أو أذكياء بدرجة ملحوظة . وقد يكونون ذوى  
نية طيبة ولكنهم أغبياء ، أو ذوى نية سيئة وعلى طيش ، أو  
عصبيين ، أو أحيانا أشرارا تماما ، أو مجانين صراحة . كان  
الله فى عون المحكوم عليهم الذين يقضى عليهم القانون  
والعرف والدين بأن يكونوا تحت رحمتهم ! ولكن انظر الى  
ما يحدث فى الاسرة الكبيرة الجامعة المختارة . ليس بها أكشاك  
تلفونية ، ولا سجانون مقدررون . هنا ينمو الاطفال فى عالم  
يعد نموذجا عمليا للمجتمع العام ، عالم هو صورة مصغرة  
ولكنها دقيقة للبيئة التى سوف يعيشون فيها وهم كبار .  
(الصحة) و (الكمال) و (القداسة) هذه الكلمات الثلاث  
بالانجليزية من أصل لغوى واحد وتدل على درجات مختلفة  
من معنى واحد . العائلة عندنا - العائلة الجامعة المختارة -  
هى العائلة المقدسة حقا كما يدل على ذلك الاصل اللغوى  
وكما هى فى الواقع . أما العائلة عندكم فهى العائلة غير  
المقدسة .

قال ويل «أمين» واستعاد فى ذهنه مرة أخرى طفولته ،  
كما عاد بذهنه كذلك الى موروجان المسكين فى قبضة  
الرائى . وبعد فترة من السكون سألها : ماذا يحدث عندما  
يهاجر الاطفال الى بيت من بيوتهم الأخرى ؟ كم يطول  
بقاؤهم هناك ؟



– يختلف الأمر من حالة الى أخرى • عندما يملنى  
أطفالى قلما يبتعدون عنى لاكثر من يوم أو يومين • وذلك  
أساسا لانهم جد سعداء فى بيتهم • أما أنا فلم أكن سعيدة فى  
بيتى ولذلك فعندما كنت أخرج منه كنت أحيانا أتغيب عنه  
لشهر بأكمله •

– وهل كان نواب أبويك يعضدونك ضد أبيك وأمك  
الحقيقيين ؟

ليس فى الأمر تحريض من أحد ضد أحد • كل ما تؤيده  
هو الذكاء والمشاعر الطيبة ، وكل ما يعارضه هو البؤس  
وأسبابه التى يمكن تفاديها • اذا أحس الطفل بتعاسة فى  
بيته الأول نبذل أقصى الجهد له فى خمسة عشر أو عشرين  
بيتا آخر • وفى هذه الاثناء يعالج الأب والأم علاجا نفسيا  
من قبل الاعضاء الآخرين فى نادى التبني المتبادل الذى  
ينتمون اليه • وبعد بضعة أسابيع يصبح الابوان صالحين  
للعيش مع أبنائهما مرة أخرى ، والاطفال صالحين للعيش مع  
أبويهم • ثم أضافت الى ذلك قولها «ولكن لاتفهم من ذلك أن  
الاطفال لايلجأون الى نواب آبائهم وأجدادهم الا فى حالات  
الضيق • انهم يفعلون ذلك دائما كلما أحسوا الحاجة الى  
التغيير أو الى نوع آخر من الخبرة • انها دوامة اجتماعية •  
ان عليهم حيثما يتوجهون كنواب أطفال مسئولياتهم كما أن  
لهم حقوقهم – عليهم مثلا أن يمشطوا الكلب وينظفوا  
أقفاص الطيور ، ويراعوا الاطفال الرضع عندما تكون الأم  
مشتغلة بعمل آخر • عليهم واجبات كما أن لهم مزايا –  
ولكنها ليست كما هى الحال عندكم فى أكشاك التلفون  
الصغيرة التى لايدخلها الهواء • انها واجبات ومزايا فى

أسرة كبيرة منفتحة جامعة غير مقدره ، تتمثل فيها مراحل العمر السبع للانسان ومختلف المهارات والمواهب . فيها يتلقى الاطفال خبرات فى كل الامور الهامة ذات المغزى مما يمارسه الانسان ويكايده - العمل ، واللعب ، والحب ، والكبر ، والمرض ، والموت . . . » ثم صممت وفكرت فى ديوجولد وأمه ، ثم غيرت نغمة صوتها عمدا وقالت «ولكن ما بك أنت ؟ لقد شغلت نفسى بالمحديث عن الأسر حتى انى لم أسألك عن احساسك . انك بالتأكيد تبدو أحسن كثيرا مما رأيتك آخر مرة .

– بفضل الدكتور ماك فيل ، وكذلك بفضل شخص كان فيما أظن يمارس الطب بغير ترخيص . ماهذا الشيء العجيب الذى فعلته بى أمس مساء ؟

ابتسمت سوزيلا وقالت له مؤكدة : انما فعلته بنفسك .  
أما أنا فكل ما فعلته هو أنى ضغطت على الأزرار .  
– أى أزرار ؟

– أزرار الذاكرة ، وأزرار الخيال .

– ويكفى ذلك أن يدخلنى فى غيبوبة التنويم المغناطيسى ؟

– اذا حلالك أن تسميها كذلك .

– وماذا يمكن أن تسمى غير ذلك ؟

– ولماذا تطلق عليها اسما ؟ الاسماء تفترض صدق ماتعبر عنه . لماذا لاكتفى بمجرد علمك أنها حدثت ؟  
– ولكن ماهذا الذى حدث ؟

– بادىء ذى بدء أقول قمنا بنوع من أنواع الاتصال ،  
أليس كذلك ؟

ووافقها قائلاً : بالتأكيد لقد فعلنا ، ومع ذلك فانى  
لا أصدق أننى رمقتك ولو بنظرة •

وعلى الرغم من ذلك كان فى هذه اللحظة ينظر اليها –  
ينظر ويتعجب من يكون هذا المخلوق الصغير العجيب ، وماذا  
يختفى خلف قناع وجهها الجاد الأملس ، وماذا كانت العينان  
السوداوان تريان وهما تردان على تفرسه ، فيم كانت  
تفكر •

قالت : كيف كان يتسنى لك أن تنظر الى • لقد ذهبت  
فى عطلتك •

– أم هل أبعدتنى عنها ؟

وهزت رأسها وقالت : كلا • لم ابعدك • تستطيع أن  
تقول انى كنت فى وداعك ، أو أنى عاوتك على المضى • ثم  
كانت لحظة صمت استأنفت بعدها الحديث وسألته : هل  
حاولت مرة أن تقوم بعمل ما مع طفل يجاورك ؟

وذكر ويل جارا صغيرا له عرض عليه أن يعاونه فى  
طلاء أثاث حجرة الطعام ، وضحك عندما تذكر سخطه •

وواصلت سوزيلا حديثها قائلة : مسكين هذا الصغير !  
كان حسن النية ، وكان يود أن يقدم المونة •

– ولكن الطلاء قد لوث السجادة ، وبصمات يده تملأ  
المجدران •••

لذلك أردت أن تتخلص منه فى النهاية فقلت له : اخرج  
من هنا على عجل أيها الصبى الصغير ! والعب فى الحديقة •

ثم ساد الصمت •

وأخيرا سألتها : ثم ماذا ؟

— ألا ترى ؟

وهز ويل رأسه •

— ماذا يحدث عندما تمرض ، وعندما يصيبك أذى ؟  
من يصلحك ؟ من يداوى جراحك ويبعد العدوى ؟ هل تفعل  
ذلك أنت ؟

— ومن غيرى ؟

وأصرت على السؤال : أنت ؟ أنت ؟ الشخص الذى يحس  
الألم ويصيبه القلق ويفكر فى الخطيئة والمال والمستقبل ! هل  
تكون وأنت على هذه الصور قادرا على أن تفعل ما يجب  
فعله ؟

— آه ، أنا أدرك الآن ما ترمين اليه •

وقالت ساخرة «أخيرا !»

— تبعثين بى لكى ألعب فى الحديقة حتى يتمكن الكبار  
من أداء عملهم فى هدوء • ولكن من يكون هؤلاء الكبار ؟

أجابت : لاتسألنى • هذا سؤال يوجه الى لاهوتى فى  
الاعصاب •

سألها : ما معنى ذلك ؟

- معناه ما يدل عليه اللفظ - شخص يفكر فى الناس فى حدود (الضوء الصافى) فى الفضاء وفى الجهاز العصبى المساعد فى آن واحد - الكبار خليط من العقل ووظائف الاعضاء .

- والاطفال ؟

- هم الصغار الذين يظنون انهم يعلمون ما لا يعلم الكبار .

- ومن ثم وجب أن يقال لهم سارعوا الى اللعب .

- تماما .

وسألها : هل طريقة معالجتك اجراء معتمد فى بالا ؟

وأكدت له ذلك بقولها : نعم هى اجراء معتمد . الاطباء فى عالمكم يتخلصون من الاطفال بتسميمهم بملح حامض البريتوريك المسكن . أما نحن فنتحدث اليهم عن الكاتدرائيات والغربان وهنا تحول صوتها الى مايشبه الغناء وأضافت «وعن السحب البيضاء التى تسبح فى السماء ، وعن الاوز العراقى الذى يسبح فوق نهر الحياة المظلم الصقيل الذى لايقاوم ...»

واحتج على ماتقول وصاح بها «كفى ، كفى . لاتذكرى شيئاً من ذلك !»

وأضاعت وجهها الجاد الأسمر ابتسامة خفيفة ثم قهقهت ضاحكة . ونظر اليها ويل فى دهشة فخيّل له فجأة أنها استعالت شخصاً آخر ، سوزيلا ماك فيل أخرى ، مرحة ، عابثة ، ساخرة .

• وشاركها الضحك قائلا لها : أنا أعرف حيلك •  
وهزت رأسها وهي ماتزال تضحك وقالت : حيل ! انما  
كنت أشرح كيف فعلتها •

– أنا أعلم تماما كيف فعلتها • كما أعلم كذلك أنها  
طريقة فعالة • وفوق ذلك اسمح لك بفعلها ثانية – كلما لزم  
الأمر •

وقالت فى جدية أشد «ان شئت • وسوف أريك كيف  
تضغط على أزرارك بنفسك • اننا نعلم ذلك فى كل مدارسنا  
الابتدائية • نعلمهم القراءة والكتابة والحساب كما نعلمهم  
مبادئ (ح • أ) » •

– ما هذا ؟

– حرية الارادة • اسم آخر (للتحكم فى المصير) •  
ورفع حاجبيه وقال : التحكم فى المصير ؟

وقالت له مؤكدة : كلا • كلا • لسنا من الغفلة كما  
تظن • نحن نعلم تمام العلم أن جزءا فقط من مصيرنا هو  
الذى يمكن أن نتحكم فيه •

– وأنتم تتحكمون فيه بضغطكم على أزراركم ؟

– نضغط على أزرارنا ثم نتصور مانود أن يحدث ؟

– وهل يحدث ؟

– فى حالات كثيرة •

وبنغمة تهكمية فى صوته قال : أمر بسيط !

ووافقتة قائلة : بسيط بدرجة مذهلة ، ومع ذلك فعلى مدى علمى نحن الشعب الوحيد الذى يعلم (ح • أ) بانتظام للاطفال • أنتم تكتفون بأن تذكروا لهم ماهو مفروض عليهم أن يفعلوه ، ثم تتركون الأمر عند هذا الحد • تقولون لهم مثلا أحسنوا السلوك • ولكن كيف ؟ انكم لا تشرحون لهم ذلك قط • كل ماتفعلون هو أنكم تقدمون اليهم النصيحة وتوقعون بهم العقاب • يالها من بلاهة •

ووافقتها على ذلك وقال : انها محض بلاهة ! وتذكر مستر كراب رئيس الأسرة بالمدرسة وهو ينصحهم بتجنب الاستمناء الذاتى ، كما تذكر العقوبات البدنية والمواعظ الاسبوعية وصلاة الوعيد فى أربعاء الرماد (١) حينما كان يقال لهم «لمعون من يضاجع زوجته جاره • آمين ،»

— واذا أخذ الاطفال عندكم هذه البلاهة مأخذ الجمد أصبحوا آثمين بائسين عندما يكبرون • واذا هم لم يأخذوه مأخذ الجمد أمسوا ساخرين بائسين • واذا هم تصرفوا من منطلق السخرية البائسة كانوا اما بابويين واما ماركسيين • ولا عجب أن تكون لديكم هذه الألوف من السجون والكنائس وزنانات الشيوعية •

— أفهم من ذلك أن لديكم منها القليل فى بالا •  
وهزت سوزيلا رأسها وقالت :

— ليس لدينا مايشبه سجن الكتراز أو بيلى جريهام أو ماوتسى تنج • ليس لدينا جحيم على الأرض ولا نعيم فى

---

(١) أول أيام الصوم الكبير عند المسيحيين - المترجم •

السماء ، ولا أمل الشيوعية فى القرن الثانى بعد العشرين •  
نحن مجرد رجال ونساء وأطفالهم نحاول أن نستغل (الآن  
وهذا المكان) على خير مايسستطاع ، بدلا من أن نعيش فى  
مكان آخر كما تفعلون أنتم فى أكثر الأحيان ، وفى وقت  
آخر ، فى عالم خيالى آخر من صنع أنفسنا • والواقع أن  
الخطأ ليس منكم • فأنتم مرغمون تقريبا على هذا الاسلوب  
من العيش لأن الحاضر يخيب آمالكم • وهو يخيب آمالكم  
لأنكم لم تتعلموا قط أن تسدوا الفجوة التى تفصل بين  
النظرية والتطبيق ، بين ماتقررون لأنفسكم فى رأس السنة  
وسلوكمم الفعلى •

وروى قولهم : أنا لا أعمل على تحقيق الخير الذى أريد ،  
وانما أعمل على تحقيق الشر الذى لا أريد •

– من قال هذا ؟

– الرجل الذى نشر المسيحية • القديس بولس •

قالت : هذه أسمى المثل العليا الممكنة بغير وسائل  
لتحقيقها •

– ماعدا الوسيلة فوق الطبيعية التى تعمل على تحقيقها  
على يد (شخص آخر) •

وألقت ويل رأسه الى الخلف وأنشد مايلي :

من عروق عمانوئيل

امتلاّت بركة من الدماء

فى فيضها ينغمس الآثمون

ومن خطاياهم يتطهرون



طبيعتها ، وذلك عندما فعلت بابز فى الوقت المناسب مالا يد  
أن يتوقعه أى غافل من أنها لا بد فاعلته - عندما طردته من  
فردوسها الجهنمى الذى أضاءه اعلان الخمر واتخذت غيره  
عشيقا لها .

وسألته سوزيلا : ما بك ؟

- لاشيء . لماذا تسألين ؟

- لانك لاتحسن اخفاء مشاعرك . كنت تفكر فى أمر  
جعلك غير سعيد .

قال : عيناك حادثان . ثم صرف عنها النظر .

وساد صمت طويل . هل يخبرها . هل يخبرها عن بابز  
وعن مولى المسكينة ، وعن نفسه ، يخبرها عن كل شيء كئيب  
سخيف لم يخبر به قط أحدا - حتى وهو مخمور - حتى أعز  
أصدقائه ؟ والاصدقاء القدامى يعلمون الكثير عنه ، والكثير  
عن الاطراف الاخرى ذات الشأن ، والكثير عن تلك اللعبة  
الخيالية المضحكة التى دأب عليها وتفنن فيها كما فعل ذلك  
السيد الانجليزى الذى كان كذلك بوهميا وشاعرا منتظرا ،  
كما كان - يدافع اليأس لانه كان يعلم أنه لايمكن أن يصبح  
شاعرا مجيدا - صحافيا محنكا ووكيلا خاصا لرجل ثرى  
يزدرية على الرغم من أنه يفتق له فى العطاء) . كلا .  
الاصدقاء القدامى لا يصلحون . ولكن هذه الغريبة الضئيلة  
السمراء ، هذه الغريبة التى أمسى مدينا لها بالكثير ، والتى  
أخلص لها على الرغم من أنه لم يكن يعلم عنها شيئا ، هذه  
الغريبة لئن تصدر عنها أحكام مسبقة ، ولا أحكام متحيزة ،  
بل قد تصدر عنها فيما يأمل (على الرغم من أنه درب نفسه

على ألا يأمل أبدا !) استنارة غير مرتقبة ، ومعونة ايجابية عملية • (واله يعلم أنه كان بحاجة الى المعونة ، والله يعلم كذلك جيدا أنه لن يعترف بأنه فى حاجة الى المعونة ، ولن يهبط الى الحد الذى يجعله طالبا لها) •

وكالمؤذن وهو فوق المئذنة أخذت تلك الطيور الناطقة تصيح من أعلى نخلة باسقة خلف أشجار المنجة ، وتردد قولها: الآن وفى هذا المكان أيها القوم ، الآن وفى هذا المكان •

فصمم ويل على أن يغامر - بطريقة غير مباشرة ، وذلك بأن يبدأ هو الحديث لا عن مشكلاته هو ولكن عن مشكلاتها • فبدأ يتكلم دون أن ينظر الى سوزيلا (لأنه أحس أن ذلك قد لايتفق وقواعد الاحتشام) •

- ذكر لى الدكتور ماك فيل شيئا عن ... عما حدث لزوجك •

ووقعت هذه الكلمات من قلبها موقع السهم • ولكن ذلك كان متوقعا ، وصوابا وأمرا لامناس منه •

قالت : تنقضى يوم الأربعاء المقبل أربعد أشهر بعد الحادث • ثم قالت وهى تتأمل وبعد صمت لم يدم طويلا « شخصان اثنان مستقل كل منهما عن الآخر - ولكنهما يجتمعان وكانهما خلق جديد • وفجأة يبتتر نصف هذا المخلوق الجديد ، ولكن النصف الآخر لايموت - ولايمكن أن يموت ، ولاينبغى أن يموت •

- لاينبغى أن يموت ؟

- لأسباب عدة - من أجل الاطفال ، ومن أجل الشخص

ذاته ، ومن أجل طبيعة الاشياء كلها • وبسمة خفيفة عززت بها الحزن البادى فى عينيها أضافت الى ذلك قولها : ولست فى حاجة الى أن أقول ان هذه الأسباب لاتخفف من صدمة البتر ولا تجعل ما يترتب عليه أمرا محتملا بدرجة أكبر • ولا يساعد المرء الا ما كنا نتحدث فيه منذ لحظة – أقصد (التحكم فى المصير) • وهزت رأسها ثم قالت وحتى هذا ••• لان ت • م (التحكم فى المصير) قد يجعل الميلاد بغير ألم ، ولكنه أبدا لن يجعل فقد الحبيب بغير ألم ، وذلك بالطبع هو ما ينبغى أن يكون • ليس من الصواب أن يكون فقدان الحبيب خاليا تماما من الألم • ان ذلك يهبط بك دون المستوى الانسانى •

وكرر عبارتها الاخيرة (دون المستوى الانسانى) • انها كلمات ثلاث قصيرة ولكنها تلخص حياته كلها !

وقال بصوت مسموع : والأمر المفزع حقا هو ان يعلم المرء أنه هو المسئول عن موت الشخص الآخر •

وسألته : هل كنت متزوجا ؟

– اثنا عشر عاما • حتى الربيع الماضى •••

– ثم ماتت ؟

– ماتت فى حادث •

– فى حادث ؟ اذن كيف كنت مسئولا عن موتها ؟

– وقع الحادث لانى ••• فعلت الشر الذى لم أرد أن أفعله • وفى ذلك اليوم اقتترفته • وأربكها هذا الايداء وأطار صوابها ، ورفعتها الى الانطلاق وهى تسوق العربة – فاصطدمت صدمة قوية •

— هل كنت تحبها ؟

وتردد لحظة ، ثم هز رأسه هذا بطيئاً •

— هل كان هناك شخص آخر كنت به أكثر حفاوة ؟

وبملامح وجهه التي تدل على سخريته من نفسه قال :

• شخص آخر لم يكن بوسعى أن أحد من حفاوتي به •

— وذلك كان الشر الذي فعلته ولم ترد أن تفعله ؟

— فعلته وثابرت على فعله حتى قتلت المرأة التي كان

ينبغي لى أن أحبها ، ولكنى لم أفعل • بل وثابرت على فعل هذا

الشر حتى بعد أن قتلتها ، وعلى الرغم من سخطى على نفسى

على هذا الذى كنت أفعل • وكذلك كنت ساخطا على الشخص

الذى دفعنى الى ارتكاب ما لم أرد •

— دفتك الى فعله فيما أظن لأن جسمها كان من النوع

المطلوب ؟

وأوما ويل برأسه ، ثم ساد الصمت •

وأخيرا سألها : هل تعرفين كيف يكون شعور المرء عندما

يحس أنه ليس هناك شيء واقعى تماما حتى نفسه ؟

وأومات سوزيلا برأسها وقالت : يحدث ذلك أحيانا عندما

يوشك المرء أن يتبين له أن كل شيء — حتى نفسه — أكثر

واقعية مما كان يتصور • وما أشبه ذلك بتغيير السرعة فى

السيارة • انك تجعل ترسها أولا فى درجة السكون ثم تنقله

الى أعلى •

قال ويل : أو الى أسفل • لم يكن الانتقال الى أعلى ، بل

كان الى أسفل • لا ، لم يكن الى أسفل ، بل الى العكس • حدث

ذلك أول مرة عندما كنت فى انتظار أوتوبيس ينقلنى من شارع فليت الى بيتى . وكان هناك ألوف الالوف من البشر، كلهم يتحرك ، وكل منهم فريد ، كل منهم مركز الكون . ثم ظهرت الشمس من خلف السحب فأشرق كل شىء واتضح بصورة عجيبة ، وفجأة وبسرعة خاطفة انقلبوا جميعا الى ديدان .

— ديدان ؟

— نعم ، تلك الديدان الشاحبة الصغيرة ذات الرؤوس السوداء التى ترينها فى اللحم الفاسد . وبطبيعة الحال لم يتغير شىء ما ، وبقيت وجوه الناس كما هى ، وأزياؤهم كما هى . ومع ذلك كانوا جميعا ديدان . بل لم يكونوا ديدان حقيقية ، وانما أشباح ديدان ، مايتوهمه المرء انه ديدان . أما أنا فقد كنت صورة وهمية لمشاهد الديدان . وعشت فى عالم الديدان هذا شهورا . عشت فيه ، وعملت فيه ، وخرجت فيه للغداء والعشاء — كل ذلك دون أدنى اهتمام بما كنت أعمل . ودون أدنى متعة أو لذة ، فاقد الشهية ، وعندما حاولت أن أمارس الحب مع فتاة كنت فيما مضى ألهو بها أحيانا تبين لى أنى عاجز تماما .

— وماذا كنت تتوقع ؟

— هذا بعينه .

— اذن لماذا . . . ؟

وابتسم لها ويل ابتسامة ساخرة وهز كتفيه ثم قال : من

باب الاهتمام العلمى • كنت كعالم الحشرات أبحث فى الحياة  
الجنسية للبرقات الوهمية •

– وبعد ذلك بدا لك كل شىء – فىما أظن – أشد امانا  
فى اللا واقعية •

ووافقها قائلا : بل أكثر من ذلك ، ان كان هذا  
بالامكان •

– ولكن ما الذى أتى بالبرقات أول الأمر ؟

أجاب : أولا ، كنت ابن والدى ، من مخمور متمنر  
وشهيدة مسيحية ، وسكت برهة ثم قال : وفوق أنى كنت ابن  
والدى ، كنت ابن أخ عمتى مارى •

– وماشأن عمك مارى بهذا ؟

– كانت الشخص الوحيد الذى أحببت ، وعندما بلغت  
السادسة عشرة أصيبت بالسرطان ، وأزيل ثديها الأيمن  
أولا ، ثم ثديها الأيسر ثانيا بعد عام واحد • وبعد ذلك  
عرضوها للاشعة السينية ولاشعاعات أخرى ، ثم بلغ السرطان  
منها الكبد ، وكانت هذه نهايتها • ووعيت ذلك من البداية  
حتى النهاية • وكان فى ذلك لصبى فى العقد الثانى من عمره  
تربية «عقلية حرة» •

وسألته سوزيلا : من أى ناحية ؟

– من حيث التفاهة فى صورتها البحتة والتطبيقية •  
وبعد بضعة أسابيع من انتهاء دراستى الخاصة فى الموضوع



جاءت البداية الكبرى للدراسة العامة • الحرب العالمية الثانية ، وأعقبها دراسة تجديدية مستمرة مع الحرب الباردة الأولى • وفى غضون ذلك كله كنت أريد أن أكون شاعرا ، وتبين لى أنى أفتقر الى الاستعداد • وبعد الحرب اشتغلت بالصحافة لأكسب المال • وكنت لا أبالى اذا جمعت - اذا اقتضى الأمر ذلك - فى سبيل محاولتى أن أكتب شيئا مقبولا - نثرا جيدا على الأقل بعد ما عرفت أنه لايمكن أن يكون شعرا جيدا • وكان على ألا أعتد على والدى العزيزين • وعندما مات أبى فى يناير من عام ستة وأربعين كان قد تخلص من المال اليسير الذى ورثته الأسرة ، وبعد ما تزلزلت أسمى أصبحت عرجاء من أثر التهاب المفاصل وكان لابد لها من عائل • وهكذا توجهت الى شارع فليت (١) ، أعولها فى سهولة ونجاح . كانا مذلة لى تماما •

— ولماذا كانت مذلة ؟

— ألا تحسبن المذلة ان وجدت نفسك تكسبين المال مع أرخص أنواع الأدب الزائف البراق ؟ لقد نجحت لانى انحدرت الى المرتبة الثانية التى لم يكن من الممكن علاجها •

— وكان من نتيجة ذلك كله هذه البرقات ؟

وهز رأسه ايجابا وقال : لم تكن ديدان حقيقية ، انما كانت ديدان وهمية • وهنا ظهرت مولى فى الصورة • قابلتها فى حفلة للبرقات من الطبقة الراقية • وعرفونى بها • ودار بيننا حديث تافه مهذب عن التصوير اللا هادف • ولما كنت لا أريد أن أرى مزيدا من الديدان لم أنظر اليها ، ولكن لايد

---

(١) شارع الصحافة فى لندن - المترجم

أنها كانت تنظر الى • ثم أضاف قوله : وبهذه المناسبة مولى لها عينا زرقاوان رماديتان شاحبتان • عينا ترى بهما كل شيء - وكانت شديدة الملاحظة بدرجة لاتصدق ، ولكنها تلاحظ بغير حقد أو مراقبة ومحاسبة - اذا رأت شرا لاتدينه قط ، وتكتفى بالاسف الشديد على الشخص الذى أرغمته الظروف لكى يبوح بهذه الآراء أو يفعل ذلك الشيء البغيض • وأعود فأقول انها لا بد كانت تنظر الى ونحن نتبادل الحديث ، لانها سألتنى بغتة لماذا أنا فى حزن شديد • وكنت قد تناولت كأسين من الشراب ولم أر فى طريقة سؤالها وقاحة أو تهجما • لذلك حدثتها عن الديدان ، واختتمت حديثى عنها بقولى ، وأنت واحدة منها ، ثم نظرت اليها لأول مرة • دودة لها عينا زرقاوان ووجه كأنه لاحدى أولئك النسوة المقدسات اللائى يظهرن أثناء حفلات الصلب فى فلنتك» •

- وهل أشبعت بذلك غرورها ؟

- أظن ذلك • وكانت قد تخلت عن المذهب الكاثوليكي ، ولكنها مازالت تميل الى مثل هذه الحفلات والى النسوة المقدسات • على كل حال ، فى اليوم التالى طلبتنى بالتلفون صباحا وقت الافطار ، وسألتنى هل أحب أن أخرج معها فى نزهة بالعربة فى الريف ؟ وكان يوم الأحد ، وبمعجزة من السماء كان الجو لطيفا فى ذلك اليوم • فقبلت الدعوة • وقضينا ساعة فى أيقة سن شجر البندق ، نقطف زهر الربيع وننظر الى شقائق النعمان الصغيرة البيضاء ، لان شقائق النعمان لاتقطف فهى تدبل فى غضون ساعة واحدة ، وأنعمت النظر فى أيقة البندق - أنظر الى الزهور بالعين العارية ، ثم أنظر اليها من خلال منظار مكبر كانت مولى قد أحضرته معا • وكان فى ذلك



علاج نفسى غير عادى لست أدرى له سببا - مجرد النظر الى  
قلوب زهور الربيع وشقائق النعمان . ولم أعد أرى ديدان  
بقية النهار ، غير أن شارع فليت كان بانتظارى . وما أن خل  
موعد الغداء يوم الاثنين حتى كان المكان يبعج بها كما هى  
المال دائما . ملايين اليرقات . ولكنى الآن أعلم ما أصنع بها .  
وفى ذلك المساء ذهبت الى مرسوم مولى .

- هل هى مصورة ؟

- لم تكن مصورة حقيقية ، وكانت تدرك ذلك . أدركته  
ولكنها لم تمتعض له ، واكتفت بأن تستغل افتقارها الى  
الموهبة . انها لم تصور من أجل الفن . انما كانت تصور لانها  
تحب أن تنظر الى الأشياء ، وتحب أن تحاول أن تنقل بكل  
دقة ماتقع عليه عينها . وفى ذلك المساء أعطتنى لوحة  
وفرجوننا ، وطلبت الى أن أفعل فعلها .

- وهل أفلحت ؟

- أفلحت الى حد بعيد ، حتى انى بعد انقضاء شهرين  
قطعت تفاحة فاسدة فلم أجد الدودة التى كانت بداخلها على  
شكل يرقة - أعنى من الناحية الذاتية . اما موضوعيا فقد  
كانت كذلك . كانت تتميز بكل صفات اليرقة ، وهكذا  
صورها كلانا - لاننا كنا دائما نصور نفس الاشياء فى نفس  
الوقت .

- وماذا عن الديدان الأخرى ، الديدان الوهمية خارج  
التفاحة ؟

- اننى مازلت أنتكس وبخاصة فى شارع فليت وفى  
حفلات الكوكتيل . ولكن الديدان قل عددها بالتأكيد ، وخفت

مطاردها يقينا . وفى تلك الأثناء كان يحدث فى المرسم شىء جديد . كنت أحب - أحب لأن الحب معد وكانت مولى تحبني بدرجة ملحوظة - لماذا ، الله وحده يعلم .

ورنقته سوزيلا بعينها لتسبر غوره ، ثم ابتسمت وقالت :

هناك عدة أسباب ممكنة . ربما أحبتك لانك .... ماذا أقول ؟

لانك شخص جذاب .

وضحك وهو يقول : أشكرك على هذا الاطراء الجميل .

وواصلت سوزيلا حديثها قائلة : ومن ناحية أخرى (ولم يكن هذا الكلام على سبيل الاطراء) انها ربما أحبتك لانك حملتها على أن تشعر بالاسف الشديد عليك .

- أخشى أن تكون هذه هى الحقيقة . لان مولى ولدت (أختا للرحمة) .

- وليست (أخت الرحمة) لسوء الحظ (كزوجة للحب) .

قال : وذلك ماتبينته فى حينه .

- بعد زواجكما فيما أظن .

وبعد لحظة من التردد قال ويل : بل قبل ذلك فى الواقع . لا لأن الرغبة كانت تلح عليها ، ولكن لانها كانت حريصة على أن تفعل أى شىء لتسرنى . لانها - من حيث المبدأ - لم تعتقد فى التقاليد وكانت تميل كل الميل نحو الحب المتحرر . وتذكر الاشياء الفاضحة التى كانت تعبر عنها عرضا وفى

هدوء تام حتى مع وجود أمه ثم أضاف : وأعجب من ذلك أنها  
كانت تميل الى الحديث المتحرر عن هذه الحرية •

وأوجزت سوزيلا فى العبارة حين قالت :

– عرفت ذلك من قبل ومع ذلك تزوجتها •

• وأوماً ويل رأسه ايجاباً دون أن ينبس ببنت شفة •

– لانك كنت رجلاً مهذباً – فيما أحسب – والرجل

المهذب يبر بوعده •

– لهذا السبب العتيق من ناحية • ولانى كنت أحبها من

ناحية أخرى •

– هل كنت فعلاً تحبها ؟

– نعم • لا • لست أدرى • ولكنى فى ذلك الحين كنت

أدري • أو على الأقل ظننت أننى أدرى • كنت على اقتناع تام

أننى أحبها فعلاً • وكنت أعلم – ولازلت أعلم – سبب

اقتناعى • كنت شاكرها لها فضلها لانها استأصلت تلك

الديدان • ثم انى احترمتها كما اعترفت لها بالجميل • كنت

أعجب بها • ولقد كانت أفضل وأشد اخلاصاً منى • ولكنك

– لسوء الحظ – مصيبة : (فأخت الرحمة) ليست مثل (زوجة

للحُب) • ولكنى كنت على استعداد لأن أقبل مولى بشروطها

لا بشروطى • كنت مستعداً للاعتقاد بأن شروطها أفضل من

شروطى •

وبعد صمت طويل سألته سوزيلا : ومتى بدأت فى

علاقاتك الجانبية ؟

وسدت سوزيلا أذنيها وقالت : هذا شيء فاحش حقا .

وقال لها ويل : هذه هي الانشودة المفضلة لاستاذ أسرتي  
المدرسية . كنا نتغنى بها مرة كل اسبوع تقريبا طوال وجودي  
بالمدرسة .

قالت : أحمد الله أن البوذية لم يكن بها قط دماء . عاش  
جوتاما (١) حتى بلغ الثمانين من عمره ومات لأنه كان مجاملا  
الى حد أنه لم يرفض الطعام السيئ . والظاهر أن الميتة  
العنيفة تستدعى دائما مزيدا من الموت العنيف ، « اذا كنتم  
لاتصدقون أنكم بدماء مخلصى تفتدون أغرقتكم فى دمائكم »  
فى العام الماضى درست فى شيفابورام شيئا من تاريخ  
المسيحية .

وارتعدت سوزيلا من الذكرى ثم قالت :

– ياللهول ! وذلك كله لان ذلك الرجل المسكين لم يعرف  
كيف ينفذ نواياه الطيبة .

قال ويل : وأكثرنا يسير على هذا المنوال . الشر لانريده  
ولكننا نفعله ، وبأية طريقة !

وكان رد الفعل عند ويل هو الا يتسامح مع من لا يستحق  
التسامح ، فضحك ساخرا من نفسه . ضحك لانه كان يعلم  
طهارة قلب مولى ، ولكنه – ويعينين مفتوحتين – اختار الفجوة  
القرنفلية وما تعنيه من شقاء لمولى ، ونهاية لها ، واحسنه  
بالذنب يفتك بصدرة ثم بالألم ، الألم المبرح الذى شعر به  
بدرجة لاتتناسب البتة مع مسبباته الوضيعة الهزلية فى

---

(١) أخذ فلاسفة البوذية ، وكان يعتمد فى تعاليمه على المنطق  
والتحليل ، ولذلك يقال عنه انه أرسطو الهند – المترجم

وابتسم ويل فى سخريه وقال : بعد ثلاثة أشهر من زواجنا • وكانت المرة الأولى مع احدى السكرتيرات فى المكتب • يا الهى ، لكم كانت مدعاة للسأم ! ثم مع مصورة شابة ، فتاة يهودية صغيرة فظة كانت مولى قد عاوتها بالمال حينما كانت تدرس الفن على منحة سليد (١) • وقد تعودت أن أزورها بمرسمها مرتين كل اسبوع ، من الخامسة حتى السابعة • ولم تعرف مولى ماكان يدور بيننا الا بعد ثلاث سنوات تقريبا •

– وأزعجها ذلك فيما أظن ؟

– أكثر مما كنت أتوقع •

– وماذا فعلت ؟

قال ويل وقد هز رأسه : من هنا بدأت الأمور تتعقد • لم يكن فى نيتى أن أتخلى عن قضاء ساعات الكوكتيل مع راشيل • ولكنى كنت ساخطا على نفسى لاننى سببت لمولى الشعمور بالتعاسة • وفى نفس الوقت كنت أمقتها لهذه التعاسة التى أحست بها • وساءتنى آلامها كما ساءتنى الحب الذى جلب عليها الآلام • وشمرت أنها بآلامها وحبها لم تنصفنى ، بل كانت تهددنى لترغمنى على التخلي عن لهوى البرىء مع راشيل • فنقد كانت بالمبالغة فى حبى وبالشقاء الذى تحسه ازاء ماكنت أفعل – وهو ماحملتنى هى حقا على فعله – تضغط على ، وتحاول أن تقيد حريرتى • ولكنها كانت أثناء ذلك تعسة حقا • ومع أنى كنت أمقتها لتهديدها لى بهذه التعاسة فقد

---

(١) سليلد رجل انجليزى مولع بالفن ( ١٧٠٠ – ١٨٦٨ ) قدم لجامعات اكسفورد وكامبردج ولندن منحا للأساتذة والطلاب الذين يدرسون الفنون – المترجم

أشفقت عليها كل الاشفاق ، وأعنى الاشفاق لا الرحمة •  
فالرحمة مشاركة في الألم • واما ماكنت أريده بأى ثمن فهو  
أن أتحاشى الألم الذى كانت تسببه لى معاناتها ، وان أتجنب  
التضحيات المؤلمة التى أستطيع أن أنهى بها ماتعانى • فكانت  
استجابتى للموقف هى الاشفاق ، آسف لها مع خارجى – ان  
كنت تدركين ما أعنى ، آسف لها كما يأسف المشاهد ، أو عاشق  
الضن أو الخبير بأسباب العذاب • وهذا الاشفاق الذى مصدره  
التذوق الفنى كان يستبد بى كلما بلغت بها التعاسة  
ذروتها حتى لقد كدت أظنه حبا • أقول ( كدت )  
لانى لم أأخذ نفسى تماما • وعندما كنت أعبر عن اشفاقى  
بالعطف البدنى (وهو ما فعلته لان ذلك كان الوسيلة الوحيدة  
لايقاف تعاستها وایقاف الألم الذى كانت تعاستها تصيبنى به  
ولو الى حين) كان هذا العطف يبوء بالفشل قبل أن يبلغ  
ذروته الطبيعية • أقول كنت أبوء بالفشل لانها كانت – بحكم  
مزاجها – مجرد (أخت رحيمة) ولم تكن زوجة • ومع ذلك  
فلقد أحببتنى – على كل مستوى خلا المستوى الحسى – بالالتزام  
المطلق – وهو التزام كان يتطلب الرد بالالتزام من جانبى •  
ولكننى لم أرد أن ألتزم ، وربما لم يكن ذلك بوسعى فى الواقع •  
فبدلا من أن أشكر لها عطاءها نفسها لى ، كنت أشعر  
بالاستياء • فلقد كان لهذا العطاء حقوق على أن أؤديها ، وهى  
حقوق رفضت أن أعترف بها • وهكذا كنا فى نهاية كل أزمة  
من الازمات – نعود الى بداية المسرحية القديمة – مسرحية  
الحب الذى يعوزه الحس يكلف بالالتزام ازاء حس يعوزه  
الحب ، فيثير ردود أفعال مختلطة بشكل عجيب من الائم  
والسخط ، والاشفاق والامتعاض ، وأحيانا من البغض الفعلى  
(وهناك دائما احساس دفين بتأنيب الضمير) • وكانت

تصاحب ذلك فى جميع الحالات وتسير معه فى تناغم سلسلة من  
الاماسى المختلصة أفضياهم مع «المصورة الصغيرة الفظة» •

قالت سوزيلا : أرجو أن تكون على الأقل قد استتممت  
بهذه الأماسى •

هز كتفية وقال : بدرجة معتدلة • فأن راشيل لم تنس  
قط أنها مثقفة • تسألك عن رأيك فى بيرودى كوسيمو (1)  
فى أخرج اللحظات • أما المتعة الحقيقية – والعذاب الحقيقى  
بطبيعة الحال – فلم أعرفها حتى ظهرت بايز على مسرح  
حياتى •

– ومتى كان ذلك ؟

– منذ أكثر قليلا من عام • فى افريقيا •

– افريقيا ؟

– بعث بى الى هناك جو الديهيد •

– ذلك الرجل الذى يملك الصحف ؟

– وغير ذلك • وكان متزوجا من ايلين عممة مولى • وكان  
فوق ذلك رب أسرة مثالى • ومن أجل ذلك كان على ثقة تامة  
من استقامته حتى حينما كانت تشغله العمليات المالية  
المشينة •

– وأنت تعمل لحسابه ؟

وأوما ويل برأسه ايجابا وقال : تلك كانت هديته لمولى  
بمناسبة قرانها – وظيفة لى فى صحف أليهيد تقريبا بضعف

(1) مصور ايطالى عاش فى القرن الخامس عشر وبدايسة السادس  
عشر – المرجم •

المرتب الذى كنت أتناضاه ممن كنت أعمل معهم من قبل •  
هدية سخيفة ! ولكنه كان شديد الولع بمولى •

— وماذا كان رد الفعل عنده بالنسبة لبايز ؟

— لم يعلم عنها شيئا قط — ولم يعلم أن هناك سببا ما  
لحادثة مولى •

— ومن ثم فهو يستمر فى استخدامك من أجل زوجتك  
المتوفاة ؟

هز ويل كتفيه وقال : المبرر هو أن أمى بحاجة الى أن  
أعولها •

— وبالطبع أنت لاترضى عن فقرك •

— طبعا لا أرى •

ثم كانت فترة سكون •

وأخيرا قالت سوزيلا : لنعد الى افريقيا •

— بعثوا بى الى هناك لأكتب سلسلة عن وطنية الزنوج •  
ولست بحاجة الى القول بأنى قمت كذلك بعمليات احتيال  
صغيرة خاصة فى شئون التجارة لصالح العم جو • وفى  
الطائرة وأنا فى طريق العودة من نيروبي وجدت نفسى جالسا  
الى جوارها •

— الى جوار الشابة التى أنت أشد ما تكون بغضا لها ؟  
«نعم أشد ما أكون بغضا لها وأكثر ما أكون رفضا لها • ولكن  
إذا كان المرء مدمنا فلا بد له من جرعة من المخدر — وهى  
الجرعة التى تعلم سلفا أن فيها هلاكك •



وقالت وهى تفكر : هذا شىء عجيب ، ونحن فى بالا  
ليس لدينا مدمنون •

– ليس لديكم مدمنون حتى فى العلاقة الجنسية ؟

– مدمنو الجنس هم كذلك مدمنو أشخاص ، أو بعبارة

أخرى هم محبوبون •

– ولكن المحبين أحيانا يمقتون من يحبون •

– هذا أمر طبيعى • فأنا مثلالى اسم واحد وأنف واحد

وعينان لايتغيران ، ولكن ذلك لايستتبع أنى دائماً نفس

المرأة • والعلم بهذه الحقيقة والاستجابة لها بشكل معقول

جانب من جوانب فن الحب •

وبأقصى مايمكن من ايجاز روى لها ويل بقية القصة •

وهى نفس القصة – بعد ما ظهرت بابز فى الصورة – كما

حدث من قبل • نفس القصة مع الامعان فيها • فبابز ليست

الا راشيل وقد ارتفعت الى قوة أعظم ، قل هى راشيل

تربيع ، أو راشيل أس ن • كما أن الشقاء الذى ألحقه بمولى

بسبب بابز أكبر نسبيا مما كابدته من ألم بسبب راشيل ،

وكذلك كان سخطه ، واحساسه بالغضب من تهديدها له بحبها

الآلما • وتأنيبه لضميره واشفاقه ، وتصميمه – على الرغم

من تأنيب الضمير ومن الاشفاق – على أن يستمر فى حصوله

على مايريد ، وعلى ماكان يكره نفسه لرغبته فيه ، وعلى

مارفض رفضا باتا أن يتخلى عنه – كل هذه المشاعر

والأحاسيس كانت كذلك أقوى نسبيا فى حالة بابز منها فى

حالة راشيل • وفى الوقت نفسه كانت بابز أشد

الحاسا ، وتطلب منه مزيدا من الوقت – لا لينفقه

فقط فى الفجوة القرنفلية ، ولكن خارجها كذلك ، فى

المطاعم ، والملاهي الليلية ، وفي حفلات الكوكتيل الفضيعة التي تدعو اليها أصدقاؤها ، وفي قضاء عطلات نهاية الاسبوع في الريف . كانت تقول له : سنكون أنا وأنت وحدنا يا حبيبي . معا في عزلة . معا في عزلة تهييء له الفرصة لكي يسبر الاغوار السحيقة لثفاهة عقلها وسوقيتها . ولكن شهوته استبدت به على الرغم مما كان يحس من ملل وانحطاط في الذوق ، ومن نفور خلقى وثقافى . وبعد احدى عطلات نهاية الاسبوع هذه أمسى مدمنا لبابز كما كان من قبل بدرجة لا رجاء فيها . وبقيت مولى - من جانبها ، من جانب موقفها كأخت رحيمة - على الرغم من كل شيء كذلك مدمنة لويل فارنبى بنفس الدرجة التي لا رجاء فيها . درجة لا رجاء فيها بالنسبة اليه - لان رغبته الوحيدة هي أن تخفف من حبها وأن تسمح له أن يذهب الى الجحيم فى هدوء . أما فيما يتعلق بمولى فقد كان ادمانها دائما وبغير كبت مفعما بالأمل . فلم تكف قط عن توقعها لمعجزة تغير مجرى الامور فتحواله الى ويل فارنبى عطوفا ، بعيدا عن الانانية ، محبا ، وهو (على الرغم من كل الشواهد ، وعلى الرغم من كل ماتكرر من خيبة الأمل) ما أصرت فى عناد شديد على اعتباره نفسه الحقه . والواقع أنه لم يفصح عن عزمه على هجرها للعيش مع بابز الا من خلال تلك المقابلة الاخيرة القاضية ، عندما كبت اشفاقه وأرعى العنان لاستيائه من تهديدها له باحساسها بالنعاسة - عندئذ فقط حل اليأس نهائيا محل الامل . «هل تعنى ماتقول ياويل ؟ هل تعنيه حقا؟» «نعم أعنيه حقا» . وفى يأس مطلق سارت الى العربية وانطلقت بها والمطر يهيم - نحو موتها . وفى موكب الجنائز وهم يوارونها التراب أخذ عهدا على نفسه ألا يرى بابز بعد ذلك . أبدا ، أبدا لن يراها . وفى ذلك

المساء ، وهو منكب على مكتبه يكتب مقالا عنوانه «ماذا أصاب الشباب» محاولا ألا يتذكر المستشفى ، والقبر المفتوح ، ومسئوليته عن كل ما حدث ، تنبه مذعورا عندما سمع رنيننا قويا من جرس الباب • هذه رسالة عزاء متأخرة من غير شك •• وفتح الباب ، وبدلا من البرقية ألقى بابز حزينه بغير زينة ومرتدية ثيابا سوداء •

« عزيزى ويل ! » وجلسا على الأريكة فى غرفة الجلوس ، تربت شعره وكلاهما يبكى •

« عندما يتقطب الجبين من الألم والكروب ، تكونين لى كالملاك المعين » • ولست بحاجة الى القول بأنهما أويا الى الفراش عاريين بعد ساعة من زمان • وبعد ذلك انتقل الى جوارها فى الفجوة القرنفلية • ولا يفوت أى غافل أن يدرك أن بابز فى غضون ثلاثة أشهر بدأت تمله ، وفى غضون أربعة أشهر ظهر فى احدى حفلات الكوكتيل رجل هائل وافدا من كينيا •

وتسلسلت الحوادث ، وبعد ثلاثة أيام عادت بابز الى بيتها تعد الفجوة لمستأجر جديد ولتنذر المستأجر القديم بالاحلاء •  
— هل تعنين ذلك فعلا يا بابز ؟

نعم لقد عنت ذلك فعلا •

وسمعت بين الاشجار خارج النافذة خشخشة ، وبعد برهة من الزمن بصوت مرتفع مزعج وفى موعد غير مرتقب صاح طائر ناطق يقول «الآن وفى هذا المكان أيها القوم» •

ورد عليه ويل صائحا «اسكت !»

وعادت المدينة تكرر قولها «الآن وفي هذا المكان أيها القوم الآن ...»

– اسكت !

ثم ساد الصمت .

وقال ويل : كان لا بد لي أن أسكته لانه طبعاً كان على صواب مطلق . هنا يا قوم ، والآن يا قوم . اما هناك وأنداك فلا محل لهما . أليس كذلك ؟ وماذا عن موت زوجك مثلاً ؟ هل هذا أمر لا محل له ؟

وحدقت فيه سوزيلا لحظة في صمت ، ثم هزت رأسها في بطء شديد وقالت : في اطار ما على أن أفعله الآن – نعم الأمر لا محل له بتاتا . وهذا شيء كان لا بد لي أن أتعلمه .

– وهل يتعلم المرء كيف ينسى ؟

– ليس الأمر أمر نسيان . ما على المرء أن يتعلمه هو كيف يذكر ويبقى مع ذلك متحرراً من الماضي . كيف يكون هناك مع الموتى ومع ذلك يبقى هنا في مكانه مع الأحياء . وابتسمت له ابتسامة حزينة يسيرة وأضافت قولها «ليس الأمر هينا» .

وكرر هذه العبارة ويل وقال «نعم ليس الأمر هينا» . وفجأة فقد كل حصانته وزال عنه كبريائه وقال لها «هل تعمينيني ؟»

قالت وقد مدت يدها اليه «هذا أتفاق بيننا» . وسمع وقع اقدام دقهما الى الالتفات ، واذا بالدكتور ماك فيل يدخل الغرفة .

— مساء الخير يا عزيزتى • مساء الخير يا مستر فاربنى •  
قالها بنغمة تنم عن السرور ، ولم يكن سرورا مفتعلا ،  
ولكنه طبيعى وصادق كما بدا لسوزيلا لأول وهله • ومع ذلك  
فلا بد أن يكون قبل قدومه الى هنا قد توقف عند المستشفى ،  
ولا بد أن يكون قد قام بزيارة للاكشمى لأن سوزيلا نفسها قد  
رأتها منذ ساعة أو ساعتين اكثر هزالا من اى وقت سلف ،  
وقد برزت عظامها وتغير لونها • نصف حياة طويلة من الحب  
والأخلاص والتسامح المتبادل — وبعد يوم او يومين ينتهى  
كل شىء ، ويمس وحيدا • ولكن يكفى اليوم ما به من شر ،  
كما يكفى المكان ويكفى الإنسان ماناله من شر • وكان حموها  
قد قال لها ذات يوم وهما يغادران المستشفى معا «ليس من حق  
الإنسان أن يخلع حزنه على الآخرين • وليس من حقه بطبيعة  
الحال أن يزعم أنه ليس حزيننا • على المرء أن يقبل مأسية  
ومحاولاته العابثة أن يكون رواقيا ، وأن يقبل ، ويقبل •»  
ثم خانه صوته • ورفعت بصرها اليه واذا بوجهه تسيل فوقه  
الدموع • وبعد خمس دقائق كانا جالسين على مقعد على حافة  
بركة اللوتس فى ظل تمثال بوذا الصخرى الضخم واذا  
بضفدعة غير مرئية تقفز من افريزها المستدير المورق وتغطس  
فى الماء محدثة صوتا مسموعا ومندفعة فى شوق الى الماء •  
وبرزت من الطين الاعواد الغليظة الخضراء ببراعمها المنتفخة  
وشقت الهواء • وشوهدت هنا وهناك رموز الاستنارة زرقاء

أو وردية اللون تتفتح بتلاتها نحو الشمس ونحو زيارات  
التفقد يقوم بها الذباب والخنافس الصغيرة والنحل المتوحش  
منبعثة من الغابة • كما شوهد سرب من اليعاسيب الزرقاء  
والخضراء المتألثة تندفع طائفة ، ثم تتوقف أثناء الطيران ،  
ثم تندفع مرة أخرى سعياً وراء اصطياذ الذباب الصغير •  
وفى صوت هامس قال الدكتور روبرت «تائاتا» (صورة  
مثالية) •

ولبثا مكانهما صامتين لفترة طويلة • وفجأة لمس كتفها  
- انظري !

ورفعت عينيها تجاه ما أشار اليه ، ورأت بينفاوين  
صغيرين وقد حطا على يد بوذا اليمنى يؤديان شعائر الغزل •  
وسألت سوزيلا بصوت مرتفع «هل توقفت مرة أخرى  
عند بركة اللوتس؟»

ابتسم لها الدكتور روبرت ابتسامة خفيفة وأوماً  
برأسه •

وسأله ويل : وكيف وجدت شيفابورام ؟

أجاب الدكتور : بهيجة ولا يعيبها الا اقترابها الشديد  
من العالم الخارجى • هنا يستطيع المرء أن يتجاهل الحماقات  
المنظمة ويباشر عمله • أما هناك فالعالم الخارجى يخنقك  
فى كل لحظة لوجود أجهزة الاستشعار ومحطات الاستماع  
وقنوات الاتصال التى لا بد للحكومة من امتلاكها • أنت  
تسمع العالم الخارجى ، وتحسه ، وتشمه - نعم ، تشمه •

- هل حدث منذ ماكنت هناك شىء مشؤوم فوق العادة ؟

– لأشياء فوق العادة فى طرفكم من العالم • وكم وددت لو استطعت أن أقول ذلك عن طرفنا منه •

– مم تشكون ؟

– نشكو جارنا الملاصق ، الكولونيل ديبا • فأولا عقد اتفاقية اخرى مع التشك ؟

– مزيد من السلاح ؟

– بما قيمته ستون مليوناً • ذكر ذلك الراديو هذا الصباح •

– وما الداعى ؟

– الأسباب المألوفة • المجد والقوة • لذة الغرور ولذة تهديد الآخرين • ارهاب واستعراضات عسكرية فى الداخل ، وغزوات وموسيقى النصر فى الخارج • ويؤدى بى هذا الى البند الثانى من الاخبار السيئة • أمس مساء ألقى الكولونيل خطبة أخرى من خطبه الشهيرة عن رندانج العظمى •

– رندانج العظمى ؟ ماهذه ؟

قال الدكتور روبرت : لك أن تسأل • رندانج العظمى هى الأرض التى حكمها سلاطين رندانج لوبو فيما بين ١٤٤٧ و ١٤٨٣ • وكانت تشمل رندانج وجزر نيكوبار وثلاثين فى المائة تقريبا من سومطره وكل بالا • أما اليوم فهى تقتصر على مقاطعة الكولونيل ديبا الذى يريد أن يسترد كل ما فقدت بلاده من اراض •

– وهل هو جاد ؟

– بالوجه المستقيم • كلا • أنا مخطيء • بالوجه

الارجوانى المشوه وبأعلى الصوت الذى تدرب - بمد طول  
مران - على أن يجعله شبيها تماما بصوت هتلر . «رندانج  
العظمى أو الموت !

- ولكن الدول الكبرى لن تسمح بقيامها .

- ربما لاتحب هذه الدول أن تراه فى سومطره . اما  
بالا - فذلك أمر آخر . ثم هز رأسه وواصل الحديث « بالا  
- لسوء الحظ - لا ذكر لها فى أى سجل . نحن لانريد  
الشيوعيين ، ولا نريد كذلك الرأسماليين . ونمقت أشد المقت  
التصنيع الكامل الذى يسمى أولئك وهؤلاء الى فرضه علينا -  
لاسباب مختلفة بطبيعة الحال . فالغرب يريد ذلك لان أجور  
العمل منخفضة ومن ثم فان أنصبة المستثمرين مرتفعة .  
والشرق يريده لان التصنيع يخلق طبقة البروليتاريا ، ويفتح  
ميادين جديدة للثورة الشيوعية وقد ينتهى الى انشاء  
ديمقراطية شعبية أخرى . ونحن نقول لا لكما ، ولذلك فنحن  
لانكتسب شعبية فى أى مكان . ان الدول العظمى كلها - بغض  
النظر عن أيديولوجياتها - قد تؤثر بالا محكومة من رندانج  
بما فيها من حقول البترول على بالا مستقلة بغير هذه الحقول .  
واذا ماهاجمنا ديبا قالت هذه الدول ان الموقف يرثى له ،  
ولكنها لاترفع اصبعها . واذا ما استولى علينا ودعا رجال  
البترول لدخول البلاد فاضوا سرورا» .

سأل ويل : وماذا يمكنكم أن تفعلوا بالكولونيل ديبا ؟

- لاشيء غير المقاومة السلبية . ليس لدينا جيش وليس  
لنا أصدقاء أقوياء . فى حين أن الكولونيل لديه الجيش  
والاصدقاء الاقوياء . أكثر مانستطيع أن نصنعه اذا بدأ يثير



المتاعب أن نلجأ الى الأمم المتحدة • وفي نفس الوقت نحتج لدى الكولونيل على هذه الافاضة فى الحديث أخيرا عن رندانج العظمى • نحتج عن طريق وزيرنا فى رندانج لوبو • ونحتج فى وجه الرجل العظيم شخصيا عندما يقوم بزيارته الرسمية لبالا بعد عشرة أيام •

— زيارة رسمية ؟

— بمناسبة الاحتفال ببلوغ راجا الصغير سن الرشد • وجهت اليه الدعوة منذ زمن بعيد ، ولكنه لم يخطرنا مؤكدا تلبية الدعوة أو رفضها • واليوم تقرر الامر نهائيا • فسوف نعقد مؤتمر قمة كما نحتفل بعيد الميلاد • ولكن دعنا الآن نتحدث فيما هو أجدى • كيف حالك اليوم يامستر فارنبى ؟

— حالتى ليست جيدة فحسب ، انها رائحة • ولقد شرفت اليوم بزيارة من ملككم الذى يسود بلادكم • — موروجان ؟

— لماذا لم تخبرنى انه ملككم الذى يسود بلادكم ؟ وضعك الدكتور روبرت وقال : لو فعلنا فرما طلبت المقابلة •

ولكنى لم أطلبها لا معه ولا مع الأم الملكة • — وهل أتت الرانى كذلك ؟

— بوحى من صوتها الضعيف • ولقد أرشدها صوتها الضعيف بالتأكيد الى العنوان الصحيح • ان رئيسى ، جون الديهايد ، من أعز أصدقائها •

– وهل أخبرتك بأنها تحاول أن تأتي برئيسك هنا  
لاستغلال ماعندنا من بترول؟

– نعم بالتأكيد •

– رفضنا عرضه الاخير منذ أقل من شهر • هل علمت  
بذلك؟

• وابتهج ويل لانه استطاع أن يجيب بصدق بأنه لم يعلم •  
فلم ينبئه بهذا الرفض الاخير جو الديهايد أو الرانى • وعاد  
الى حديثه يقول ليس بكل الصدق «عملى يتعلق بقسم لباب  
الاششاب وليس بقسم البترول» ثم كانت فترة سكون ، وأخيرا  
سأل : ما وضعى هنا ؟ أجنبى غير مرغوب فيه ؟

– على كل حال – لحسن الحظ – أنت لست من بائعى  
الاسلحة •

• قالت سوزيلا : ولست مبشرا •

– ولست من رجال البترول – وان كنت فى هذا الصدد  
قد تعد مذنباً لارتباطك بهم •

– ولست فيما نعلم باحثاً عن اليورانيوم •

قال الدكتور روبرت : هؤلاء بالدرجة الاولى هم غير  
المرغوب فيهم • اما كصحافى فأنت فى المرتبة الثانية • لست  
مطلقا الرجل الذى نعلم بدعوته الى بالا • ولكنك كذلك لست  
الرجل الذى أفصح فى الوصول الى هنا ونطلب ابعاده فورا •

قال ويل : أحب أن أبقى هنا بمقدار مايسمح القانون •

– هل لى أن أسألك لماذا ؟

تردد ويل • ابعثباره وكيلا سريا لجو الديهايد ومراسلا صحافيا يهوى الأدب هواية قصوى كان لا بد له أن يطيل من مقامه ما استطاع لكي يتفاوض مع باهو ويكتسب سنة التحرر التي وعد بها • ولكن كانت هناك أسباب أخرى يمكن الإباحة بها فقال : أقول لك إذا لم يكن لديك اعتراض على الملاحظات الشخصية •

قال الدكتور روبرت : أفصح •

– الواقع أنني كلما زادت معرفتي بكم اشتد حبي لكم • وأنا أريد أن أعرف المزيد عنكم • ثم أضاف الى ذلك وهو يرمق سوزيلا بنظره «وفى غضون ذلك قد تتبين لي جوانب شائقة عن نفسى • حتى م تسمحون لي بالبقاء؟»

– الأمر الطبيعي أن نخرجك بمجرد ماتسمح لك صحتك بالسفر • اما ان كنت شديد الحفاوة ببالا – وان كنت فوق ذلك شديد الاهتمام بنفسك – فقد نطيل بقاءك قليلا • أم هل ذلك لا يجوز؟ مارأيك ياسوزيلا؟ مع العلم بأنه يعمل فعلا مع لورد الديهايد •

وكاد ويل أن يحتج ثانية بأن عمله يتعلق بقسم لباب الاخشاب • ولكن الالفاظ انحاشت فى حلقه فلم ينبس ببنت شفة • ومرت ثوان فأعاد الدكتور روبرت السؤال •

فقلت سوزيلا أخيرا : نعم لاننا لو سمحنا له بالبقاء كنا مخاطرين • ومن ناحيتى الشخصية أنا على استعداد لأن أخاطر • فهل أنا على صواب؟ والتفتت نحو ويل •

فضحك وحاول أن يجعل من الموضوع فكاهة وقال : أظن أن بوسعك أن تثقى فى • على الأقل أرجو أن يكون ذلك

بوسعك • ولشد ما كان ضيقه بنفسه وحيـرته من أمره حينما شعر بالخجل • مم يخجل ؟ وجه هذا السؤال الى ضميره وهو على مضض • اذا كان هناك كسب لغير من يستحق فهو لشركة ستاندارد بكاليفورنيا • واذا ماتقدم ديـبا ، فأى فارق عنده لمن يكون الامتياز ؟ من تؤثر ان يلتهمك : ذئب أم نمر ؟ ان الأمر لا يهم الحمل - وجو لن يكون أسوأ حالا من منافسيه • ومع ذلك فلکم تمنى لو أنه لم يتمجـل بارسال الخطاب الذى بعث به • ثم لماذا لم تتركه وشأنه تلك المرأة الشنيعة ؟

وأحس من خلال الملاءة أن يدا تمس ركبته السليمة • وقد أكب عليه الدكتور روبرت وابتسم له •

قال : تستطيع أن تقضى شهرا هنا • وسأكون مسئولا عنك مسئولية كاملة ، وسوف نبذل جهدنا لكى نطلعك على كل شيء •

— أشكرك شكرا جزيلا •

قال الدكتور روبرت : حينما تشك اعـمل دائما على فرض أن الناس أكثر شرفا مما تظن بناء على أسباب ملموسة • هذه النصيحة أسداها الى راجا المعجوز حينما كنت شابا والتفت الى سوزيلا وقال لها : خبرينى كم كان عمرك عندما مات راجا المعجوز ؟

— ثمانية أعوام تماما •

— واذن فأنت تذكرينه جيدا •

وضحكت سوزيلا : وهل يمكن لأحد أن ينسى الطريقة التى كان يتحدث بها عن نفسه مؤكدا بها ذاته فوق كل شيء ياله من رجل عزيز على نفسه •

- ويا له من رجل عظيم !

ونهض الدكتور ماك فيل واتجه نحو خزانة الكتب التي كانت قائمة بين البواب ودولاب الملابس ، واستل من رفها الأسفل ألبوم صور سميك أحمر ، وقد تهلهل من أثر الجو الاستوائي ومن أكل الحشرات • وقال وهو يقلب صفحاته «له صورة هنا فى مكان ما • ها هي ذى» •

ونظر ويل الى الصورة الباهتة ، وهى صورة هندوكى ضئيل عجوز بنظارة ومثزر ، يفرغ محتويات صحن فضى كثير الزخرفة فوق عمود قصير سميك •

سأل : ماذا يفعل ؟

أجاب الدكتور : انه يصب الزيت المقدس فوق رمز للجنس • وهى عادة لم يستطع أبى المسكين أن يصرفه عنها •  
- وهل كان أبوك لايرضى عن الاعضاء الجنسية ؟

قال الدكتور ماك فيل : كلا ، كلا • بل كان يحبذها ،  
وانما كان لايرضى عن الرمز •

- ولماذا الرمز ؟

- لانه كان يعتقد أن الناس لابد أن يأخذوا دينهم بطريق مباشر ، ان كنت تفهم ما أعنى ، بغير تنقيح أو تحريف • ولم يكن يحب أن تصاغ العقيدة فى عبارات لاهوتية أو فى شعائر أو طقوس •

- وكان الراجا يميل الى مثل هذه العبارات وهذه الطقوس ؟

— ليس بوجه عام ، ولكن فى هذا الموضوع بالذات • كان يرتبط بصفة خاصة بهذا الرمز الجنسى للاسرة • وقد صنع من البازلت الاسود ، ويبلغ من العمر ثمانمائة عام على الأقل •

قال ويل فارنبى : لقد فهمت •

— يصب فوقه الزيت — كان هذا عنده نوعا من العبادة التى تعبر عن عاطفة جميلة نحو فكرة سامية • ولكن حتى أسمى الافكار تختلف اختلافا بينا عن اللغز الكونى الذى تمثله • والعواطف الجميلة التى ترتبط بالافكار السامية اذن ليس بينها وبين التجربة المباشرة مع اللغز الكونى عنصر مشترك • بتاتا • ولست فى حاجة الى أن اذكر لك أن الراجا العجوز كان يعلم ذلك حق العلم • اكثر مما كان يعلمه ابيه • لقد شرب اللبن من ضرع البقرة رأسا ، بل لقد كان هو واللبن شيئا واحدا • بيد أن مسح رمز التناسل بالزيت كان عملا مقدسا لم يحتمل أن يتخلى عنه • ولست فى حاجة الى أن أقول لك انه ماكان ينبغى لأحد أن يطلب اليه أن يتخلى عنه • واذا كان الأمر يتعلق بالرموز فان أبى يكون دائما من المتزمتين • وعلى خلاف مع جيته كان مثله الأعلى العلم التجريبيى البحت فى طرف والتصوف التجريبيى البحت فى طرف آخر من الطيف • الخبرة المباشرة على كل مستوى ، ثم التعبير الواضح العقلى عن هذه الخبرات • رمز الجنس ، الصليب ، الزيت ، الماء المقدس ، الحكم البوذية ، التماثيل ، الاناشيد — كم كان يود أن يلغيا جميعا •

وسأل ويل : وأين كان موقع الفنون ؟

أجاب الدكتور ماك فيل : لم يكن لها البتة موقع • الشعر وحده كان النقطة السوداء عند أبي • قال انه يحبه ، والواقع أنه لم يكن يحبه • الشعر من أجل الشعر ، الشعر باعتباره عالما مستقلا ، يقع بين الخبرة المباشرة ورموز العلم – ذلك شيء لم يدركه • دعنى أبحث عن صورته •

وتصفح الدكتور ماك فيل ألبوم الصور مرة أخرى ثم أشار الى الصورة الجانبية العجفاء ذات الحاجبين الكثيفين •

وعلق ويل عليها بقوله : ياله من رجل اسكتلندى !

– ومع ذلك كانت أمه وجدته لأمه من أهل بالا •

– اننى لا أرى لهما أثرا •

– فى حين أن جده لأبيه الذى وفد من بيرث كان شديد الشبه بالراجبوت (١) •

وحدق ويل فى الصورة الفوتوغرافية القديمة لشاب ذى وجهه بيضاوى وسبيلتين جانبيتين سوداوين ، يرتكز بمرفقيه على قاعدة من المرمر فوقها قبعته الطويلة الفارعة وقاعها الى أعلى •

– هل هذا هو جدك الأكبر ؟

– أول من وفد الى بالا من آل ماك فيل • الدكتور أندرو • ولد فى عام ١٨٢٢ فى مدينة اسكتلندية (رويال بارا) حيث كان والده جيمس ماك فيل يملك مصنع حبال • وكانت هذه الحبال رمزا ملائما ، لأن جيمس كان كالفينيا مخلصا لمذهبه ،

---

(١) أحد أفراد الطبقة الهندوكية العسكرية الحاكمة والمالكة للأرض – المترجم •

ولما كان يؤمن بأنه من الخيار فقد كان يستمد طمأنينة نفسية مشرقة من أن هؤلاء الملايين من زملائه يقضون حياتهم وحبل القدر ملتف حول أعناقهم وفي السماء ملاك يعد الدقائق ليوقعهم فى شرك الموت .

• وضحك ويل •

ووافقه الدكتور روبرت قائلاً : نعم ، ان الأمر يبدو مضحكا حقاً ، ولكنه لم يكن كذلك فى ذلك الحين ، بل كان جدا واكثر جدية من القنبلة الهيدروجينية فى هذه الأيام . كان من المعروف أن تسعة وتسعين وتسعة اعشار فى المائة من البشر محكوم عليهم بالجحيم الأبدى . لماذا ؟ اما لأنهم لم يسمعوا قط عن يسوع ، واما — ان كانوا قد سمعوا به لأنهم لم يؤمنوا ايمانا كافيا بأن يسوع قد أنقذهم من عذاب النار . والدليل على أن ايمانهم لم يكن كافيا هو انه كان من الواضح ومن الناحية العملية أن نفوسهم غير مطمئنة . والايان الكامل شىء يعود بالطمأنينة الكاملة للنفوس . ولكن طمأنينة النفس الكاملة شىء لا يملكه فى الواقع أحد . ومن ثم فان أحدا — من الناحية العملية — لا يملك الايمان الكامل . ولذلك فكل امرئ مكتوب عليه العقوبة الابدية .

قالت سوزيلا : انى لأعجب لماذا لما يصابوا جميعا بالجنون •

قال الدكتور ماك فيل : أكثرهم لحسن الحظ لم يؤمن الا بقمة رأسه • وقرع صلعة رأسه • ثم قال « بقمة الرأس كانوا يؤمنون بأن ذلك هو الحق لاريب فيه • اما بالفرد والاعصاب فقد كانوا يعلمون ماهو أصدق من هذا — يعلمون أن كل ذلك



هراء • ولم يكن الحق عند أكثرهم حقا الا يوم الأحد ، وحتى  
فى هذا اليوم كان الحق بمعنى بكويكى (١) بحت • وكان  
جيمس ماك فيل على علم بذلك كله • وكان مصمما بالألا يكون  
أبناءؤه من المؤمنين يوم الأحد فقط • كان لابد لهم من الاعتقاد  
فى كل كلمة من الكلمات المقدسة وان كانت خالية من المعنى  
حتى فى أيام الاثنين ، وحتى بعد الظهر فى أيام  
العطلات •

وكان لابد لهم من الايمان بكل كيانهم ، وليس فقط فى  
قمم رؤوسهم • لابد من ارغامهم على الايمان الكامل وعلى  
الطمأنينة القصوى التى تلازم هذا الايمان • وكيف يكون  
ذلك ؟ بأن يذيقهم النار الآن ويتوعددهم بالنار فيما بعد واذا  
ركب الشيطان رؤوسهم عنادا فرفضوا الايمان الكامل  
وما يجلبه من طمأنينة زادهم نارا وتوعددهم جحيما أشد  
سعيًا • ويقول لهم فى الوقت نفسه ان الله غنى عما يعملون ،  
ولكنه يوقع بهم عقوبات وحشية لكل مسلك مشين • ويقول  
لهم انهم بالطبيعة فاسقون ويضربهم على ما لا مقر لهم منه •

وعاد ويل فارنبى يتصفح ألبوم الصور •

— هل لديك صورة لجذك الممتع هذا ؟

قال الدكتور ماك فيل : كانت عندنا صورة زيتية ، ولكن  
الرطوبة أفسدت اللوحة وأخذت تأكلها الحشرات • كان نموذجا  
رائعا • شبيها بصورة أرميا التى رسمت فى عهد النهضة •  
جليل الطلعة ، فى عينه الوحى • ذو لحية نبوية تغطى كثيرا

---

(١) نسبة الى مستر بكويك احدى شخصيات الرواى الانجلىزى  
شارلز ديكنز — المترجم •

من العيوب الخلفية • ولم يبق له أثر سوى رسم بقلم الرصاص  
لبيته الذى كان يعيش فيه •

وقلب صفحة أخرى وقعت عينه على الصورة •

واستمر فى حديثه : من الجرائيت الصلب ، وعلى كل  
نوافذه قضبان • وفى داخل هذا الباستيل العائلى الدافئ  
أعمال نظامية من اللا انسانية ! لا انسانية نظامية ترتكب  
— ولست فى حاجة الى ذكر ذلك — باسم المسيح ومن أجل العمل  
الصالح • وقد ترك لنا الدكتور أندرو سيرة ذاتية لم  
يكملها ، ومنها عرفنا كل شئ •

— ألم يتلق الاطفال عوننا من أمهم ؟

وهز الدكتور ماك فيل رأسه •

— كانت جانيت ماك فيل من اتباع كامرون (١) كالفينية  
مخلصة مثل جيمس ذنسه • وقد تكون أكثر كالفينية منه •  
ولما كانت امرأة فقد كانت أكثر مبالغة ، وكان لديها مزيد  
من أسباب العطف الفرزى التى لا بد من التغلب عليها • ولكنها  
تغلبت فعلا — وببطولة • وبدلا من أن تقل من حدة زوجها  
كانت تعرضه وتؤيده • كانت العظات الدينية تلقى قبل  
الفطور وأثناء الغداء • وكان هناك الحوار الدينى فى أيام  
الاحاد وكانت هناك كذلك الرسائل الدينية تحفظ عن ظهر  
قلب • وفى المساء يحاسب الاطفال على انحرافاتهم أثناء النهار  
ثم يضربون بطريقة مطردة فوق أردافهم بالسياط المصنوعة  
من عظم الحوت والتى تستخدم فى ركوب الخيل ، سواء فى ذلك

---

(١) رتشارد كامرون مصلح سكتلندى بريزبيترى — المترجم •

البنون والبنات وعددهم ستة أطفال واحدا بعد الآخر بترتيب السن .

قالت سوزيلا : اننى أشمئز لسماع ذلك . وان هى الا محض سادية .

قال الدكتور ماك فيل : لا ليست سادية مجضة ، انما هى سادية تطبيقية . سادية بواعثها عميقة ، هى سادية فى سبيل مثل أعلى معين ، وهى تعبير عن عقيدة دينية معينة ، ثم التفت الى ويل وأضاف الى ذلك قوله : وهذا موضوع لا بد أن يقوم أحد بدراسته دراسة عميقة تاريخية – أعنى العلاقة بين اللاهوت وعقوبة الاطفال بدنيا . عندى نظرية مؤداها أن البلاد التى يجلد فيها البنون والبنات بطريقة نظامية تنشأ فيه ضحايا التعذيب على تصور الله بأنه هو (الأخر الكامل) – ليست هذه هى اللغة التى تتحدثونها فى ذلك الجزء من العالم الذى تسكنونه ؟ فى حين – على عكس ذلك – أن الاطفال الذين ينشأون دون أن يتعرضوا للقسوة البدنية يرون أن الله موجود فى كل الوجود . ان العقيدة الدينية لشعب من الشعوب تعكس مدى تعرض أطفاله للعقوبة البدنية . انظر الى العبرانيين – وهم شعب يضرب أطفاله فى حماسة شديدة . وكذلك كان كل المسيحيين الطيبين فى عهد الايمان . من هنا كانت فكرة يهوه ، والخطيئة الاولى والآب الذى أخطأ الانسان فى حقه خطأ شنيعا فى العقيدة الأصلية الرومانية والبروتستانتية . فى حين أن التربية عند الهندوس والبوذيين اتسمت دائما بعدم العنف . انعدمت عندهم العقوبات البدنية ومن ثم كانت عقيدتهم فى «أن المرء هو كذلك» روحه من الروح الأعلى . ثم انظر الى الصاجيين

(الكويكرز) - لتد عدوهم من الزنادقة لانهم آمنوا «بالضوء الباطنى» فماذا حدث ؟ تغلوا عن ضرب الاطفال وكانوا أول طائفة مسيحية احتجت على نظام الرق .

واعترض على ذلك ويل بقوله : ان ضرب الاطفال لم يعد شائعا فى هذه الايام ، ومع ذلك ففى هذه الآونة نفسها أمست الاباحة بفسكرة (الآخر الكامل) هى من الفكر المتقدم الحديث .

وفند الدكتور ماك فيل هذا الاعتراض وقال : ليس ذلك الا من قبيل رد الفعل بعد الفعل . ببلوغ النصف الثانى من القرن التاسع عشر اشتدت حركة الانسانيين المتحررين فى أفكارهم حتى تأثر بها المسيحيون الطيبون أنفسهم فكفوا عن ضرب الاطفال ولم تعد للضرب آثاره فى أجسام الاطفال ، ولذلك لم يعد هؤلاء الاطفال يرون الله «الآخر الكامل» وأخذ الجيل الجديد يخلق «الفكر الجديد» ، و «الوحدانية» ، و «العلم النصرانى» (١) - وكلها بدع شبه شرقية الله فيها يتطابق مع الانسان تطابقا كاملا . وسارت هذه الحركة شوطا بعيدا على عهد وليام جيمس ، ثم أخذت تقوى بعد ذلك . غير أن النكرة دائما تثير نقيضها ، وبمرور الايام ولدت هذه البدع الارثوذكسية الجديدة ، التى قضت على التطابق الكامل بين الله والانسان وعادت الى فكرة (الآخر الكامل) ! وكانت العودة الى أوغسطين ومارتن لوثر - وبعبارة موجزة العودة الى أشد ما عرف الانسان فى تاريخه كله من الايذاء البدنى بغير هوادة . اقرأ «الاعترافات» وقرأ «حديث المائدة» . وكان أوغسطين

---

(١) الايمان بأن الخطيئة والمرض والموت يمكن القضاء عليها بفهم تعاليم المسيح فهما كاملا - المترجم .

يتلقى الضرب من معلمه والسخرية من أبويه إذا هو شكا .  
وتعرض لوثر للضرب المستمر ليس فقط من معلميه ومن أبيه ،  
بل حتى من أمه التي تحبه . ودفع العالم ثمن هذا الضرب  
المبرح منذ ذلك الحين . ولولا لوثر وعقيدته الدينية التي  
صاحبها الضرب ما ظهرت فى الوجود فظائع البروسية والرايخ  
الثالث . ثم خذ عقيدة أوغسطين القائمة على القسوة البدنية ،  
والتي بلغت مع كالفين نتيجتها المنطقية واتبعتها برمتها عامة  
الناس من أمثال جيمس ماك فيل وجانيت كامرون . القضية  
الكبرى : الله منفصل عنا تماما ، والقضية الصغرى : الانسان  
فاسق فسقا كاملا . النتيجة : اضرب أبناءك كما ضربت ،  
واقفل بهم ما فعله ابونا الذى فى السماء بجسد الأنسانية  
جمعاء منذ سقوط الأنسان : الجلد بالسياط بغير هوادة !

ثم سادت فترة من الصمت . وتطلع ويل فاربنى مرة  
أخرى الى رسم ذلك الشخص الصخرى فى مصنع الحبال ،  
وطافت بذهنه كل الصور الخيالية البشعة القبيحة التي  
ارتفعت الى مستوى الامور الخارقة للطبيعة ، وكل القساوات  
الدينية التي أوحى بها تلك الصور الخيالية ، وكل الآلام التي  
فرضت على الناس وأسباب الشقاء التي تحملوها بسببها .  
إذا لم يكن أوغسطين بقسوته المحتملة كان روبسبير ، أو  
ستالين . وإذا لم يكن لوثر يحض الامراء على قتل الفلاحين  
كان ماو المعتدل الذى يهبط بهم الى مستوى العبودية .

وسأله ويل : ألا يصيبك اليأس أحيانا ؟

وهز ماك فيل رأسه وقال : نحن لانياس لاننا نعلم بأن  
الأمور لا يتحتم بالضرورة أن تكون سيئة كما كانت دائما فى  
الواقع .

وأضافت سوزيلا : نعلم أنه من الممكن أن تكون أفضل كثيراً . نعلم ذلك لأنها بالفعل أفضل ، الآن وفي هذا المكان ، فوق هذه الجزيرة غير المعقولة .

قال الدكتور ماك فيل : ولكن هل سنستطيع أن نفرحكم أيها القوم لكي تحذوا حذونا ، أو هل حتى أن نحافظ على واحتنا الانسانية الصغيرة هذه وسط بيدائكم الفسيحة التي تسكنها القرود - هذا للأسف أمر آخر . ولعل لدينا ما يبرر الشعور بالتشاؤم الشديد فيما يتعلق بالموقف الحالي . أما اليأس . اليأس المطلق ، فأنا لا أرى البتة أي مبرر له .

- حتى وأنت تقرأ التاريخ ؟

- حتى وأنا أقرأ التاريخ .

- انى أحسدكم - وكيف استطعتم ذلك ؟

- بتذكرنا حقيقة التاريخ : انه سجل لما أكره البشر على فعله من جهلهم ، وهو الغرور الأحمق الشديد الذى يجعلهم يقننون جهالتهم لتكون عقيدة سياسية أو دينية .

ثم عاد الى اليوم الصور وقال : لنعد الى بيت (رويال باره) والى جيمس وجانيت والى الاطفال الستة الذين وضعهم الة كالفين - بحقهده الشديد - تحت رحمتها ، «العصا والتأنيب يؤديان الى الحكمة . والطفل اذا ترك وشأنه جلب على أمه العار» ، هذه التعاليم - يعززها التأكيد السيكلوجى والعذاب البدنى - هى البنية الكاملة لتجربة بافلوف . ولكن البشر - لسوء حظ الديانة النظامية والدكتاتورية السياسية - لا يخضعون لنتائج التجارب المعملية كما تخضع الكلاب . ولقد أدت عملية التكيف الى ما قصد منها مع توم ومارى وجين .

فلقد أصبح توم قسيسا ، وتزوجت ماري من قسيس وماتت أثناء الوضع . وبقيت جين في البيت وقامت بتمريض أمها وهي تمانى طويلا من سرطان شرس ، ولعشرين عاما بعد ذلك ضحت بنفسها شيئا فشيئا من أجل الشيخ الجليل الذي أدركه الهرم وانتهى بشيخوخة عادت به الى عقل الطفولة . الى هنا سارت الامور سيرا طبيعيا . اما مع أنى - الطفلة الرابعة - فقد تغير النمط . كانت أنى جميلة . ولما بلغت الثامنة عشرة من عمرها عرض عليها الزواج ضابط في سلاح الفرسان . وكان هذا الضابط انجليكانيا ورأيه في الفساد الكامل وفيما يرضى الله اجرامى يجانبه الصواب . ولذلك كان الزواج محرما . وبدا كأن أنى قد كتبت عليها ماكتب على جين . واجتمعت ذلك عشر سنوات . ولما بلغت الثامنة والعشرين وقمت فريسة لاغراء رجل آخر من سلاح الهند الشرقية . وقضت معه سبعة اسابيع في سعادة شبه جنونية ، لم تشعر بمثلها من قبل . وبدت على وجهها مسحة من الجمال غير الطبيعي ، واشرق جسمها بالحياة . ثم أبحر الضابط في سلاح الهند الشرقية في رحلة الى مدراس وماكاو تستغرق عامين . وبعد أربعة أشهر ، وهي حامل ، وبغير صديق ، ألفت بنفسها في نهر تاي ياسا من الحياة . أما اسكندر وهو الذي يليها في الابناء فقد هرب من المدرسة والتحق بفرقة ممثلين . ومنذ ذلك الحين لم يسمح لأحد في البيت المجاور لمصنع الحبال بذكره . وأخيرا كان هناك أندرو ، وهو أصغرهم ، وما أشبهه بينيامين . وياله من طفل نموذجي . كان طائعا ، يحب دروسه ، وقام بحفظ الرسائل الدينية عن ظهر قلب أسرع وأدق مما فعل غيره من الاطفال . وذات مساء شهدته أمه وهو يعبث بجهازه التناسلي . وجاء ذلك في وقت ملائم رد لها

ايمانها بسوء النفس البشرية • وضربته بالسوط حتى سال  
دمه • وعاد الى فعلته بعد بضعة أسابيع وعادت الى ضربه ،  
وحكمت عليه بالحبس الانفرادى لايتناول غير الخبز والماء ،  
وقيل له انه اذنب فى حق الروح القدس وليس من شك فى أن  
أمه قد أصيبت بداء السرطان بسبب ذنبه • ولبت أندرو بقية  
طفولته تطارده أحلام مزعجة متكررة عن المجيم • كما طارده  
كذلك أسباب الاغراء المتكررة ، ولما استسلم لهذه الاسباب  
(وكان ذلك دائما فى وحدته وهو فى الحمام الذى يقع فى  
أقصى المديقة) هاجمته رؤى أشد ازعاجا من العقوبات التى  
كانت بانتظاره •

وعلق على ذلك ويل فارنبى بقوله : انى لأعجب كيف  
يشكو الناس من أن الحياة الحديثة خلو من المعنى ! أنظر كيف  
كانت الحياة حينما كان لها معنى • أيهما أفضل : قصة يرويها  
لك أحقق ، أم قصة يرويها لك كالفن ؟ ألا فاسمعنى قصة  
الاحقق دائما •

قال الدكتور ماك فيل : أنا أتفق معك • ولكن ألا يمكن  
أن يكون هناك احتمال ثالث ؟ قصة يرويها شخص لا هو  
بالأحمق ولا هو بالمجنون المرتاب ؟

قالت سوزيلا : شخص عاقل كل العقل على سبيل  
التغيير •

وأعاد الدكتور عبارتها : نعم على سبيل التغيير ، التغيير  
المبارك • ومن حسن الحظ كان هناك - حتى فى ظل النظام  
القديم - كثيرون لم تفسدهم التربية الشيطانية حتى وهى فى  
ذروتها • اذا أخذنا بقوانين فرويد وبافلوف كان ينبغى أن



ينشأ جدى الاكبر على انحراف عقلى • والواقع أنه نشأ سليم العقل • وأضاف الى ذلك الدكتور روبرت فى عبارة معترضة قوله : وهو يدل دلالة قاطعة على أن النظريتين السيكولوجيتين اللتين أشدتم بهما ناقصتان نقصا فاحشا • نظرية فرويد ، والنظرية السلوكية - على ما بينهما من خلاف شديد - تتفقان تماما عند تطبيقهما على الفوارق الطبيعية الفطرية بين الأفراد • كيف يعالج علماء النفس عندكم الذين تعزونهم اعزازا شديدا هذه الفوارق ؟ بمنتهى البساطة ، يتجاهلونها • ويزعمون بكل رفق أنها لا وجود لها • ومن ثم كان عجزهم التام عن مواجهة الموقف الانسانى كما هو قائم ، بل عجزهم عن تعليقه نظريا • انظر - مثلا - الى ما حدث فى هذه الحالة الخاصة • ان اخوة أندرو واخواته اما روضوا بتكبيعهم واما تحطموا • فى حين أن أندرو لم يروض ولم يحطم • لماذا ؟ لان عجلة الوراثة لم تدر حوله • كانت بنيته أكثر مرونة من غيره ، تشريحه البدنى على خلاف مع الآخريين كيميائوه الحيوية مختلفة ، مزاجه مختلف • بذل أبواه معه من الجهد ما بذلا مع بقية اخوته أصحاب الحظ السئ ، ولكنهما باءا بالفشل • فلقد خرج أندرو من المعركة مرفوع الراية دون أن يصيبه أذى •

— برغم ما اقترف من ذنب ضد الروح القدس ؟

— ذلك لحسن الحظ شىء تخلص منه خلال سنته الأولى من دراسة الطب فى ادنبره • كان آنئذ فتى لا يجاوز السابعة عشرة من عمره الا قليلا (فقد كانوا يبدأون تعليمهم صفارا فى تلك الأيام) • وفى غرفة التشريح ألقى الفتى نفسه مصغيا لأسوأ الالفاظ الفاحشة والسباب مما كان زملاؤه يتفوهون به لكى يرفعوا من روحهم المعنوية وهم بين الجثث

التي أخذت في التعفن • كان يصغى أول الأمر مذعورا ، وهو في خشية يقشعر لها بدنه من أن الله لا يد أن ينتقم • ولكن شيئا لم يحدث • فلقد ازدهر المجدفون ، ونجا من تلوث شفاههم بالفاظ السباب السافلة ولم تصيهم سوى لوثة من الامراض السرية بين الحين والآخر • واختفى الخوف من نفس أندرو وحل محله احساس عجيب بالفرج والخلص • واكتسب جرأة شديدة فبدأ يخاطر ببعض النكات البذيئة من عنده • نطق أول لفظة بذيئة - ما كان أشد احساسه بالتححرر ، وما كان أغزرها من خبرة دينية صادقة ! وفي أوقات فراغه قرأ قصة (توم جونز) وقرأ مقال هيوم عن (المعجزات) ، وقرأ الكافر جيبون • واستغل الفرنسية التي درسها في المدرسة فقرأ (لامتري) وقرأ (الدكتور كابانيه) • الانسان آلة ، يفرض منها المخ فكرا كما تفرز الكبد الصفراء • الامر في غاية البساطة ، وفي غاية الوضوح المضيء ! وبكل حماسة المهتمدي في اجتماع ديني قرر أن يلحد • وما كان يتوقع منه غير ذلك في مثل هذه الظروف ، لم يستطع أن يستسيغ القديس أوغسطين ، ولم يكن بوسعه أن يكرر الهراء الذي ورد على لسان اثاناسيوس • وكما يتخلص المرء من الماء القذر في الحوض بفتح البالوعة ، فعل ذلك ! ما أشد سعادته ! ولكن هذه السعادة لم تدم طويلا • فقد تبين له أن شيئا ما ينقصه • نعم لقد لفظ الطفل التجريبي مع المخلفات اللاهوتية القذرة ، ولكن الطبيعة تمقت الفراغ المطلق • فزالت عن نفسه سعادتها وحل محلها قلق مزمن ، وأصيب كما أصيبت بعمده الاجيال المتلاحقة بما جاء به وزلي وبوزي ومودي وبيلي وأمثالهم - سندی وجراهام - كلهم يعمل كآلة لاسترداد اللاهوت الذي سقط في البالوعة • انهم بالطبع يأملون في استرداد الطفل التجريبي ، ولكنهم

لا يتجشون أبدا • كل ما يستطيعه من يحاول احياء الدين أن يسترد مما تردى فى البالوعة قليلا من الماء القدر ، الذى يلقي به مرة أخرى بمرور الأيام • وهكذا الى ما لا نهاية • الأمر فى الواقع ممل الى أقصى الحدود ، ولا ضرورة له بتاتا كما أدرك ذلك الدكتور أندرو فى نهاية الأمر • وهاهو ذا الآن فى بداية استرداده لحريرته الجديدة • منفعلا ، جذلا – ولكنه منفعل فى هدوء ، وجذال خلف ظاهر من الانعزال الجاد الدمث الذى يبيديه عادة على الملأ •

وسأل ويل : وماذا عن أبيه ؟ هل نشبت بينهما معركة؟

– لم تنشب لأن أندرو لم يحب المارك • كان من ذلك الطراز من الرجال الذين يذهبون مذهبهم دائما ، وان كان لا يعلن عن هذه الحقيقة ، ولا يجادل غيره ممن يسلكون مسلكا آخر • ولم يعط الرجل العجوز قط فرصة لكى يفعل ما فعل أرميا • ولم يفصح بشئ ما عن هيوم ولا مبرى وأدى الحركات التقليدية • ولما انتهت دراسته لم يعد الى بيته وتوجه الى لندن واشتغل جراحاوعالما فى الطبيعة على سفينة ميلامبوس ، وأرسل الى البحار الجنوبية يحمل تعليمات ليرسم ويمسح ويجمع عينات مختلفة ولكى يحمى البعثات البروتستانتية والمصالح البريطانية • واستغرقت رحلة السفينة ميلامبوس ثلاث سنوات • وتوقف عند تهايتى ، وقضى شهرين فى ساموا وشهرا فى جزر ماركيساس • وبعد بيرث بدت الجزر وكأنها جنة عدن – ولكنها جنة خلت من الكالفينية والرأسمالية ومن الاحياء الصناعية الفقيرة ولكنها – لسوء الحظ – خلت كذلك من شيكسبير وموزار ، ومن المعارف العلمية والتفكير المنطقى • كانت فردوسا ، ولكنها لا تكفى •

وواصل رحلته البحرية ، وزار فيجي وكارولينز  
وسولومونز • ورسموا خريطة السواحل الشمالية لفينيا  
الجديدة ، ولما بلغوا بورنيو نزلت جماعة منهم على البر ،  
واصطادوا أورانجوتان حاملة ثم تسلقوا قمة جبل كينا بالو •  
وقضوا بعد ذلك اسبوعا فى باناي واسبوعين فى ارخبيل  
ميرجوى ، واتجهوا بعد ذلك غربا حتى اندا مانز ومنها الى  
أرض الهند الرئيسية •

وبينما كانوا على الساحل سقط جدى الأكبر من فوق ظهر  
حصانه وانكسرت ساقه اليمنى • واختار قائد السفينة  
ميلامبوس جراحا آخر وأبحر عائدا الى الوطن • وبعد شهرين  
بدأ اندرو يعمل من جديد طبيبا فى مدراس • وكان الاطباء  
ندرة فى تلك الايام والامراض منتشرة بصورة مزعجة •  
ونجح الشاب فى عمله • غير أن الحياة مع التجار والموظفين  
فى مقر الرياسة كانت مملة لا تطاق • كان فى المنفى ، ولكنه  
منفى يخلو مما يعوض عنه ، فلا مغامرة ولا غراية • ابعادالى  
الأقاليم ، الى مايشبه سوانسى وهدرسفليد فى المناطق  
الاستوائية • ومع ذلك فقد قاوم الاغراء بحجز مكان فى أول  
سفينة تبحر عائدة الى الوطن • لانه ان احتل العيش هنا  
خمس سنوات استطاع أن يجمع من المال ما يفتح به عيادة  
طبية فى أدنبره - لا ، بل فى لندن ، فى الحى الغربى • وبدا  
له المستقبل ذهبيا ورديا • سوف تكون له زوجة يؤثر أن  
تكون ذات شعر ذهبى داكن ، متواضعة فى ثرائها • وسوف  
يكون له من الاطفال أربعة أو خمسة ، سعداء ، من الملحدين  
الذين لايجلدون • وسوف ينمو فى مهنته ، يقصده المرضى  
من طبقات مرتفعة • الشراء ، والشهرة ، والكرامة ، بل

ورتبته الفروسية - تصور نفسه السير أندرو ماك فيل ينزل من سيارته فى ميدان بلجريف - السير اندرو العظيم ، طبيب الملكة - يستدعى لسننت بيتروزبورج ليجرى عملية جراحية للدوق العظيم ، ويستدعى للتويلرى ، وللفاتيكان ، وللباب العالي - ما أحلى هذه الخيالات ! ولكن ما حدث كان أروع كثيرا من ذلك - جاء الى غرفة العمليات ذات صباح جميل رجل غريب أسمر البشرة - وعرفه بنفسه فى انجليزية متعثرة - انه من بالا وقد أمره صاحب السمو الراجا أن يبحث عن جراح ماهر من الغرب ويعود به - وسيكون الجزاء ملكيا - وأكد له ذلك: جزاء ملكى - وفى التو والحين قبل الدكتور أندرو الدعوة من أجل المسال الى حد ما ، ولكن فى الأغلب لانه كان قد سئم ، وبحاجة الى التنوير ، وبحاجة الى نوع من المغامرة - هذه رحلة الى الأرض المحرمة - والاغراء لايقاوم -

وقاطعته سوزيلا قائلة : واذكر ان بالا فى تلك الأيام كانت أشد تحريما منها الآن -

«وهكذا تستطيع أن تتصور كيف أن دكتور أندرو والشاب قد اغتتم متلهفا هذه الفرصة التى هياها له سفير الراجا - وبعد عشرة أيام رست سفينته بعيدا عن الشاطئ الشمالى للأرض المحرمة - واستقل قاربا صغيرا ملحقا بالسفينة وشق به عباب الموج وهو يحمل صندوق الدواء وحقيبة الادوات وصندوقا كبيرا من الصفيح بداخله ملابسه وبضعة كتب لا غنى له عنها - ولما بلغ الساحل حملوه فوق محفة وساروا به خلال شوارع شيفا بورام واستقر فى الفناء الداخلى للقصر الملكى - وكان مريضه الملكى بانتظاره فى شغف - ولم تتح له فرصة يخلق فيها ذقنه أو يغير ملابسه ، قبل أن يسمحوا له

بالمقابلة - فمثل وهو مشفق فى حضرة رجل ضئيل أسمر فى أوائل الاربعينات من العمر ، نحيل الجسم يرتدى عباءة فاخرة مطرزة ، وجهه منتفخ مشوه حتى لا تكاد تحسبه من البشر ، وقد انخفض صوته حتى أمسى همسا فيه خشونة • وفحصه الدكتور أندرو ، وألقى تورما منتشرا فى كل اتجاه فى أحد جيوب فكه الاعلى حيث تبدأ جذور الورم • وامتد الورم حتى مسأ الأذن ، وانتشر الى أعلى حتى بلغ محجر عينه اليمنى ، وسد نصف حلقة • وتعذر التنفس ، وأصبح الابتلاع أليما ، والنوم مستحيلا • اذ كلما غفا اختنق وتيقظ كالمجنون يتلمس الهواء •

« كان واضحا - بغير جراحة أساسية - ان الراجا يشرف على الموت فى غضون شهرين • والجراحة الاساسية تعجل كثيرا بموته • ولندكر أن ذلك كان فى الزمن القديم الذى كانت تجرى فيه عمليات التسمم الدموى بغير مخدر • وفى أحسن الظروف كانت الجراحة تنتهى بوفاة مريض من كل أربعة • وحينما لا تكون الظروف مواتية زادت نسبة الوفيات - فتبلغ خمسين فى المائة ، أو سبعين ، أو مائة فى المائة • وتشخيص هذه الحالة لم يكن مبشرا • فالمريض ضعيف ، والعملية قد تطول ، وتزداد صعوبة وتسبب ألما مبرحة • والفرصة كبيرة فى موته وهو على طاولة العمليات ، ومن المؤكد أنه حتى ان نجا من العملية فوفاته أمر محتوم بعد بضعة أيام من تسمم الدم • وفكر الدكتور أندرو ماذا يكون مصيره اذا مات وقيل ان -جراحا أجنبيا قد قضى على حياة الملك • ثم من ذا الذى يمسك المريض وهو يتلوى أثناء العملية من أثر المبيض ؟ ومن

من خدمه أو حشمه يجروء على عصيان الأمر اذا صاح السيد من الألم أو طلب منهم بصراحة أن يخلوه وشأنه ؟

ربما كان التصرف الحكيم أن يقول فوراً ان الحالة ميؤس منها ، وانه لا يستطيع أن يقوم بعمل ما ، ويرجو اعادته الى مدراس فى الحال • ثم أعاد النظر الى الرجل المريض • وبادله الراجا بنظرة من خلال القناع البشع الذى بدا فيه وجهه المشوه ، وقد حدق بعينين كأنهما عينا مجرم مدان يتوسل الى القاضى أن يشمله برحمته • ومس هذا الرجاء شغاف القلب من الدكتور أندرو فابتسم له مشجعاً ، وربت على يده النحيلة ، وفى أثناء ذلك نبتت فى ذهنه فكرة - فكرة سخيقة لايفكر فيها الا مخبول العقل ، فكرة مخزية ، ولكن على الرغم من ذلك . . . .

« تذكر أنه منذ خمس سنوات ، عندما كان لايزال فى أدنبره ، اطلع على مقال فى مجلة (لانست) يهاجم فيه كاتبه الاستاذ اليتسون ، ذلك الرجل الذى ساءت سمعته ، لانه تحدث بحماسة عن امكان تنويم الحيوان تنويماً مغناطيسياً • وقد بلغت به جرأة الرأى أن يتحدث عن اجراء عمليات بغير ألم حينما يكون المرضى فى غيبوبة تنويم مغناطيسى •

«فالرجل اما أحقق ساذج واما وغد بغير ضمير • لأن الأدلة التى يبرر بها هذا الهراء كانت تافهة بشكل واضح • الأمر كله احتيال ودجل وخداع - وغير ذلك مما ورد فى مقال من ستة أعمدة كلها استنكار لما ينطوى عليه هذا الادعاء من انحطاط خلقى • وقد قرأ الدكتور أندرو هذا المقال فى ذلك الحين بدرجة من التصديق - لانه كان مايزال متأثراً بلامترى

وهيسوم وكابانيه • ثم نسى بعد ذلك كل ما يتعلق بتنويم  
الحيوان مغناطيسيا • والآن وهو الى جوار سرير الراجا عادت  
اليه الذكريات - الاستاذ المخبول ، والاشارات المغناطيسية ،  
والبتر بغير ألم ، وانخفاض نسبة الوفيات والشفاء العاجل •  
ربما كان فى الأمر شيء • وكان مستغرقا فى هذه الافكار  
عندما قاطع سكونه الرجل المريض بحديثه اليه • وقد تعلم  
الراجا الحديث بالانجليزية بطلاقة ولكن بمحاكاة تامة للرجل  
الذى علمه اياها فكان فى نطقه لكنة عامية قوية • وقد أخذ  
اللغة عن فلاح شاب ترك سفينته عند رندانج بولو واستطاع  
أن يعبر المضيق ليصل الى الراجا •

وضحك الدكتور ماك فيل وواصل سرد القصة وقال :  
هذه اللهجة العامية يشير اليها جدى الأكبر فى مذكراته حينما  
بعد حين • وكان يرى أنه من غير الملائم بتاتا للملك ان يتحدث  
كما كان يفعل سام ويلر (١) • وعدم الملازمة فى هذه الحالة  
لم تكن اجتماعية فحسب • فالراجا - فوق أنه ملك - كان  
رجلا مثقفا وعلى درجة كبيرة من التهذيب • لم يكن رجلا ذا  
عقائد دينية قوية فحسب (فأى أبله ساذج قد يكون ذا عقائد  
دينية قوية) ولكنه كان كذلك رجلا ذا تجارب دينية وبصيرة  
روحية • فاذا عبر مثل هذا الرجل عن نفسه بالعامية كان ذلك  
بالنسبة لرجل اسكتلندى من عهد فكتوريا الباكر قرأ  
( مذكرات بكويك ) أمرا لايمكن التسامح فيه • ولم  
يستطع الراجا أن يتخلص من هذه اللهجة الانجليزية العامية  
على الرغم من مهارة جدى الأكبر فى تعليم اللغة له • ولكن  
ذلك كله حدث فى المستقبل • أما فى اللقاء المأسوى الأول فقد

---

(١) شخصية فى قصص دكنز - المترجم



تأثر جدى الاكبر تأثرا غريبا بهذه اللهجة التى تتحدث بها الطبقة الدنيا والتى تؤذى السمع • وهمس المريض بهذه اللهجة قائلا : أعنى يادكتور ماك فيل ، وقد ضم راحتيه تضرعا •

« وكانت هذه الضراعة حاسمة • فقد تناول الدكتور أندرو يدى المريض النحيلتين - دون أدنى تردد - ووضعهما بين يديه ، وبدأ يتكلم بنغمة الواثق عن علاج عجيب جديد كشف عنه فى اوربا حديثا ولم يمارسه حتى الآن سوى حفنة من مشاهير الاطباء • ثم التفت الى الحاضرين الذين كانوا طوال هذا الوقت يطوفون حول المكان ، وأمرهم أن يغادروا الغرفة • ولم يفقهوا قوله ، ولكن نغمة الكلام وما صاحبها من اشارات كانت واضحة لا لبس فيها • فانحنوا احتراما وانسحبوا • وخلع الدكتور أندرو معطفه وطوى أكمام قميصه وشرع فى أداء الاشارات اليدوية المغناطيسية المعروفة والتى قرأ عنها فى مجلة لانست مستمتعا بها شاكا فيها • من قمة الرأس الى الوجه الى الجذع حتى البطن ، مرة تلو المرة حتى يصل المريض الى حالة الغيبوبة - أو حتى يرى الدجال المسيطر أنه قد أن له أن يعلن أن مريضه المخدوع أصبح الآن تحت تأثير المغناطيس ، (وقد ذكر حينئذ التعليق التهكمى الذى أدلى به كاتب المقال المجهول) • دجل وهراء وخداع • ولكن على الرغم من ذلك • • • بدأ يعمل فى صمت • عشرون اشارة ، خمسون اشارة ، وبعدها تنهد المريض وأغمض عينيه • ستون ، ثمانون ، مائة ، مائة وعشرون • وكانت الحرارة خانقة ، وقميص الدكتور أندرو مبتل بالعرق وذراعاه تؤلمانه • ولبت يكرر حركاته العابثة وهو متجهم • وبلغ مائة وخمسين ،

ثم مائة وخمسا وسبعين ، ثم مائتين • وكل ذلك خداع وهراء ،  
ولكنه على الرغم من ذلك كان مصمما على أن يسوق هذا  
البائس الى النوم حتى ان استغرق فى ذلك يومه كله ، وقال  
بصوت مرتفع وهو يؤدي الاشارة للمرة الحادية عشرة بعد  
المائتين ، أنت ستنام ، وبدا كأن الرجل المريض قد غرق فى  
وساداته ، وفجأة نعى الى سمع الدكتور أندرو صوت صفيح  
مخشوش ، وهو صوت التنفس • فقال على عجل ، انك لن  
تختنق هذه المرة • ذهنا مكان فسيح يسمح للهواء أن يتحرك ،  
ولن تختنق • وبدأ الراجا يتنفس فى هدوء وقام الدكتور  
أندرو بوضع اشارات أخرى ، ثم رأى أن يستريح قليلا ليكون  
فى جانب الأمان • ومسح وجهه ، ثم نهض ومد ذراعيه وذرع  
الفرقة جيئة وذهابا • وعاد الى جوار السرير وتناول أحد  
معصمى الراجا وكان أشبه بالعصا ، وجس النبض • وكان  
منذ ساعة قريبا من مائة ، أما الآن فقد هبط الى سبعين • ورفع  
الذراع ، وتعلقت يد الرجل مرتخية كأنها يد ميت من  
الأموات • ثم ترك هذه اليد فسقطت الذراع من تلقاء نفسها  
من أثر ثقلها ، جامدة لا تتحرك من مكان سقوطها • وصاح  
به «يا صاحب السمو» ورفع صوته ثانية صائحا : «يا صاحب  
السمو» فلم يجر جوابا • الامر كله دجل وهراء وخداع ،  
ولكنه - مع ذلك - فعل فعله ، مافى ذلك شك » •

ورفرت حشرة كبيرة براقه اللون (هى فرس النبى) حول  
احدى قواعد السرير الذى كان يستلقى عليه ويل ، وطوت  
الحشرة جناحيها القرنفل والابيض ، ورفعت رأسها الصغير  
المسطح ، ومدت رجليها الاماميتين ذواتى العضلات القوية  
التي لم يمهدا واتخذت وضع الصلاة • واجتذب الدكتور

ماك فيسل منظارا مكبرا وانحنى الى الامام لفحص هذه  
الحشرة .

ونطق اسمها باللاتينية وقال : انها تشكل نفسها لتبدو  
كالزهرة . وعندما يأتى الذباب والسوس ليرشف رحيق النبات  
ترشفها الحشرة ، واذا كانت أنثى أكلت عشاقها . ثم نحى  
المنظار جانبا واتكأ على مسند مقعده وقال مخاطبا ويل فارنبى  
« أكثر ما أحييه فى الكون ما فيه مما هو بعيد الاحتمال . انظر  
الى هذه الحشرة . الى الانسان المفكر ، الى مقدم جدى الاكبر  
الى بالا ، الى التنويم المغناطيسى . هل هناك ما هو أبعد من  
هذا احتمالا ؟

قال ويل : لاشيء اللهم الا قدومى الى بالا والتنويم  
المغناطيسى ، بالا التى بلنتها عن طريق سفينة محطمة وصخرة  
ناتئة ، والتنويم المغناطيسى عن طريق مناجاتى لنفسى عن  
كتدرائية انجليزية .

وضحكت سوزيلا وقالت : لم أكن مضطرة لحسن الحظ ان  
أقوم معك بكل هذه الاشارات ، فى مثل هذا الجو ! انى معجبة  
حقا بالدكتور أندرو . والتخدير بهذه الاشارات يستغرق  
أحيانا ثلاث ساعات .

– ولكنه أفلح فى النهاية ؟

– وانتصر .

– وهل أجرى العملية فعلا ؟

قال الدكتور ماك فييل : نعم أجراها ، ولكن ليس فى  
التو ، فلقد أعد لها اعدادا طويلة . وقد بدأ الدكتور أندرو

بأن أوعز الى مريضه بأنه سوف يستطيع منذ ذلك الحين أن يتطلع بغير ألم . وفى خلال الاسبوع الثلاثة التالية تولى اطعمامه . وفيما بين الرجبة والوجبة كان يدخله فى غيبوبة ويبقيه نائما حتى يحل موعد الوجبة التالية . ما أعجب ما يقدمه جسم المرء لصاحبه اذا هو أعطاه الفرصة . استرد الراجا اثنى عشر رطلا وأحس كأنه رجل آخر . رجل آخر ملىء بالثقة والامل المتجدد . وعرف أنه سوف يجتاز المحنة . وكذلك ايضا عرف الدكتور أندرو . وبينما كان الدكتور يقوى من ايمان الراجا كان فى الوقت عينه يقوى من ايمانه المشخصى . ولم يكن ايمانا أعمى . فقد كان على ثقة تامة من أن العملية سوف تعظى بالنجاح ، ولكن هذه الثقة التى لم تتزعزع لم تمنعه من أن يفعل كل مايمكن أن يعاون على نجاحها . فمنذ بداية ما اتخذ من اجراء كان يستغل الغيبوبة . وكان يقول لمريضه ان هذه الغيبوبة تشتد عمقا يوما بعد يوم ، وسوف تكون فى يوم العملية أعمق منها فى أى وقت سبق ، وكذلك سوف يطول أمدها . وكان يؤكد للراجا أنه سوف ينام أربع ساعات كاملة بعد انتهاء العملية ، ولن يحس أدنى ألم بعد ان يفيق . وقد عبر الدكتور أندرو عن هذه التأكيدات بمزيج من الشك المطلق والثقة التامة . ذلك أن العقل وخبراته الماضية كانت تؤكد له أن ذلك كله من ضروب المستحيل . ولكن الخبرة الماضية أثبتت غير ذلك فى هذه الحالة التى يعالجها . فلقد حدث المستحيل فعلا عدة مرات . ولم يكن ثمت ما يدعو الى ألا يتكرر وقوع المستحيل . المهم هو أن (يقول) انه سوف يحدث . لهذا قال به مرة بعد أخرى . كل ذلك حسن ، وخير منه ابتداعه فكرة اجراء التجربة .

— أى تجربة ؟

— تجربة الجراحة • فقد أدى اجراءاتها ست مرات •  
وكانت التجربة الأخيرة صبيحة يوم العملية • فى السادسة  
صباحا جاء الدكتور أندرو الى غرفة الراجا ، وبعد ما بادلته  
حديثا مرحا قصيرا بدأ فى اجراء اشاراته • وبعد بضع دقائق  
استغرق المريض فى غيبوبة عميقة • وأخذ الدكتور أندرو  
فى وصف ما كان مقدا على أدائه خطوة خطوة • ولمس عظم  
الخد عند العين اليمنى للراجا وقال له : سأبدأ بمط الجلد  
وبهذا المشرط (وسر فوق الخد طرف قلم من الرصاص) أشق  
الجلد ، ولن تحس ألما بطبيعة الحال — لا مشقة على الاطلاق •  
عندئذ أقطع الانسجة السفلى ولن تشعر بأى شىء بتاتا •  
ما عليك الا أن تستلقى هنا ، فى سبات مريح أثناء قيامى  
بقطع الخد حتى الأنف • وبين الفينة والفينة أتوقف قليلا •  
أتوقف قليلا لأربط أحد الاوعية الدموية ، ثم أوصل العمل •  
وبعد ما أنتهى من هذا الجزء من العمل أكون على استعداد  
لابدأ فى الورم الذى تقع جذوره فى تجويف العظم وقد امتد  
الى أعلى تحت عظم الخد حتى بلغ محجر العين ثم الى أسفل حتى  
المرىء • وبعد ما أنزع الورم تكون مستلقيا هنا كما كنت  
لا تحس شيئا ، فى أتم شعور بالراحة ، مسترخيا استرخاء  
كاملا • وعندئذ أرفع رأسك ، وطابق الدكتور أندرو بين  
حركاته وكلماته ورفع رأس الراجا وأمالها الى الأمام فوق  
عنقه المرتخى وقال : أنا أرفع الرأس وأثنيه لكى تتخلص من  
الدماء التى سالت فى نمك وحلقك • وقد تسرب شىء من  
الدم فى القصبة الهوائية ، فعليك أن تسعل قليلا لتتخلص  
منه ، ولن يوقظك هذا من نومك ، وسعل الراجا مرة أو

مرتين» ، وبعد ما أرخى الدكتور أندرو قبضته سقط الرأس فوق الوسادة والمريض ما يزال مستغرقا فى نومه • «ولن تختنق حتى وأنا أعمل فى الطرف الاسفل من ورم المريء» • وفتح الدكتور أندرو فم الراجا ودفع باصبعين فى حلقه • «الأمر كله لا يعمدو مجرد النزع ، وليس فى ذلك ما يجعلك تختنق • واذا لزمك أن تطرد الدم بالسعال فأنت تستطيع ذلك أثناء النوم • نعم أثناء نومك ، هذا النوم العميق العميق» •

— تلك كانت نهاية التجربة • وبعد عشر دقائق بعد ما قام ببضع اشارات أخرى وأوحى الى مريضه أن يعمق من نومه ، شرع فى اجراء العملية • مط الجلد ، وشقه ، وشرح الخد ، وقطع الورم من جذوره فى التجويف العظمى • واستلقى الراجا مكانه مسترخيا تماما ، ثابت النبض معتدلا فيه وهو فى الثامنة والسبعين ، ولم يحس ألما أكثر مما أحس والطبيب يجرى له تجربة المملية ويوهمه باجرائها • وأعمل الدكتور أندرو مبضمه فى الحلق ولم يحدث أى اختناق • وتدفق الدم فى القصبة الهوائية ، وسعل الراجا ولم يتيقظ • وبعد ما انتهت العملية بأربع ساعات كان لا يزال نائما ، وفى اللحظة المقدرة تماما فتح عينيه وابتسم للدكتور أندرو من خلال ضماداته ، وسأل بعاميته الانجليزية الرتيبة متى تبدأ العملية • وبعد اطعامه وغسله ، قام الدكتور باجراء بضع اشارات أخرى وأوحى اليه أن ينام أربع ساعات أخرى وأن يبرأ بسرعة • وثابر الدكتور أندرو على ذلك اسبوعا كاملا • ست عشرة ساعة من الغيبوبة كل يوم ، وثمان ساعات من الصحو • وكاد الراجا ألا يحس ألما من أى نوع • وعلى الرغم من ظروف التلوث التى أجرى الطبيب فيها العملية ، والتى كان يجدد

فيها الغيارات التأمّت الجروح دون تقيح • وكاد الدكتور أندرو ألا يصدق عينيه وقد تذكر الاحوال التي شهدها في مصحة أدنبره ، وما هو أشد منها في عنابر الجراحة في مدراس • وكانت هذه فرصة ثانية بالنسبة اليه تثبت له مايمكن أن يفعله المغناطيس الحيوانى • وكانت كبرى بنات الراجا فى شهرها التاسع من حملها الأول • فأرسلت الرانى فى طلب الدكتور أندرو متأثرة بما قام به لزوجها • وألفاها جالسة مع فتاة ضعيفة مرتاعة فى السادسة عشرة من عمرها لاتتحدث الا قليلا من العامية الانجليزية المتعثرة التي مكنتها من أن تقول له انها سوف تموت هى ووليدها • أكدت لها ذلك ثلاثة طيور سوداء حلقت فى طريقها فى ثلاثة أيام متتالية • ولم يحاول الدكتور أندرو أن يجادلها ، بل طلب اليها أن تستلقى ، ثم بدأ يؤدى اشاراته • وبعد عشرين دقيقة استغرقت الفتاة فى غيبوبة عميقة • وأكد لها الدكتور أندرو أن الطيور السوداء فى بلده تبشر بالخير ، وهى علامة على الميلاد والرفاء • سوف تلد طفلها بسهولة وبغير ألم • نعم ، بغير ألم مثلما فعل والدها أثناء العملية الجراحية • ووعدها بانعدام الألم بتاتا •

— وبعد ثلاثة أيام وبعد ثلاث أو أربع ساعات من الايحاء المركز ، حدث كل شىء كما توقع • ولما تيقظ الراجا ليتناول طعام العشاء ألقى زوجته الى جواره • وقالت له «لنا الآن حفيد وابتنتنا فى صحة جيدة • ولقد قال الدكتور أندرو انك غدا يمكن أن تنقل الى غرفتها لكى تبارك لها ولطفلها» • وبعد شهر حل الراجا مجلس الوصاية وعاد الى ممارسة سلطاته الملكية ، شاكرا للرجل الذى أنقذ حياته وأنقذ حياة ابنته

كذلك (وكانت الرانى مقتنعة بذلك كل الاقتناع) وعين  
الدكتور أندرو كبيرا لمستشاريه .

– ولذلك لم يعد الى مدراس ؟

– لا الى مدراس ، ولا حتى الى لندن . وبقي هنا فى  
بالا .

– وحاول أن يغير لهجة الراجا ؟

– كما حاول – وبدرجة أكبر من النجاح – أن يغير مملكة  
الراجا .

– الى أية صورة من الصور .

– ذلك هو السؤال الذى لم يكن بوسعه أن يجيب عنه . فى  
الأيام البعيدة ، لم يكن لديه خطة من الخطط . كل ما كان  
يملكه مجموعة من الاتجاهات التى يحبها ومجموعة اخرى لا  
يحبها . كانت فى بالا أشياء أحبها وأشياء كثيرة اخرى لم يحبها  
بتاتا . كما كانت هناك فى اوربا أشياء يمقتها وأشياء اخرى  
يتحمس لها أشد الحماسة . لقى فى أسفاره أمورا لها معنى  
وأمورا اخرى اشمأزت لها نفسه . وبدأ يدرك أن الناس  
ينتفعون من ثقافتهم وهم فى الوقت نفسه من ضحاياها .  
ثقافتهم تزههم كما تميمتهم أو تصيبهم بالآفات التى تفتك  
بازدهارهم فى الصميم . فهلا يمكن فى هذه الجزيرة المحرمة  
أن يتفادى سكانها الآفات وأن يبلغوا بذبول ازدهارهم حده  
الأدنى ، وأن يترعرع الفرد فى صورة أكثر جمالا ؟ هذا هو  
السؤال الذى حاول الدكتور أندرو والراجا أن يجدا له  
الأجابة عرضا فى أول الأمر ثم بوعى متزايد بعد ذلك بما  
كانا يتصديان له .



- وهل وجدنا حلا ؟

قال الدكتور ماك فيل : عندما أعود بذاكرتي الى الماضى يندهلنى ما أنجزه هذان الرجلان • الطبيب الأُسكتلندى وملك بالا ، الرجل الكالفينى الذى ألحد والبوذى الماهايانى (١) الورع التقى - يالهما من اثنين تلاقيا لقاء عجيبا ! وسرعان ما انعقدت بينهما صداقة وطيدة • اثنان لكل منهما مزاجه ومواهبه التى يتم بها مزاج الآخر ومواهبه ، فلسفتان تتكاملان ، ومعينان من المعرفة يكمل أحدهما الآخر • كل منهما يسد نقائص الآخر ، وكل منهما ينشط ويعزز ما عند الآخر من قدرات وراثية • الراجا عقله حاد دقيق ، ولكنه لا يعلم شيئا عن العالم الذى يتجاوز حدود جزيرته ، لا يعلم شيئا عن الملوم الطبيعية أو التكنولوجيا الاوربية أو الفن الأوروبى أو طرق التفكير فى اوربا • ولم يكن الدكتور أندرو بأقل منه ذكاء ، ولكنه لم يكن بالطبع على علم بالتصوير الهندى أو الشعر أو الفلسفة الهندية • وكذلك - كما تبين له شيئا فشيئا - لم يدر شيئا عن العقل البشرى أو عن فن الحياة • وفى الشهور التى أعقبت العملية الجراحية تتلمذ كل منهما على الآخر • ولم يكن ذلك بطبيعة الحال الا البداية • لم يكونا مجرد مواطنين لايعبان الا بارتقاء شخصيهما • فلقد بلغت رعية الراجا المليون وكان الراجا فى الواقع رئيس وزرائه • ولم يكن تطورهما الخاص الا مقدمة لتطوير الجماهير • واذا كان الملك والطبيب كلاهما يعلم الآخر أن يفيد من العالمين - العالم الشرقى والعالم الأوروبى ، العالم القديم والعالم الجديد - فلم يكن ذلك الا لكى يعينا الأمة

---

(١) بوذى يؤمن بوجود الله - المترجم

بأسرها على أن تحذو حذوهما . ماذا أقول ؟ أن يفيدا من العالمين ؟ كلا بل أن يفيدا من كل العوالم – العوالم التي تحققت فعلا فى الثقافات المختلفة ، وفيما جاوزها ، العوالم ذات الامكانيات التي لم تتحقق بعد . وكان ذلك طموحا ضخما ، طموحا يستحيل بلوغه تماما ، ولكنه كان على الأقل طموحا له ميزة خاصة ، وهى أن يحفزهما ، ويحملهما على أن يطاء أرضا تخشاها الملائكة – وقد حققا من النتائج فى بعض الاحيان ما أثبت للناس كافة – وأذهلهم – أنهما لم يكونا من الغفلة كما بدا لهم . أنهما – بطبيعة الحال – لم ينجحا قط فى الافادة من كل العوالم . ولكنهما – بفضل المحاولة الجريئة – أفادا من عوالم أكثر مما كان يحلم أى عاقل أو حكيم بالقدرة على التوفيق والجمع بينها .

ومن الأمثال روى ويل ما قيل من أن الأحمق اذا أصر على حماقته أصبح حكيما .

ووافق على ذلك الدكتور روبرت وقال : تماما . ولعل أشد حماقات اسرافا الحماقة التى وصفها بليك – وهى الحماقة التى كان الراجا والدكتور أندرو يفكران فيها حينذاك – الحماقة الكبرى التى تحدث على المزاوجة بين المجيم والنعيم – ولكنك ان أصررت على هذه الحماقة الكبرى كان جزاؤك وافرا ! بشرط أن تصر بذكاء بطبيعة الحال . لان الحمقى الاغبياء لا يحققون شيئا ما . المعارفون والماهرون وحدهم هم الذين تجعلهم حماقتهم حكما أو الذين تعود عليهم حماقتهم بنتائج طيبة . ولحسن الحظ كان هذان الاحمقان على مهارة . فقد بلغا من المهارة – مثلا – ماجعلهما يرتكبان حماقتهما بطريقة متواضعة مقبولة . بدأ بما يخفف الآلام .

وأهل بالا بوذيون ، وعرفوا الصلة بين البؤس والعقل . اذا  
تعلقت بأمر ما وتشبثت به ، واذا اشتدت رغبتك ،  
واذا فرضت نفسك عشت فى جحيم صنعته لنفسك  
بنفسك . واذا عزلت نفسك عشت مطمئنا . قال بوذا :  
أنا أريكم الاحزان ، وأنا أريكم نهاية الأحزان . وهذا  
هو الدكتور أندرو بنوع معين من العزلة الفعلية استطاع  
أن يقضى على الأقل على نوع من أنواع الاحزان ، أقصد الآلام  
البدنية . وقد استخدم الراجا نفسه ، كما استخدم - من  
النساء - الرانى وابنتها مترجمين له وهو يلقى الدروس فى  
فنه الذى كشف عنه أخيرا لمجاعات من القابلات والاطباء  
والمعلمين والامهات والمرضى العاجزين . الولادة بغير ألم -  
بهذا انضم الى جانب المجددين بحماسة شديدة كل نساء بالا .  
والعمليات الجراحية بغير ألم فى حالات الحصوة واعتام العين  
والنزيف - بذلك اكتسبوا ثقة الشيوخ والمصابين . وبضربة  
لازب انضم الى صفوفهم أكثر من نصف السكان البالغين ،  
وانحازوا لمجانبيهم ، وتوددوا اليهم ، أو على الأقل تفتحت  
عقولهم للإصلاح القادم .

قال ويل : والى أين ذهبوا بعد الآلام ؟

- الى الزراعة واللفة . الى الخبز والمواصلات .  
استقدموا رجلا من انجلترا لينشئ لهم روزامستد فى المناطق  
الحارة ، وانكبوا على تعليم أهل بالا لغة ثانية .

وكان لابد أن تبقى بالا جزيرة محرمة : لأن الدكتور  
أندرو اتفق مع الراجا بكل قلبه على أن المبشرين والمزارعين  
والتجار خطر على بالا لايمكن أن يحدث . ولكن اذا هم لم  
يسمحوا لهؤلاء المخربين الاجانب بدخول البلاد ، فلابد لهم

بطريقة ما أن يعاونوا الاهالى على الخروج منها ، ان لم يكن بأشخاصهم فبمقولهم على الأقل - غير أن لغتهم ، وكتابتهم العتيقة للأبجدية البراهمية كانت سجنا بغير نواذد . ولامخرج لهم ، ولا أمل فى النظر الى العالم الخارجى الا اذا هم تعلموا الانجليزية وأمكنهم أن يقرأوا الخط اللاتينى . وما أحرزه الرجا فى مجال اللغة كان مثالا يحتذيه رجال القصر الملكى . وأدخل السادة والسيدات فى حديثهم نتفا من العمامة الانجليزية ، بل لقد بعث بعضهم الى سيلان فى طلب مربين يتكلمون الانجليزية . وسرعان ما تحول الأمر من تظاهر بالتجديد الى سياسة مرسومة . وأنشئت المدارس الانجليزية واستوردت البلاد من كلكتا مجموعة من الطباعين البنغاليين ومعهم مطابعهم والأطقم الكاملة من الحروف المطبعية بصنوفها كافة . وكان أول كتاب انجليزى نشر فى شيفا بورام مختارات من (ألف ليلة وليلة) والكتاب الثانى ترجمة للحكم الهندوكية ، ولم تكن قبل ذلك ميسورة الا بالسانسيكريتية وفى المخطوطات . وأمسى تعلم الانجليزية لازما لمن أراد أن يقرأ عن سندات أو معروف أو لمن كان مهتما بما جاء فى (حكمة الشاطىء الآخر) ، وذلك لسببين هامين . وكانت تلك بداية لعملية تربوية طويلة تحولنا بها فى نهاية الأمر الى شعب يعرف لغتين . نتكلم لغة بالا ونحن نطهو ، أو نلهو بالفكاهة ، وعندما نتكلم عن الحب أو نمارسه .

وبهذه المناسبة نحن هنا فى جنوب شرقى آسيا لدينا أغنى محصول لغوى يعبر عن الحب وعن العواطف . اما فى شئون التجارة والعلم أو الفلسفة التأملية فنحن نتكلم عادة بالانجليزية . وأكثرنا يؤثر أن يكتب بالانجليزية . وكل

كاتب بحاجة الى أدب يكون له مرجعا ، وبحاجة الى نماذج يحتذيها أو يعارضها . وبالا لديها تصوير ونحت غاية في الجودة ، وفن معمارى رائع ، ورقص مدهش ، وموسيقى تعبيرية دقيقة – ولكن ليس لديها أدب بالمعنى الصحيح ، وليس لديها شعراء أو كتاب مسرحيات أو قصاصون وطنيون . ليس بها سوى شعراء شعبيين يروون الأساطير البوذية والهندوكية ، ومجموعة من الرهبان يلقون المواعظ ويتحدثون حديثا مفصلا فى الميتافيزيقا .

ولما اتخذنا الانجليزية لغة قومية ثانية اكتسبنا أدبا له ماض عريق فى القدم ومن أكثر الآداب انتشارا فى الوقت الحاضر من غير شك . أصبحت لدينا خلفية ، ومقياس روحى ، وكنز من الأساليب وطرق التعبير ، ومصدر للوحى لاينفذ . وبعبارة موجزة أمست لدينا القدرة على الابداع فى مجال لم نكن من قبل قط من المبدعين فيه . وبفضل الراجا وجدى الأكبر أصبح لدينا أدب انجلوبالى – وسوزيلا مثال طيب معاصر لهذا الأدب .

وعارضت سوزيلا قائلة : «انما أنا أمثل الجانب القاتم منه » واغمض الدكتور ماك فيل عينيه وابتسم لنفسه وأخذ ينشد مقطوعة شعرية عن جلال الصمت .

ثم فتح عينيه ثانية وقال : « ولا أذكر هذا الشعر الذى يمجد الصمت فحسب ، بل اذكر كذلك العلم . والفلسفة ، وأصول الدين الذى يدعو الى الصمت . . . والآن أن الاوان لكى تنام ، ثم نهض واتجه نحو الباب وهو يقول :

– سأتى لك بكوب من عصير الفواكه .

- حب الوطن وحده لا يكفي • وأى شيء آخر وحده لا يكفي • العلم لا يكفي ، والدين لا يكفي ، والفن لا يكفي ، والسياسة والاقتصاد وحدهما لا يكفيان ، وكذلك الحب لا يكفي ، والواجب لا يكفي ، والعمل وحده لا يكفي مهما تنزه صاحبه عن الهوى ، وكذلك التأمل وحده - مهما سما - لا يكفي • لا يغنى الا كل شيء •

ومن بعيد صاح الطائر «انتباه !»

ونظر ويل فى ساعته • كانت الثانية عشرة الا خمس ، فأغلق كتاب (حقائق الاشياء) ، وتناول عصا الخيزران ذات الطرف المديب التى كانت فيما مضى ملكا لديوجولد ماك فيل وسار بها لكى يحافظ على مواعده مع فيجايا والدكتور روبرت • ولا يبعد المبنى الرئيسى لمحطة التجارب عن منزل الدكتور روبرت أكثر من ربع ميل اذا هو سلك الطريق المختصر • وكان اليوم شديد الحرارة • وكان عليه أن يتغلب على مشقة الهبوط على مجموعتين من درجات السلم • والرحلة شاقة بالنسبة لرجل فى دور النقاهاة ساقه اليمنى فى الجبيرة •

وشق ويل طريقه فى بطء ويشعور من الألم على الطريق الممتوى وفوق درجات السلم ، وفى أعلى المجموعة الثانية من الدرجات توقف ليلتقط أنفاسه ويمسح جبينه ، والتزم الجدار حيث كان الى جواره شريط ضيق من الظل ، وسار نحو لوحة كتب عليها «المعمل» •

وكان الباب الذى يقع تحت اللوحة منفتحا الى نصفه ،  
فدفعه ليتم انفتاحه ، وألقى نفسه على عتبة حجرة طويلة  
سقفها مرتفع • وكانت هناك الاحواض وطاولات العمل  
المعتادة ، والدواليب ذات الأوجه الزجاجية المألوفة مليئة  
بالزجاجات والمعدات ، وروائح الكيماويات المعتادة ، وكذلك  
الفئران فى الاقفاص • وتصور ويل لأول وهلة أن الغرفة  
خالية من السكان - ولكن الأمر لم يكن كذلك ، فقد كان  
موروجان الشاب جالسا عند احدى المناضد مستغرقا فى  
القراءة وتكاد تخفيه عن الانظار خزانة كتب تبرز من الحائط  
بزاوية قائمة • وولج ويل الغرفة وهو أشد ما يكون هدوءا -  
لان مما يسره دائما أن يفاجئ غيره من الناس • وغطى على  
صوت مقدمه أزيز مروحة كهربائية • ولم يتنبه موروجان الى  
وجوده الا بعد ما أصبح على قيد بضع أقدام من خزانة الكتب •  
وفزع الفتى كأنه مذنب ، وألقى كتابه بعجلة المدعور فى  
حقيبة من الجلد • ومد يده نحو كتاب آخر أصغر حجما كان  
مفتوحا على المنضدة الى جوار الحقيبة ، وجذب اليه الكتاب حتى  
أصبح على بعد القراءة • عندئذ فقط لفت وجهه نحو الشخص  
الدخيل •

وطمأنه ويل بابتسامة منه وقال له : هذا أنا •

واستبدل الفتى بنظرة التحدى الفاضبة نظرة الارتياح  
وبادر بقوله : ظننته • • • ولم يتم العبارة •

- ظننته شخصا جاء ليؤنّبك على اهمالك فى أداء ماكان  
مفروضا عليك أن تؤديه - أليس كذلك ؟

وكشّر موروجان وأوماً برأسه ذى الشعر المجمع •

وسأل ويل : أين الآخرون ؟

فرد بنغمة تنم عن الازدراء : فى المقبول - يشذبون  
النبات أو يلحقونه أو ما الى ذلك •

- غاب القط فلعب الفأر ! ماذا كنت تقرأ بكل هذا  
الاهتمام ؟

وبمكر برىء رفع موروجان الكتاب الذى كان يتظاهر  
بقراءته وقال : مبادئ علم البيئة •

قال ويل : سألتك ماذا كنت تقرأ ؟

فهز موروجان كتفيه وقال : هذا • انه لا يهمك •

وأكد له ويل : اننى أهتم بأى شىء يحاول صاحبه أن  
يخفيه • هل هو من الأدب المكشوف ؟

وكف موروجان عن التمثيل ، وبدأ عليه فعلا الشعور  
بالإساءة وقال : من ذا تظننى أن أكون ؟

وكاد ويل أن يقول انه يظنه من أوساط الفتیان ، ولكنه  
تحكم فى نفسه • فقوله «أوساط الفتیان» قد يعنى بالنسبة  
لصديق ديبا صاحب الوجه المليح اهانة أو تلميحا • فبدلا من  
ذلك انحنى فى احترام زائف وقال «عفوا يا صاحب الجلالة» •  
ثم أضاف بنغمة أخرى «ولكننى لازلت تواقا الى المعرفة» •  
ووضع احدى يديه على الحقيبة المنتفخة وقال «هل لى ؟»

وتردد موروجان لحظة • ثم اضطر الى الضحك ، وقال :

- استمر •

وأخرج ويل المجلد الضخم من الحقيبة ووضعها على المنضدة



وقال : ياله من كتاب ضخيم وقرأ بصوت مرتفع : سيرزوروبك  
وشركاؤهما • كتالوج الربيع والصيف •

قال موروجان معتذرا : انه كتالوج العام الماضى • ولكنى  
لست أحسب أن تغيرا كبيرا قد حدث منذ ذلك الحين •

وقال له ويل مؤكدا : فى هذا أنت مخطيء • اذا كانت  
الطرز لاتتغير تماما كل عام امتنع السبب فى شراء أشياء  
جديدة قبل أن يبلى القديم • أنت لاتعرف المبادئ الأولى  
للاستهلاك • وفتح الكتاب حيثما اتفق وقرأ «حملات ناعمة  
للاحجام الكبيرة» ثم فتح صفحة أخرى ووجد وصفا وصورة  
لصدرة قرنفلية اللون من الداكرون والقطن للسيدات» وفتح  
صفحة أخرى ووجد ماسوف تلبسه صاحبة الصدرة بعد عشرين  
عاما (ولنذكر أننا جميعا سوف نموت) – ازار أمامى يضبطه  
حزام ، ومكور بشكل يسند البطن المتدلية •

قال موروجان الكتاب لايشوق حقا الا فى نهايته ، وبه  
ألف وثلثمائة وثمان وخمسون صفحة وبعبارة معترضة  
أضاف : تصور ! ألف وثلثمائة وثمان وخمسون صفحة !

وقفز ويل الى مابعد سبعمائة وخمسين صفحة •

وقال : هذا مثال طيب المسدس والاوتوماتيك المعروف  
عندنا قوة ٢٢ر • وبعد بضع صفحات أخرى وجد الزوارق  
المصنوعة من ألياف الزجاج ، والآلات ذات الدفع الداخلى  
القوى ، وآلة خارجية قوة ١٢ حصانا بمبلغ ٢٣٤٩٥ دولارا  
بما فى ذلك فنتاس الوقود • هذه أثمان منخفضة بشكل غير  
عادى !

ولكن من الواضح أن موروجان لم يكن ملاحا • فتناول

الكتاب وقلب عشرات الصفحات الأخرى بقلق شديد وقال :  
انظر الى هذا الطراز الايطالى لدراجة ذات رجل واحدة !  
وتطلع الى الكتاب ويل ، وقرأ موروجان بصوت مرتفع : عداد  
السرعة الأملس هذا يمكن أن يعطيك سرعة مقدارها ١١٠  
ميلا لجالون الوقود الواحد - تصور !

وتغير وجهه العابس الى وميض من الحماسة الشديدة  
وأضاف : ويمكنك أن تسير بسرعة ستين ميلا للجالون حتى  
بهذا الموتوسيكل الذى تبلغ قوته ١٤ حصانا - ويضمنون  
لك خمسة وسبعين ميلا فى الساعة - مضمونة !

قال ويل : رائع ! وفى شغف شديد سأل «هل بعث اليك  
أحد من أمريكا بهذا الكتاب الفاخر؟»

وهز موروجان رأسه وقال : أعطانى اياه الكولونيل ديبا .  
— «الكولونيل ديبا !» يالها من هدية عجيبة من هادريان الى  
انطونيوس ! ونظر مرة أخرى الى صورة الموتوسيكل ثم الى  
وجه موروجان المشرق - وأشرقت عليه الحقيقة ، واتضح  
له أغراض الكولونيل \* «أغوتنى الأسمى فأكلت» - ان الشجرة  
القائمة وسط الحديقة هى شجرة السلع الاستهلاكية - وأدنى  
تذوق لثمارها ، بل ومنظر صورها فى ألف وثلثمائة وثمان  
وخمسين صفحة - بالنسبة للسكان فى كل جنة عدن من جنت  
الدول النامية - له من التأثير مايجعلهم يعلمون - على  
استحياء - انهم من الناحية الاقتصادية عراة كما ولدتهم  
أمهاتهم \* ان الكولونيل بفعله هذا جعل راجا بالا المقبل  
يتأكد أنه لايرتفع عن مستوى حاكم عار تماما على قبيلة من  
القبائل الهمجية \*

وقال ويل بصوت مرتفع : ينبغي لك أن تستورد مليوناً  
من هذه التكنولوجيات وتوزعها على رعاياك - مجاناً بطبيعة الحال  
مثل موانع الحمل .

- لماذا ؟

- لكي تسيل لعابهم على الامتلاك . وبعدها تراهم  
صائحين يطلبون التقدم - آبار البترول ، السلاح ،  
جوالديهايد ، والتقنيين السوفيت .

وقطب موروجان جبينه وهز رأسه : أن هذا لا ينفذ .

- تعنى أن ذلك لا يفسريهم ؟ ولا حتى مؤشرات السرعة  
الملساء وصدرات الاثداء القرنفلية ؟ غير معقول !

وقال موروجان بمرارة : قد يكون غير معقول ، ولكنها  
الحقيقة . انهم لا يعبأون .

- حتى الشباب ؟

- بل والشباب بوجه خاص .

وأرهف ويل فارنبى السمع ، فلقد كان عدم الاكتراث  
هذا أمراً شائقاً جداً ، وسأله «هل تقدر السبب ؟

وأجاب الفتى أنا لا أقدره ، بل أعلمه . وبدأ يتكلم  
بنغمة تنم عن الاستنكار الحق ، نغمة كانت لا تتفق أبداً مع  
سنه ومظهره ، وكأنه قرر فجأة أن يحاكي أمه . قال : أولاً ،  
الناس هنا منشغولون جداً بـ . . . وتردد فى اكمال العبارة ،  
ولكن الكلمة المقبوتة خرجت همساً من بين شفثيه مع تأكيد  
يشير الاشمتزاز ، «بالجنس» .

— ولكن كل امرئ مشغول بالجنس • ولا يمنعمهم ذلك من  
السعى وراء مؤشرات السرعة كالبلغايا •

وقال موروجان مؤكدا : ولكن الجنس مختلف هنا •

وسأله ويل وقد تذكر الوجه الطروب للممرضة الصغيرة:  
ذلك بسبب يوجا الحب ؟

وأوماً الفتى برأسه ايجابا وقال : عندهم شيء يجعلهم  
يظنون أنهم فى منتهى السعادة ، وهم لا يريدون شيئا  
آخر •

— يالها من حالة سعيدة •

قال موروجان وقد طقطع بأصابعه : ليس فى الامر  
مايسعد ، الأمر كله غياب ويدعو الى الاشمئزاز • لاتقدم ،  
الامر كله جنس فى جنس فى جنس • ثم هناك أيضا ذلك  
المخدر الملعون الذى يتعاطونه جميعا •

وأعاد ويل الكلمة فى دهشة : مخدر ؟ مخدر فى مكان  
قالت سوزيلا انه ليس به مدمنون ؟ «أى نوع من أنواع  
المخدرات ؟»

وأجاب فى صيغة فكهة يحاكى بها نفمة الرانى المتذبذبة  
حينما تثار روحانيها ، قال : انه مصنوع من نوع من أنواع  
الفطريات السامة •

— تلك الفطريات الحمراء الجميلة التى تعودت أن تجلس  
فوقها الاقزام الذين يحرسون كنوز الأرض ؟

— لا • هذه الفطريات صفراء اللون • وقد اعتاد الناس  
أن يخرجوا لجمعها من الجبال • أما اليوم فهى تنمو فى أحواض

خاصة بالفطر بمرتفعات محطة التجارب • انه مخدر يزرع بطريقة علمية • شيء جميل • أليس كذلك ؟

وانفتح الباب محدثا صوتا ، وسمعت ضجة ووقع أقدام تقترب من الردهة ، وفجأة اختفت روح الرائي الساخطة (التي تقمصها) ، وعاد موروجان مرة أخرى ذلك التلميذ حى الضمير الذى يحاول خفية أن يستر مظاهر انحرافه • وفى لمح البصر حصل كتاب «مبادئ علم البيئـة» محل مجلد « سيرزوروبك » واخفت تحت المنضدة الحقيبة المنتفخة المريبة • وبعد لحظة دخل فيجايا الغرفة يذرعها بخطواته عاريا الى وسطه ، لامعا كالبرنز المسوح بالزيت ، يتصبب منه عرق العمل فى شمس الظهيرة • وسار من خلفه الدكتور روبرت • ورفع موروجان بصره من كتابه وعليه سيما الطالب النموذجى الذى قاطعه أثناء القراءة من انتهاك حرمة المكان من العالم الخارجى الطائش • وبسرور بالغ أخذ ويل لتسوه يودى بكل اخلاص ذلك الدور الذى وكل اليه أن يؤديه •

وعندما تقدم اليه فيجايا معتذرا عن التأخير • قال : أنا الذى جئت الى هنا مبكرا • مما ترتب عليه أن صديقنا الصغير هنا لم يتمكن من متابعة دروسه ، فقد كنا منهمكين فى  
المجدل •

وسأل الدكتور روبرت : فيم ؟

– فى كل شيء • الكرب ، والملوك ، والمعجلات البخارية ، والبطون المتدلية • وعندما جئتم كنا قد بدأنا الحديث فى الفطر • وكان موروجان يحدثنى عن الفطريات التى تستخدم هنا مصدرا للمخدرات •

وقال الدكتور روبرت ضاحكا : هل يدل الاسم على شيء ما ؟ الاجابة ، انه يدل على كل شيء • ان موروجان لسوء الحظ قد نشأ في اوربا ولذلك يسميه المخدر وشعوره نحوه الاستنكار المطلق الذى تثيره اللفظة القسرة ، متأثرا بالفعل المنعكس الشرطى • أما نحن - فعلى عكس ذلك - نطلق على هذه المادة أسماء طيبة - نقول عنها (عقار الموكشا) ، والكاشفة عن الواقع ، وأقراص الحق والجمال • وبالخبرة المباشرة نعلم أنها جديرة بهذه الاسماء الطيبة • أما صاحبنا الصغير هذا فليست لديه معرفة مباشرة بهذه المادة ، ولم يمكن اغراؤه بأن يجربها ، فهى عنده مخدر ، والمخدر - بحكم تعريفه - شيء لا يتعاطاه شخص مهذب •

وسأل ويل : ماذا تقول فى هذا يا صاحب السمو؟

هز موروجان رأسه وتمتم قائلا : كل ما يعطيك اياه مجموعة من الاوهام • لست أدري لماذا انحرف عن طريقي وأجعل نفسى أضحوكة ؟

قال فيجايا ساخرا متفكها : نعم لماذا ؟ ولك أن تسأل لانك فى حالتك الطبيعية وحدك من بين أفراد الجنس البشرى جميعا الذى لا يستغضه أحد وليس لديك أوهام عن أى شيء !

واحتج موروجان قائلا : اننى لم أقل ذلك قط ، وكل ما قصدت هو أننى لا أريد ما عندكم من (ساماهى) زائف •

وسأل الدكتور روبرت : كيف عرفت أنه زائف ؟

- لان الشيء الحقيقى لا يأتى للناس الا بعد سنوات

وسنوات من التأمل و (التابا) (١) وكذلك الامتناع عن  
النساء» .

وثغليقا على ذلك قال فيجايا لويل : ان موروجان  
بيوريتانى (متزمت) ، يثور عندما يعلم أن أربعمائة مليون  
من عقار الموكشا فى الدورة الدموية يجعل المبتدئين - حتى  
البنين والبنات الذين يمارسون الحب - قادرين على رؤية  
العالم كما يراه المرء اذا تحرر من استرقاق ذاته لنفسه .  
قال موروجان مؤكدا : ولكنه غير واقعى .

ورد عليه الدكتور روبرت بقوله : غير واقعى ! ان ذلك  
بمثابة قولك ان تجربة الاحساس بسلامة الصحة غير  
واقعية .

واعترض على ذلك ويل بقوله : انك تفترض سلفا صدق  
ما تقول . لان التجربة يمكن أن تكون واقعية بالنسبة لشيء  
يجرى داخل جمجمة الرأس ، ولكنها ليست كذلك بتاتا بالنسبة  
لأى شيء خارجى .

ووافق الدكتور روبرت على ذلك وقال : طبعاً .

- هل أنت تعلم مايجرى بداخل جمجمتك عندما تتناول  
جرعة من الفطر ؟

- نعرف القليل .

وأضاف على ذلك فيجايا : ونحن نحاول كل مرة أن نزداد  
معرفة .

---

(١) رداء من الياف الشجر ، والمقصود هنا هو النقشف - المترجم .

قال الدكتور روبرت : لقد عرفنا مثلا أن الناس الذين لا يظهر رسم المخ عندهم حركة الموجة ( أ ) وهم فى حالة استرخاء لا يهتمون أن يستجيبوا لعقار الموكشا بدرجة مجسوسة ، ويمثل هؤلاء نحو خمسة عشر فى المائة من السكان • ومعنى ذلك أن علينا أن نوفر لهم سبلا أخرى للتحرر •

قال فيجايا : وثمت أمر آخر بدأنا ندركه ، وهو علاقة الاعصاب بهذه التجربة • ماذا يحدث فى المخ عندما تحدث الرؤيا ؟ وماذا يحدث عندما ينتقل المرء من حالة عقلية تسبق التصوف الى حالة التصوف الحق ؟

قال ويل : وهل تعرفون ؟

— المعرفة كلمة ضخمة • يكفيننا أن نقول اننا فى وضع يمكننا من الحدس المعقول • الملائكة وصور جديدة لأورشليم وللعندراء ولأمثال بوذا الذين سوف يظهرون فى المستقبل — كل هؤلاء — كل هؤلاء متصلون بنوع غير عادى من أنواع اثاره مناطق المخ التى تتصور الأفكار وكأنها حقائق موضوعية ، — اللحم البصرى مثلا • ولا نعلم حتى الآن كيف يحدث عقار الموكشا هذه الاثارات غير العادية • المهم أنها تحدثها بطريقة ما • وبطريقة ما تفعل شيئا غير عادى فى مناطق المخ الساكنة ، المناطق التى لا تتعلق خاصة بالرؤيا أو الحركة أو الشعور •

واستفسر ويل : وكيف تتجاوب هذه المناطق الساكنة ؟

— لنبدأ كلامنا بما لا تتجاوب معه هذه المناطق • انها لا تتجاوب مع الرؤى أو المسموعات ، ولا تتجاوب مع اتصال العقول أو رؤية ما يقع وراء نطاق البصر أو أى نوع من



أنواع الأداء الذى يجاوز حدود النفس • لاشيء من المادة الممتعة  
التي تسبق التصوف • تجاوبها تجربة صوفية كاملة – الواحد  
فى الكل والكل فى الواحد • التجزبة الاساسية وما يترتب  
عليها – الرأفة التي لاتحد ، واللغز والمعنى الذى لايسبر  
غوره •

وقال الدكتور روبرت : وذلك بخلاف المتمة • المتمة التي  
يعجز عن وصفها التعبير •

قال ويل : والمجموعة كلها داخل المجموعة •

– أمر خاص جدا ، لا اشارة فيه لأى شيء خارجى سوى  
الفطر •

وقاطعه موروجان قائلا : غير واقعى • وهذا بالضبط  
ماكنت أحاول أن أقوله •

قال الدكتور روبرت : أنت تفترض أن المخ يحدث  
الوعى • وأنا أزعم أن المخ ينقل الوعى • وليس شرحى أكثر  
بعدا فى احتمالاه من شرحك • كيف يمكن أن يمارس المرء  
مجموعة من الاحداث التي تتعلق بعالم ما على أنها مجموعة من  
الاحداث متعلقة بعالم آخر مختلف تماما وغير متناسب معه •  
ليس هناك من لديه أدنى فكرة • كل ما يستطيع المرء أن يفعله  
هو أن يقبل الوقائع ويلفق الفروض • وكل فرض – من  
الناحية الفلسفية – له من الصلاحية ماغيره من الفروض •  
أنت تقول ان عقار الموكشايفعل شيئا ما فى المناطق الصامتة من  
المخ مما يجعل هذه المناطق تنتج حوادث ذاتية يسميها الناس  
«تجربة صوفية» • وأنا أقول ان عقار الموكشا يفعل شيئا ما  
فى المناطق الصامتة من المخ مما يفتح شيئا يشبه صمام المخ

فيسمح بقدر أكبر من «العقل العام» أن يتدفق في «عقلك الخاص» وأنت لاتستطيع أن تثبت صدق فرضك ، وأنا لا أستطيع أن أثبت صدق فرضي . وحتى ان استطعت أن تثبت خطأى فهل يكون هناك فرق عملي ؟

قال ويل : كنت أحسب أن هناك فارقا كبيرا .

قال الدكتور روبرت : هل تحب الموسيقى ؟

– أكثر من أى شيء آخر .

– هل لى أن أسألك الى أى شيء تشير خماسية موزار ؟ هل تشير الى الله أو تاو أو الى الشخص الثانى من الثالوث المقدس أو الى آتمان براهمان ؟

وضحك ويل وقال : أرجو ألا يكون هناك شيء من

ذلك .

– ولكن ذلك لا يقلل مما تعطيه الخماسية لنا . الأمر شبيه بذلك فيما يتعلق بنوع التجربة التى تظفر بها من عقار الموكشا ، أو من الصلاة والصيام والتدريبات الروحية . انها قد لا تشير الى شيء خارج عنها ، ومع ذلك فهى أهم ما يحدث لك . انها كالموسيقى ولكنها أقوى منها أثرا . واذا أنت أعطيت للتجربة فرصة ، واذا كنت على استعداد لأن تمارسها، فسوف تجد ان نتائجها أفعل علاجا وأكثر قدرة على تشكيلك بدرجة لا تقارن . ربما كان كل شيء يحدث داخل الجمجمة ، وربما كان خاصا بك وحدك ، وربما لاتكون هناك معرفة موحدة لأى شيء سوى ما يحدث لوظائف أعضائك أنت . ماذا يهمنا فى ذلك . الأمر الواقع هو أن التجربة تستطيع أن تفتح عينيك وتجعلك من المباركين وتقلب حياتك كلها» . وسادت

فترة طويلة من الصمت ، واصل بعدها الحديث متوجها الى موروجان «أحب أن أقول لك شيئا ، شيئا لم يكن فى نيتى أن أبوح به لأى انسان . ولكنى أشعر الآن انه ربما كان على واجب ازاء العرش وازاء بالا وكل ساكنيها – لزام على أن أحدثك عن هذه التجربة الخاصة . وربما كان حديثى عوناً لك لكى تكون أكثر تفهما لبلدك وطرائقها» . وصمت لحظة ، ثم واصل الحديث بنغمة هادئة تنم عن الثقة التامة فيما يروى ، قال «أعتقد أنك تعرف ماجرى لزوجتى .

وبوجه لايزال متجها وجهة أخرى أوما موروجان برأسه ايجابا . وتمتم قائلا : أسفت عندما نمى الى انها مريضة .

قال الدكتور روبرت : لم يعد لها سوى بضعة أيام ، أربعة أو خمسة على الاكثر ، ولكنها لاتزال صافية الذهن ، واعية تماما بما يحدث لها . بالامس سألتنى ان كنا نستطيع أن نتناول عقار الموكشا معا . وفى جملة معترضة قال «وكنا نعمل ذلك من قبل مرة أو مرتين كل عام خلال السبعة وثلاثين عاما الماضية – منذ أن قررنا أن نتزوج ، والآن مرة أخرى – للمرة الاخيرة . والامر لا يخلو من مخاطرة لما قد يترتب عليه من ايداع لكبدها . ولكنا قررنا أنه خطر يستحق أن نرتكبه . وكنا على حق كما تبين فيما بعد . فان عقار الموكشا – أو المخدر كما تحب أن تسميه – كاد ألا يصيبها بأى سوء . وكل ماحدث لها تحول عقلى .

ثم صمت ، وفجأة تنبهه ويل الى خمش الفئران المحبوسة فى القفص وصريرها ، كما تنبهه من خلال النافذة المفتوحة الى الجلبة التى تتميز بها الحياة فى المناطق الاستوائية ، وكذلك

الى نداء طائر بعيد من طيور المينة ، يصيح : الآن وفي هذا  
المكان أيها القوم ، الآن وفي هذا المكان . . .

وأخيرا قال الدكتور روبرت : أنت مثل هذه المينة ،  
دربت على تكرار ألفاظ لا تفقه لها معنى أو تدرك لها مغزى .  
لا تفتأ تكرر قولك «غير واقعى ، غير واقعى» ولكنك اذا جربت  
ما فعلته أنا ولاكشما بالامس كنت أكثر من ذلك علما . كنت  
أكثر واقعية مما يدور فى خلدك ومشاعرك فى هذه اللحظة .  
كنت أكثر واقعية من العالم الذى تبصره بعينيك . ولكن «هذا  
غير واقعى» هى العبارة التى تعلمت أن تجريها على لسانك .  
«غير واقعى ، غير واقعى» . ووضع الدكتور روبرت احدى  
يديه على كتف الفتى فى عطف شديد . وواصل حديثه قائلا  
«قيل لك انا لسنا «سوى مجموعة من متعاطى المخدرات المدمنين ،  
نفوس فى الأوهام والسمادير الكاذبة . اسمع يا مروجان :  
عليك أن تنسى كل ما نفخوه فيك من لفسة باطلية . عليك أن  
تنسأه على الاقل حتى تقوم بالتجربة مرة واحدة . خذ أربعمئة  
مليجرام من عقار الموكشا واكشف لنفسك بنفسك تأثيرها ،  
وماذا تستطيع أن تنبئك به عن طبيعتك ، وعن هذا العالم  
الغريب الذى يتحتم عليك أن تعيش فيه ، وتتعلم فيه ، وتكابد  
فيه ، وأخيرا تموت فيه . نعم لانه حتى أنت لابد أن تموت  
يوما ما - ربما بعد خمسين عاما من اليوم . وربما غدا . من  
ذا الذى يعلم ؟ ولكنه لابد حادث ، ومن لا يستعد لهذا اليوم  
رجل غافل » والتفت الى ويل وقال له : هل تحب أن ترافقنا  
ونحن نستحم ونرتدى الملابس ؟

ولم ينتظر منه ردا وسارع الى الخروج من الباب الذى  
ينفتح على الردهة الوسطى فى البناء الطويل . والتقط ويل

عصاه الخيزرانية وخرج من الغرفة في اثره مصاحبا  
فيجايا .

وبعد ما انغلق الباب خلفهما سأل فيجايا : هل تظن أن  
موروجان قد تأثر بهذا الكلام ؟

وهز فيجايا كتفيه وقال : انى أشك فى ذلك .

قال ويل : انه بتأثير أمه وبشغفه بالآلات ذات الاحتراق  
الداخلي معصن ضد أى شىء مما تقولون . كم كنت أود لو انك  
استمعت اليه وهو يتحدث فى موضوع العجلات البخارية !

قال الدكتور روبرت وقد توقف عند باب أزرق فى  
انتظارهما لكى يرافقاء : سمعناه مرارا وتكرارا . عندما  
يبلغ سن الرشد ستصبح هذه العجلات قضية سياسية كبرى .

وضحك فيجايا وهو يقول : ان تركيب العجلة أو لا تركيبها،  
هذه هى المشكلة (١) .

وأضاف الدكتور روبرت : انها ليست المشكلة فى بالا  
وحدها . انها المشكلة التى لايد أن تجد لها كل البلاد النامية  
حلا بطريقة ما .

قال ويل : والحل هو هو بعينه دائما . حيثما ذهبت  
- وقد طفت فى كل مكان تقريبا - وجدتهم يختارون ركوب  
العجلات بكل قلوبهم .

ووافق فيجايا قائلا : بغير استثناء . يحبون ركوب  
العجلات من أجل العجلات فى حد ذاتها . لايعبأون البتة بكل

---

(١) اشارة الى نقل التكنولوجيا من البلاد المتقدمة الى البلاد النامية -  
المترجم

ما يتعلق باستكمال أنفسهم أو بتثقيفهم أو تحررهم • ودعك  
من الصحة العامة أو السعادة •

قال الدكتور روبرت : فى حين أننا قد اخترنا أن نكيف  
الاقتصاد والتكنولوجيا عندنا بما يناسب البشر - ولم نكيف  
البشر ليتقبلوا تكنولوجيا غيرهم واقتصادهم • اننا نستورد  
ما لا نستطيع أن نصنعه ، ولكننا لانصنع ولانستورد الا ما فى  
وسعنا • وما بوسعنا لا يحدده فقط مالدينا من الجنيئات  
والماركات والدولارات ، وانما يحدده كذلك وفى المقام الأول  
- وأؤكد ما فى المقام الاول - رغبتنا فى أن نكون سعداء  
وظموحنا الى أن نكون انسانين بكل ماتعنيه الكلمة •  
والعجالات - كما قررنا بمد ما بحثنا الأمر بكل دقة - من  
الاشياء العديدة التى ليست فىوسعنا • وذلك أمر سوف  
يتعلمه موروجان بمد مشقة لانه لم يتعلمه - ولا يريد أن  
يتعلمه بيسر وسهولة •

وسأل ويل : وما هى الطريقة السهلة الميسرة للتعلم ؟

- التربية وكشف الحقيقة • وموروجان لم ينل هذه  
ولا ذاك • بل قل انه نال نقيضيهما • سوء التربية فى  
اوربا - مربية سويسرية ، ومعلمون انجليز ، والصور  
المتحركة الامريكية ، والاعلانات العامة - وقد كانت روحانية  
أمة من النوع الذى أخفى عنه الحقيقة • ولا عجب بعد ذلك  
اذا كان قد شغف بالعجلات البخارية •

- ولكنى علمت أن رعاياه لا يشغفون بها

- وكيف يشغفون ؟ وقد تعلموا منذ نعومة أظفارهم أن  
يكونوا على وعى تام بالعالم ، وأن يستمتعوا بهذا الوعى •

وفوق ذلك رأوا العالم كما رأوا أنفسهم وغيرهم من الناس كما أضاءت لهم وأظهرت لهم كاشفات الحقيقة ، مما ساعدتهم بطبيعة الحال على أن يشهدوا وعيهم وأن تكون متمتعة قائمة على أساس من الإدراك ، حتى لقد بدت لهم الأشياء العادية ، والاحداث التافهة كالجواهر والمعجزات ، نعم كالجواهر والمعجزات وقد كثرر العبارة للتأكيد ثم أضاف : واذن لم تكن بنا حاجة الى اللجوء الى المعجلات أو الويسكى أو التلفزيون أو يبلى جراهام أو أى شئ مما تستخدمونه ليصرف أذهانكم ويعوضكم .

واستشهد ويل بهذه العبارة : «لا يغنى فعلا الا كل شئ» ثم قال : أنا أدرك الآن ما تحدث به راجا المجوز . انك لن تكون اقتصاديا الا ان كنت من علماء النفس الممتازين ، ولن تكون مهندسا ممتازا الا ان كنت من النوع الصحيح من الميتافيزيقيين .

قال الدكتور روبرت : ولاتنس العلوم الاخرى جميعا . علم العقاقير ، علم الاجتماع ، علم وظائف الاعضاء ، ولست بحاجة الى ذكر علم الانسان بنفسه نظريا وتطبيقيا ، ونيوروثيولوجيا ، وماوراء الكيمياء ، والتصوف ، والعلم الفائى قال ذلك مشيحا بوجهه كى يكون أكثر وحدة وهو يفكر فى لاكشمى وهى فى المستشفى ، وأضاف «والعلم الذى سوف نمتعن فيه ان عاجلا أو آجلا - أقصد الثانتولوجيا (علم الموت)» وصمت برهة ثم قال بنغمة أخرى : والآن دعنا نذهب لنغتسل . وفتح الباب الأزرق ، وتقدمهم نحو حجرة الغيار وبها صف من الادشاس وأحواض الغسيل فى جانب ، وفى الجانب الآخر صفوف من الصناديق المقفلة ودولاب كبير لتعليق الملابس .

واتخذ ويل له مقعدا وبينما كان رفيقاه يفتسلان في  
الأحواض واصل حديثه معهما .

سأل : هل يجوز لأجنبي ممن ساءت تربيتهم أن يجرب  
قرصا من أقراص الحق والجمال ؟

وكانت الاجابة سؤالا آخر ألقاه الدكتور روبرت  
مستفسرا :

– هل كبداك في حالة جيدة ؟

– جيدة جدا .

– ويبدو أن انفصام الشخصية عندك خفيف . لذلك  
لا أرى مانعا .

– واذن أستطيع أن أقوم بالتجربة ؟

– متى ماشئت .

واتجه نحو أقرب كشك من أكشاك الدش وفتح صنبور  
الماء ، وفعل فيجاليا مثل ما فعل .

ولما خرجا من تحت الماء وبدأ كل منهما يجفف نفسه سألهما :

– أليس من المفروض أنكما من المثقفين ؟

وأجاب فيجاليا : نحن نقوم بعمل المثقفين .

– اذن لماذا كل هذه المشقة فيما تؤدون ؟

– لسبب بسيط . كان عندي هذا الصباح قليل من وقت  
الفراغ .

قال الدكتور روبرت : وأنا كذلك .



– لذلك خرجتما الى الحقول وقمتما بما قام به تولستوى •  
وضحك فيجايا قائلا : يبدو أنك تتصور اننا نفعل ذلك  
لاسباب خلقية •

– أو ليس كذلك ؟

– كلا بالتأكيد • انما أنا أقوم بعمل عضلى لأن عندى  
عضلات ، واذا انا لم استخدم عضلاتى أمسى قعيدا بالعادة  
حاد المزاج •

قال الدكتور روبرت : بدون أى شىء بين لحاء المخ  
والأرداف ، أو قل مع وجود كل شىء – ولكن فى حالة من عدم  
الوعى والركود السام • المثقفون الغربيون جميعا يدمنون  
الجلوس ، ولذلك كان أكثركم عليلا بدرجة منفرة • فى  
الماضى كان الدوق نفسه يمشى كثيرا ، وكذلك كان الثرى الذى  
يقرض المال ، والميتافيزيقى • وعندما لايسرون على الاقدام  
كانوا يهطمون على ظهور الخيل • أما اليوم فمن صاحب رأس  
المال الى كاتبه على الآلة الكاتبة ، ومن الوضعى المنطقى الى  
المفكر الوضعى ، الكل يقضى تسعة أعشار وقته فوق حشايا  
المطاط • مقاعد اسفنجية لأعجاز اسفنجية – فى المنازل  
والمكاتب والعربات والبارات والطائرات والقطارات  
والاوتوبيس • لا تتحرك الأرجل ، ولا كفاح مع المسافات أو مع  
الجاذبية – مجرد مصاعد وطائرات وعربات ، ومقاعد من  
المطاط وجلوس دائم • كانت قوة الحياة تجد لها مخرجا فى  
العضلات المفتولة ، أما اليوم فهى ترتد الى الأحشاء والجهاز  
العصبى ، وشيئا فشيئا تهدمها •

ولذلك فأنتم ترون أن الحفر والتنقيب نوع من أنواع  
العلاج ؟

– للوقاية ، حتى لا تبقى للعلاج ضرورة • فى بالا  
يخصص كل فرد ساعتين كل يوم للحفر والتنقيب ، حتى  
الاستاذ ، وحتى موظف الحكومة •

– كجزء من واجباته •

– وكجزء من متعته •

وامتعض ويل وهو يقول : لا يمكن أن يكون ذلك جزءا من

متعته •

وشرح له فيجايا الأمر وقال : ذلك لأنك لم تتعلم أن  
تستخدم عقلك وبدنك فى آن واحد بالطريقة الصحيحة • ولو  
أنك عرفت كيف تصنع الأشياء بالحد الأدنى من المجهود والحد  
الأقصى من الوعى استمتعت حتى بالعمل الشاق •  
– أظن أن أطفالكم جميعا يتدربون على ذلك •

– منذ اللحظة الأولى التى يبدأون فيها العمل بأنفسهم •  
ماهى – مثلا – الطريقة الصحيحة التى تتناول بها نفسك  
وأنت تزرر ملابسك ؟ وبدأ فيجايا يزرر قميصه الذى ارتداه ،  
وجعل حركاته تتفق مع كلماته • وواصل حديثه قائلا «نحن  
نجيب على هذا السؤال بأن نضع رؤوسهم وأبدانهم فعلا فى  
أحسن وضع فسيولوجى • وفى نفس الوقت نشجعهم على أن  
يلحظوا مشاعرهم حينما تكون أبدانهم فى أحسن وضع  
فسيولوجى ، وان يكونوا على وعى بما تتألف منه عملية الزرر ،  
من لمسات وضغوط واحساسات عقلية • واذا ما بلغ الطفل

الرابعة عشرة يكون قد تعلم كيف يستغل كل نشاط يقوم به موضوعيا وذاتيا . عندئذ نعهد اليهم بالاعمال . ينفق كل منهم تسعين دقيقة كل يوم فى عمل من الاعمال اليدوية .  
— هذا عود الى الايام التى كان الاطفال فيها يعملون !

قال الدكتور روبرت : الأصح أن تقول هذا تقدم من هذا التمثل السيء المستحدث للاطفال . أنتم لاتسمحون لأطفالكم بالعمل ، ولذلك تراهم ينفقون نشاطهم فى الانحراف أو يكتنون نشاطهم حتى يستعدوا لأن يصبحوا من مدمنى القمود المستأنسين . ثم قال : والآن ، حان الوقت لكى ننصرف . سوف أتقدم لكى أرشدكم الى الطريق .

ولما ولجوا المعمل كان موروجان مشغلا باغلاق حقيبته لكى لاتتطلع اليها العيون المتطفلة . قال : أنا مستعد . وتأبط (المهد الأجد) (١) الذى يتألف من ألف وثلثمائة وثمانية وخمسين صفحة ، وتقضى أثرهم فى ضوء الشمس . وبعد بضع دقائق ، وهم مكدسون فى عربة جيب قديمة ، انطلق أربعتهم على طول الطريق الذى يؤدى الى الطريق العام مارين باصطبل المجل الابيض ، وبركة اللوتس ، وتمثال بوذا الحجري الضخم ، ومخترقين بوابة مجمع المحطة . وقال فيجايا وهم ينفذوان السير ويتخبطون فى وعورة الطريق «أسف لاننا لانستطيع أن نمدكم بوسائل للنقل أكثر راحة» . وربت ويل على ركبة موروجان وقال : هذا هو الرجل الذى تقدم اليه اعتذارك ، فهو يتحرق شوقا للعربات الفاخرة ، الجاجوار وثنديريرد .

---

(١) الاشارة هنا الى العهد القديم والعهد الجديد وهو يقصد الكتاب الخاص بالاعلان عن المخترعات الجديدة - المترجم .

وهن مقدمه الخلفى قال الدكتور روبرت : أخشى أن يكون  
شوقا يبقى دائما دون أن يحقق صاحبه الأمل المنشود .  
ولم يعلق على ذلك موروجان بشيء ما ، واكتفى بابتسامة  
ازدراء خفية يشير بها الى أنه أكثر من ذلك علما .  
وواصل الدكتور روبرت حديثه قائلا : نحن لايمكن أن  
نستورد اللهب . الضروريات فقط .  
— مثل ؟

— سوف ترى بعد لحظة وسارا حول منحنى ، وشاهدوا  
تحت أبصارهم أسقفا من الخوص وحدائق تظللها الأشجار فى  
قرية كبيرة . والتزم فيجاليا جانب الطريق وأوقف المحرك ،  
وقال : ما تشاهده هو روزامستد الجديدة . أرز وخضراوات ،  
ودايور ، وفاكهة . هنا مصنعان للخزف ومصنع للأثاث ،  
ولذلك ترى هذه الأسلاك . ولوح بيده نحو صف من أبراج  
الأسلاك الكهربية التى تقع فوق منحدر مدرج خلف القرية ،  
وتختفى عن الأنظار عند قمة التل ، ثم تظهر ثانية على بعد  
وترتفع من قاع الوادى التالى صوب حزام أخضر من غابة  
جبلية . مع ظهور القمم التى تكسوها السحب بعيدة مرتفعة ،  
وأشار بأصبعه نحو بناء من الأسمنت بغير نوافذ يرتفع وسط  
البيوت الخشبية قريبا من المدخل الأعلى للقرية بشكل غير ملائم  
وقال : هذا من الواردات التى ليس عنها غنى — أجهزة  
كهربية — وبعدها سخرنا مساقط المياه وعلقنا أسلاك  
الأرسال كان لدينا شيء آخر له اولوية قصوى .

سأل ويل : وما هو ؟ هل هو نوع من أنواع الأفران  
الكهربية ؟

- لا - الأقران فى الجانب الآخر من القرية - أما هذا فهو جهاز عام للتجميد -

وشرح ذلك الدكتور روبرت قائلاً : فى الماضى كنا ننفق نحو نصف المواد القابلة للتلف مما ننتجه - أما الآن فنحن لانفقد شيئاً قط - كل ما نزرع لنا وليس للبكتريا المحيطة بنا -

- ولذلك لديكم الآن ما يكفى للطعام -

- أكثر من الكفاية - طامنا أفضل من طعام أى بلد آخر فى آسيا ، ولدينا فائض للتصدير - كان لنين يقول ان الكهرباء مع الاشتراكية تساوى الشيوعية - ولكن معادلتنا تختلف عن ذلك - فنحن نقول ان الكهرباء مطروحا منها الصناعة الثقيلة مضاف اليها تحديد النسل تساوى الديمقراطية والوفرة - أما الكهرباء مضاف اليها الصناعة الثقيلة ومطروح منها تحديد النسل فتساوى البؤس والحكم الشمولى والحرب -

وسأل ويل : بهذه المناسبة ، من يملك كل هذا ؟ هل أنتم رأسماليون أو دولة اشتراكية ؟

- لا هذا ولا ذاك - نحن فى أكثر الاحيان تعاونيون - الزراعة فى بالا كانت دائما تسوية للأرض وريها - ولكن التسوية والرى تقتضيان الجهد المشترك والاتفاق الودى - المنافسة القاتلة لا تتفق وزراعة الأرز فى بلد جبلى - وقد وجد القوم هنا أنه من السهل جدا الانتقال من التعاون المتبادل فى مجتمع القرية الى وسائل التعاون الميسرة فى البيع والشراء والتمويل واقتسام الأرباح -

ـ حتى التمويل التعاونى ؟

وأوماً الدكتور روبرت رأسه ايجابا وقال : ليس عندنا أولئك المرابون مصاصو الدماء الذين تجدهم فى كل أنحاء الريف الهندى • وليست لدينا بنوك تجارية على طريقة أهل الغرب • نظام الإقتراض والتسليف عندنا يسير وفقا لنموذج اتحادات الائتمان التى أنشأها فى ألمانيا ويلهلم ريفيش منذ أكثر من قرن • وقد أقنع الدكتور أندرو الراجا بدعوة أحد الشبان الذين يعملون فى نظام ريفيش لزيارة بالا ووضع نظام تعاونى للبنوك • ولا يزال هذا النظام قائما ويعمل بنشاط •

وسأل ويل : وما هو النقد الذى تستعملونه ؟

أدخل الدكتور روبرت يده فى جيب سرواله وأخرج ملء راحته من الفضة والذهب والنحاس •

وأخذ يشرح قائلا بالا تنتج الذهب بطريقة متواضعة • نستخرج من المناجم قدرا يكفى لضمان العملة الورقية بالمعادن الثابتة • والذهب يكمل صادراتنا • نستطيع أن ندفع نقدا فوريا نظير المسدات المكلفة كاسلاك الارسال والمولدات الكهربائية التى شهدتها فى الطرف الآخر •

ـ يبدو أنكم قد وجدتم حلا ناجحا لمشكلاتكم الاقتصادية •

ـ لم يكن حل هذه المشكلات بالأمر العسير • فنحن أولا لم نسمح لأنفسنا بأن ننجب أطفالا أكثر مما نستطيع أن نطمع ونكسو ونأوى ونربى فى سبيل الانسانية الكاملة • ولما لم تكن لدينا زيادة فى السكان كانت لدينا وفرة • وعلى الرغم من

هذه الوفرة استطعنا أن نقاوم الاغراء الذى انساق له أهل الغرب - أعنى الاغراء بالاستهلاك الزائد - لا يصاب أحدنا بالجلطة فى الشريان التاجى لانه يتعاطى من المواد الدهنية ستة أمثال ما يحتاج - ولا نخدع أنفسنا بالاعتقاد بأن اقتناء جهازين من أجهزة التلفزيون يضاعف من سعادتنا باقتناء جهاز واحد - وأخيرا نحن لاننفق ربع مجموع الانتاج الوطنى فى الاستعداد لحرب عالمية ثالثة أو حتى لحرب صغرى تتولد عن الحرب العالمية ، تكون الحرب المحلية رقم ٣٣٣٣ - التسليح والقروض العالمية والتخطيط لاهمال القديم فى سبيل الجديد - هذه هى الأعمدة الثلاثة التى تستند اليها الرفاهية فى الغرب - لو انكم ألغيتم الحروب والتبذير واقراض المال انهارت مجتمعاتكم - وبينما أنتم تسرفون فى الاستهلاك يزداد بقية العالم استغراقا فى النكبات المزمنة - الجهل ، والروح العسكرية وزيادة النسل - هذه النكبات الثلاث وأخطرها زيادة النسل - ولا أمل ولا بارقة لامكان حل المشكلة الاقتصادية حتى يكون ذلك محلا للتحكم - كلما زاد عدد السكان هبط مستوى الرفاهية - وباصبع ممتدة أشار الى المنحنى الهابط - ثم قال «واذا هبط مستوى الرفاهية ساد السنخ وعم العصيان» (وارتفعت سياسته مرة أخرى) وعاد يقول «ويسود الاستهتار السياسى ، وحكم الحزب الواحد ، والتعصب القومى والميل الى القتال - واذا استمرت الحال كذلك عشر سنوات أو خمس عشرة سنة أخرى من الانسال بغير حظر انتشر فى العالم كله - من الصين الى ييرو عبر افريقيا والشرق الاوسط - ظهور الزعماء الذين يكرسون كل جهودهم لكبت الحرية ، يسلمون بلادهم الى الاذقان من روسيا

أو أمريكا أو - وهو الافضل - منهما معا ، يلوحون بالاعلام  
ويطالبون (بالمجال الحيوى) .

وسأل ويل : وما هو الموقف فى بالا ؟ هل ترحبون بظهور  
زعيم قائد بعد عشر سنوات من الآن ؟

أجاب الدكتور روبرت : لن يكون ذلك باختيارنا . لقد  
كنا دائما نبذل الجهد الممكن كله لكى نحول دون ظهور الزعيم  
القائد .

ولاحظ ويل بطرف عينه أن موروجان يبدى استنكاره  
واشمئزازه وسخطه . فقد كان أنطونيوس (يقصد موروجان)  
يرى نفسه بالتأكيد بطلا من أبطال كارلايل . والتفت ويل  
الى الدكتور روبرت .

وقال له : خبرنى كيف استطعتم ذلك ؟

أولا نحن لانخوض حروبا ولا نستعد لها . ومن ثم  
فليست بنا حاجة الى نظام التجنيد الاجبارى ، أو الرتب  
العسكرية أو القيادة الموحدة . وعندنا الى جانب ذلك نظامنا  
الاقتصادى الذى لايسمح لأحد أن يثرى أكثر من أربعة أو  
خمسة أضعاف المتوسط . ويعنى ذلك أنه لا يظهر بيننا قادة  
فى مجال الصناعة أو ممولون ذوو قدرات لاتحد . وأفضل  
من ذلك ليس لدينا ساسة أو بروقراطيون ذوو قدرات لاتحد .  
بالا اتحاد من وحدات تحكم كل واحدة منها نفسها بنفسها ،  
وحدات جغرافية ، ووحدات مهنية ، ووحدات اقتصادية -  
ومن ثم فالمجال متسع فسيح للمبادرات على نطاق ضيق وللقادة  
الديمقراطيين ، ولا يتسع المجال لأى نوع من أنواع الدكتاتورية  
التي تقوم على رأس حكومة مركزية . وثمة نقطة أخرى :



ليست لدينا كنيسة معتمدة ، وديانتنا تؤكد التجربة المباشرة وتستنكر الاعتقاد في مبادئ لا يمكن اثباتها والمشاعر التي يثيرها هذا الاعتقاد . ولذلك فنحن في أمان من أخطاء الباووية من ناحية ، ومن التعصب الديني الرجعي من ناحية أخرى . ومع التجربة التي تجاوز الواقع ندعو بانتظام الى التشكك . نحث الاطفال على ألا يأخذوا الالفاظ مأخذ الجد ، ونعلمهم أن يحللوا كل ما يسمعون أو يقرأون - ويشكل ذلك جزءا لا يتجزأ من منهج الدراسة . والنتيجة أن مثيرى الغوغاء من أمثال هتلر أو جارنا على الجانب الآخر من المضيق لا يجدون فرصة لهم هنا فى بالا ولم يطق موروجان كل هذا ولم يستطع أن يضبط نفسه فانفجر قائلا : ولكن انظر الى الطاقة التي يولدها الكولونيل ديبا فى شعبه . أنظر الى اخلاصه والى تضحيته بنفسه . ليس عندنا هنا فى بالا ما يشبه ذلك .

قال الدكتور روبرت والحمد لله على ذلك .

وردد فيجايأ قوله : الحمد لله .

واحتج الفتى قائلا : ولكن هذا السلوك طيب ، وأنا

معجب به .

قال الدكتور روبرت : وأنا كذلك أعجب به اعجابى

بالاعاصير . ان مثل هذه الطاقة وهذا الاخلاص وهذه التضحية بالنفس لا تتفق - لسوء الحظ - مع الحرية ، بل ولا تتفق مع العقل أو مع الكرامة الانسانية . والكرامة والعقل والحرية أمور تسمى بالا الى تحقيقها منذ سميك موروجان المصلح .

وأخرج فيجاليا من تحت مقعده صندوقا من الصفيح ،  
وكشف غطاءه ثم وزع دورة من ساندوتشات الجبن والأفوكاتيه •  
وبعد ذلك أدار محرك السيارة ويبدو واحدة دفع العربة  
الصغيرة الى الطريق ، وكانت يده الأخرى مشغولة بالساندويتش  
وقال : يجب أن نأكل ونحن سائرون • ووجه الخطاب الى ويل  
قائلا له : غدا أطلعك على مناظر القرية ، وأطلعك على منظر  
آخر أروع منها ، هو منظر أسرتي وهي تتناول طعام الغداء •  
أما اليوم فعندنا موعد في الجبال •

ولما اقتربوا من مدخل القرية ساق عربة الجيب في طريق  
جانبي متمرج شديد الانحدار الى أعلى بين حقول الأرز  
والخضروات ذات المصاطب ، والتي تتخللها حدائق الفاكهة ،  
وتحوطها هنا وهناك مزارع من أشجار صفيحة قال الدكتور  
روبرت انها تعد لتمد مصانع الورق في شيفابورام بالمادة  
الخام •

واستوضحهم ويل سائلا : كم صحيفة تؤيدها الحكومة ؟  
ودهش عندما عرف أنها صحيفة واحدة ، فسأل : من  
يحتكرها ؟ الحكومة ؟ الحزب الحاكم ؟ المنسوب المحلي لمج  
الديهايد ؟

وأكد له الدكتور روبرت أنها ليست حكرا لأحد وأضاف  
قائلا : للصحيفة مجلس من المحررين الذين يمثلون ستة أحزاب  
ومصالح مختلفة • وكل محرر له مساحة من الصحيفة محددة  
ينشر فيها تعليقه ونقده ، بحيث يستطيع القارئ أن يوازن  
بين آرائهم ثم يكون له بعد ذلك رأيه الخاص • أذكر أنني  
صدمت صدمة شديدة عندما اطلعت لأول مرة على احدي

صحفكم واسعة الانتشار - عناوينها منحازة ، والتقارير  
والتعليقات لاتمثل الا جانبا واحدا باطراد ، والشعارات  
والنداءات تحل محل الجدل والحجة - الصحيفة لاتناشد العقل  
بصفة جدية - بل على العكس من ذلك تلمس جهدا مطردا لبيت  
ردود أفعال مشروطة فى عقول الناخبين - وما خلا ذلك أخبار  
عن الجرائم والطلاق والنوادر والهذر - أى شىء يصرف ذهن  
القارئ ، وأى شىء يحول دون التفكير -

وواصلت العربية صعودها حتى بلغوا سلسلة من التلال  
تقع بين منخفضين منمدرين - وقد ظهرت فى قاع ممر ضيق  
الى يسارهم بحيرة تحف بها الأشجار ، وعلى يمينهم واد أكثر  
اتساعا يقع فيه مصنع ضخيم بين قريتين تظللها الأشجار  
يشبه فى تكوينه شكلا هندسيا غير منتظم -

سأل ويل : مصنع أسمنت ؟

وأوما الدكتور روبرت برأسه ايجابا وقال : الاسمنت  
صناعة لا غنى عنها - ننتج منه كل حاجتنا وفائضا  
للتصدير -

- وتمده هاتان القريتان بالقوى العاملة ؟

- فى الفترات التى تتخلل الزراعة والعمل فى الغابة  
ومصانع نشر الأخشاب -

- وهل ينفع عندكم نظام العمل بعض الوقت ؟

- تتوقف الاجابة عن هذا السؤال بما تعنيه بقولك  
ينفع) - ان العمل بعض الوقت لا يؤدى الى أقصى حد من  
الكفاءة - ولكن الكفاءة القصوى فى بالا ليست أمرا يطلب

لذاته كما هي الحال عندكم • أنتم تفكرون أولا في الحصول على أضخم إنتاج ممكن في أقصر وقت ممكن • ونحن نفكر أولا في الكائنات البشرية وسد حاجاتها • وتنقل المرء بين المهن لا يؤدي الى أضخم إنتاج في أقل الايام • ولكن أكثر الناس يؤثرون التنقل بين المهن على التزام عمل واحد طيلة الحياة • وإذا خيرنا بين الكفاءة الآلية واشباع الرغبات البشرية آثرنا الثانية •

وتطوع فيجسايا بقوله : عندما كنت في العشرين من عمري كنت أعمل أربعة أشهر في مصنع الاسمنت هذا ، وأقضى بعد ذلك عشرة أسابيع في صناعة الفسفات الممتاز ، ثم ستة أشهر في الغابة أقطع فيها الاخشاب •

— كنت تقوم بكل هذا العمل المضنى !

وقال الدكتور روبرت : قبل ذلك بمشرين عاما قمت بعمل في مصهر النحاس ، وبعد ذلك حلالى أن أعمل في البحر صائدا للاسماك في أحد الزوارق • ان اختبار جميع أنواع العمل جزء من برنامج التعليم العام • الطالب يتعلم كثيرا بهذه الطريقة — يعرف كثيرا من الأشياء ومن المهارات والتنظيمات ، وعن كل صنوف البشر وطرق تفكيرهم •

هز ويل رأسه وقال : ومع ذلك فأنى أوتر أن أستمد المعرفة من الكتب •

قال الدكتور روبرت : ولكن ما تحصل عليه من الكتاب ليس ذات الشيء • ثم أضاف : كلكم في أعماقكم لازلتُم أفلاطونيين ، تعبدون الكلمة وتمقتون المادة !

قال ويل : قل ذلك لرجال الدين • انهم لا يفتأون يقرعوننا  
لأننا ماديون غلاظ •

ووافق الدكتور روبرت قائلاً : نعم غلاظ ، ولكن غلظتكم  
ترجع الى انكم ماديون غير أكفاء • ماديتم معنوية بأعترافكم •  
أما نحن فيهمنا أن تكون ماديتمنا محسوسة • فنحن ماديون على  
المستوى الاللفظى بالرؤية واللمس والشم، والعضلات المشدودة  
والأيدي المتسخة • المادية المعنوية كالمثالية المعنوية ، كلاهما  
يجعل التجربة الروحية المباشرة فى حكم المستحيل • واختبار  
صنوف العمل المختلفة بالمادية المحسوسة هو الخطوة الأولى التى  
لا غنى عنها فى تربية الفرد لبلوغ الروحانية المحسوسة •

وعقب على ذلك فيجايأ بقوله : ولكن حتى أشد الماديات  
محسوسة لا تبلغ بك شأوا كبيرا الا اذا كنت على وعى تام بما  
تعمل وما تمارس • ولا بد أن تكون مدركا تمام الادراك  
لمجزيات المادة التى تتناولها ، والمهارات التى تمارسها ،  
والأفراد الذين تعمل معهم •

قال الدكتور روبرت : هذا صحيح • وكان ينبغي أن  
أوضح أن المادية المحسوسة ان هى الا المادة الخامة للحياة  
الانسانية الكاملة • وبالوعى ، الوعى الكامل الدائم ، نحولها  
الى روحانية محسوسة • اذا كنت على وعى تام بما تفعل ،  
يصبح العمل هو يوجا العمل ، ويصبح اللعب يوجا اللعب ،  
وتصبح الحياة اليومية يوجا الحياة اليومية •

وتذكر ويل رانجا والممرضة الصغيرة وسأل : وما رأيكم  
فى الحب ؟

وأوماً الدكتور روبرت برأسه وقال : وهذا أيضا •

الوعى يغير طبيعته ، ويجعل ممارسة الحب يوجا ممارسة  
الحب .

وحاكي موروجان أمه عندما يصددها الرأى \*

وقال فيجايا وقد رفع صوته لكى يمكن الاستماع اليه  
وسط الخشخشة التى تحدثها العربة وهى تسير بأدنى سرعة  
لها عندما نقل محرك السرعة «ممارسة الحب وسيلة نفسية  
بدنية لبلوغ غاية تتجاوز الخبرة البشرية ، وذلك - أولا وقبل  
كل شىء - هو صميم كل أنواع اليوجا . ولكن أنواع اليوجا  
كذلك شىء آخر غير هذا . هى حيل للتعامل مع مشكلات  
السيطرة . وأعاد العربة الى سرعة أكثر هدوءا وأخفض  
صوته الى نغمته الطبيعية وكرر قوله : مشكلات السيطرة ،  
التى تقابلها على كل مستوى من مستويات النظم - كل مستوى،  
من الحكومات الوطنية الى الحضانات والعروسين فى شهر  
العسل . لان الأمر لا يقتصر على تصعيب الامور على كبار  
القادة ، فهناك الملايين من صغار المستبدين والذين يضطهدون  
غيرهم ، هناك كثيرون مثل هتلر وان كانوا صامتين ولا يعلو  
لهم ذكر ، هناك من هم أمثال نابليون فى كل قرية ، وأمثال  
كالفن ، وتوركمادا (١) فى كل أسرة . ولا أذكر قطاع الطرق  
والمتنمرين الذين بلغ بهم الغباء أن يصممهم المجتمع بالاجرام .  
كيف تروض السطوة الكبرى التى تصدر عن أمثال هؤلاء  
وتجعلها تعمل بطريقة نافعة - أو على الأقل تحول دون أن  
تكون مصدرا للأذى ؟ »

---

(١) أحد أعضاء محاكم التفتيش فى أسبانيا عاش فى القرن الخامس  
عشر وعرف بقسوته الشديدة - المترجم

قال ويل : هذا ما أريدك أن تخبرنى به . من أين تبدأون ؟

أجاب فيجايا : نبدأ من كل جهة فى وقت واحد . ولكن حيث أن المرء لا يستطيع أن يتحدث فى أكثر من موضوع واحد فى نفس الوقت ، دعنا نبدأ بالحديث عن السيطرة من ناحية التشريح ووظائف الاعضاء . أرجو يادكتور روبرت أن تحدثه عن تناولك للموضوع من ناحيته الكيماوية الحيوية .

قال الدكتور روبرت : بدأت ذلك منذ نحو أربعين عاما عندما كنت أدرس الطب فى لندن . بدأت بزيارة السجون فى عطلات نهاية الاسبوع وقراءة التاريخ كلما خلوت فى المساء . وكرر قوله : التاريخ والسجون . ولقد كشفت عن العلاقة الوطيدة بينهما . سجل الجرائم والحماقات ومحن البشر (هكذا قال جيبون ، أليس كذلك ؟) والمكان الذى تؤول اليه الجرائم والحماقات التى لم تنجح لسوء حظ مرتكبيها بصورة ما . طالعت الكتب وتحدثت الى السجناء ، ووجدتنى أسائل نفسى : أى صنوف البشر يصبح منحرفا خطرا - من كبار المنحرفين الذين ورد ذكرهم فى كتب التاريخ ، وصغارهم ؟ أى صنوف البشر تحركهم شهوة السلطة ، والميل الى التنمر والسيطرة ؟ والمستهترون من الرجال والنساء الذين يعسرفون ما يريدون ولا توخزهم ضمائرهم اذا ألحقوا بغيرهم أذى أو قتلوهم فى سبيل تحقيق ما يريدون ، والوحوش الذين يؤذون ويقتلون لا من أجل منفعة ، وبغير مبرر ، لان الايذاء والقتل من أسباب اللهو - من يكون هؤلاء ؟ وكنت أناقش هذه المسائل مع الخبراء - من الاطباء وعلماء النفس . وعلماء الاجتماع ،

والمعلمين • ولقد انتهى عهد ما نتيجازا وجولتون (١) ، وأكد  
لى الخبراء أن الاجابات الصحيحة لهذه الاسئلة لا تلتمس الا فى  
الثقافة والاقتصاد والأسرة • والأمر كله يرجع الى الامهات  
وتربيتهن لأطفالهن ، يرجع الى التكييف فى سن مبكرة والى  
البيئات التى تصدم العواطف • الامهات والتربية الباكرة  
وما يحيط بالطفل من كلام فارغ - هذه كلها أمور هامة بشكل  
واضح • ولكن هل هى ذات الاهمية القصوى ؟ لقد بدأت المس  
أثناء زيارتى للسجن أدلة على نوع من الانماط فى تكوين  
الافراد - أو على الاصح على نوعين من أنماط التكوين ، ذلك  
أن المنحرفين الخطرين ومشرى الشغب من محبى السلطة  
لا ينتميان الى نوع واحد • أكثرهم - كما بدأت أن أدرك حتى  
فى ذلك الحين - ينتمى الى أحد نوعين متميزين مختلفين -  
فهناك (أصحاب العضلات) وهناك (أنماط بيتر بان) • وقد  
تخصصت فى النوع الثانى •

سأل ويل : تقصد الأولاد الذين لا يخرجون من دور  
الطفولة قط ؟

- (قط) تعبير غير صحيح • ففى الحياة الواقعية ينتهى  
بيتر بان دائماً بالنمو • وان يكن نموه لا يأتى الا متأخرا -  
ينمو فسيولوجيا بدرجة أبطأ من سنى حياته •

- وماذا عن بيتر بان من الفتيات ؟

- انهن نادرات • أما الفتيان فتبلغ كثرتهم مبلغ حبات  
العليق • من بين كل خمسة أو ستة أطفال من الذكور تجد

---

(١) عالم انجلىزى ( ١٨٢٢ - ١٩١١ ) بحث فى أثر السوراة فى  
سلوك الأفراد - المترجم



بيتر بان • ومن بين الاطفال المشكلين ، والاولاد الذين لا يستطيعون القراءة، والذين لا يقبلون التعلم ، ولا يصاحبون أحدا ، وأخيرا يلجأون الى الانحراف نحو أشكال العنف المختلفة ، تجد من بين هؤلاء سبعة من كل عشرة – اذا أنت أخذت أشعة سينية لعظام المعصم – من طراز بيتربان • والباقون من (أصحاب العضلات) بشكل ما •

قال ويل : اننى أحاول أن أجد مثالا تاريخيا حسنا لبيتربان منحرف •

– لاتمعن فى التفكير • ان أحدثهم ، وخير مثال لهذا الطراز وأضخم مثال ، ادولف هتلر •

قال موروجان : هتلر ؟ بنغمة المذهول • لان هتلر كان بالتأكيد أحد أبطاله •

قال الدكتور روبرت : اقرأ تاريخ حياة الفوهرر • لو كان هناك بيتر بان واحد لكان هو • فاشل فى المدرسة ، عاجز عن المنافسة والتعاون على حد سواء ، يحسد كل الأولاد الناجحين نجاحا طبيعيا ، يمقتهم لانه يحسدهم ، ولكى يرفع من معنويات نفسه يحتقرهم باعتبارهم كائنات أخط منه شأنا • ولما بلغ الحلم كان عاجزا جنسيا • كان غيره من الأولاد يتقدمون للبنات فيستجبن لهم • أما هو فقد كان خجولا ، شاكا فى رجولته • كان عاجزا دائما عن الاستمرار فى أى عمل ، ولا يطمئن الا فى عالم من الخيال يخلقه لنفسه على سبيل التمويه • عندئذ كان على الاقل مثل ميخائيل أنجلو ، ولكنه – لسوء الحظ – لا يستطيع الرسم • مواهبه الوحيدة هى الحقد ، والمكر الوضيع ، ومجموعة من الأحبال الصوتية التى

لا تكل وقدرة على الكلام بغير توقف بأعلى صوته من أعماق جنونه بالعظمة الذى يماثل جنون بيتر بان • ثلاثون أو أربعون مليوناً من البشر لاقوا مصرعهم ، والله أعلم كم بليون من الدولارات - هذا هو الثمن الذى دفعه العالم نظير تخلف أدولف هتلر فى نضجه • ولحسن الحظ نجد أن أكثر الاولاد الذين يبلغون سن النضج ببطء شديد لاتتاح لهم فرصة لكى يكونوا شيئاً أكثر من صفار المنحرفين • ولكن حتى هؤلاء الصغار - لو كثر عددهم - يمكن أن يفرضوا علينا ثمناً باهظاً • لذلك نحاول أن نكتبهم وهم فى دور البراعم - أو على الاصح ، مادمننا نتحدث عن طراز بيتر بان ، نحاول أن نجعل براعمهم المكبوتة تتفتح وتنمو •

- وهل تنجحون ؟

أوما الدكتور روبرت برأسه ايجاباً وقال : ليس الأمر عسيراً ، وبخاصة اذا بدأت فى وقت مبكر • اذا بلغ الطفل عندنا أربعة أعوام ونصف أو خمس سنوات نفحصه فحصاً شاملاً • نجرى اختبارات معينة لدمه ، ونخضعه لاختبارات سيكولوجية ، ونتعرف على تكوينه البدنى • ثم نصور معاصمهم بالأشعة السينية ، ونرسم أدمغتهم ، وبذلك نتعرف على أدق دقائق خصائص بيتر بان ، ونبدأ فى علاجهم علاجاً ملائماً فوراً • وبعد عام واحد يصبحون جميعاً طبيعيين تماماً • كم من بذور الفشل ، والاجرام ، والاستبداد ، والسادية (حب ايداء الغير) ، وبغض البشر ، والثورة من أجل الثورة ، كم من المتصفيين بهذه الرذائل حولناهم الى مواطنين يمكن حكمهم بغير عقوبة وبغير حد السيف • أما عندكم فالانحراف لايزال متروكاً لرجال الدين والمشرفين الاجتماعيين ورجال الشرطة •

مواظب لاتنتهى ، وعلاج نفسى ، وأحكام بالسجن لعدد من الناس لا يحمى وما هى النتيجة ؟ ان نسبة الانحراف فى زيادة مطردة ، ولا عجب . ان الحديث عن التنافس بين الاخوة ، وعن الجحيم ، وشخصية يسوع لاتغنى عن الكيمياء الحيوية ، وسنة فى السجن لاتعالج بيتر بان من اضطرابات افرازات الغدد ولا تعين من كان بيتر بان على التخلص من النتائج النفسية . لان انحراف أمثال بيتر بان لا يحتاج سوى التشخيص المبكر وثلاث كبسولات قرنفلية يوميا قبل كل وجبة . واذا كانت البيئة محتملة كانت النتيجة تمقلا هادئا وشيئا من الفضائل الاساسية فى خلال ثمانية عشر شهرا ، وكذلك بالتاكيد فرصة طيبة للاتصاف فى النهاية بالحكمة والرافة ، بعد ما كان ذلك فى حكم المستحيل فيما سبق . والآن سوف يحدثك فيجايا عن (أصحاب العضلات) . ولعلك لاحظت أنه واحد منهم « . ثم انعتى الدكتور روبرت الى الامام وضرب على الكتف العريضة لهذا العملاق . وقال : لحمه كلحم البقر القوى . ومن حسن حظنا نحن أصحاب الاجسام الضعيفة أن الحيوان ليس متوحشا .

ورفع فيجايا احدى يديه عن عجلة القيادة ، وضرب بها صدره ، ورفع عقيرته فى زئير وحشى قائلا : لاتضايق الغوريلا . وضحك متفكها . ثم وجه خطابه الى ويل قائلا له : فكر فى الدكتاتور الكبير الآخر ، جوزيف فساريفو فو فو فو ستالين . ان هتلر هو خير مثال لانحراف بيتر بان . وستالين خير مثال لانحراف أصحاب العضلات . ان شكله فرض عليه أن يكون منبسطا ، لاكل المتبسطين اللينين الصرحاء الذين لا يخفون ما فى

صدورهم ممن تعهدونهم ، من أولئك الذين يحبون التجمع  
بغير تمييز . لا . انه من أولئك المنبسطين الذين يدوسون  
غيرهم بالاقدام ويسوقونهم سوق الاغنام . انه من أولئك  
الذين تدفعهم طبائعهم دائما الى القيام بعمل ما ، لانساوره  
قط الشكوك ، أو وخز الضمير ، أو العطف أو رقة الاحساس .  
وقد أوصى لينين خلفاءه أن يتخلصوا من ستالين : فلقد كان  
الرجل مغرما بالسلطة مستعدا لاساعة استخدامها الى أبعد  
الحدود ، ولكن نصيحة لينين جاءت متأخرة . اذ كان ستالين  
ثابتا الى حد يستحيل معه اخراجه . وبعد عشر سنوات أصبحت  
سلطته مطلقة . وكان تروتسكى قد سحق تماما كما أبعد كل  
أصدقائه القدامى . وأمسى كالاله تحف به الملائكة مسيحة  
بحمده ، منفردا فى سمائه الصغيرة الدافئة التى لايسكنها الا  
المنافقون والطائعون ، مشغلا كل الوقت بلا هواة يصفى  
الكولاك ، وينظم المزارع التعاونية ، ويبنى صناعة السلاح ،  
وينقل الملايين رغم ارادتهم من المزارع الى المصانع . يعمل  
يجد وكفاءة وذهن واضح مما يعجز عنه تماما بيتر بان  
الجرمانى بأوهامه الغامضة وحالاته العقلية المذبذبة . قارن  
بين استراتيجية ستالين واستراتيجية هتلر فى المرحلة الأخيرة  
من الحرب ، تجد الحساب الهادئ قائما الى جوار أحلام اليقظة  
التعويضية ، والواقعية الواضحة الى جانب الهراء الطنان  
الرنان الذى أخذ هتلر فى النهاية يكرره ويكرره حتى أمن  
به . هذان وحشان ، كلاهما منحرف بدرجة متساوية ، ولكنهما  
مختلفان فى المزاج كل الاختلاف ، وفى الدافع اللاشعورى ،  
ثم فى الكفاءة . ان من هم على شاكلة بيتر بان يفلحون تماما  
فى اثاره الحروب والثورات ، ولكن أصحاب العضلات وخدمهم

هم الذين يستطيعون أن يسيروا بهذه الحروب والثورات الى  
النتائج الناجحة .

ثم غير فيجاليا نغمته وأشار بيده نحو تل مرتفع تكسوه  
الاشجار يعترض مواصلة الصعود وقال : هذه هي الغابة .

وبعد لحظة خرجوا من وهج التل المكشوف ودخلوا نفقا  
ضيقا من الشفق الذى تلونه خضرة الشجر يتلوى الى أعلى بين  
جدران من الخضرة الاستوائية . وتدلت النباتات المتسلقة من  
الأغصان التى ناءت بحملها . وبين جذوع الشجر كان ينمو  
الخنشار والخنجل ذو الأوراق الداكنة وسط الشجيرات  
والاعشاب الكثيفة التى لم يألّفها ويل ولم يعرف أسماءها وهو  
يتلفت حواليه . وكان الجو رطبا خانقا تشم فيه رائحة لاذعة  
هى رائحة النباتات الغزيرة الخضراء ورائحة التعفن كذلك .  
ووسط أوراق النبات الكثيفة التى أحاطت بويل من كل  
جانب ، طرق اذنه وقع فؤوس من بعيد وصوت منشار يتكرر  
تكرارا ايقاعيا . وانحنى الطريق مرة أخرى وفجأة بدد ضوء  
الشمس ذلك الظلام الأخضر . فلقد بلغوا مكانا خاليا فى  
الغابة . كان هناك ستة من قاطعى الاخشاب قاماتهم مرتفعة  
وأكتافهم عريضة يكادون لا يتسترون بثياب منشغلون بتشذيب  
الاجصان من شجرة سقطت لتوها . وفى ضوء الشمس شوهدت  
مئات من الفراشات ذات اللون الأزرق والارجوانى يطارد  
بعضها بعضا ، ترفرف بأجنحتها وتحلق راقصة حيثما اتفق  
الى ما لا نهاية . وفى الجانب الآخر من الارض الفضاء كان  
رجل عجوز الى جوار نار مشتعلة يقلب فى بطن شديد  
مايحويه من الحديد . وقريبا منه غزال صغير

مستأنس ، دقيق الأطراف ، مرقش بصورة جميلة ، يرمى  
العشب فى هدوء .

قال فيجايا : أصدقائي الأعزاء . ثم صاح بكلمات بلغة  
أهل بالا ، ورد عليه قاطمو الأخشاب ملوحين بأيديهم . وبعدئذ  
انحنى الطريق انحناءة حادة نحو اليسار ، وأخذوا مرة أخرى  
يصعدون النفق المخضر بين الأشجار .

وقال ويل وهم يتركون الأرض الفضاء : حدثنا عن  
أصحاب العضلات . هؤلاء أمثلة لهم رائعة حقا .

قال فيجايا : ان هذا الطراز من التكوين البدنى يغرى  
صاحبه بصفة مستمرة . ومع ذلك فانى لم أقابل رجلا واحدا  
متنمرا ، أو محبا للسلطة بطبعه بصورة خطيرة ، من بين هؤلاء  
الرجال جميعا . وقد عملت مع عشرات منهم .

وقاطعه موروجان بازدرء قائلا : أى أنك تعنى أن تقول  
انه لا يوجد هنا أحد ذو طموح .  
سأل ويل : وما سر ذلك ؟

— الأمر فى غاية البساطة بالنسبة لأمثال بيتر بان . اننا  
لا نتيح لهم فرصة لاستثارة شهوة السلطة عندهم . نحن نعالج  
انحرافهم قبل أن يستفحل . ولكن الأمر على خلاف ذلك مع  
أصحاب العضلات . انهم عندنا مثلما هم عندكم ذوو عضلات  
لا ينطوون على أنفسهم ، ويريدون أن يدوسوا غيرهم بالأقدام .  
لذلك يتحولون الى أمثال ستالين وديبا ، أو على الأقل الى مستبدين  
فى أوطانهم . أولا : نظمنا الاجتماعية لا تتيح لهم الا قليلا  
من الفرص لكى يتنمروا على أفراد أسرهم . كما أن نظمنا  
السياسية تجعل من المستحيل عليهم أن يتسلطوا على نطاق

واسع • ثانيا : نحن ندرب أصحاب العضلات على أن يكونوا حساسين وعلى وعى ، ونعلمهم أن يستمتعوا بالامور المعادية فى الحياة اليومية • ومعنى ذلك أن البدائل تتوافر لهم دائما \_ بدائل عن حبهم للرياسة • وأخيرا نحن نعالج أصحاب هذا التكوين البدنى بكل صنوفه تقريبا \_ علاجا مباشرا • نشق لحب السلطة هذا قناة يتسرب منها ونغير اتجاهه ، نحوله من التسلط على البشر الى التسلط على الأشياء • نعطيهم كل صنوف العمل لكى يؤدونه \_ العمل الشاق والعمل العنيف الذى يدرب عضلاتهم ويشبع رغبتهم فى التسلط \_ لا يشبعها على حساب غيره ، وانما بطرق اما لا تضر واما تفيد فائدة ايجابية •

\_ ومن ثم كان هؤلاء الرجال الذين يستدعون الاعجاب يسقطون الاشجار بدلا من أن يسقطوا البشر \_ أليس كذلك ؟

\_ تماما • وبعد ما يستكفون من الغابات يتوجهون الى البحر ، أو يشغلون أيديهم بالتمدين ، أو يسترخون نسبيا بالعمل فى حقول الأرز •

وفجأة ضحك ويل فارنبى :

\_ ما الذى يضحكك ؟

\_ تذكرت أبى • ربما كان القليل من قطع الاشجار يجعل منه شخصا آخر وينقد أسرته البائسة • ولكن لسوء الحظ أنه كان من الانجليز المهذبين الذين يستبعدون من حياتهم قطع الاخشاب بتاتا •

\_ أولم تكن لديه مخارج بدنية يصرف فيها طاقاته ؟

هز ويل رأسه قائلاً : كان والدى انجليزيا مهذباً ، ويظن فوق ذلك أنه من المثقفين • والمثقف لا يشغله صيد ولا قنص ولا يلعب الجولف • انه يكتفى بالتفكير والشراب • وكانت متعة أبى الى جانب شرب البراندى أن يتنمر على غيره وأن يلعب البريدج ، ويهتم بالنظريات السياسية • كان يتصور نفسه صورة فى القرن العشرين للورد آكتون (١) آخر الفلاسفة الليبراليين • كم كان يسرك أن تسمعه وهو يتخذت عن مظالم الدولة الحديثة القدرة على كل شئ ! كان يقول : السلطة تفسد ، والسلطة المطلقة تفسد فساداً مطلقاً • نعم مطلقاً • وبعد ما يردد هذه العبارة يشرب كأساً أخرى من البراندى ثم يعود بحماسة شديدة الى ملهاته المحببة الى نفسه - الاستبداد بزوجته وأطفاله •

قال الدكتور روبرت : واذا كان آكتون نفسه لم يسلك هذا المسلك فانما كان ذلك لانه كان بالصدفة رجلاً فاضلاً وذكياً • لم يكن فى نظرياته ما يحد من انحراف صاحب العضلات أو ما يمنع بيتر بان - قبل أن يعالج - من أن يدوس أى فرد يقع فى متناول قدميه • تلك كانت نقطة الضعف عند آكتون • كان - ككاتب فى النظريات السياسية - يدعو الى الاعجاب • اما كعالم نفسانى عملى فقد كان لا يفقه شيئاً • يبدو أنه كان يظن أن مشكلة السلطة يمكن أن تحل بالنظم الاجتماعية الجيدة التى تكملها - بطبيعة الحال - قواعد الاخلاق السليمة ، وشئ من الديانات المنزلة • فى حين أن مشكلة السلطة تمتد جذورها الى تشريح الجسم والى كيميائه

---

(١) اللورد آكتون ( ١٨٢٤ - ١٩٠٢ ) مؤرخ انجليزى حر المذهب وألف عدة كتب منها « تاريخ الحرية » - المترجم •



الخيوية ومزاجه • لا بد من كبح السلطة على المستويين القضائي والسياسي • هذا أمر واضح • ولكن من الواضح أيضا أنه لا بد من الوقاية على المستوى الفردي • وعلى مستوى الغريزة والمأطفة ، وعلى مستوى الغدد والامعاء، والعضلات والدماء • لو توافر لدى الوقت لكتبت رسالة عن وظائف أعضاء الانسان وعلاقتها بالاخلاق والدين والسياسة والقانون •

وردد بعده ويل كلمة (القانون) وقال : كنت على وشك أن أسألك عن القانون • هل أنتم فى غنى مطلق عن السلاح وعن العقوبة ؟ أم لازلتم فى حاجة الى القضاة ورجال الشرطة ؟

قال الدكتور روبرت : لازلنا فى حاجة اليهم ، ولكننا لسنا بحاجة مثلكم الى الكثيرين منهم • فأولا نحن بفضل الطب الوقائى والتربوية الوقائية لانرتكب كثيرا من الجرائم • ثم ان معظم الجرائم التى ترتكب نعالجها فى «نوادى التبني المتبادل» • علاج جماعى فى مجتمع يأخذ بنظام المسؤولية المشتركة عن المنحرفين • وفى الحالات المستعصية نستكمل العلاج الجماعى بالعلاج الطبى وبفترة محددة من تماطى عقار الموكشا ، بتوجيه من رجل على درجة نادرة من نفاذ البصيرة •

— وما دور القضاة ؟

— يستمع القاضى الى الأدلة ويقرر ان كان المتهم بريئا أو مذنباً ، فان كان مذنباً أمر بحجزه احتياطياً فى (نادى التبني المتبادل) الذى ينتمى اليه ، واذا لزم الامر يتم حجزه لدى لجنة الخبراء الطبيين والمتصوفين العارفين بأثر الفطريات • وفى فترات متفق عليها يرسل الخبراء كما يرسل نادى التبني

المتبادل تقاريرهم الى القاضى • حتى اذا ماكانت التقارير  
مرضية انتهت القضية •

– واذا لم تكن مرضية أبدا ؟

قال الدكتور روبرت : انها دائما ترضى فى النهاية •  
ثم سادت فترة من الصمت •

وفجأة سأل فيجايا : هل جربت تسلق الصخور ؟

ضحك ويل وقال : كيف تظننى أتيت بساقى العرجاء ؟

– هذا تسلق أرغمت عليه ارغاما • ولكن هل مارست  
التسلق لهوا ؟

قال ويل : بقدر يكفى لان يقنعنى بأننى لا أحسنه •

واتجه فيجايا ببصره نحو موروجان وسأله : وماذا حدث  
لك عندما كنت فى سويسره ؟

واحمر وجه الصبى خجلا وهز رأسه وتمتم قائلا :  
لايستطيع المرء أن يمارس هذه الاشياء وعنده استعداد  
للسل •

قال فيجايا : يالأسف ! ان التسلق كان ينفحك كثيرا •

وسأل ويل : وهل يقوم الناس فى هذه الجبال بقدر كبير  
من التسلق ؟

– التسلق جزء لايتجزأ من منهج الدراسة •

– لكل فرد ؟

– قليل منه لكل فرد • ولأصحاب العضلات الأقوياء

مستوى أعلى من تسلق الصخور - وهؤلاء يبلغون نحو واحد من كل اثني عشر من البنين ، وواحدة من كل سبع وعشرين من البنات . ونحن نتوقع أن نرى قريبا بعض الشبان الذين يقومون بالتسلق لأول مرة على مستوى أعلى من المستوى الابتدائي .

واتسع النفق الأخضر ، وأشرقت فيه الأضواء ، وفجأة وجدوا أنفسهم خارج الغابة الرطبة وعلى طبقة صخرية مسطحة تكاد تستوى مع الأرض ، تحوطها من ثلاث نواح صخور حمراء يبلغ ارتفاعها أكثر من ألفى قدم على شكل ذرى ناتئة وقمم منعزلة . وكان الهواء منعشا ، وعندما انتقلوا من ضوء الشمس الى ظل جزيرة عائمة من الركام ، أصبح الجو باردا تقريبا . وانحنى الدكتور روبرت الى الأمام وأشار من خلال زجاج السيارة الى مجموعة من المباني البيضاء فوق مرتفع صغير على مقربة من مركز الهضبة .

وقال : هذه محطة المرتفع العالى . انها تعلو سبعة آلاف قدما ، وتبلغ مساحة الأرض المستوية الجيدة فيها أكثر من خمسة آلاف فداناً . حيث نستطيع أن نقوم بزراعة أى شيء مما يزرع فى جنوب اوربا . قمح وشعير ، والفاصوليا الخضراء والكرنب ، والخس والطماطم (وهذه الفاكهة لاتصلح حيث تصل درجة الحرارة ليلا أكثر من ثمان وستين درجة) . وعنب الثعلب ، والفسراولة ، والجوز والبرقوق الأخضر ، والخوج والمشمش . وكذلك كل النباتات القيمة التى تصلح زراعتها فوق الجبال العالية التى فى مثل هذا الارتفاع - بما فيها الفطر التى يعترض عليها صديقنا الصغير هذا بشدة .

وسأل ويل : وهل هذا هو المكان الذى نقصده ؟

قال الدكتور روبرت مشيرا الى آخر موقع من سلسلة الجبال ، وهو عبارة عن حافة من الصخر الأحمر الداكن تنحدر منها الأرض من احدى نواحيها نحو الغابة ، وترتفع ارتفاعا عموديا من ناحية ثانية نحو قمة مختفية فى السحب المتراكمة ، قال : لا ، نحن نقصد مكانا أكثر ارتفاعا • نقصد معبد شيفا (١) الذى يؤمه الحجاج فى الاعتدالين ، الربيع والخريف • وهو من أحب الأماكن الى نفسى فى الجزيرة كلها • وعندما كان الأطفال صغارا اعتدت أنا ولاكشمى أن نقوم برحلات الى هناك تقريبا كل اسبوع • كان ذلك منذ عهد بعيد ! وظهرت فى صوته رنة الأسى • ثم تنهد ، وسند ظهره على مقعده وأغلق عينيه •

وابتعدوا عن الطريق المؤدية الى محطة المرتفع العالى وعادوا الى التسلق •

قال فيجايا : هذه هى المرحلة الأخيرة من الرحلة ، وهى أسوأ المراحل ، نقطع سبعة منعطفات حادة ونفقا خانقا يبلغ طوله نصف ميل •

وساق العربى بأدنى سرعة لها فأصبح الحديث مستحيلا • وأخيرا بلغوا نهاية المطاف بعد عشر دقائق •

---

(١) شيفا فى الهندوكية هو الآله الذى يدمر لكى يمهسد الطريق لبراهما الذى يبنى - المترجم •

أخذ ويل يحرك ساقه المرجاء فى حذر شديد ، وأخيرا  
خرج من العربة وتلفت حوالبه • وقد بدت فيما بين التلال  
المرتفعة الحمراء الواقعة الى الجنوب والمنحدرات الرأسية فى كل  
اتجاه قمة التل التى سويت على مستوى مسطح ، ووسط هذا  
المسطح الضيق المستطيل قام المعبد - وهو عبارة عن برج  
ضخم أحمر مشيد من نفس مادة الجبال ، كتلة واحدة ، له  
أربعة جوانب رأسية • وظهر المعبد بالمقارنة مع الصخور  
شيئا شيئا متماثلا منتظما ليس كما تنتظم أشكال اقليدس  
المجردة ، ولكن كما تنتظم الاشكال الهندسية الواقعية فى  
الحياة • نعم ، هو شئ حى ، لأن جميع أسطح المعابد الفاخرة  
المستوية ، وكل ما يحدها يتقوس الى الداخل تقوسا عضويا ،  
ويستدق كلما ارتفع نحو حلقة من المرمر ، يتضخم فى أعلاها  
حجر أحمر أشبه بغلاف البذرة فى شجرة مزهرة ، حتى  
يتسطح ثانية فى شكل قبة متعددة الأضلاع تتوج البناء كله •

قال الدكتور روبرت : شيد قبل الغزو النورماندى بنحو  
خمسين عاما •

وعقب على ذلك ويل بقوله : ويبدو كأنه ليس من بناء  
البشر ، وكأنه برز تلقائيا من بين الصخور • وقد نبت كما  
ينبت الصبار عندما يتفتح ويرتفع كالصاروخ على شكل ساق  
نباتية طولها اثنتا عشرة قدما تنتهى بالأزهار المتفجرة •

قال فيجايا وقد لمس ذراعه : انظر ، هذه جماعة من  
المبتدئين هابطة .

وشخص ويل ببصره نحو الجبل ووقعت عيناه على شاب في  
قدميه حذاء بالمسامير يرتدى ملابس التسلق ويجاهد في  
هبوطه متشبثا بشق الجبل يواجه التل الذي ينحدر انحدارا  
رأسيا . وعند البقعة التي تهييء موطئا آمنا توقف ورمى  
رأسه الى الخلف وصاح بصوت متصاعد في قوته . وكان هناك  
فتى يعلوه بخمسين قدما ظهر من خلف دعامة صخرية ، وقد  
تدلى من الافريز الذي كان يقف فوقه وشرع في هبوطه  
متشبثا بالشق الجبلي .

والتفت فيجايا ، الى موروجان وسأله : هل ينريك هذا ؟  
هز موروجان كتفيه وقد بالغ في ظهوره بمظهر الرجل  
الرشيد المتطور الذي يشغل نفسه بشيء أفضل من مشاهدة  
الاطفال وهم يلعبون ، وقال : «بتاتا» وابتعد ثم جلس فوق  
تمثال سبع انطمست معالمه من أثر الجو ، واستل من جيبه مجلة  
أمريكية مجلدة تجليدا مزركشا وشرع يقرأ .

سأله فيجايا : ماذا تقرأ ؟

قال : رواية علمية وفي صوته رنة التحدى .

ضحك الدكتور روبرت وقال : أى شيء يفسر به من  
الواقع .

وزعم موروجان أنه لم يستمع اليه وقلب صفحة من  
المجلة وواصل القراءة .

وقال فيجايا الذي كان يتابع تقدم الصبي الذي كان

يهبط من الجبل «انه فى غاية المهارة» ثم أضاف «عند طرفى الجبل رجلان محتكان • ولايمكنك أن ترى أولهما ، فهو خلف هذه الدعامة يتشبث بشق جبلى آخر على ارتفاع ثلاثين أو أربعين قدما • وفى أعلى شوكة حديدية ثابتة يلتف حولها الجبل • ويمكن أن تسقط المجموعة كلها وهى فى منتهى الأمان •

وعلى جانبى الشق الضيق أخذ قائد المجموعة يصيح بتعليماته ويشجع المتسلقين وقد بسط ذراعيه ورجليه بين مواقع الاقدام • ولما اقترب الصبى تخلى عن مكانه وهبط عشرين قدما أخرى ثم توقف وصاح مرة أخرى • ومن خلف النتوء الجبلى ظهرت فتاة فى حذاء طويل وسروال ، فارعة الطول شعرها مضمفور ، وقد هبطت الى شق الجبل •

قال فيجايا مهللا لها وهو يرقبها : رائع !

وفى أثناء ذلك جاءت مجموعة من الشباب مستطلعة مايجرى ، وقد خرجت من مبنى منخفض عند سفح التل ، وهذا المبنى المنخفض يمثل كما بدا أكواخ جبال الألب ولكن بما يتفق ومناخ المناطق الاستوائية • وتتنمى هذه المجموعة – كما قيل لويل – الى ثلاث فرق أخرى من المتسلقين الذين أدوا اختبار المرحلة الثانية بعد المرحلة الابتدائية فى باكورة اليوم •

سأل ويل : هل يفوز بالجائزة أحسن الفرق ؟

وأجابه فيجايا : انهم لايمنحون هنا شيئا لأى انسان •  
فهى ليست مسابقة ، انما هى محنة يجتازونها •

وأخذ الدكتور روبرت يشرح قائلا : وهى محنة تمثل المرحلة الأولى من خروجهم من دور الطفولة الى دور المراهقة • محنة تساعدهم على فهم العالم الذى لا يد لهم من العيش فيه ، وتساعدهم على التحقق من أن الموت يحيط بهم من كل جانب ، وأن الوجود كله محفوف بالمخاطر • ولكن الرؤيا الصحيحة تأتى بعد الامتحان • وبعد بضع دقائق يتناول هؤلاء الفتية والفتيات عقار الموكشا لأول مرة • يتناولونه معا ، ويقام فى المعبد حفل دينى •

— شىء أشبه بصلاة التعميد ؟

— غير أن هذا الحفل ليس مجرد حركات دينية لا معنى لها • انه — بفضل عقار الموكشا — يتضمن ممارسة فعلية للشىء الواقعى •

هز ويل رأسه وقال : الشىء الواقعى ؟ هل هناك شىء كهذا ؟ وددت لو أننى صدقته •

قال الدكتور روبرت : لا يطلب اليك أن تصدق • فالشىء الواقعى ليس افتراضا ، انما هو حالة من حالات الوجود • اننا لانعلم أطفالنا المذاهب ولا ننشئهم على رموز مشحونة بالانفعالات • عندما يحل الوقت الذى يتعلمون فيه أعمق حقائق الدين ، ندفعهم الى تسلق الجروف ثم نناولهم أربعمائة مليجرام من الرؤيا • وهاتان تجربتان مباشرتان يستطيع أى فتى أو فتاة على قدر معقول من الذكاء أن يستمد منهما فكرة طيبة عن حقائق الأشياء •

قال فيجايا : ولا تنس المشكلة القديمة الأولى — مشكلة



التسلط - ان تسلق الصخور فرع من فروع علم الاخلاق  
التطبيقي - وهو بديل آخر عن سلوك المتنمرين \*

- اذن كان يلزم أبى أن يكون من متسلقى الجبال كما  
يلزمه أن يكون من قاطعى الأخشاب \*

قال فيجاييا وقد ضحك من أعماقه : قد يضحكك ما أقول ،  
ولكن الحقيقة هى أن أمثال هذه التجارب تأتى بنتائج طيبة ،  
وتفليح - ولقد استطعت بالتسلق أولا وآخرا أن أنجو من  
عشرات من أسباب الاغراء الفعلية لكى ألقى بثقلى على ماحولى ،  
ثم أضاف : ولما كان ثقلى له وزنه فقد كانت أسباب الاغراء  
شديدة لتتناسب معه \*

قال ويل : يبدو أن هناك صعوبة واحدة - ذلك أنك  
وأنت تتسلق لكى تنجو من الاغراء قد تسقط و - - » وفجأة  
تذكر ما حدث لديوجولد ماك فيل فلم يتم الكلام \*

وأتم الدكتور روبرت عبارته فقال فى أناة : وتقتل  
نفسك - ولكن ديوجولد كان يتسلق وحده - وبعد فترة قصيرة  
من الصمت واصل حديثه قائلا «ولايعرف أحد ما حدث ، ولم  
نمثر على جثته الا فى اليوم التالى» - ثم سادت فترة طويلة من  
الصمت \*

سأل ويل ، وقد أشار بعصاه الخيزرانية الى الاجسام  
الصغيرة التى تزحف جاهدة فوق سطح تلك البقعة الرأسية من  
الأرض الجرداء التى لا يكسوها شىء غير الصخور ، «هل لازلت  
تعتقد أنها فكرة حسنة ؟ »

قال الدكتور روبرت : نعم لازلت أعتقد أنها فكرة  
حسنة \*

– ولكن سوزيلا المسكينة ...

وكرر الدكتور روبرت القول بعده : نعم سوزيلا المسكينة ، والاطفال المساكين ، ولاكشمى المسكينة ، وأنا المسكين . ولكن اذا كان ديوجولد لم يعتد المخاطرة بحياته فربما صار كل امرئ مسكينا لأسباب أخرى . ومن الأفضل أن تتعرض لخطر قتل النفس بدلا من أن تعرض حياة الآخرين للخطر ، أو أن تجعلهم من البائسين على الأقل . تؤذيهم لانك بطبعك عدواني ، أشد حذرا أو أكثر جهلا من أن تصب عدوانك على الصخور المرتفعة» . وواصل حديثه بنغمة أخرى قائلا : والآن أريد أن أطلعك على المنظر .

وانطلق فيجايا نحو المجموعة التي كانت عند سفح الصخور الحمراء وقال : أما أنا فسوف أذهب الى هؤلاء الفتية والفتيات وأتحدث اليهم .

وسار ويل في اثر الدكتور روبرت مخلفا وراءه موروجان يقرأ (الرواية العلمية) . وشقا طريقهما خلال باب يقوم على أعمدة وعبرا الرصيف الصخري العريض الذى يحيط بالمعبد . وفوق ركن من أركان هذا الرصيف كانت هناك مقصورة ضيقة تعلوها قبة . ودخلها وسارا نحو نافذة عريضة بغير زجاج ونظرا من خلالها فظهر لهما البحر مرتفعا عند خط الأفق يشبه جدارا صلبا من اليشم واللازورد وفى أسفل ، وعلى مسقط ارتفاعه ألف قدم بدت خضرة الغاية ، وظهرت المنحدرات الواطئة متصلة بواد فسيح تمتد عند حافته البعيدة بين حدائق السوق وساحل البحر الذى تحفه أشجار النخيل مدينة كبيرة ، وتقع هذه المنحدرات خلف الغابة ملتوية التواء رأسيا فى شكل أودية صغيرة وتنوعات صخرية ، وتمتد

أفقيا حتى تصل الى درج ضخيم من صنع الانسان ، درج من  
حقول لاتحصى . ومن هذا الموقع المرتفع بدت المدينة كلها  
مشرفة ، تشبه صورة زيتية صغيرة رسمت بدقة مما يجده المرء  
فى كتب العصور الوسطى .

قال الدكتور روبرت : هذه هى شيفابورام . ومجمع  
المبانى هذا الذى تراه فوق التل وراء النهر هو معبد بوذا  
العظيم . بنى قبل بوروبودور (١) بقليل ، وهو فى جمال  
نحته يشبه أى مبنى فى الهند القديمة . وسادت فترة من  
الصمت استأنف الحديث بعدها قائلًا : وفى هذا البيت الصيفى  
الصغير اعتدنا أن نتناول وجباتنا الخفيفة كلما أمطرت  
السَّماء . لن أنسى أبدا ذلك الوقت الذى كان ديوجولد يلهو  
فيه بالتسلق فوق افريز النافذة وهو واقف على ساق واحدة  
فى وضع شيفا وهو يرقص (وكان حينئذ فى نحو العاشرة من  
عمره) . مسكينة لاكشمى ، كاد عندئذ يطير صوابها . ولكن  
ديوجولد كان منذ مولده كأنه أحد المشتغلين بترميم أبراج  
الكنائس وتسلقها . مما يجعل الحادث أكثر ابهاما وغموضا .  
وهز رأسه وصمت قليلا مرة أخرى ثم قال : آخر مرة أتينا  
فيها الى هنا كانت منذ ثمانية أو تسعة أشهر . وكان ديوجولد  
لا يزال على قيد الحياة ، ولاكشما لم تبلغ من الضعف بعد  
مايمنعها من الخروج مع أحفادها يوما كاملا . وقد قام بهذا  
العمل البهلوانى يقلد به شيفا لمصلحة توم كريشنا ومارى  
ساروجينى . وقف على ساق واحدة ، وأخذ يلوح بيديه بسرعة  
عجيبة تجعل الرأى يقسم أنه يحرك أربع أذرع . وهنا توقف

---

(١) أثر بوذى قديم فى أندونيسيا يشبه الهرم شفيد فى القرن  
الثامن أو التاسع - المترجم .

الدكتور روبرت عن الكلام ، والتقطت من الأرض شريحة من  
الملاط ، وقذف بها من النافذة • وقال الى أسفل ، وأسفل ،  
وأسفل - هنا فضاء وفراغ • أليس من العجب أن يكون هذا  
أقوى رمز للموت وأقوى رمز في الوقت عينه لأكمل حياة  
وأغناها • وأشرق وجهه فجأة وقال : هل ترى هذا الصقر ؟

- صقر ؟

أشار الدكتور روبرت الى مكان يقع وسطا بين وكر  
الصقور فوق التل والظلام الذى يعلو الغابة حيث شاهد  
تمثالا مجسما صغيرا بنى اللون يمثل السرعة والنهب يتحرك  
وئيدا بأجنحة لاهرك فيها ، وقال «هذا يذكرنى بقصيدة  
نظمها راجا العجوز عن هذا المكان» وصمت لحظة وأخذ  
ينتشد :

هنا

هنا فوق هذا المرتفع

حيث يرقص شيفا محلقا فوق دنيانا

هنا تسألنى

ماذا بربك تظن انك فاعل ؟

لا جواب على سؤالك يا صاح -

ما خلا الصقر من تحتنا يدور

وتلك الطيور السوداء تنطلق

فى اثر خيوط فضية تمتد فى الهواء -

تصيح صياحا حاد النغم

تقول ما أبعدا عن واديننا الحار

وتقول لائما ما أبعدها عن قومي !

ومع ذلك ما أقربها !

هنا بين السماء ذات الغيوم

والبحر من تحتنا

أنفذ الى سرها المضىء

كما أنفذ الى سريرتى

يشرقان بغتة فى نظرى •

ـ وأظن أن السر هو هذا الفضاء الخالى •

ـ أو على الأصح هو ما يرمز اليه هذا الفضاء الخالى •

طبيعة بوذا فى فنائنا الابدى • ان هذا يذكرنى •• ونظر الى  
ساعته •

ولما خرجوا الى وضح النهار سأل ويل : ماذا يأتى بعد ذلك

فى البرنامج ؟

أجابه الدكتور روبرت : الصلاة فى المعبد • وسوف

يقدم المتسلقون الصغار ما أنجزوا الى شيفا - أو بعبارة أخرى

الى صورتهم المثالية التى يؤلهونها • وبعد ذلك يؤدون الجزء

الثانى من شعائر العضوية - أقصد تجربة تحررهم من

أنفسهم •

ـ وهل يكون ذلك بتعاطيهم عقار الموكشا ؟

وأوماً الدكتور روبرت برأسه ايجاباً وقال : ان قادتهم

يعطونه لهم قبل أن يتركوا كوخ جمعية المتسلقين • ثم يأتون

الى المعبد ، ويضعل المقار فمله أثناء الصلاة • ثم أضاف : وبهذه

المناسبة أقول لك ان الصلاة بالسنسسكريتية ، ولذلك فليح

تفهم منها كلمة واحدة • أما فيجاليا فسوف يخطب بالانجليزية  
— وهو يتكلم بوصفه رئيس جمعية المتسلقين • وكذلك سوف  
أتحدث أنا بالانجليزية • وبطبيعة الحال سوف يتكلم الشباب  
كذلك فى أغلب الاحيان بالانجليزية •

المعيد من الداخل رطب مظلم ظلام الكهوف • لا يخفف من  
عتمته الا خيط رفيع من ضوء النهار يتسلل من خلال نافذتين  
مشبكتين ، وسبعة مصابيح تتدلى ، كأنها هالة من النجوم  
الصفراء المتلألئة ، من فوق رأس التمثال الذى يعتلى المذبح •  
والتمثال لثيفا وهو من النحاس ولا يزيد ارتفاعه عن طول  
الطفل • وحول التمثال هالة مشتعلة من المجد • وهو يشير  
بأربع أذرع ، وشعره المصفور يتطاير بشدة • وقدمه اليمنى  
تدوس فوق تمثال قزم مقيت أشد ما يكون كآبة ، وقدمه  
اليسرى مرفوعة برشاقة — بهذه الصورة يقف التمثال جامدا  
منتشيا • وقد جلس فوق الأرض نحو عشرين فردا من البنين  
والبنات ومعهم الشبان الستة الذين كانوا يرشدونهم أثناء  
التسلق ويصدرون اليهم التعليمات ، وكلهم يضع ساقا فوق  
ساق • ولم يكن الصغار فى ملابس التسلق ، بل ينتعلون  
الصنادل ، عراة الصدور ، يرتدون سراويل قصيرة زاهية  
الالوان • ويعلمو هذه المجموعة ، فوق أعلى درجة من درجات  
المذبح ، شوهد كاهن عجوز ، حليق الرأس والوجه ، يرتدى  
عباءة صفراء ، ويرتل كلاما رنانا غير مفهوم • وقد سار  
الدكتور روبرت على أطراف أصابع قدميه متجها نحو المكان  
الذى كان يجلس فيه فيجاليا وموروجان وجلس القرفصاء الى  
جوارهما ، تاركا ويل مستندا الى قاعدة مريحة •

كان الكاهن يدمدم دمدمة رائعة بالسنيكريتيه أولا ،

ثم أخذ بعد ذلك ينشد وهو يخنف بأنفه ، وراح بعد النشيد يجار بابتهاالات كهنوتية يرددها بعده المصلون .

وأحرق البخور فى آنية من النحاس الأصفر ، ثم رفع الكاهن العجوز يديه ليصمت الحاضرون ، وعندئذ صعد خيط من دخان البخور الرمادى فى خط مستقيم متجها نحو الاله فى غضون فترة طويلة حافلة بالتأمل يسودها الصمت المطلق . وعندما التقى الدخان بتيار الهواء المندفح من النافذتين انتشر على شكل سحابة غير مرئية تملأ ظلام المكان بعقب عجيب من عالم آخر . وفتح ويل عينيه ورأى أن موروجان وحده من جميع المصلين يتململ فى حالة من القلق . يتحرك حركات عصبية وتبدو على قسماات وجهه علامات الاستنكار وفقدان الصبر . انه لم يقم قط بالتسلق ، ولذلك فالتسلق فى نظره سخف . وقد رفض أن يتعاطى عقار الموكشا ، ولذلك فأولئك الذين يتعاطونه يتجاوزون حدود العقل ، وكانت أمه تعتقد فى الاسياد الصاعدين الى السماء وتخاطب كوت هومى بانتظام ، واذن فتمثال شيفا وثن ميتدل . وكان الصبى فى عين ويل كالمثل الصامت الذى يعبر بالاشارة . ولكن أحدا لم يعر أدنى التفاتة الى سلوك موروجان لسوء حظه .

وشق الكاهن العجوز السكون الذى طال وقال :  
شيفاياناما ، شيفاياناما ، وأشار بيده .

فنهضت من مكانها تلك الفتاة الطويلة التى كان ويل قد رآها وهى تهبط من التل المرتفع وصعدت درجات المذبح . ووقفت على أطراف أصابع قدميها وجسدها يلمع وكأنها تمثال نحاسى آخر فى ضوء المصابيح . وعلقت باقة من زهور فاتحة صفراء فى أعلى ذراعى شيفا اليسريين ، ثم ضمت

راحتها وتطلعت الى وجه الاله الباسم الهادىء ، وبدأت تتكلم  
بصوت متهدج فى أول الأمر ، ولكنه أخذ يثبت ويستقيم  
تدرجيا .

أيها الخالق ، أيها المدمر  
يامن تطيل العمر كما تنهى الحياة  
يامن ترقص فى ضوء الشمس بين الطيور  
ومع الاطفال وهم يلعبون  
ويا من ترقص فى ظلمة الليل  
بين جثث الموتى وفوق الأرض المحترقة  
أى شيئا ، أنت بيرافا المريع المظلم  
أنت الصورة المثلى ، وأنت الوهم  
أنت لاشيء ، وأنت كل شيء  
أنت رب الحياة  
ولذا جئت اليك بهذه الزهور  
أنت رب الموت  
ولذا جئت اليك بقلبي -  
هذا القلب هو الآن أرضك المحترقة .  
تارك سوف تلتهم الجهل والنفس .  
لكى ترقص أى بيرافا بين الرماد  
ولكى ترقص ياسيدى شيئا  
فى مكان تنمو فيه الزهور  
وأرقص معك .

ورفعت الفتاة ذراعيها ولوحت بهما بإشارة تذكر  
بالاخلاص القلبى من مائة جيل من المتعبدين الراقصين . ثم  
ابتعدت وعادت الى ضوء الشفق . وصاح صائح : شيفاياناما .



وشجر موروجان مستهزئا عندما رددت أصوات شابة أخرى «شيفاياناما ، شيفاياناما .» . وأخذ الكاهن يرتل مقطوعة أخرى من كتابه المقدس . وبينما هو يرتل دخل المعبد من إحدى النافذتين المشبكتين طائر صغير رمادى اللون رأسه قرمزي ، ورفرف بجناحيه بعنف حول مصابيح المذبح ، ثم صاح صيحة عالية تنم عن السنخ والفرع ، انطلق بعدها خارج المعبد ثانية . واستمر النشيد حتى بلغ ذروته وانتهى بصلاة هامسة من أجل السلام : «شانتى ، شانتى ، شانتى» . واتجه الكاهن المعجوز بعد ذلك نحو المذبح ، والتقط شمعة طويلة ، وأشعلها من أحد المصابيح المعلقة فوق رأس شيفا وشرع فى اضاءة سبعة مصابيح أخرى معلقة فى كوة عميقة فى أسفل اللوح الذى كانت تقف فوقه الراقصة . وألقت هذه المصابيح ضوءها فوق قطع محدبة من المعدن ، وأظهر ضوءها تمثالا آخر - هو تمثال شيفا وبارفاتى ، تمثال يوجين جالسا، يرفع بيدين من أيديه الاربعة رمز الطلبة والنار ، ويربت باليدين الآخرين آلهة الحب، ذات الساقين والذراعين الملتوية، وكانت تمتطيه ، متعانقين عناقا أبديا بجسديهما المصنوعين من البرنز . ولوح الكاهن المعجوز بيده . وظهر هذه المرة صبى ذو بشرة قاتمة قوى العضلات وأخذ يخطو فى ضوء المصابيح . وانحنى الصبى وعلق باقة الزهر التى كان يحملها حول رقبة بارفاتى ، ثم لف سلسلة الزهور الطويلة وأسقط عقدة أخرى من نبات السحلبية البيضاء فوق رأس شيفا .

وقال : كل منهما يمثل كليهما .

وكررت جوقة الصغار بعده : كل منهما يمثل كليهما .

وهز موروجان رأسه بشدة

وقال الصبي صاحب البشارة القاتمة : أيها الذاهبون ،  
أنتم أيها الذاهبون الى الشاطئ الآخر ، يامن ألقيتم مراسيكم  
فوق الشاطئ الآخر ، أيتها الاستنارة والاستنارة الاخرى ،  
أيها التحرر الذى اتحد مع التحرر ، أيتها الرأفة بين ذراعى  
الرأفة اللامتناهية •

— شيفاياناما •

ثم عاد الى مكانه • وسادت فترة طويلة من الصمت •  
وبعدئذ نهض فيجأيا على قدميه وبدأ يتكلم •

قال : الخطر ، الخطر • الخطر الذى نتقبله راضين  
متخفين • الخطر تقاسمه صديقا ، أو مجموعة أصدقاء •  
تقاسمه شعوريا ، وبأقصى حدود الوعى حتى يصبح الاقتسام  
والخطر يوجا • صديقان يربطهما حبل فى جبهة صخرية •  
وأحيانا ثلاثة أصدقاء أو أربعة • كل منهم على وعى تام  
بعضلاته المشدودة ، وبمهارته ، ومخاوفه ، وروحه التى  
يجاوز بها حدود الخوف • وكل منهم — بطبيعة الحال — على  
وعى فى نفس الوقت بالآخرين جميعا ، مهتم بهم ، يفعل  
الصواب لكى يطمئن على سلامتهم • الحياة فى قمة توترها  
البدنى والعقلى ، الحياة الأوفر ، والأعلى بدرجة لاتقدر بسبب  
خطر الموت المائل فى كل حين • ولكن بعد يوجا الخطر هناك  
يوجا الذروة ، يوجا الراحة والاسترخاء ، يوجا التقبل الكامل  
الشامل • اليوجا التى تكمن فى القبول الشعورى لما يعطى كما  
يعطى ، دون رقابة من أحكام العقل الخلقية ، العقل المشغول  
بشئ آخر ، وبغير اضافة مما جمعه الانسان من أفكار مبتدلة ،  
وما جمعه بصورة أضخم من أوهام التمنى • ما عليك الا أن  
تجلس بعضلات مرتخية وعقل متفتح لضوء الشمس وللسحب ،

بمفتاح للبعيد وللأفق ، مفتتح فى النهاية لذلك الشيء الذى ليس بالفكر والذى لا شكل له ولا يعبر عنه بالكلمات ، هذا الشيء الذى يسمح لك سكون القمة بأن تبلغ به المقدس والعميق والدائم فى غضون تيار اللغو الذى يسبح فيه التفكير اليومى المعتاد .

– والآن حان الوقت للهبوط ، لدورة أخرى من يوجا الخطر ، حان الوقت لتجديد التوتر والوعى بالحياة فى كمالها المشرق وأنتم تتعلقون بحافة الهاوية مخاطرين بأنفسكم . وعند سفح التل المرتفع تفكون الوثاق ، وتخطون فوق الممرات الصخرية صوب الأشجار الأولى . وبغثة تجدون أنفسكم فى الغابة ، حيث ينتظركم نوع آخر من اليوجا ، يوجا الغابة ، وهى اليوجا التى تتصف بكونكم على وعى تام بالحياة عند حافتها ، حياة الغابة بكل ما فيها من ازدهار وعفن ، وفساد يزحف ، بكل ما فيها من نبات السحلبية وأمهات الأربع والأربعين ، وطفيليات وطيور مفردة ، وما يشرب الرحيق الإلهى وما يشرب الدماء . الحياة التى تخرج النظام من الفوضى والقبح ، الحياة التى تؤدى معجزة الميلاد والنمو . تؤديهما – فيما يبدو – لغير ما سبب غير أن تدمر نفسها . الجمال والفرع ، ومرة أخرى أقول الجمال والفرع . وبغثة وأنتم قافلون من إحدى رحلاتكم بالجبال ، بغثة تعلمون أن هناك توافقا ، بل اندماجا ، وهوية واحدة . الجمال يتحد مع الفرع فى يوجا الغابة . والحياة فى وفاق مع الموت المستمر القريب فى يوجا الخطر . الفراغ يتطابق مع الانانية فى يوجا العطللة الدينية التى فوق الذروة (١) .

(١) هذه صلوات بوذية فيها كثير من شسطحات الخيال وغموض الفكر – المترجم .

وساد الصمت • وتثاءب موروجان بصورة تلفت النظر •  
وأشعل الكاهن المعجوز عودا آخر من البخور ، ولوح به – وهو  
يتمتم – أمام الراقصة ، ولوح به مرة أخرى حول شيفا وآلهة  
وهما يمارسان حبا كأعمق ما يكون الحب •

قال فيجايا : تنفسوا بعمق ، والتفتوا وأنتم تتنفسون  
الى رائحة هذا البخور • وعروها كل انتباهكم • واعرفوها على  
حقيقتها – انها حقيقة يعجز عنها التعبير بالكلمات ، ويعجز  
عن ادراكها العقل والايضاح • اعرفوها فى خامتها • واعرفوها  
كلغز من الألفاظ • البخور الذى تتنفسونه حقيقة لاتفسر ،  
وكذلك تماس بشرة ببشرة ، والحب المحسوس ، وفوق كل شيء  
لفز الألفاظ ، الواحد فى تعدده ، والفراغ الذى هو كل شيء ،  
وباطن الأشياء الموجود بكليته فى كل مظهر ، وفى كل نقطة  
وكل لحظة • لذلك أرجو أن تتنفسوا وتتنفسوا ، وختتم كلامه  
وهو يجلس قائلا «تنفسوا» •

وتمتم الكاهن المعجوز منتشيا قائلا : شيفاياناما •  
ونفض الدكتور روبرت واتجه نحو المذبح ، ثم توقف ،  
وعاد الى مكانه وأشار الى ويل فارنبى •

قال فى همس عندما أدركه ويل : تعال واجلس معى •  
اننى أحب أن أرى وجوههم •  
– ربما اعترض رؤياك •

هز الدكتور روبرت رأسه ، وتقدما معا ، واعتليا المذبح ،  
ولما بلغا ثلاثة أرباع السلم الصاعد اليه ، جلسا جنبا الى جنب  
فى شبه الظل بين الظلام وضوء المصابيح • وفى هدوء شديد

بدأ الدكتور روبرت يتحدث عن شيفا ناتاراجا ، عن سيد الرقص . قال : انظر الى هذا التمثال ، انظر اليه بالعينين الجديدين اللتين أعطاهما عقار الموكشا . انظر اليه كيف يتنفس وكيف ينبض ، كيف يخرج من ضياء الى ضياء آخر أشد توهجا . انه يرقص خلال الزمان وبعد الزمان ، يرقص الى الأبد وفي اللحظة الخالدة . انه يرقص ويرقص في جميع العوالم في وقت واحد . انظر اليه .

وتضمن ويل في تلك الأوجه الشامخة الى أعلى ، يحرق مرة في هذا الوجه ومرة أخرى في ذلك الوجه فيرى ضياء البهجة والمعرفة والفهم ، ضياء مشرقا ، يرى علامات التعجب التي يحسها المرء أثناء الصلاة ، تلك العلامات التي ترتجف عند حافة النشوة أو حافة الفزع .

وألح عليه الدكتور روبرت أن يزيد من تمعنه . وبعد برهة طويلة من الصمت أعاد قوله : انه يرقص في جميع العوالم في وقت واحد . أى والله في جميع العوالم . أولا في عالم المادة . أنظر الى الهالة المستديرة الكبرى ، التي تحف بها رموز النار ، والتي يرقص الرب في داخلها . انها تمثل الطبيعية ، تمثل عالم الكتلة والطاقة . في داخلها يرقص شيفاناتاراجا رقصة الصيرورة التي لاتنتهى ، رقصة الموت . انها (ليلاه) أو لعبته الكونية . انه يلعب من أجل اللعب ، كالطفل . ولكن هذا الطفل هو ناموس الأشياء ، لعبه هي مجموعات الكواكب ، وملعبه هو الفضاء الذى لا نهاية له ، وبين الاصبع والاصبع فترة مداها ألف مليون سنة ضوئية . انظر اليه هناك فوق المذبح . التمثال من صنع الانسان ، بدعة صغيرة من النحاس لا يتجاوز ارتفاعها أربع أقدام . ولكن

شيفانا تاراجا يملأ الكون ، هو الكون • اغمض عينيك وانظر  
اليه سامقا فى ظلام الليل ، وتابع تلك الأذرع الممتدة امتدادا  
ليس له غاية ، وذلك الشعر الحوشى يتطاير الى ما لا نهاية •

– ناتاراجا وهو يلعب بين النجوم وفى الذرات ، ثم  
أضاف : ولكنه يلعب كذلك داخل كل شىء حى ، وكل مخلوق  
حساس ، وكل طفل وكل رجل وكل امرأة • اللعب من أجل  
اللعب • ولكن الملعب الآن هو الشعور ، وصالة الرقص بوسعها  
أن تحتمل • هذا اللعب بغير هدف يبدو – بالنسبة لنا – نوعا  
من الالهانة • وما نريده فعلا هو (الله) الذى لا يحطم خلقه  
أبدا • واذا كان لا بد من الألم والموت فليقم على توزيعها اله  
الحق ، الذى يعاقب المسىء ويكافئ الطيب بالسعادة الأبدية •  
أما فى الواقع فالطيب يصيبه الأذى ، والبرىء يكابد ويعانى •  
ثم ليكن هناك اله يعطف علينا ويطمئن قلوبنا • ولكن ناتاراجا  
لا يقبل شيئا غير الرقص • لعبه يتنزّه عن الموت والحياة ،  
ويتنزّه عن كل عمل خبيث وكل عمل طيب • بين يديه اليمينيين  
يرفع الطبلبة التى تستدعى الوجود من اللا وجود • دقة للمخلوق  
وليقتلة الكون • ثم انظر الى أعلى يديه اليسريين • انه يلوح  
بهما نارا يدمر بها كل ما خلق • انه يرقص فى هذه الناحية  
– ويالها من سعادة ! ثم يرقص فى ناحية أخرى ، فيكون الألم،  
والخوف الممقوت ، والدمار ! ثم قفزة ، وخطوة ووثبة • قفز  
للصحة الكاملة ، وخطوة نحو السرطان والشيخوخة ، ووثبة من  
الحياة الكاملة الى العدم ، ومن العدم الى الحياة مرة أخرى •  
وعند ناتاراجا كل ذلك لعب ، واللعب غاية فى حد ذاته ،  
لا يهدف الى شىء أبدا • انه يرقص لانه يرقص ، والرقص  
بالنسبة اليه هو (ماها سوخا) ، هو نعيمه الابدى الذى لا يحد •

نعم نعيم أبدى •» ثم أعاد العبارة الأخيرة بصيغة الاستفهام «نعيم أبدى؟» وهز رأسه وقال : بالنسبة الينا ليس هناك نعيم ، ليس هناك الا تذبذب بين السعادة والفرح واحساس بالفضب لأن ألامنا فى رقص ناتاراجا جزء منه كما أن مسراتنا كذلك جزء منه • موتنا كحياتنا • دعنا نتدبر ذلك فى هدوء لبرهة من الزمن •

ومرت الثوانى ، وازداد السكون عمقا • وفجأة وفى فزع شديد بدأت احدى الفتيات فى النحيب • فترك فيجايا مكانه ، وركع الى جوارها ووضع احدى يديه على كتفها ، فكفت عن النحيب •

وأخيرا واصل الدكتور روبرت حديثه قائلا : المعاناة والمرض والشيخوخة والمعجز والموت • (سوف أريكم الأحزان)، ولكن ذلك لم يكن الشئ الوحيد الذى أرانا اياه بوذا • لقد أرانا كذلك نهاية الأحزان •

وصاح الكاهن المعجوز منتصرا : شيفاياناما •

— افتح عينيك مرة أخرى وانظر الى ناتاراجا وهو فوق المذبح • أنعم النظر • فى يمناه العليا — كما رأيت من قبل— يمسك طبله يدعو فيها العالم الى الوجود ، وفى يسراه العليا يحمل النار المدمرة • الحياة والموت ، النظام والانحلال ، هذا وذاك بالقسطاس المستقيم • وانظر الآن الى يدي شيفا الاخريين ، تجد أن يمناه السفلى مرتفعة وراحتها مفتوحة الى أعلى • مامعنى هذه الاشارة؟ معناها «لاتخف ، كل شئ كما يرام» • ولكن كيف ينجو من الخوف أى امرئ فى قواه العقلية؟ كيف يستطيع أى امرئ أن يزعم أن الشر والألم مما يرام ، فى حين أنه من الواضح أنهما مما لا يرام؟ الجواب عند

ناتاراجا • انظر الآن الى يسراه السفلى ، انه يشير بها الى قدميه • وماذا تقوم به قدماه ؟ تمنع تجد أن قدمه اليمنى تدوس عدلا وانصافا على مخلوق صغير مخيف أدنى صورة من الانسان - ذلك هو الشيطان (ميالاكا) • انه قزم ولكنه فى خبثه شديد القوى • مايالاكا تجسيد للجهل ، ومظهر لانانية الجشع وحب التملك • دسه بقدميك ، واقصم ظهره ! هذا بعينه هو مايفعله ناتاراجا • يدوس هذا الوحش الصغير بقدمه اليمنى • ولكنى أريدك أن تلاحظ أنه لايشير باصبعه الى قدمه اليمنى التى يدوس بها • انه يشير الى قدمه اليسرى ، الى القدم التى يرفعها عن الارض وهو يرقص • لماذا يشير اليها ؟ لماذا ؟ هذه القدم التى يرفعها ، هذا التحدى بالرقص لقوة الجاذبية - رمز الفرج ، رمز الموكشا ، رمز التحرر • ان ناتاراجا يرقص فى كل العوالم فى وقت واحد - فى عالم الفيزياء والكيمياء ، فى عالم التجربة العادية الانسانية البحت ، وأخيرا فى عالم المثل ، عالم العقل الاكبر • عالم الضوء الصافى •• والآن ، وبعد لحظة من الصمت واصل الدكتور روبرت حديثه قائلا : والآن أريدك أن تنظر الى التمثال الآخر ، تمثال شيئا والآلهة • انظر اليهما وهما فى كهفهما الصغير المضى • ثم اغمض عينيك وانظر اليهما مرة أخرى - يتلألآن ، يمتلئان حياة ، يسموان • ما أجملهما ! وفى تعاطفهما أى معنى عميق ! أية حكمة تتجاوز كل الحكم التى نتفوه بها وهما فى تلك التجربة الحسية ، تجربة الاندماج الروحى والتكفير عن الذنوب ! الخلود يتحاب مع الزمان • الواحد يرتبط فى الزواج بالمتعدد ، والنسبى يصبح مطلقا باتحاده مع الواحد • نرفانا يتطابق مع سمسارا ، الظاهر من طبيعة بوذا فى الزمن والبدن والشعور •



وأشعل الكاهن العجوز عودا آخر من البخور وقال  
«شيفاياناما» ، ثم شرع يشدو بالسنسيكريتية فى هدوء وفى  
فقرات طويلة متتابة • واستطاع ويل أن يرى علامات  
السكون والاصفاء ، وأن يرى البسمة الخفيفة التى تنم عن  
النشوة التى تتهلل للفكر الشاقب المفاجىء ، ورؤيا الحق  
والجمال ، يرى كل ذلك مرتسما على الوجوه الشابة التى  
تتطلع اليه • وفى الخلف ملح موروجان مستندا الى أحد  
الأعمدة مترهلا مجهدا ، يعبث بأنفه الاغريقي الدقيق •

وعاد الدكتور روبرت الى الكلام فقال : التحرر ، نهاية  
الآلام ، الانتهاء من كونك من تظن جهلا أنك هو وأن تصبح  
من فى الواقع هو أنت • وبفضل الموكشا سوف تعرف لفترة  
قصيرة من الزمن كيف يكون احساسك عندما تكون من فى  
الواقع هو أنت ، ومن فى الواقع كنت دائما • انه نعيم لا يحده  
زمان ! ولكن هذا الزمان اللامحدود - كأي شيء آخر - أمر  
زائل ، وكأي شيء آخر سوف يمضى • وماذا أنت فاعل بهذه  
التجربة بعد أن يمضى ؟ ماذا أنت فاعل بكل الخبرات المشابهة  
التي يجلبها لك عقار الموكشا فى السنوات المقبلة ؟ هل تكتفى  
بأن تستمتع بها كما تستمتع بأمسية تقضيها فى مسرح  
العرائس ، ثم تعود الى عملك المعتاد ، وتعود الى مسلك  
المنحرفين الحمقى الذين تتصور أنك واحد منهم ؟ أم هل - بعد  
هذه اللمحة - سوف تكرس حياتك للعمل لا كما تعودت ولكن  
كما أنت فى الواقع ؟ ان كل ما نستطيعه نحن الكبار بتعاليمنا ،  
وكل ما نستطيعه بالا أن تفعله بك بنظمها الاجتماعية هو أن  
تمدك بالوسائل وبالفرص • وكل ما يستطيع فعله عقار  
الموكشا هو أن يعطيك لمحات متتابة من الشعور بالبهجة ،

ساعة أو ساعتين ، من حين الى آخر ، من نعمة الاستنارة والتحرر . والأمر متروك لك بعد ذلك لتقرر ان كنت سوف تستجيب لهذه النعمة وتنتهز هذه الفرص . ولكن ذلك من شأن المستقبل . أما الآن وفي هذا المكان فكل مايتحتم عليك أن تفعله هو أن تستمع الى نصيحة طائر المينة : انتباه ! انتبهوا تجدوا أنفسكم وقد أصبحتم - شيئاً فشيئاً أو بغتة - على وعى بالحقائق الاساسية التي تختفى خلف هذه الرموز فوق المذبح .

ولوح الكاهن المعجوز بعود البخور وقال : «شيفايانا ما !» وعند أسفل سلم المذبح جلس الفتية والفتيات بلا حراك كأنهم خشب مسندة . ثم صدر عن أحد الأبواب صرير ، وسمع الحاضرون وقع أقدام . والتفت ويل فرأى رجلاً قصيراً بديننا يشق طريقه بين جماعة المتأملين . وصعد السلم ، ثم انحنى ، وهمس فى اذن الدكتور روبرت ، واتجه بعد ذلك صوب الباب .

ووضع الدكتور روبرت احدى يديه على ركبة ويل ، وهمس فى اذنه وعلى شفثيه ابتسامة ، وهز كتفيه وهو يقول «هذا أمر ملكى ، وهذا هو الرجل المسئول عن الكوخ الجبلى .» وقد أبلغته الرانى تلفونيا أنها تريد أن ترى موروجان فى أقرب وقت مستطاع . والأمر عاجل» وضحك ضحكة مكتومة ثم نهض وأقام ويل على قدميه .

أعد ويل فارنبى طعام افطاره بنفسه ، وكان عندما عاد الدكتور روبرت من زيارته الصباحية المبكرة للمستشفى يشرب الفينجان الثانى من شاي بالاء ويأكل الخبز المحمص مع المربى .

واستفسر عن صحة لاكمى فأجابه الدكتور روبرت بقوله : لم تتألم كثيرا أثناء الليل . واستغرقت فى النوم العميق لمدة أربع أو خمس ساعات ، واستطاعت هذا الصباح أن تتناول شيئا من الحساء .

وواصل حديثه قائلا انه يأمل فى مهلة يوم آخر . ولما كان وجوده الى جانبها باستمرار يقلق راحتها ، ولما كانت الحياة لابد - على أية حال - من أن تسير ، وأن تستغل على أحسن صورة ممكنة ، فقد قرر أن يسوق سيارته الى «المحطة المرتفعة» يقوم فيها لبضع ساعات بالعمل مع فريق البحث فى مسمل المستحضرات الطبية .

- عمل يتعلق بعقار الموكشا ؟

هز الدكتور روبرت رأسه وقال : كلا . هذا العمل لم يعمد الا تكرارا لعملية مقننة ، وقد بات من اختصاص التقنيين ، وليس من عمل الباحثين . هؤلاء يشتغلون بشيء جديد .

وبدأ يتكلم عن الاندولات التى عزلت أخيرا عن بذور

الاولوليكيوى التى استوردت من المكسيك فى العام الماضى وزرعت فى حديقة النباتات بالمحطة • ثلاثة اندولات على الأقل لم تكن من بينها سوى واحدة فعالة • وقد أثبتت التجارب على الحيوان أن لها تأثيرا على الجهاز الشبكي • •

ولما ترك ويل وحده جلس تحت المروحة التى كانت تملو رأسه وواصل قراءته فى «مذكرات عن حقائق الأشياء» •

« نحن لا نستطيع أن نتخلص بالعقل من اللا عقل الاساسى فى نفوسنا • كل مانستطيعه هو أن نتعلم كيف نكون لا عقليين بطريقة معقولة •

بعد ثلاثة أجيال من الاصلاح لم تعد فى بالا جموع كقطعان الغنم ولا رعاة طيبون من الكهنوت يجزون صوف القطعان ويخصون ذكورها • ليس هناك قطعان من البقر والخنزير وليس هناك تجار مرخصون للماشية ، ملكيون أو عسكريون ، رأسماليون أو ثائرون ، يسمون ويقيدون ويجزون • هناك فقط جماعات من الرجال والنساء فى طريقهم الى الانسانية الكاملة •

النغم أو الحجارة ، العمليات أو الاشياء المحسوسة ؟ تجيب البوذية كما يجيب العلم الحديث على هذا التساؤل بايثار «النغم» • ويقول الفلاسفة الغربيون القسدامى «الحجارة» • البوذية والعلم الحديث ينظران الى العالم فى نطاق الموسيقى • أما الصورة التى يتمثلها المرء وهو يقرأ فلاسفة الغرب فهى عبارة عن جسم من الفسيفساء البيزنطى ، متمائل ، مؤلف من ملايين المربعات الصغيرة المصنوعة من مادة حجرية المثبتة فى جدران كاتدرائية كاثوليكية خالية من التوافذ •

ان رشاقة الراقصة ، وما يصيبها من التهاب المفاصل بعد أربعين عاما - هذا وذاك من وظائف هيكلها العظمى . وبفضل تكوين العظام تستطيع الفتاة أن ترقص الباليه على أصابع القدم ، وبسبب هذه العظام عينها ، بعد ما تتأكل قليلا ، يحكم على المرأة العجوز بالتحرك فوق المقعد ذى المجالات . وكذلك فان الدعامة القوية لأية ثقافة من الثقافات هي الشرط الأول لكل ابتكار أو ابداع يقوم به الافراد ، وهى أيضا عدوهم الأول .

ان الشيء الذى لا يمكن أن نتطور فى غيبته حتى يمسى كل منا انسانا كاملا هو فى أغلب الاحيان نفس الشيء الذى يحول دون تطورنا .

وقد أثبت بكل جلاء قرن من البحث فى عقار الموكشا أن الشخص العادى قادر تماما على أن تكون له رؤى بل وعلى أن يشعر بالتححرر الكامل . والرجال والنساء - من هذه الناحية - الذين يصنعون الثقافة الرفيعة ويستمتعون بها لا يفضلون أصحاب المعرفة المحدودة . ان الخبرة الرفيعة تتفق تمام الاتفاق مع التعبير الرمزي البسيط .

والرموز التعبيرية التى ابتدعها فنانو بالا لا تفضل الرموز التعبيرية التى ابتدعها الفنانون فى غيرها من الاماكن . بل لعلها أضعف أثرا وأقل اقناعا من الناحية الجمالية من الرموز التراجيدية أو التعويضية فى البلاد الأخرى . ذلك لان الرموز فى بالا هى من ثمرات السعادة والاحساس بالانجاز ، والرموز فى غيرها من البلاد من ابتداء ضحايا الاحباط والجهل ، والظلم ، والحرب والخرافات التى تشجع ارتكاب الذنوب وتحرض على الجريمة . ان تفوق بالا

لا يرجع الى التعبير الرمزي ، وانما يرجع الى فن يمكن أن يمارسه كل انسان - وان يكن أعلى مرتبة وأكبر قيمة من كل الفنون الاخرى - ذلك هو فن الممارسة الكافية لكل العوالم التي نقطنها كبشر ، فن التعرف المباشر بهذه العوالم - ثقافة أهل بالا لا تقاس كما تقاس الثقافات الاخرى (لانعدام مقاييس أفضل) - لا تقاس بانجازات قلة من الموهوبين البارعين في الرموز الفنية أو الفلسفية - لا ، انها تقاس بما يفعل ويمارس كل أعضاء المجتمع ، العاديون منهم والمتفوقون ، في كل حدث من الاحداث وكلما تقاطع الزمان مع الأبدية» -

ودق التلفون - فهل يتركه يرن ، أم هل الأفضل أن يجيب ويخطر المتحدث بأن الدكتور روبرت يقضى يومه في الخارج - وقرر ويل أن يأخذ بالرأى الآخر فرفع السماعه -

وقال محاكيا قدرة السكرتير حينما يرد «هنا بيت الدكتور ماك فيل - ولكن الدكتور خارج البيت طوال اليوم» -

وبصوت ملكي غني رد المتحدث على الطرف الآخر من التلفون قائلا : هذا أفضل ، كيف حالك يا عزيزي فارنبي ؟

وذهل ويل وتلعثم وهو يشكر صاحبة السمو على تفضلها بالسؤال -

قالت الراني : أخذوك بعد ظهر أمس لتشهد حفلة من حفلاتهم الدينية المزعومة ؟

وأفاق ويل بالقدر الكافي من ذهوله فأجاب بكلمة محايدة وبنغمه لا تلزمه أى التزام ، وقال «كانت رائعة» -

قالت الرانى : نعم رائعة ولكن باعتبارها كاريكاتير  
للحفل الدينى الصادق ، كاريكاتير لا يحترم المقدسات . ولفظت  
كلمة (الصادق) بنبرة تنم عن التمجيد كما تنم عن الازدراء ،  
ثم قالت : انهم لم يتعلموا قط أن يميزوا تمييزا مبدئيا بين  
النظام الطبيعى والنظام الخارق للطبيعة .  
وتتم ويل قائلا : تماما ، تماما . .

وسألته صاحبة الصوت المتحدث على الطرف الآخر «ماذا  
تقول ؟»

• فرجع صوته وقال «تماما» .

واستمرت الرانى فى حديثها قائلة : يسرنى أنك توافق ،  
ولكنى لم أطلبك على التلفون لايبحث معك الفرق بين الطبيعى  
والخارق للطبيعة - على الرغم من الأهمية القصوى للفرق  
بينهما . انما طلبتك لكى أتحدث معك فى أمر أكثر عجلة من  
هذا .

— البترول ؟

قالت : نعم البترول . ولقد بلغتني منذ برهة رسالة من  
ممثلى الشخصى فى رندانج . ثم أضافت «وبهذه المناسبة أقول  
له انه فى مركز رفيع وعلى معرفة جيدة» .

وتحير ويل من أولئك الضيوف الذين حضروا حفل  
الكوكتيل فى وزارة الخارجية ، ممن يحسنون الكلام ويرصعون  
صدورهم بالأوسمة ، من منهم خدع غيره من المخادعين - وهو  
طبعاً واحد من هؤلاء .

وواصلت الرانى حثها قائلة : فى الأيام القليلة الماضية وصل بالطائرة الى رندانج لوبو ثلاثة ممثلين على الأقل لشركات البترول الكبرى الأوروبية والأمريكية . وقد نقل الى مبلقى أنهم يفاوضون بالفعل أربعا أو خمسا من الشخصيات الرئيسية فى الإدارة ممن قد يكون لهم فى وقت لاحق نفوذ فى تقرير من يعطى الامتياز فى بالا .

• وطقق ويل بلسانه طقطقة تنم عن الاستنكار .

وقالت تلميحا ان مبالغ طائلة قد عرضت ان لم يكن

• بطريق مباشر فعلى الأقل باللفظ وبالتلويح المغرى .

قال معلقا : هذا أمر شنيع .

قالت الرانى ان وصف شنيع هو اللفظة المناسبة . ولذلك كان لابد من القيام بعمل ما فى هذا الخصوص ، وان يتم العمل فورا . وكانت قد علمت من باهو أن ويل قد كتب بالفعل للورد الديهايد ، وان الرد سوف يرد من غير شك فى خلال أيام قليلة . ولكن هذه الأيام القليلة أطول مما يحتمل . والوقت أمر جوهري ، ليس فقط بسبب ما كانت تفعله هذه الشركات المتناقسة ، ولكن لاسباب أخرى كذلك (وهنا أخفضت الرانى صوتها بدرجة غريبة) . وبهذا الصوت المتخفض أخذت تحته «الآن ، الآن ، وبغير توان !» يجب أن تبرق الى اللورد الديهايد وتخبره بما يحدث (وأضافت عرضا أن باهو بإخلاقه لها قد عرض عليها أن ينقل الرسالة بالشفرة عن طريق مفوضية رندانج فى لندن) . ويجب أن يصحب الرسالة طلب عاجل بأن يفوض اللورد مراسله الخاص فى أن يتخذ الخطوات اللازمة لضمان نجاح قضيتهما المشتركة



(والخطوات المناسبة فى هذه المرحلة تكون أساسا ذات طبيعة مالية) •

واختتمت حديثها قائلة : ولذلك أرجو أن تسمح لى أن أطلب الى باهو أن يرسل البرقية فورا ، باسمى واسمك يامستر فارنبى • وأرجو ياعزيزى أن يكون هذا التصرف مقبولا منك •

ولم يكن هذا التصرف مقبولا بتاتا ، ولكن ويل لم يجد ما يعتذر به للرفض لانه كتب من قبل ذلك الخطاب الى جو الديهايد • ولذلك صاح متظاهرا بالتحمس للفكرة تحمسا يكذبه سكوته الطويل المريب قبل أن يقول انه يوافق بالطبع، وذلك السكوت الذى كان يبحث خلاله عن رد آخر • ثم أضاف قوله «يجب أن يصلنا الرد فى وقت ما غدا» •

وأكدت له الرانى أنهم سوف يتلقونه هذا المساء •

– وهل يمكن ذلك ؟

– ان الله على كل شىء قدير •

قال :

– هذا صحيح • ولكن •••

– اننى أومن بما يوحى الى به صوتى الضعيف • وهو يقول لى (هذا المساء) ويقول (انه سوف يفوض فارنبى تفويضا كاملا) وكررت عبارتها بحيوية بالغة • ويقول صوتى الضعيف كذلك (ن فارنبى سوف يحقق نجاحا تاما) •

قال شاكا : اننى أتعجب •

– يجب أن تنجح •

– يجب !

– نعم يجب

– لماذا ؟

– لان الله هو الذي أوحى الى أن أشن حرب الروح  
الصليبية •

– أنا لا أفهم العلاقة تماما •

قالت : ربما كان من الواجب ألا أخبرك • وصمتت برهة  
ثم قالت : ولكن لماذا لا أخبرك ؟ لقد وعدنى اللورد الديهايد  
أن يؤازرنى فى الحرب التى أشنها بكل موارده اذا نجحت  
قضيتنا • ومادام الله يريد أن ننتصر فى الحرب ، فان قضيتنا  
لا يمكن الا أن تنتصر •

وأراد أن يصيح مجيبا : وهذا هو المطلوب • كأنها  
معادلة رياضية • ولكنه كبح جماح نفسه ، فليس هذا من  
الأدب • وعلى أية حال فان الموضوع الراهن ليس من الفكاهة  
فى شئ •

قالت الرانى : يجب أن أتصل بياهو حالا ياعزيزى  
فارنبى وأنتهى المكالمة التليفونية •

وهز ويل كتفيه وعاد الى (مذكرات عن حقائق الاشياء) •  
ولم يكن لديه شئ آخر يشغل نفسه به •

«الثنائية • • بغيرها يستحيل أن يكون هناك أدب رفيع،  
وبها لا يمكن – بكل تأكيد أن تكون هناك حياة طيبة • «أنا»

تؤكد أن هناك مادة أناثية منفصلة ثابتة • و «أكون» تنكر أن الوجود كله علاقات وتغير • «أنا أكون» • هاتان كلمتان صغيرتان ، ولكنهما تنطويان على باطل ضخيم ! ان المثنوى صاحب العقل المتدين ينادى الأرواح المصطنعة من الاعماق السحيقة ، اما غير المثنوى فينادى الاعماق السحيقة فى روحه ، أو بعبارة أدق ، يجد أن الأعماق السحيقة موجودة فعلا لديه» •

وسمع ضجة أحدثتها عربة مقتربة ، اعقبها سكون عندما أوقف المحرك ، ثم صوت باب ينغلق ووقع أقدام فوق الحصى ، وفوق سلم الفراندة •

قال فيجايا بصوته العميق : هل أنت مستعد ؟

والقى ويل «مذكراته» جانبا ، والتقط عصاه الخيزرانية ، ونهض على قدميه ، وسار نحو الباب الخارجى •

قال ويل وهو يتجه نحو الفرانده «نعم مستعد» •

وأمسكه فيجايا من ذراعه وقال : اذن هيا بنا واحذر درجات السلم •

وكانت تقف الى جوار عربة الجيب امرأة فى منتصف الاربعينات من عمرها مرتدية ثيابا قرنفليا ، وحول رقبتها عقد من المرجان ، امرأة مستديرة الوجه •

قال فيجايا : هذه ليلا راو ، أمينة المكتبة ، وسكرتيرة ، وأمينة الصندوق ، والمشرقة على النظام العام • لاغنى لنا عنها •

وصافحها ويل ، وبدأت له شبيهة بالسيدات الأنجليزيات الرقيات الممثلات حركة ونشاطا اللائى - يعد أن يكبر أطفالهن - يقمن بالأعمال الخيرية أو يتجهن الى تشييف أنفسهن •

انهن لسن على قدر كبير من الذكاء ، ولكنهن يتصفن بالايتار ،  
مخلصات ، طبيبات حقا - ولكن - لسوء الحظ - باعشات على  
السأم • وكانت ليلاراو من هذا الطراز لاتختلف عنه الا  
ببشرتها السمراء •

وقالت السيدة راو مبادرة بالكلام وهم يسيرون الى جوار  
بركة اللوتس ويمرقون الى الطريق العام «سمعت عنك من  
صديقى الصغيرين رادا ورانجا» •

قال ويل : أرجو أن أكون حائزا لرضاهما كما حازا  
رضاي •

وأشرق وجه السيدة راو بهجة وسرورا وقالت : يسرنى  
أنك معجب بهما •

وقال فيجايا : أن رانجا ذكى بدرجة غير عادية •

وأضافت الى ذلك راو انه غاية فى الاتزان ، يقف وسطا  
بين الانطواء والانبساط على العالم الخارجى • يميل دائما -  
وبكل قوة - الى الفرار الى ميزفانا أرهات (١) أو الى جنة  
العلماء الصغيرة الجميلة المنسقة - جنة التجريد المطلق •  
يميل الى هذا الاتجاه ، ولكنه يقاوم الميل فى أغلب الأحيان  
لان رانجا العالم كان كذلك رانجا آخر ، رانجا يحس فى قلبه  
الرافة ، مستعد - لو عرفت كيف تناشده بالطريقة الصحيحة -  
أن يفتح قلبه للحقائق المحسوسة فى الحياة وان يكون واعيا ،  
مهتما مميئا بشكل ايجابى • ومن حسن حظه ومن حسن حظ  
الناس جميعا أنه التقى بفتاة مثل رادا الصغيرة ، فتاة ساذجة  
ذكية ، فكهة رقيقة ، موهوبة فى احساسها بالحب والسعادة !

(١) قديس بوذى - المترجم •

وأفضت السيدة راو بدخيلة نفسها وقالت ان رادا ورائجا من تلاميذها المحبين اليها .

وظن ويل انها من تلاميذها فى نوع من المدارس الدينية البوذية ، وحسب أنه بهذا الظن يتفق معها فى الرأى . ولشد ماكان ذهوله عندما علم أنهما تتلميذا عليها فى يوجا الحب ، وان راو - هذه العاملة المخلصة فى المستوطنة كانت تلقى عليهما الدروس فى السنوات الست الماضية وفى الفترات التى لاتشتغل فيها بالمكتبة . وذلك حسبما ظن ويل بالطرق التى أبأها موروجان والتى ارتأتها الرانى فظيعة لما كانت تتصف به من حب لبنيتها يبلغ حد التملك . وفخر ويل فاه ليلقى اليها بسؤال ، ولكن ردود الفعل عنده كانت على مستوى آخر أرفع من ذلك متأثرة بعاملين فى المستوطنة من طراز آخر . فلم تخرج الأسئلة من بين شفثيه . وفات أوان السؤال ، وبدأت السيدة راو تتحدث عن أعمال أخرى تقوم بها .

قالت : لو عرفت مانعانيه مع الكتب فى هذا الجو ! الورق يتعفن ، والصمغ يسيل ، والغلف تتحلل ، والحشرات تلتهم . ان الأدب المكتوب لايناسب فى الواقع المناطق الاستوائية .

قال ويل : واذا صدق راجا المعجوز فان الادب لايتفق كذلك وكثير من الخصائص المحلية هنا بخلاف المناخ - انه لايتفق وكرامة الانسان ، ولا يتفق والحق الفلسفى ، ولايتفق وصحة عقل الفرد وسلامة النظام الاجتماعى ، لايتفق مع أى شىء سوى الثنائية ، والجنون الإجرامى ، والطموح المستحيل ، والذنب الذى لا لزوم له» وكشر بشراسة وقال «ولكن ما علينا . فالكولونيل ديبا سوف يصحح الاوضاع . وبعد

أن تغزى بالألوان. ويؤمن جانبها فى الحرب والبتروى والصناعة  
الثقيلة ، سيكون لكم - من غير شك - عصركم الذهبى فى  
الأدب وأصول الدين .

قال فيجاليا : أود أن أضحك ، وما يشغلنى هو أنك على  
الأرجح قد أصبت الرأى ، وأنا احس احساسا مزعجا أن  
أبنائى سوف يرون - عندما يكبرون - نبوتك تتحقق .

ونزلوا من عربة الجيب ، وأوقفوها بين عربة يجرها ثور  
ولورى يابانى جديد عند مدخل القرية ، وساروا بعد ذلك  
على الاقدام . وبين البيوت المسقوفة بالقش التى تقع وسط  
حدائق يظللها النخيل وأشجار البيايا وثمر الخبز كان هناك  
شارع ضيق يودى الى السوق المركزية . وتوقف ويل واستند  
الى عصاه الخيزرانية وتلفت حواليه . وشهد على أحد جوانب  
الميدان مبنى شرقيا شديد الزخرفة له واجهة قرنفلية مكسوة  
بالمصنوع وشرفات فى الأركان الاربعة - والظاهر أنه مبنى  
البلدية ، وفى مواجهته على الجانب الآخر من الميدان يقوم  
معبد صغير وردى اللون من الحجر الأحمر يتوسطه برج فوق  
طوابقه المتتالية تماثيل من الصخر تروى قصة تطور بوذا منذ  
أن كان طفلا مدلا حتى تاجاتا (١) . وبين هذين البنائين  
كانت هناك شجرة استوائية ضخمة تغطى أكثر من نصف  
المساحة المكشوفة . وعلى طول الممرات الملتوية الظليلة اصطفت  
أكشاك العشرات من التجار والبائعات . وفيما بين الثغرات  
فى القبو الأخضر الذى يعلو رؤسهم تتسلل خيوط من ضوء  
الشمس تسطع على صف من جرار الماء السوداء والصفراء  
هنا ، وسوار فضى ، ولعبة خشبية ، وثوب من القماش القطنى

(١) المستنير استنارة كاملة - المترجم .

هناك ، وكومة من الفواكه ، وصدار فتاة مرصع بالزهور  
الزاهية هنا ، وبريق أسنان ضاحكة وعيون ، والنصف الأعلى  
العارى من جسد انسان ذهبى متورد اللون هناك .

وبينما هم يشقون طريقهم بين الاكشاك تحت الاشجار  
الضخمة علق ويل بقوله «كل امرئ هنا يبدو فى صحة  
جيدة» .

قالت السيدة راو : انهم يبدوون أصحاء لأنهم أصحاء ،  
وسعداء على خلاف ماعرفت من قبل . وعادت الى ذاكرته  
الوجوه التى شهدتها فى كلكتا ومانلا ورندانج لوبو -  
وهى الوجوه التى يراها المرء كل يوم فى شارع فليت وشارع  
ستراند - الوجوه المكتئبة . وتطلع من وجه الى آخر ثم قال :  
حتى النساء يبدون سعيدات .

قالت السيدة راو : ليست لأى منهن عشرة أطفال .

قال ويل : والمرأة فى بلادى ليس عندها عشرة أطفال ،  
وعلى الرغم من ذلك ترى على وجهها علامات الوهن وعلامات  
الهم . وتوقف لحظة لكى يراقب بائعة فى منتصف العمر تزن  
شرائح من ثمر الخبز المجفف بحرارة الشمس لأم شابة تحمل  
طفلها فى كيس فوق ظهرها . واختتم ملاحظته قائلاً «هذا  
نوع من الاشراق» .

قالت السيدة راو بشعور الظافر : بفضل ماثيونا ، بفضل  
يوجا الحب . وتائق وجهها بمزيج الحماسة الدينية وكبرياء  
المهنة .

وساروا تحت ظل الشجرة الكبرى فى ضوء الشمس

المتوهج ، ثم صعدوا مجموعة من الدرجات البالية حتى بلغوا  
ظلام المعبد . وشهدوا تمثالا ذهبيا لبوذيستا (١) ضخما  
يتلألأ في الظلام . وشموا رائحة البنخور والزهور الذابلة .  
ومن مكان ما خلف التمثال طرقت آذانهم صوت عابد مختف  
يتمتم بابتهاالات لاتنتهى . ومن باب جانبي جاءت فتاة صغيرة  
مسرعة وبغير ضوضاء عارية القدمين . ودون أن تعير هؤلاء  
الكبار التفاتة اعتلت المذبح برشاقة القط ووضعت غصنا من  
نبات أبيض اللون في راحة التمثال المفتوحة . وحدقت في  
الوجه الذهبى الضخم وتمتمت ببضع كلمات ، وأغمضت  
عينيهما لحظة ، وتمتمت مرة أخرى ، ثم عادت ، وأخذت تشدو  
بصوت ناعم وهى تهبط ، وأخيرا خرجت من الباب الذى جاءت  
منه .

قال ويل وهو يراقبها فى خروجها «رائعة . وليس هناك  
ماهو أروع من ذلك . ولكن ماذا عسى طفلة فى مثل سنها أن  
تظن أنها فاعلة بالضبط ؟ أية ديانة تؤدى شعائرها ؟»

قال فيجايا شارحا : انها تؤدى الشعائر المحلية لبوذية  
ماهايانا (٢) ممزوجة بشيء من الشيفية الهامشية .

- وهل تشجعون أنتم المثقفين شيئا كهذا ؟

- نحن لانشجع ولا نشيط . نحن نقبل العقيدة كما نقبل  
نسيج العنكبوت الذى تراه فوق الافريز . ان العناكب  
بطبيعتها لا بد أن تنسج هذه الخيوط . وكذلك البشر بطبيعتهم

---

(١) شخص يؤجل تبوذه وانفصاله انفصالا كاملا عن المجتمع لفترة  
ما حتى يساعد غيره من الناس - المترجم  
(٢) مذهب بوذى متطور - المترجم



لا بد أن يكون لهم دين • وليس بوسع العناكب الا أن تصنع  
مصائد للذباب ، وليس بوسع الانسان الا أن يضع الرموز •  
ذلك هو السر فى وجود الذهن البشرى • أن يحول فوضى الخبرة  
المعطاة الى مجموعة من الرموز التى يستطيع أن يتناولها •  
وأحيانا تقابل الرموز بعض أوجه الحقيقة الخارجية التى  
تجاوز خبرتنا مقابلة دقيقة الى حد مقبول • عندئذ يكون  
العلم والادراك العام • وأحيانا أخرى – على نقيض ذلك –  
لا تكون للرموز صلة تقريبا بالحقيقة الخارجية • عندئذ يكون  
الجنون والهديان • وفى أغلب الاحيان يكون هناك خليط يجمع  
بين الواقع والخيال – هذا هو الدين • والدين جيد أو سئ  
بنسبة تتوقف على درجة المزج بين الاثنين • فمثلا فى نوع  
الكالفينية التى نشأ عليها الدكتور أندرو يوجد قدر ضئيل  
جدا من الواقع مقابل كمية ضخمة من الخيال الخبيث • وفى  
أحوال أخرى يكون المزيج أصح من ذلك • خمسين فى المائة  
مقابل خمسين فى المائة ، أو أحيانا أربعة وستين فى المائة أو  
حتى ثلاثة وسبعين من الصدق والحق • ومزيجنا المحلى يحتوى  
على قدر ضئيل جدا من السموم» •

وأوما ويل برأسه قائلا : تقديم النبات السحلبى الى  
تمثال الرأفة والتنوير شئ لا يضر بتاتا • وبعد الذى رأته  
بالأمس أجدنى على استعداد لأن أدلى بشهادة طيبة فى صالح  
الرقص الكونى والتزاوج السماوى •

قال فيجايا : واذكر أن مثل هذه الامور ليست اجبارية •  
الفرصة أمام كل انسان ليتجاوز هذه الحدود • سألتنى ماذا  
تظن هذه الطفلة انها فاعلة • وأنا أقول لك انها بجانب من  
عقلها تخاطب شخصا – شخصا ضخما سماويا يمكن التزلف

اليه بالنبات السحلبى لكى يعطيها ماتريد • ولكنها أيضا في  
سنها التى بلغتها لايد أن تكون على علم بالرموز الاكثر عمقا  
وراء تمثال اميتابها (١) وبالخبيرات التى تولد هذه الرموز •  
ولذلك فهى بجانب آخر من عقلها تعلم تمام العلم أن  
اميتابها (١) ليست شخصا • بل انها لتعلم كذلك - كما  
شرحوا لها من قبل - أن الدعاء اذا كان أحيانا يستجاب له  
فانما لان الآراء - فى عالمنا هذا العجيب المؤلف من النفس  
ولمادة - تميل الى أن تتحقق اذا أنت ركزت فيها فكرك •  
وهى تعلم كذلك أن هذا المعبد ليس كما تحب حتى الآن أن  
يكون - بيت بوذا • انما هى تعلم أنه ليس سوى رسم لما  
يدور فى عقلها اللاشعورى - مكان ضيق مظلم صغير تزحف  
على سقفه السحليات فى وضع مقلوب وتسكن شقوقه  
الصراصير • ولكن الاستنارة تكمن فى قلب هذا الظلام القدر •  
وهناك كذلك شيء آخر تقوم به الطفلة : انها تتعلم درسا عن  
نفسها بطريقة لا شعورية • فهى تتعلم أنها قد يتكشف لها أن  
عقلها الصغير هو كذلك العقل الأكبر ، وذلك اذا هى كفت  
عن محاولة اقناع نفسها بما يخالف ذلك •

- ومتى تتعلم هذا الدرس ؟ متى تكف عن اقناع نفسها  
بغير ذلك ؟

- قد لا تتعلمه بتاتا • كثير من الناس لا يتعلمونه •  
وكثيرون آخرون - من ناحية أخرى - يتعلمونه •  
وجذب ويل من ذراعه وقاده الى مكان أكثر ظلمة خلف

---

(١) ربة الرحمة فى البوذية التى تساعد النساء فى حملهن وترشد  
المؤمنين عند موتهم الى الجنة الغربية « أى أرض اميتابها الطاهرة -  
المرجم .

تمثال الاستنارة • وأخذ النشيد يزداد وضوحا ، وكان هناك  
منشيد تكاد العين لاتراه فى الظلام ، رجل كبارة يجلس عاريا  
الى وسطه ، يلتزم كتمثال اميتايها الذهبي الصمت المطلق ،  
لايحرك سوى شفثيه •

قال ويل : ماذا يرتل ؟

– شيئا بالسنسيكريتية •

كان يكرر سبعة مقاطع ليس مها معنى •

– تكرار ليس وراءه طائل •

وعارضته السيدة راو قائلة : انه ليس بالضرورة من  
غير طائل • فهو أحيانا يذهب بك الى مكان ما •

وزاد على ذلك فيجأيا قوله : نعم انه يذهب بك الى مكان  
ما • ليس لما تعنيه الكلمات أو ما توحى به ، وانما فقط  
لانها تتكرر • فأنت اذا كررت قولك (هاى ديدل ديدل) كان  
لذلك نفس الاثر كما لو قلت (أوم) أو (كرياليسون) أو غير  
ذلك ، كل ذلك له فى النفس أثره ، لانك حينما تشغل ذهنك  
بالتكرار لايمكن أن تشغله كله بنفسك • والمشكلة هى أنك  
بمثل هذا التكرار اما تنخفض واما ترتفع – اما تنخفض الى  
حالة من بلاهة اللافكر ، واما ترتفع الى وعى مطلق مصدره  
اللافكر •

قال ويل : أفهم من ذلك أنك لاتوصى بمثل ذلك لصديقتنا  
الصغيرة هذه التى كانت تحمل النبات السحلبى ؟

– لا أوصى ما لم تكن عصبية أو قلقة بدرجة غير عادية ،  
وهى ليست كذلك • وأنا أعرفها حق المعرفة ، فهى تلعب مع  
أطفالى •

– اذن ماذا تفعل في حالتها ؟

– أفعال الكثير • ومن بين ما أفعل أقودها ، بعد نحو عام  
الى المكان الذى نحن ذاهبون اليه الآن •  
أى مكان ؟

– غرفة التأمل •

وسار ويل وراءه تحت مدخل تعلوه قنطرة وعلى طول  
ممر قصير • وفتحت السجف وأذا بهم فى غرفة كبيرة جدرانها  
بيضاء ولها نافذة طويلة الى يسارهم تنفتح على حديقة صغيرة  
ينمو فيها شجر الموز وثمر الخبز • وقد خلت الغرفة من  
الاثاث اللهم الا بضع حشايا مربعة الشكل منتشرة فوق  
الأرض • وعلى الحائط المقابل للنافذة علق صورة زيتية  
كبيرة • رمقها ويل بنظرة ثم تقدم نحوها يتمناها •

وأخيرا قال : ياللعجب ! من رسم هذه الصورة ؟

– جوبندسنيج •

– ومن هو جوبندسنيج •

– أحسن مصور للمناظر الطبيعية أنتجته بالا • مات فى  
عام ٤٨ •

– لماذا لم نر قط صورة من صوره ؟

– لاننا نحب أعماله حبا جما فلا نصدر أيا منها •

قال ويل : هذا فى مصلحتكم ، وليس فى مصلحتنا •  
وتطلع الى الصورة مرة أخرى وسأل : هل ذهب هذا الرجل الى  
الصين فى حياته ؟

— لا ، ولكنه درس مع مصور من كانتون كان يقيم فى  
بالا • وكان بالطبع قد شاهد نسخا عديدة من المناظر الطبيعية  
التي رسمت فى عهد سونج» (١) •

قال ويل : أستاذ ينتمى الى سونج أثر أن يصور بالزيت  
وكان مهتما بتوزيع الضوء فى الصورة •

— فقط بعد ماذهب الى باريس ، وكان ذلك فى عام  
١٩١٠ ، وهناك عقد صداقة مع فيار •

هز ويل رأسه وقال : يستطيع المرء أن يقدر ذلك من هذا  
الغنى غير العادى البادى فى اللوحة • واستمر فى نظره الى  
الصورة فى صمت ، وأخيرا ألقى بهذا السؤال : ولماذا تعلقونها  
فى غرفة التأمل •

ورد عليه فيجايا بسؤال آخر ، وقال : ماذا تظن أن يكون  
السبب ؟

— هل لأن هذا هو ماتسمونه رسما يرمز للعقل ؟

— المعبد رسم رمزى ، ولكن هذا أفضل منه ، فهو مظهر  
فعلى • مظهر فعلى للعقل الكبير فى عقل الفرد بالنسبة الى  
المنظر الطبيعى ، والى اللوحة ، والى خبرة التصوير • وبهذه  
المناسبة أقول لك انها صورة الوادى الغربى المجاور •

قال ويل : وما أجمل السحب ، وهذا الضوء !

وزاد فيجايا من الشرح قائلا : انه ضوء الساعة الأخيرة

---

(١) سونج أسرة صينية أحرزت مكانة رفيعة فى المجتمع الصينى فى  
أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر - المترجم •

قبل الغسق • وقد توقف المطر منذ قليل وظهرت الشمس مرة  
أخرى أشد ضياء من أى وقت مضى • ضيائها هو الضياء  
الحارق للطبيعة ، الضياء المائل تحت سقف من السحب • ضوء  
العصر فى آخر النهار الذى ينقش كل سطح يمسه ويعمق كل  
الظلال •

وحدق ويل فى الصورة وهو يكرر هذه العبارة «يعمق  
كل الظلال» • ظل هذه السحابة المرتفعة الضخمة تسود سلاسل  
من الجبال بأسرها وتضفى عليها الظلام • وهناك فى الوسط  
ظلال السحب الصغيرة المتناثرة • وفيما بين الظل والظل وهج  
الأرز فى أول نموه ، أو الحرارة الحمرء تشع من الأرض  
المحرثة ، وتوهج الحجر الجيرى المكشوف ، والاماكن المعتمة  
والاوراق دائمة الخضرة التى تتلألأ كالماس • وقد أقيمت  
وسط الوادى مجموعة من البيوت المسقوفة بالقش ، تبدو من  
بعيد ، صغيرة ، ولكنها واضحة للعين ، ناطقة تماما ، لها دلالة  
عميقة ! نعم لها دلالتها • ولكنك ان سألت نفسك «دلالة على  
أى شىء ؟» لم تجد جوابا • ووجه ويل هذا السؤال ملفوظا •

قال فيجايا : تسألنى ما معناها • وأقول لك انها تعنى  
ماهى عليه • وكذلك الجبال ، والسحب ، والضوء والظلام •  
ومن ثم كانت هذه الصورة صورة دينية حقا • أما الصور  
الشبيهة بالدينية فهى تشير دائما الى شىء آخر ، شىء يجاوز  
الاشياء التى تمثلها - تمثل شيئا من الكلام الفارغ الميتافيزيقى  
أو عقيدة باطلية من العقائد المحلية • ان الصورة الدينية حقا  
تكون دائما مليئة بالمعنى فى حد ذاتها • ولذلك علقنا هذه  
الصورة فى غرفة التأمل •

– وهل الصور دائما للمناظر الطبيعية ؟

– تقريبا دائما ، لان المناظر الطبيعية تذكر الناس فعلا  
بمن يكونون •

– وهل هي أفضل من صور تمثل حياة قديس أو  
مخلص ؟

وأوما فيجايا برأسه ايجابا وقال : الفارق بينهما  
– أولا – هو الفارق بين الموضوعى والذاتى • ان صورة  
المسيح أو صورة بوذا ان هي الا تسجيل لشيء لاحظه سلوكى  
وفسره رجل من رجال الدين • أما حينما تواجه منظرا طبيعيا  
كهذا ، فمن المستحيل عليك سيكولوجيا أن تنظر اليه بمعنى  
واطسن (١) أو بعقل توماس اكونياس (٢) • انما أنت مرغم  
تقريبا على أن تخضع لتجربتك المباشرة • أنت مضطر من  
الناحية العملية الى أن تقوم بعملية معرفة للنفس •

– معرفة النفس ؟

وأكد له فيجايا مرة ثانية انها معرفة للنفس وقال : ان  
هذا المنظر للوادي المجاور انما هو منظر – اذا ارتفعت درجة

---

(١) سيكولوجى أمريكى ( ١٨٧٨ – ١٩٥٨ ) أسس مدرسة علم  
النفس المعروفة باسم « المدرسة السلوكية » – المترجم •

(٢) فيلسوف ولاهوتى ايطالى ( ١٢٢٥ – ١٢٧٤ ) ، ويمتاز  
مذهبه بالتفريق بين الفلسفة واللاهوت • الاولى تعتمد على العقل والثاني  
يعول على الوحي دون أن ينكر العقل وفي هذا ما يفرق بين الفلسفة  
والدين – المترجم •

واحدة - لمقلك أنت ، لعقل كل امرئ كما هو موجود فوق  
وتحت مستوى التاريخ الشخصى • ألغاز الظلام ، ولكن  
الظلام يموج بالحياة • رؤيا الضوء ، والضوء يشع من هذه  
البيوت الصغيرة المهلهلة كما يشع من الاشجار ، والحشائش ،  
والمسافات الزرقاء بين السحب • اننا نبذل جهدنا لندحض  
الحقيقة ، ولكن الحقيقة باقية • الانسان مقدس كالطبيعة ،  
لانهاى كالفضاء • ارانى اقترب من اللاهوت بصورة خطيرة ،  
والفكرة العامة لم تنقذ قط أحدا • ألزم الوقائع ، وألزم  
الحقائق المحسوسة» • وأشار باصبعه الى الصورة وقال : نصف  
القرية فى ضوء الشمس ونصفها الآخر فى الظل وفى الخفاء -  
هذه حقيقة • وهذه جبال لونها نيلى ، وتلك جبال من بخار  
الماء تعلوها ، وهى أكثر منها غرابية - هذه حقائق • البحيرات  
الزرقاء فى السماء ، بحيرات لونها أخضر باهت وأخرى مثل  
الترسينا النيئة فوق الارض التى يسطع عليها ضوء الشمس -  
هذه حقائق • وهذه الحشائش فى المقدمة ، ومجموعة أشجار  
الخيزان على بعد بضع خطوات من المنحدر ، وتلك القمم  
البعيدة والبيوت الصغيرة العجيبة التى تقع على بعد ألفى قدم  
فى أسفل الوادى - كل هذه حقائق • وأضاف بعبارة معترضة  
قوله : البعد - قدرتها على التعبير عن حقيقة البعد - هذا  
أيضا مما يجعل صور المناظر الطبيعية من الصور الدينية  
الصادقة •

- لأن البعد يضيف على المنظر سحرا ؟

- لا • لأنه يضيف واقعا • البعد يذكرنا أن العالم أوسع  
من أن ينحصر فى أشخاص ، بل أن الأشخاص لهم ما هو أكثر  
من انفسهم • انه يذكرنا ان هناك ابعادا عقلية داخل رؤوسنا



تبلغ فى ضخامتها هذه الابعاد التى نراها • أن خبرة البعد ، البعد داخل العقل ، وخارج العقل • البعد فى الزمان والبعد فى المكان - هذه هى الخبرة الدينية الأولى والأساسية • قال قائل «الموت يمكن فى الحياة ، وهناك أيام لم تعد أياما» ، وأنا أقول هناك أماكن لا يحصرها العد ليست هى هذا المكان ! هناك متع انقضى عهدها ، وسعادات وئت ، وبصائر - كلها تحيا فى الذاكرة ، ومع ذلك فهى ميتة ، ميتة ولا أمل فى بعثها • انظر الى هذه القرية فى أسفل الوادى ، واضحة للرؤية حتى فى الظلام ، واقعية لاشك فيها ، ومع ذلك فلا أمل فى بلوغها ، بعيدة عن المنال • أن صورة كهذه دليل على قدرة الانسان على ان يقبل كل ما فى الحياة من موت ، كل غياب يترك فراغا ولكنه يحيط بكل ما هو موجود • وأضاف الى ذلك فيجايا قوله :عندى ان أسوأ ظاهرة من ظواهر فنكم التجريدى • انه دائما ذو بعدين ، يرفض أن يدخل فى حسابه تجربة البعد العالمية • ان قطعة من التعبير التجريدى قد تكون غاية فى الجمال مثلها فى ذلك مثل الشيء الملون • وهى كذلك يمكن أن تقوم مقام بقع الحبر فى اختبار رورشاخ بصورة أروع • يستطيع كل امرئ أن يجد فيها تعبيرا رمزيا عن مخاوفه وشهواته ومكروهاته وأحلام يقظته • ولكن هل يرى المرء فيها ما هو أكثر من الوقائع الانسانية ، مما يكشفه المرء فى نفسه عندما يواجه عقله بالابعاد الخارجية للطبيعة ، أو بالابعاد الباطنية والخارجية فى آن واحد لصورة منظر

---

(١) اختبار للذكاء وضعه العالم النفسانى السويسرى هرمان رورشاخ استخدم فيه عشر بقع من الحبر ، يطلب من المريض النفسانى أن يقول ما توحي له به هذه البقع • هل يصف البقعة بأكملها أو يصف تفصيلاتها • وأثر اللون والحركة وغير ذلك فى نفسه - المترجم •

طبيعى كهذه الصورة التى نراها؟ (قلت ما هو أكثر من الوقائع  
الانسانية ، ولعل من الأصح أن أقول ما هو أكثر من الوقائع  
الانسانية فى صميمها) كل ما عرفه اننى لا أجد فى صوركم  
التجريدية الحقائق التى تكشف هنا عن نفسها ، وأشك أن  
أحدا غير يستطيع ان يجد فيها هذه الحقائق . ولذلك فان  
التعبيرية المجردة غير الموضوعية التى تتشددون بها اليوم ليست  
دينية فى أساسها . وأستطيع أن أضيف الى ذلك أنها فى أحسن  
حالاتها مملّة تافهة الى أبعد الحدود .

وبعد فترة من الصمت سأله ويل : هل تأتى كثيرا الى  
هنا ؟

— كلما شعرت أنى أوشر التأمل الجماعى على التأمل  
الفردى .

— وكم مرة يكون ذلك ؟

— مرة كل أسبوع تقريبا . ولكن هناك بطبيعة الحال من  
يحب أن يأتى أكثر من ذلك — وبعضهم أقل ، أو لا يزورون  
المكان مطلقا . انما يتوقف الأمر على مزاج الشخص .  
فصديقتنا سوزيلا — مثلا — بحاجة الى جرعات أكبر من  
العزلة ، ولذلك فهى قلما تزور غرفة التأمل . فى حين أن  
شانتا (زوجتى) تحب أن تطل على المكان كل يوم تقريبا .

قالت السيدة راو : وكذلك أنا . ثم قالت وهى تضحك ،  
غير أن ذلك أمر متوقع . لان السمان يحبون الصحبة حتى  
وهم يتأملون .

وسأل ويل : وهل تتأملين فى هذه الصورة ؟

— لا أتأمل فيها ، بل أتأمل منها ، ان كنت تدرك ما أعنى ،

والأصح أن أقول بمحاذاتها - أنا أنظر اليها ، وينظر اليها الآخرون ، وهى تذكرنا جميعا من نكون ومن لانكون ، وكيف يمكن أن ينقلب ماالسنا به الى مانحن به .

وسأل ويل : وهل هناك علاقة - بين ماتحدثين عنه ، وما شهدته هناك فى معبد شيفا ؟

أجابت : طبعاً هناك علاقة . ان عقار الموكشا يقودك الى نفس المكان الذى تبغىه بالتأمل .

— لماذا يأبه المرء اذن بالتأمل ؟

— هذا السؤال كقولك لماذا يأبه المرء بتناول غذائه .  
— ولكن عقار الموكشا — وفقا لما تقولين — غذاء .  
— قالت مؤكدة : انها وليمة ، ولذلك كان لابد من التأمل . وأنت لاتستطيع أن تقيم الولاثم كل يوم . لان الولىمة دسمة جدا ويبقى أثرها طويلا . ثم ان الولاثم يعدها من يتعهد بتقديمها ، وليس لك أى دور فى اعدادها . طعامك اليومى أنت تطهوه ، أما عقار الموكشا فهو دعوة خاصة بين الحين والحين .

قال فيجايا : ويمكننا أن نقول — اذا عبرنا بمصطلحات اللاهوت — ان عقار الموكشا يعد المرء لاستقبال النعم بلا مقابل — الرؤى التى تسبق حالة التصوف أو التجارب الصوفية الكاملة . والتأمل طريقة من الطرق التى يشارك بها المرء فى هذه النعم .

— وكيف يكون ذلك ؟

— باستثارة حالة من حالات العقل التى تجعل من الممكن تحويل لمحات النشوة الباطنية الخاطفة الى انارة مستديمة مألوفة . وبمعرفة الانسان نفسه الى درجة لايرغمه فيها

لا شعوره بأن يفعل القبيح ، ويرتكب العبث والباطل مما  
يفعله المرء فى أكثر الاحيان .

— تعنى أنه يساعد المرء على أن يكون أحد ذكاء ؟

— ليس أحد ذكاء فيما يتعلق بالعلم والجهد المنطقى —  
وانما أحد ذكاء على مستوى أعمق ، مستوى الخبرة المحسوسة  
والعلاقات الشخصية .

قالت السيدة راو : أحد ذكاء على هذا المستوى ، حتى ان  
كان المرء غبيا جدا فى المستويات العليا . وربتت على قمة رأسها  
وقالت : أنا بكماء لا أصلح فيما يصلح له الدكتور روبرت  
وفيجايا — علم الأجنة ، والكيمياء الحيوية والفلسفة وما الى  
ذلك . وأنا لا أجيد التصوير ولا الشعر ولا التمثيل . ليست  
عندى مواهب ولا مهارات ، ولذلك كان من الواجب أن أحس  
النقص الشديد والكآبة . ولكن فى الواقع أنا لا أحس ذلك—  
يفضل عقار الموكشا والتأمل . لا مواهب ولا مهارة . ولكن  
فى شؤون الحياة ، وفهم الناس ومساعدتهم ، أشعر أنى  
أزداد حساسية ومهارة . وفيما يسميه فيجايا النعم بغير  
مقابل . . . . . وهنا صمتت قليلا ثم قالت : قد تكون أعظم  
المباقرة فى العالم ، ولكنك لن تأخذ أكثر مما أعطيت أنا .  
ليس كذلك يا فيجايا ؟

— منتهى الصدق .

ثم عادت الى ويل تقول له : لذلك ترى يامستر فارنبى  
أن بالا مكان الأغبياء . أكبر سعادة لأكبر عدد من الناس —  
ونحن الاغبياء أكبر الاعداد . الناس من أمثال الدكتور  
روبرت وفيجايا . وعزيزى رانجا — هؤلاء نعترف بتفوقهم ،

ونعلم تمام العلم أن نوع ذكائهم غاية فى الأهمية • ولكننا  
نعلم كذلك أن نوع ذكائنا على نفس الدرجة من الأهمية •  
ونحن لانحسدهم لاننا أعطينا قدر ما أعطوا ، بل أحيانا أكثر  
مما أعطوا •

قال فيجايا : نعم أحيانا أكثر ، لسبب بسيط ، وهو أن  
موهبة العمل بالرموز تغرى أصحابها الى اعتياد العمل  
بالرموز • واعتياد العمل بالرموز عقبة فى سبيل الخبرة  
المحسوسة وتلقى النعم بلا مقابل •

قالت السيدة راو : لذلك ترى أنك لست بحاجة لان تشعر  
بالأسف لخالنا • ثم نظرت الى الساعة وقالت : يا الهى ، اذا أنا  
لم أسرع فسوف أتخلف عن وليمة ديليب •  
وسارت مسرعة نحو الباب •

وسخر منها ويل قائلا : الوقت ، الوقت ، الوقت ، الوقت ، الوقت  
حتى فى هذا المكان للتأمل الذى لا يحده وقت • ان وقت  
العشاء يقطع الأبدية بدرجة لا رجاء فى اصلاحها • ثم ضحك •  
وهو من الراضين دائما ، ويرى أن الرفض هو طبيعة الأشياء •  
قالت وهى تبتسم : ولكن أحيانا تقطع الأبدية الوقت -  
حتى وقت العشاء - بصورة معجزة • مع السلامة • ولوحت  
بيدها وانصرفت •

وتساءل ويل بصوت مرتفع وهو يقتضى أثر فيجايا فى  
ظلام المعبد حتى خرجوا الى وضح النهار • «أيهما أفضل - أن  
تولد غبيا فى مجتمع ذكى ، أو تولد ذكيا فى مجتمع مجنون»؟

قال فيجايا : «هنا نحن قد وصلنا» عندما بلغوا نهاية الشارع القصير الذى يربط ما بين السوق وأسفل التل . وفتح بوابة صغيرة ، واصطحب ضيفة الى حديقة صغيرة يقع فى أقصاها بيت صغير مستوف بالقش قائم على ركائز .

ومن خلف البيت اندفع كلب مهجن أصفر اللون وحياهم بنباح مسعور وأخذ يثب هنا وهناك ويهز ذيله تعبيرا عن سروره البالغ . وبعد لحظة هبط ببغاء كبير أخضر اللون ، أبيض الحدين ، متقاره اسود فاحم لامع ، جاء من مكان مجهول وحط فوق كتف فيجايا صائحا ومحدثا ضجة كبرى وهو يرفرف بجناحيه .

قال ويل : الببغاوات لك ، والمينات للمارى ساروجينى الصغيرة . الظاهر أنكم هنا على علاقة طيبة جدا مع حيوانات المنطقة .

وأوما فيجايا برأسه ايجابا وقال : ربما كانت بالا البلد الوحيد الذى لا يجد فيه اللاهوتيون من عالم الحيوان ما يدعوهم الى الاعتقاد فى الشياطين . ومن الواضح أن الشيطان - عند الحيوان فى كل مكان آخر - هو الانسان .

وصعدا السلم للفراندة ومرقا من الباب الخارجى المفتوح ليدخلا حجرة المعيشة الرئيسية فى البيت . وشهدا على مقربة

من النافذة امرأة شابة ترتدى ثيابا أزرق وتجلس فوق مقعد  
منخفض ترضع وليدها • فرفعت وجهها الذى يشبه فى شكله  
القلب ، الجبهة عريضة تستدق الى أسفل حتى الذقن المدببة •  
وحيتهما بابتسامة •

قال فيجايا وهو ينحنى ليقبلها : جئت ومعى ويل  
فارنبى •

• ومدت شانتا يدها الطليقة الى الرجل الغريب •

وقالت : أرجو ألا يكون لدى السيد فارنبى اعتراض على  
الطبيعة فى حالتها البدائية • وأبعد الطفل فمه عن ثدى أمه  
ذى الحلمة السمراء وتجشأ ، وكأنه يريد أن يؤيد ماتقول أمه •  
وظهرت بين شفثيه فقاعة بيضاء من اللبن ، وانتفخت ثم  
انفجرت • وتجشأ مرة أخرى ، ثم عاود الرضاعة • وقالت  
أمه : ان آداب المائدة عند راما حتى وهو فى الشهر الثامن من  
عمره بدائية جدا •

قال ويل فى أدب جم : انه نموذج طيب • ولم يكن من  
المهتمين بالاطفال ، وكان دائما يحمد الله كلما أسقطت مولى  
حملها ، مع أن مولى كانت تشعر بخيبة الأمل فى اشباع رغبتها  
فى أن يكون لها ولد •

ثم قال : الى أى منكما سيكون شبيها - أنت أم فيجايا ؟  
وضحكت شانتا ، وشارك فيجايا فى الضحك بنغمة  
مختلفة •

أجابت : انه بالتأكيد لن يشبه فيجايا •

- ولم لا ؟

قال فيجايا : لسبب مقنع ، وهو أنني لست مسئولا  
وراثيا \*

– بعبارة أخرى أن الطفل ليس لفيجايا \*

ونظر ويل الى الوجهين الضاحكين ، ثم هز كتفيه وقال  
«لقد يئست» \*

وأوضحت له شانتا الأمر قائلة : منذ أربع سنوات أنجبنا  
توأمين هما صورتان حيتان لفيجايا - وفكرنا أنه من الأمتع  
لنا هذه المرة أن نحدث تغييرا كاملا ، فقررنا أن نعزز الأسرة  
بنوع يختلف كل الاختلاف في تكوينه البدني وفي مزاجه \*

هل سمعت بجوبندسنج ؟

– أراني فيجايا تصويره في غرفة التأمل \*

– هذا هو الرجل الذي اخترناه أبا لراما \*

– ولكنني فهمت أنه قد مات \*

وافقته شانتا على ذلك وقالت : ولكن روحه باقية \*

– ماذا تعنين ؟

– ج و ت ص

– ج و ت ص ؟

– نعم التجميد والتلقيح الصناعي \*

– فهمت \*

قال فيجايا : في الواقع اننا طورنا التلقيح الصناعي  
وسبقناكم في ذلك بعشرين عاما \* ولكننا لم نصد منه كثيرا  
بطبيعة الحال حتى توافرت لدينا القوى الكهربائية والثلاجات  
التي يعتمد عليها \* ولم نحصل على ذلك الا في أواخر



الثلاثينات • ومنذ ذلك الحين ونحن نستخدم التلقيح الصناعى  
على نطاق واسع •

وقاطعته شانتا قائلة : ولذلك فان رضيمى قد يصبح  
مصورا فى المستقبل - أى اذا ورث هذه الموهبة • وحتى اذا  
لم يكن التصوير من المواهب التى تورث فسوف يختلف فى  
جوهره ومظهره عن أخويه وعن والديه • مما يكون ممتعا  
ومجالا للدراسة لكل من يهمله الأمر •

سأل ويل : وهل يمارس الكثيرون هذا الصنيع ؟

- ان عددهم يتزايد • وأستطيع أن أوكد أن جميع  
الأزواج الذين يقررون أن يكون لهم طفل ثالث يمارسون  
التلقيح الصناعى • وكذلك يمارسه عدد كبير ممن لا يرغبون  
فى أكثر من طفلين • خذ أسرتى مثلا • كان من بين أفراد  
أسرة أبى من يمانون من مرض السكر ، لذلك آثر والداى  
- أبى وأمى - أن ينجبا طفليهما بالتلقيح الصناعى • أذى  
ينحدر من تليج أجيال من الراقصين ، وأنا - وراثيا - ابنة  
ابن عم الدكتور روبرت ، مالكولم شاكرافارتى ماك فيل  
الذى كان يعمل سكرتيرا خاصا للراجا المعجوز •

وأضاف فيجايا : وهو مؤلف أحسن كتاب فى تاريخ بالا •  
كان شاكرافارتى ماك فيل من أقدر رجال جيله •

ونظر ويل الى شانتا ثم الى فيجايا •

وسأل : وهل تم توريث هذه القدرة ؟

أجاب فيجايا : الى درجة أنى أجد صعوبة كبرى فى  
الاحتفاظ بمرکزى من حيث تفوق الذكورة • شانتا أحد منى

ذكاء ، ولكنها لاتستطيع - لحسن الحظ - أن تبلغ شأوى فى  
القوة العضلية .

وقالت شانتا بعده متهكمة : القوة العضلية . اننى أذكر  
قصة عن امرأة شابة اسمها دليلة .

واستمر فيجايا فى كلامه قائلا : وبهذه المناسبة ، شانتا  
لها اثنان وثلاثون أخا من أحد الوالدين وتسع وعشرون أختا  
من أحد الوالدين . وأكثر من ثلث هؤلاء من ذوى الذكاء  
النادر .

- اذن أتم تحسنون العنصر .

- بكل تأكيد . وبعد قرن آخر يبلغ معدل الذكاء عندنا  
مائة وخمسين .

- مع أن معدل الذكاء عندنا ، بمعدل التقدم الحالى ،  
يهبط الى خمسة وثمانين . ومع تحسن العلاج الطبى تبقى  
العيوب الوراثية ويتوارثها الناس ، مما يجعل الحكم أيسر  
كثيرا للدكتاتوريين فى المستقبل .

وأضحكته هذه الفكاهة العالمية . وصمت برهة ثم سأل :  
وماذا عن التلقيح الصناعى من الناحيتين الخلقية والدينية ؟

قال فيجايا : فى الأيام الخالية كان هناك عدد كبير من  
الممرضين من أصحاب الضمائر الحية أما اليوم وبعد ما تبينت  
مزايا التلقيح الصناعى بجلاء فان أكثر الأزواج يرون أنه من  
الأفضل خلقيا أن يغامروا بالحصول على طفل من صنف متفوق  
بدلا من أن يخاطروا - كالعبيد - بأن يثبتوا بالتناسل ما قد  
يكون هناك من انحراف أو عيوب فى أسرة الزوج . ورجال

الدين مشغولون ، يمررون التلقيح الصناعى بتناسخ الارواح ونظرية كارما (١) . والآباء الاتقياء يشعرون بالسعادة لانهم يعطون أطفال زوجاتهم فرصة لايجاد مصير أفضل لانفسهم ولذريتهم .

— هل قلت مصيرا أفضل ؟

— نعم لانهم يحملون جراثيم وراثية لسلالة أفضل .  
والسلالة أفضل لانها مظهر من مظاهر (الكارما) الافضل ،  
ولدينا بنك مركزى للسلالات الممتازة لكل أنواع التكوين  
البدنى والامزجة ، فى بيئتكم الوراثة عند أكثر الناس لاتجد  
فرصة طيبة . أما فى بيئتنا فهى تجد فرصة حسنة . وبهذه  
المناسبة أقول لك ان لدينا سجلات للانساب والاجناس البشرية  
ترجع الى السبعينات من القرن التاسع عشر . ومن ثم ترى  
أننا لانعمل فى الظلام . ونحن — مثلا — نعلم أن جودة  
جويندسنج من ناحية أمه كانت وسيطا موهوبا وعاشت حتى  
بلغت السادسة بعد التسعين .

قالت شانتا : ولذلك فنحن قد يكون لدينا فى الأسرة  
عرافة فى المائة من عمره . وتجشأ الطفل مرة أخرى ، وضحكت .  
ثم قالت : هذا ماخبرتنا به الكاهنة بعبارة مبهمه كالعادة .  
والتفتت الى فيجايا وقالت له : اذا أردت أن تتناول غداءك فى  
الميعاد تستطيع أن تعده بنفسك . فان راما سوف يشغلنى  
لفترة عشر دقائق أخرى على الأقل .

---

(١) قاعدة فى البوذية تقول بأن المرء يثاب أو يجازى وفقا لأعماله .  
المرجم .

ونفض فيجايا ، ووضع احدى راحتيه على كتف زوجته  
ومسح براحتة الأخرى برفق شديد ظهر الطفل الأسمر .

وانحنى شائتا ولمست ينها قمة رأس الطفل الذى نما  
فوقه شعر خفيف ، وهمست له قائلة : هذا أبوك ، أبوك  
الطيب ، الطيب . . .

وربت فيجايا مرة أخرى بلمسة خفيفة ثم انتصب قائما،  
ووجه خطابه الى ويل قائلا له : كنت تتمجب كيف نعيش عيشة  
طيبة مع الحيوانات المحلية ، سوف أريك . ورفع يده ، ونادى  
« بولى ، بولى » . وقفز الطائر الكبير من فوق كتفه ووقف فوق  
سبابته الممتدة . وأخذ يغنى « بولى طائر طيب جدا » . وأرعى  
يده حتى لامس جسم الطائر جسد الطفل ثم حرك الطائر  
ببطء شديد ، وقد مس ريشه البشرة السمراء ، وكرر الحركة  
الى الامام وبني الخلف ، وهو يكرر قوله « بولى طائر طيب جدا » .

وأخذ البغاء يضحك ضحكات خفيفة ، ثم انحنى من  
مكانه فوق اصبع فيجايا الى الامام وأخذ يداعب برفق شديد  
اذن الطفل الصغرى .

وقالت شائتا مردهة فى همس شديد عبارة فيجايا « انه  
طيب جدا ، طيب » .

قال فيجايا : لقد لقط الدكتور أندرو هذه الفكرة حينما  
كان يشتغل عالما طبيعيا فى (ميلامبوس) . من احدى قبائل  
غينيا الجديدة . انهم من العصر الحجري ، ولكنهم مثلكم أنتم  
المسيحيين ومثلنا نحن البوذيين يعتقدون فى المحبة . وخلافا  
لكم ولنا اخترعوا طرقا عملية جدا يجعلون بها عقيدتهم  
واقعا . وكانت هذه الأساليب أحد كشوفهم السعيدة . ربت

على الطفل وأنت تطعمه تضاعف سروره • ثم قدمه وهو يرضع ويتلقى لمسات الحنان الى الحيوان أو الشخص الذي تريده أن يحبه • لامس بجسده جسده • وأوجد بين الطفل ومن تريده أن يحب تلامسا بدنيا دافئا • وفي نفس الوقت كرر لفظة ما مثل قولك (طيب) • انه فى أول الأمر لن يدرك سوى النغمة والصوت • ولكنه سوف يستوعب المعنى كاملا فيما بعد عندما يتعلم الكلام • ذلك أن الطعام مضافا اليه لمسات الحنان مضافا اليه التلامس وكلمة (طيب) يساوى الحب • والحب يساوى السرور ، والحب يساوى الرضا •

– هذا بافلوف بعينه •

– ولكنه بافلوف للاغراض الطيبة فقط • بافلوف من أجل المودة والثقة والرافة • فى حين أنكم تستخدمون بافلوف فى غسل المخ ، ولبيع السجائر والفودكا ، وتستخدمونه لبث روح الوطنية • تستخدمونه لمصلحة الحكام المستبدين ، وقادة الجيوش ، وكبار رجال المال •

أبى الكلب الأصفر أن يبقى وحده فى الجو البارد فانضم الى الجماعة وأخذ يلحق كل مايتحسسه بغير تمييز – ذراع شانتا ، فيجايا ، قدمى البيغاء ، ظهر الطفل • وجذبت شانتا الكلب إليها ومسحت بقروة جنبه بشرة الطفل •

وقالت : هذا كلب طيب ، طيب • الكلب توبى طيب ، طيب جدا ، الكلب توبى •

وضحك ويل قائلا : ألا ينبغى لى أن أدخل فى هذه العملية ؟

أجابت شانتا : هممت أن أقترح عليك ذلك • غير انى  
خشيت أن يكون ذلك مما لا يتفق وكرامتك •

قال فيجايا : تستطيع أن تحتل مكانى ، فأنا لابد أن  
أنصرف لكى أعد الغداء •

وخرج من الباب الذى يؤدى الى المطبخ وهو لا يزال  
يحمل البيغاء • وجذب ويل كرسية ، وانحنى الى الامام وبدأ  
يربت على جسد الطفل الصغير •

وهمست شانتا قائلة : هذا رجل آخر ، انه رجل طيب  
ياولدى ، رجل طيب •

وببسة خفيفة مكتئبة قال : ياليت هذا كان صحيحا !  
- انه الآن وفي هذا المكان صحيح • وانحنى مرة أخرى  
نحو الطفل وكررت قولها «انه رجل طيب ، رجل طيب ،  
طيب» •

وحدق فى وجهها المنشرح الباسم فى صمت ، ولمس  
بأطراف أصابعه جسم الطفل الصغير وأحس نعومته ودفئه •  
طيب ، طيب ، طيب ••• كان من الممكن أن يعرف كذلك  
هذه الطيبة - لو اختلفت حياته كل الاختلاف عما كانت عليه  
فى الواقع ، ذلك الواقع المقزز الخالى من المعنى • لذلك  
لاتصدق كل ما يقال لك حتى لو كان ما يقال لك صادقا كما هى  
الحال فى هذه اللحظة • ونظر مرة أخرى بعين قصد أن يلتقط  
بها قيمة أخرى فشهد كاريكاتورا لاحدى صور ميملنج (1)  
الدينية • «العذراء والطفل ، الكلب ، بافلوف ، والصدقة

(1) مصور عاش فى القرن الخامس عشر - المترجم

الطارئة» وفجأة كاد أن يفهم فى دخيلة نفسه لماذا كره مستر بأهو هؤلاء القوم كرها شديدا • لماذا صمم - كالعادة وبغير حاجة الى ذكر ذلك - باسم الله على تحطيمهم •

• ومازالت شانتنا تتمتم لطفلها «طيب ، طيب ، طيب» •

انهم أطيب مما يجب - تلك كانت جريمتهم • ولم تكن الطيبة أمرا مسموحا به ، ومع ذلك ما أثنىها ! وكم تمنى من كل قلبه لو انه كان مشاركا فيها • وقال لنفسه «عاطفية مطلقة !» ثم قال بصوت مرتفع «طيب ، طيب ، طيب» ، وكررها متهمكا •

وسأل : ولكن ماذا يحدث عندما يشب الطفل عن الطوق ويتكشف له أن أمورا عديدة وأشخاصا كثيرين سيئون ، سيئون ، سيئون للغاية ؟

• أجابت : المودة تبعث المودة •

- نعم من الودود ، ولكن ليس من الجشعين ، أو من المغرمين بالسلطة ، أو ممن خابت آمالهم أو كانت فى نفوسهم مرارة ، فالمودة عند هؤلاء ضعف ، ودعوة الى الاستغلال ، والتهديد ، والانتقام بنير عقوبة •

- ولكن على المرء أن يخاطر ، وأن يبدأ • وليس هناك - لحسن الحظ - مخلد • فان الناس الذين تكييفوا على الخداع والتهديد والمرارة سيكونون جميعا من الأموات بعد بضعة سنين • سوف يموتون ويحل محلهم رجال ونساء نشأوا على الطريقة الجديدة • ذلك ماحدث لنا ، ومايمكن أن يحدث لكم •

– نعم يمكن ، ولكن مع القنبيلة الهيدروجينية والوطنية  
وزيادة السكان بنسبة خمسين مليوناً كل عام ، يكاد ذلك أن  
يستحيل \* .

– لا تستطيع الحكم حتى تجرب \* .

– ولن نجرب مادامت الدنيا على حالتها الراهنة \* وسوف  
تبقى على هذه الحالة بطبيعة الحال حتى نحاول فعلاً \* نحاول  
ونجح على الأقل مثلما نجحتم \* ويعود بى هذا الحديث الى  
سؤالى الأول \* ماذا يحدث لو أن هذا الذى نشأ على الطيب  
الطيب الطيب تبين له أن هناك حتى فى بالا كثيراً من السوء  
السوء السوء ؟ ألا يصاب مثل هذا الطفل بصدمة غير  
مستحبة ؟

– نحن نحاول أن نطعمهم ضد هذه الصدمات \* .

– كيف ؟ هل تصنعون مالايسرهم وهم لايزالون  
صفاراً ؟

– لا تقل مالايسرهم ، بل قل ما هو واقعى \* نعلمهم  
الحب والثقة ، ولكننا نعرضهم للواقع ، الواقع بكل أوجهه ،  
ثم نحملهم مسئوليات \* نحن نحملهم على أن يدركوا أن بالا  
ليست جنة عدن أو أرض كوكين (١) \* نعم هى مكان جميل ،  
ولكنه لا يكون جميلاً الا اذا قام كل من فيه بالعمل الطيب  
وسلك سلوكاً طيباً \* لان حقائق الحياة هى حقائق الحياة ،  
حتى هنا \* .

---

(١) أرض كوكين قصة خرافية شاعت فى العصور الوسطى تتخيل  
ان فى هذه الأرض كل مالذ وطاب – المترجم



– وماهى حقائق الحياة التى ترينها فى تلك الافاعى  
المروعة التى لقيتها وأنا فى منتصف طريقى فوق هذا المرتفع؟  
تستطيعين أن تقولى لها انت طيبة ، طيبة ، طيبة ، وتكررينها  
ماشئت ، ولكن الأفاعى «سوف تعض على الرغم من ذلك » .

– تريد أن تقول انها تستطيع أن تعض . ولكن هل هى  
سوف تستخدم هذه القدرة فى واقع الأمر ؟

– ولم لا ؟

قالت شاننتا : انظر هناك \* فأدار رأسه ورأى أن ماكانت  
تشير اليه فجوة فى الحائط من خلفه \* وفى داخل الفجوة  
تمثال من الصخر لبوذا ، فى نصف الحجم الطبيعى ، جالسا  
فوق قاعدة اسطوانية عليها نقوش عجيبة تعلوه ظلة تشبه  
لوحا من الرصاص تتهدل خلفه لترتكز فوق عمود عريض \*  
وواصلت حديثها قائلة «هذه صورة مصغرة لبوذا فى  
مجمع المحطة – ذلك التمثال الضخم القائم الى جوار بحيرة  
اللوتس » \*

قال : هذه قطعة رائعة من فن النحت \* والابتسامة على  
شفثيه تعطى المرء فكرة عن الرؤية البهيجة كيف تكون \* ولكن  
ما علاقة هذا التمثال بالافاعى ؟

– أعد النظر

وأعاد النظر \* وقال : لا أرى شيئا له دلالة خاصة \*

– أمعن النظر \*

ومرت ثوان ، لاحظ بعدها – وقد صدمته الدهشة –  
شيئا عجيبا بل ومدعاة للقلق \* فما كان يظنه قاعدة اسطوانية

مزخرفة زخرفة عجيبة تبين له فجأة أنه أفعى ضخمة ملتف حول نفسه • وتلك الظلة المتدللية التي كان بوذا يجلس تحتها لم تكن سوى قلنسوة مفلطحة لشعبان ضخمة ، رأسه المسطح وسط طرفها الأمامى •

مذاهب الخصوية ؟ انها لم تقم أى فواصل • فهل كانت من يكون أحيانا عديم الملاحظة بدرجة عجيبة •

— هل هذه هي المرة الأولى التي تشاهد فيها بوذا على هذه الصورة ؟

— أول مرة • هل هناك اسطورة حولها ؟

أومات برأسها ايجابا وقالت : وهي من الاساطير المحيية الى نفسى • سمعت طبعا عن شجرة بوذى ؟  
— نعم ، أعرفها •

— لم تكن هذه الشجرة الوحيدة التي جلس تحتها جوتاما (١) وقت استنارته • فلقد جلس بعد شجرة بوذى لسبعة أيام تحت شجرة من أشجار جزر الهند الشرقية اسمها شجرة جوتهيرد ، انتقل بعدها الى شجرة موشاليندا •

— من هو موشاليندا •

— موشاليندا هو ملك الافاعى • ولما كان من الآلهة فلقد كان يعرف مايحدث ، ولذلك فعندما كان بوذا يجلس تحت شجرته ، كان ملك الافاعى هذا يزحف من جحره ، ممتدا لعدة

---

(١) هذا هو اسم أسرة بوذا — اما كلمة بوذا فهي وصف أو لقب ومعناها « العارف » أو « المستنير » أو « الواعى » — المترجم

أمتار ، يقدم ولاء الطبيعة للحكمة • وعندئذ تهب عاصفة  
شديدة من الغرب • فيلتف الشعبان المقدس حول جسم الانسان  
الذى يفوقه قداسة ، وينشر ظلته فوق رأسه ، ويحمى  
تاثاجاتا (١) من الريح والمطر خلال الأيام السبعة التى  
يستغرقها تأمله • ومن ثم فأنت تراه جالسا هناك حتى يومنا  
هذا ، تحته شعبان ، وفوقه شعبان ، وهو على وعى بالشعبان  
والضوء الشفاف فى آن واحد ، يدرك ما بينهما من تطابق فى  
النهاية •

قال ويل : ما أشد الخلاف بين هذا وبين نظرنا الى  
الأفاعى !

— ونظرتكم الى الأفاعى هى نظرة الاله اليها — هل تذكر  
ما جاء فى سفر التكوين ؟

وذكر النص وهو «سأغرس العداوة بينك وبين المرأة •  
وبين ذريتها وذريتك» •

— ولكن (الحكمة) لاتغرس العداوة مطلقا • ذلك الصراع  
الذى لامعنى له ولا هدف منه بين الانسان والطبيعة ، وبين  
الطبيعة والاله ، وبين الجسد والروح ! (الحكمة) لاتقيم هذه  
الفواصل التى لاتستند الى العقل •

— وكذلك العلم •

— الحكمة تأخذ العلم فى ركابها وتخطو به الى أبعد من  
حدوده •

---

(١) المستنير استنارة كاملة — المترجم

وواصل ويل حديثه قائلاً : وماذا عن الطوطم ؟ وعن مذاهب الخصوبة ؟ انها لم تقم أى فواصل . فهل كانت من (الحكمة) ؟

– بالتأكيد – الحكمة البدائية ، الحكمة على مستوى العصر الحجري . ولكن بعد فترة ما يبدأ الناس احساسهم بأنفسهم ، وتبدو لهم آلهة الظلام القديمة شيئاً زرياً ، ويتغير المنظر ، وتظهر على خشبة المسرح آلهة النور ، والانبياء ، وفيثاغورس ، وزرادشت ، واليانيون (١) ، والبوذيين الأوائل . وهؤلاء فيما بينهم يبشرون بعصر الصراع الكوني – أرموزد ضد اهريمان ، ويهوه ضد الشيطان والأبعال ( الآلهة المحلية) ، ونيرفانا ازاء سمسارا ، والظاهر ازاء مثل افلاطون . وباستثناء ما يدور فى عقول قلة من أتباع تانترا وماهايانا وتاو ومن الزنادقة المسيحيين ، استمر الصراع قرابة ألفى عام .

وتساءل : وبعد ذلك ؟

– بعد ذلك كانت تبشير البيولوجيا الحديثة .

ضحك ويل وقال : قال الله (ليكن داروين) فكان نيتشه والامبريالية وأدولف هتلر .

قالت : نعم حدث هذا ، ولكن كان هناك أيضاً إمكان وجود نوع جديد من الحكمة لكل انسان . أخذ داروين الطوطمة القديمة وزفعتها الى مستوى علم الأحياء . وعادت

---

(١) اتباع مذهب من المذاهب الدينية الشبيهة بالبوذية والتي انتشرت فى جزر الهند الشرقية – المترجم

مذاهب الخصوبة القديمة فى صورة علم السلالات وهافلوك  
أليس • وعلينا الآن أن نخطو خطوة أخرى الى الامام • كانت  
الدرواينيه عبارة عن مفاهيم علمية تركز على حكمة العصر  
الحجرى • والحكمة الجديدة التى يعيها الانسان - أعنى نوع  
الحكمة التى تنبأ بها بصورة خاطفة زن وتاو وتانترا - نظرية  
بيولوجية متحققة فى ممارسة حية ، هى الداروينية مرتفعة  
الى مستوى الرأفة والبصيرة الروحانية • وختمت حديثها  
قائلة : ومن ثم ترى أنه ليس هناك سبب فوق الارض -  
وبالتالى ليس هناك سبب فى السماء - يمنع بوذا أو غيره فى  
هذا المجال من أن يرى الضوء الشفاف متمثلا فى الثعبان •

- على الرغم من أن الثعبان قد يقتله ؟

- نعم على الرغم من ذلك •

- وعلى الرغم من أنه أقدم رموز الجنس وأكثرها  
شيوعا ؟

ضحكت شاننا وقالت : تأملا تحت شجرة موثالندا - هذه  
هى النصيحة التى نسيديها لكل عاشقين • وأثناء تأملات الحب  
هذه اذكرا ماتعلمتما فى الصغر • الافاعى اخوتكم ، للافاعى  
حق الرأفة والاحترام منكم ، الافاعى بايجاز طيبة • طيبة ،  
طيبة •

- والافاعى كذلك سامة ، سامة ، سامة •

- ولكنك ان تذكرت أنها طيبة كما هى سامة ، وتصرفت  
على هذا الاساس ، فهى لن تستخدم سمومها •

- من قال هذا ؟

— هى حقيقة ملحوظة • أولئك الذين لاتفزعهم الافاعى ،  
وأولئك الذين يقتربون منها وليس فى عقولهم عقيدة ثابتة  
بأن الافعى لاتكون طيبة الا بعد موتها ، أولئك قلما تعضهم  
الافاعى • فى الأسبوع القادم سوف أستعير حية جارنا التى  
يتلهى بها • وسوف أعطى راما غدائه وعشاءه لبضعة أيام فى  
ثنيا لفائف هذه الحية •

وأتى من خارج المنزل صوت ضحكات عالية ، ثم صخب  
من أصوات الاطفال يقاطع أحدهم الآخر بالانجليزية وبلغة  
أهل بالا • وبعد لحظة دخلت الغرفة مارى ساروجينى فارعة  
القوام عليها سيما الامومة اذا وازنتها بمن معها ، يحيط بها  
توأمان متشابهان يبلغ عمر كل منهما أربعة أعوام ، ويسير  
خلفها طفل قوى جميل الصورة ، هو الطفل الذى كان يرافقها  
عندما فتح ويل عينيه على بالا لأول مرة •

ارتضى التوأمان فوق أمهما وقالت مارى ساروجينى  
عندئذ «التقطنا تارا وأرجونا من روضة الأطفال» •

حملت شانتا الرضيع فوق احدى ذراعيها ، وطوقت  
بالاخرى الصبيين الصغيرين ، وتبسمت شاكرة وقالت : هذا  
فضل منك •

وقال توم كريشنا «مرحبا بكم» • وتقدم خطوة الى  
الامام ، وبعد لحظة من التردد قال : كنت أفكر ... ثم كف  
عن الكلام ، ونظر الى أخته كأنه يوجه اليها سؤالاً • وهزت  
مارى ساروجينى رأسها •

وسألته شانتا : فيم كنت تفكر ؟

– فى الواقع كان كلانا يفكر •• هل يمكن أن نتناول الطعام معك ؟

وتطلعت شانتا الى توم كريشنا ومارى ساروجينى على التناوب وقالت : الافضل أن تذهب الى فيجايا وتسأله ان كان هناك مايكفى اطعامكما • فهو الذى يقوم بالطهو اليوم •

وقال توم كريشنا فى فتور : سوف أذهب • وبخطى متثاقلة عبر الغرفة وخرج من بابها الى المطبخ • ونظرت شانتا الى مارى ساروجينى تسألها : ماذا حدث ؟

– لقد حذرته أمه على الاقل خمسين مرة انها لاتحب أن يحضر معه السحالى الى البيت ، ولكنه أتى بها هذا الصباح • ولذلك غضبت عليه •

– فقررتما أن تتناولوا الطعام هنا ؟

– اذا لم يوافقك هذا ياشانتا حاولنا راوس أو راجاجينا داساس •

وأكدت لها شانتا أن هذا يوافقها كل الموافقة وقالت : انما طاف بخاطرى أنه من الخير لتوم كريشنا أن يتبادل الحديث مع فيجايا •

قالت مارى ساروجينى جادة : أصبت تماما • وبصوت جاد نادت تارا وأرجونا لكى يصحباها الى الحمام ، وقالت لشانتا وهى تسير أمامهما : سوف نغتسل • انهما فى غاية القذارة •

وانتظر ويل حتى ابتمدوا بحيث لا يستطيعون السمع ،

والتفت الى شانتا وقال : أعتقد أننى شاهدت الآن على الطبيعة ناديا من نوادى التبنى المتبادل .

قالت شانتا : نعم ، ولكنك - لحسن الحظ - شهدته بصورة مخففة . لان توم كريشنا ومارى ساروجينى يتفقدان مع أمهما اتفاقا يلفت النظر . وليس فى هذه الحالة مشكلة شخصية - فقط مشكلة المصير ، المشكلة الضخمة المخيفة - مشكلة موت ديوجولد .

سأل : وهل سوف تتزوج سوزيلا مرة أخرى ؟

- أرجو ذلك . فهو فى مصلحة الجميع - من صالح الاطفال أن ينشقوا بعض الوقت مع نائب من نواب أبيهم - فى مصلحة توم بصفة خاصة ، فقد بلغ السن التى يكتشف فيها الصبى ذكوره . انه لا يزال يصيح كالرضيع ، ولكن بعد لحظة تراه يتباهى ويتفاخر ويحضر السحالى معه الى البيت ليثبت أنه رجل مائتين فى المائة . من أجل هذا بعثت به الى فيجايا ، لان فيجايا فيه كل الصفات التى يحب توم كريشنا أن يكون عليها . يبلغ من الطول ثلاث ياردات ، ومن العرض ياردتين ، قوى للغاية ، قادر قدرة عظيمة . فاذا ما أرشد توم كريشنا الى السلوك الصحيح أصغى اليه ، ولو أسديت له أنا أو أمه نفس النصيحة ما أصغى اليها . مع أن فيجايا لا ينصحه الا بما ننصح به . لان توم - فوق انه ذكر مائتين فى المائة - حساس للانوثة خمسين فى المائة . ولهذا فهو فى الواقع قد بدأ حياته الجدية . ثم ختمت حديثها وهى تتطلع الى الرضيع النائم فوق ذراعها وقالت : والآن لا بد أن أضع هذا الرجل الصغير فى فراشه واستعد للغداء .



بعد ما انتهى التوأمان من الاستحمام وتسريح الشعر  
جالسا فوق مقعديهما المرتفعين • وحومت ماري ساروجيني  
حولهما أما فخورة بهما قلقة عليهما • وعند الفرن كان  
فيجايا يغرف الأرز والخضراوات من اناء من الفخار • ويحذر  
شديد وتعبير على وجهه ينم عن تركيز الفكر حمل توم كريشنا  
الأطباق بعد ملئها الى مائدة الطعام •

قال فيجايا بعد ما انتهى من ملء الطبق الاخير «انتهينا»  
ومسح يديه وسار نحو المائدة واتخذ له مقعدا ، ثم وجه خطابه  
الى شانتا قائلا لها : يحسن أن تخبرى ضيوفنا بطريقة صلاتنا  
قبل البدء فى الطعام •

فالتفتت الى ويل وقالت : فى بالا نحن لانصلى صلاة  
المائدة قبل تناول الطعام • انما نصليها ونحن نتناوله • ولعل  
الاصح أن أقول اننا لانقول الدعاء وانما نمضغه •

— تمضغونه ؟

قالت : صلاة المائدة هى اللقمة الأولى من كل طبق من  
أطباق الطعام — نمضغها ونمضغها حتى لايبقى شىء منها •  
وفى أثناء المضغ نوجه انتباهنا الى نكهة الطعام ودرجة نضجه  
وحرارته ، كما نوجه الانتباه الى الضغط الواقع على الاسنان  
واحساس عضلات الفكين •

– وأظنكم أثناء ذلك تشكرون الواحد المستنير ، أو شيفا ، أو أيا كان ماتقدسونه ؟

وهزت شانتا رأسها مؤكدة قولها : ان ذلك يشئت الانتباه • وتركيز الانتباه هو المقصود • الانتباه الى ممارسة شيء أعطيته ، شيء لم تخترعه • وليس تذكر صيغة من الكلمات موجهة الى شخص ما فى خيالك • وأدارت عينيهما حول المائدة ، وقالت : هل نبدأ الآن ؟

صاح التوأمان بصوت واحد «هيا» والتقط كل منهما ملمقته •

ولبرهة طويلة ساد الصمت الذى لم يسمع فيه سوى طقطقة التوأمين بشفاهما لانهما لم يتعلما بعد أن يأكلا الا بهذه الطريقة •

وأخيرا سأل أحد الصغار «هل نبلع الآن؟»

وأومات شانتا برأسها موافقة • وقام الجميع بابتلاع الطعام • وحدثت بعد ذلك قرقرة بالملاعق وتفجر الكلام من الافواه المتلئة •

وسألت شانتا : كيف أحسست بالنعمة ؟

قال ويل : أحسست مذاق أشياء مختلفة تتتابع • أو لعلد من الأصح أن أقول انها صور مختلفة متتابعة من الموضوع الرئيسى الذى يتألف من الارز والكركم والفلفل الأحمر (الشبطة) وشيء موزق لم أتبينه وغير ذلك • ومع الممتع حقا أن المذاق لم يثبت على شكل واحد • اننى فى الواقع لم ألاحظ ذلك من قبل •

– وبينما كنت تتنبه الى هذه الاشياء كنت لوقت ماتتخلص  
من أحلامك فى اليقظة ، ومن ذكرياتك ، ومن طموحاتك ،  
ومن الآراء السخيفة – من كل أعراض (ذاتك) •

– تقصدين لا أتذوق (نفسى) ؟

ونظرت شانتا الى الطرف الآخر من المائدة حيث كان  
زوجها ، وسألته : مارأيك يافييجايا ؟

قال : الأمر وسط بين من أنا ومن لست أنا • التذوق هو  
اللا أنا يقوم بشيء لكل كيانى العضوى • والتذوق فى الوقت  
نفسه هو أنا فى حالة وعى بما يحدث • وهذا هو مغزى صلاة  
المائدة بالمضغ – أن أجعل الأنا أكثر وعيا بما يقوم به  
اللا أنا •

وعلق على ذلك ويل بقوله : جميل ، ولكن ما مغزى هذا  
المغزى ؟

وتصدت شانتا للجواب وقالت : مغزى المغزى هو أنك  
حينما تتعلم أن توجه مزيدا من الانتباه الى كثير مما هو ليس  
أنت فى هذا المحيط (أعنى الطعام) والى كثير مما هو ليس  
أنت فى كيائك (أعنى احساسك بالتذوق) ربما وجدت نفسك  
فجأة متنبها الى ما ليس أنت فى الجانب الآخر من الوعى ثم  
قالت : وربما كان من الأفضل أن نعبر عن ذلك بطريقة  
مخالفة فنقول ان ما ليس أنت على الجانب الآخر من الوعى يجد  
أنه من الايسر له أن يجعل نفسه معروفا لك أنت الذى تعلمت  
أن تكون أكثر وعيا بما لست أنت فى جانب الفسيولوجيا  
(وظائف الاعضاء) • وحدث صوت تصادم أعقبه صراخ من  
أحد التوأمين فقطع ذلك عليها حديثها ، وبعد ما مسحت

ما انسكب على الارض ، واصلت حديثها قائلة : وبعد ذلك على المرء أن يفكر في مشكلة الأنا واللا أنا من حيث علاقتهما بالناس الذين يبلغ طول الواحد منهم أقل من اثنين وأربعين بوصة . من يجد لذلك حلا مضمونا له جائزة قدرها ستة بلايين وأربعمائة ألف روبية . ومسحت عيني الطفل ، وجعلته ينظف أنفه ، ثم قبضته وذهبت الى الفرن لتأتي بطبق آخر من الأرز .

وبعد ما انتهى الغداء سألت فيجايا : ما هي أعمالكم بعد ظهر اليوم ؟

أجاب توم كريشنا جادا : علينا واجب خاص بالفزاعة (١) .

قالت ساروجيني : في الحقل الذي يقع تحت المدرسة .

قال فيجايا : اذن سأحملكما الى هناك في العربة والتفت الى ويل فارنبي وقال : هل تحب أن ترافقنا ؟

أوما ويل برأسه موافقا ، ثم قال : ولو سمح لي ، أود أن أزور المدرسة ، وأنا قريب منها ، وربما حضرت بعض الدروس في الفصول .

ولوحت لهم شانتا من الفراندة مودعة ، وبعد بضع دقائق بلغوا عربة الجيب المركونة .

قال فيجايا وهو يدير محرك السيارة : المدرسة في الطرف الآخر من القرية . وعلينا أن نسلك الطريق الجانبى الى أسفل ثم نصعد ثانية .

---

(١) الفزاعة ما ينصب في المزرعة لتخويف الطير - المترجم

وانحدروا خلال الحقول التي تحيط بها المصاطب ، حقول الارز والذرة والبطاطا ، ثم ساروا فوق ارض مستوية ، وعلى يسارهم بركة اسماك صغيرة كثيرة الوحل ، وعلى يمينهم بستان من أشجار ثمرة الخبز ، واخيرا بلغوا حقولا أخرى ، بعضها أخضر ، وبعضها الآخر ذهبي – وهناك ظهرت المدرسة ، فسيحة بيضاء تظللها أشجار باسقة •

قالت ماري ساروجيني : – هناك تقبع الفزاعات

ونظر ويل في الاتجاه الذي كانت تشير اليه • ولاحظ ان الأرز الأصفر الذي ينمو في أقرب الحقول المحاطة بالمصالب كاد أن يستحق الحصاد • وكان هناك صبيان صغيران يرتدى كل منهما ازارا قرنفلي اللون وفتاة صغيرة رداؤها الاسفل أزرق اللون ، وثلاثتهم يتناوبون جذب الخيوط التي تحرك عرائس فى الجحيم الطبيعي متصلة بأعمدة على جانبي الحقل الضيق • والعرائس من الخشب منحوتة نحتا جميلا وليست مكسوة بالخرق وانما بأردية فاخرة • وتطلع اليها ويل فى دهشة •

وصاح : ان سليمان بكل ماكان له من أمجاد لم يمكن فى

زى هذه العرائس •

واسترسل فى خياله وذكر ان سليمان لم يكن الا ملكا من الملوك ، أما هذه الفزاعات الفاخرة فهي كائنات من مرتبة أعلى • احداها بوذا المستقبل ، والأخرى تمثل الآب عند أهل جزر الهند الشرقية مرحا مبتهجا ، الآب كما يراه الرائي فى

كنيسة سيستين (١) وهو ينحنى على آدم ذلك المخلوق الجديد .  
وعند كل جذبة للخييط حرك بوذا المستقبل رأسه وباعد بين  
ساقيه فلا يكونان فى شكل اللوتس ، ثم رقص رقصة أسبانية  
فى الهواء ، ثم ضم ساقيه مرة أخرى وجلس لحظة بلا حراك ،  
حتى كانت جذبة أخرى للخييط تفيقه من تأملاته . وفى تلك  
الثناء يلوح الآب بذراعه الممتدة ، ويهز سبابته منذرا ،  
ويفتح ويضم فمه الذى يعيط به الشعر كالحصان ، ويدير  
عينين من الزجاج تشع منهما نار الوعيد يهدد بها أى طائر  
يجسر على الاقتراب من الارز . وهبت أثناء ذلك ريح عاتية  
رفرفت من شدتها أرديته ذات اللون الأصفر الفاقع المشعة  
بتطيريز بارز - بنى وابيض واسود - يمثل النمر والقردة .  
فى حين أن ثياب بوذا المستقبل الفاخرة المصنوعة من حرير  
الرايون الاحمر والبرتقالى تنتفخ وتلتف حوله ، وبها عشرات  
من الاجراس الصغيرة الفضية تشنشن بغير توقف .

سأل ويل : هل كل الفزاعات عندكم مثل هذه ؟

أجاب فيجايا : تلك كانت فكرة راجا المعجوز . أراد أن  
يجعل الاطفال تدرك أن كل الآلهة من صنع الانسان ، ونحن  
الذين نشد خيوطهم لنزودهم بالقوة التى يشدون بها  
خيوطنا .

قال توم كريشنا : نجعلهم يرقصون ، ونجعلهم يهتزون  
وضحك مسرورا .

ومد فيجايا يدا غليظة ربت بها على رأس الطفل الاسمر

---

(١) احدى روايات الفاتيكان ، وهى الكنيسة الخاصة بالبابوات شيدت  
فى عام ١٤٧٣ - المترجم

ذى الشعر المجد ، وقال «أحبي فيك هذه الروح» ثم التفت ثانية الى ويل وقال باسلوب شبيه باسلوب راجا المعجوز بشكل واضح «ان الصفة الوحيدة الكبرى التى تميز «الآلهة» (بغض النظر عن تخويف الطيور والآثمين ومواساة البائسين أحيانا) تنحصر فى هذا : انها ترتفع فوق الاعمدة ، ولذلك فان الناظر اليها يتطلع الى أعلى . وعندما يتطلع انسان الى أعلى - حتى ان كان الى الاله ، لايمكنه الا أن يرى السماء . وما أدراك ما السماء ؟ انها هواء وضوء منتشر ، ولكنها كذلك رمز للفضاء الذى لا يحد ، الفضاء الحامل (واعذرني فى هذه الاستعارة) الذى منه يخرج كل شىء ، الحى وغير الحى ، صانعو العرائس وعرائسهم المقدسة ، يخرج الى العالم الذى نعرفه - أو على الاصح العالم الذى نظن أننا نعرفه .

وكانت مارى ساروجينى تصيخ لهذا الحديث فهزت رأسها موافقة عليه ، وتطوعت بقولها : كان أبى يقول ان النظر الى الطيور فى السماء أفضل . واعتاد أن يقول ان الطيور ليست أفاظا ، انما هى حقائق ، حقائق كالسماوات ذاتها وأوقف فيجايا العربية ، وقال والاطفال يقفزون منها «أتمنى لكم وقتا ممتعا . اجعيلهم يرقصون ويهتزون» .

وهرع توم كريشنا ومارى ساروجينى صائحين مهطعين لكى يلحقا بالمجموعة الصغيرة التى كانت فى الحقل الواقع فى أسفل الطريق .

وأدار فيجايا عربية الجيب الى الطريق المؤدية الى المدرسة وقال : لننتقل الآن الى الأوجه التربوية الجادة . سوف أترك العربية هنا وأعود الى المحطة سيرا على قدمي ، وبعد ماتنتهى

من جولتك اطلب الى غيرى أن يسوق لك العربة حتى البيت •  
وأطفاً كهرياء العربة وسلم مفتاحها الى ويل •

وفى مكتب المدرسة كانت السيدة نارايان مديرة المدرسة  
تتحدث من خلف الطاولة الى رجل ذى شعر أبيض ووجه  
مستطيل حزين كوجه كلب من كلاب الشرطة تظهر عليه خطوط  
وتجاعيد •

وعند تقديم كل فرد الى الآخر قال فيجايا : هذا مستر  
شاندرا مينون وكيل الوزارة عندنا •

قالت المديرية : وهو يقوم الآن بدورة تفتيشية لنا •

وأضاف الى ذلك وكيل الوزارة وقد أحنى ظهره احتراماً  
للسيدة نارايان وهو يواجهها «وأنا أوافق كل الموافقة على  
ماكل ماشهدت» •

قال فيجايا معذراً وهو يتجه نحو الباب : لا بد أن أعود  
الى عملى •

وسأل مستر مينون : هل تهتمك التربية بصفة خاصة ؟

أجاب ويل : بل الأصح أن تقول اننى جاهل بها بصفة  
خاصة • نشأونى ولم يربونى • ولذلك أحب أن أرى التربية  
على حقيقتها •

وأكد له وكيل الوزارة أنه جاء الى المكان الصحيح «لان  
روذا مستد الجديدة من أحسن مدارسنا» •

سأل ويل : وبماذا تقيسون جودة المدرسة ؟

– بالنجاح •



– النجاح فى أى شىء؟ الحصول على المنح الدراسية؟ أم  
الاعداد للوظيفة؟ أم اطاعة الاوامر على اطلاقها بنى  
شرط؟

قال المستر مينونون : كل ذلك • ويبقى السؤال  
الأساسى • لماذا يكون لنا بنون وبنات؟

هز ويل كتفيه وقال : الاجابة تتوقف على الوطن • مثلا  
لماذا يكون هناك بنون وبنات فى أمريكا؟ الاجابة : للاستهلاك  
على نطاق كبير • ويترتب على الاستهلاك على نطاق كبير  
الاتصال الجماهيرى ، والاعلان الجماهيرى ، والمخدرات  
الجماهيرية متمثلة فى التلفزيون ، والتفكير الوضعى  
والسجائر • والآن بعد ما دخلت اوربا فى تجربة الانتاج على  
نطاق واسع ، لماذا يكون لهم بنون وبنات؟ للاستهلاك  
الجماهيرى ، وما يترتب عليه – شأنهم فى ذلك شأن البنين  
والبنات فى أمريكا • فى حين أن فى روسيا اجابة أخرى •  
البنون والبنات لتقوية الدولة الوطنية • ومن ثم كان هناك  
كل هؤلاء المهندسين ومعلمى العلوم ، وخمسون فرقة عسكرية  
مستعدة للضرب المباغت ومجهزة بكل شىء من الدبابات الى  
القنابل الهيدروجينية والصواريخ بعيدة المدى • والأمسر  
كذلك فى الصين ، مع المبالغة فيه • لماذا يكون لديهم بنون  
وبنات؟ ليكونوا وقودا للمدافع ، وقودا للصناعة ، وقودا  
للزراعة ، وقودا لبناء الطرق • ولذلك فالشرق شرق والغرب  
غرب – فى الوقت الراهن • ولكن الشرق والغرب قد يلتقيان  
باحدى نظريقتين • الغرب قد يخشى الشرق الى الحد الذى  
يجمله يتخلى عن فكرته من أن البنين والبنات للاستهلاك على  
نطاق واسع ، ويقرر – بدلا من ذلك – من أنهم وقود للمدافع

وأنهم لتعزيز قوى الدولة - ومن الناحية الأخرى فإن الشرق قد يجد نفسه تحت ضغط الجماهير التواقّة للاجهزة والتي تتحرق شوقاً لكي تحيا حياة أهل الغرب ، الى الحد الذي يجعل الشرق يغير وجهة نظره ويقول ان البنين والبنات هم فى الواقع للاستهلاك على نطاق كبير - ذلك ماسوف يقرره المستقبل - أما الآن فالاجابات الحالية عن سؤالك متعددة تستبعد كل اجابة منها الأخرى -

قال مستر مينون : والاجابة فى الشرق والغرب على السواء تختلف عن الاجابة عندنا - لماذا يكون لأهل بالا بنون وبنات ؟ انهم ليسوا للاستهلاك الكبير ولا لتعزيز الدولة - نعم ان الدولة لابد أن توجد ، ولا بد أن يتوافر لكل امرئ ما يكفيه - هذا أمر لا يحتاج الى نقاش ، وبهذين الشرطين يستطيع البنون والبنات أن يتبينوا مايراد بهم فى الواقع - بهذين الشرطين فقط نستطيع أن نبرم أمراً -

- ولماذا يكون عندكم - فى واقع الأمر - بنون وبنات ؟

- لكي يحققوا ذواتهم ، لكي يصبحوا كائنات بشرية ناضجة -

وأوماً ويل برأسه ايجاباً وعلق على ذلك بقوله : هذا ماجاء فى «مذكرات عن حقائق الاشياء - جاء فى هذه المذكرات «كفى من أنت فى الواقع» -

قال مستر مينون : كان الراجا العجوز مهتماً أساساً بالناس كما هم فى الواقع على المستوى الذى يجاوز الفردية - وبطبيعة الحال نحن من هذه الناحية لا نقل عنه اهتماماً - ولكن

همنا الاول هو التعليم الاولى • والتعليم الاولى يعالج الافراد على اختلاف أشكالهم وأحجامهم وأمزجتهم ومواهبهم ونقائصهم • أما الافراد فى وحدتهم التى تجاوز وجودهم المادى فهم من شأن التعليم العالى • ويبدأ ذلك فى سن المراهقة وهو يسير جنبا الى جنب مع التعليم الأولى فى مرحلته المتقدمة •

قال ويل : فهمت انه يبدأ مع تجربة عقار الموكشا لأول مرة •

— هل سمعت عن عقار الموكشا ؟

— شهدته وهو يفعل فعله •

وأوضحت ذلك المديرية بقولها : لقد أخذه الدكتور روبرت بالامس ليشهد حفلا من حفلاته •

وأضاف ويل : ولقد ترك فى هذا الحفل أثرا عميقا • اننى حينما أفكر فى تربيته الدينية ••• ولم يكمل العبارة فكان بذلك أفصح منه لو أكملها •

وواصل مستر مينون حديثه قائلا : المراهقون — كما كنت أقول — يتلقون النوعين من التربية فى آن واحد • نساعدهم فى ممارسة وحدتهم التى تجاوز وجودهم المادى ، وحدتهم مع كل الكائنات الحساسة الاخرى ، ونعلمهم فى الوقت نفسه فى فصول السيكلوجيا والفسسيولوجيا ان كل فرد منا له تكوينه الذى يتفرد به ، وان كل امرئ يختلف عن كل امرئ آخر •

قال ويل : عندما كنت فى المدرسة بذل المربون جهودهم

لكى يزيلوا هذه الفوارق ، أو على الأقل يكسونها بنفس المثل  
التي سادت فى الفترة المتأخرة من حكم الملكة فكتوريا - حينما  
كان المثل الاعلى أن يكون المرء رجلا مهذبا دارسا انجليكانيا  
لاعبا للكرة • والآن خبرنى ماذا تصنعون وأنتم تعلمون أن  
كل امرئ يختلف عن كل امرئ آخر •

قال مستر مينون : نبدأ بتحديد الفوارق - من هذا  
الطفل بالضبط أو ماهو من حيث التشريح والكيمياء الحيوية  
والسيكولوجيا ؟ وفى المراتب العضوية أى هذه الاجهزة له  
عنده الاسبقية : الامعاء ، أم العضلات ، أم الجهاز العصبى ؟  
ما مدى اقترابه من هذه الحدود المحورية الثلاثة ؟ ومزيج  
عناصره التى يتألف منها ، بدنية كانت أم عقلية ، الى أى حد  
هى منسجمة والى حد هى متنافرة ؟ ورغباته الموروثة ،  
ما مقدار حجمها من حيث حب السيطرة ، والروح الاجتماعية ،  
والانزواء فى عالمه الداخلى ؟ كيف يقوم بالتفكير والادراك  
الحسى والتذكر ؟ هل هو ممن يتعملون بالنظر أو من غير  
هؤلاء ؟ هل يعمل عقله بالصور أو بالالفاظ ، أو بهما معا فى  
آن واحد ، أو بغير هذا وذاك ؟ وقدرته على رواية القصص ،  
الى حد هى قريبة من السطح ؟ هل يرى العالم كما كان يراه  
وردزورث (١) وتراهيرن (٢) حينما كانا فى عهد الطفولة ؟  
وإذا كان كذلك ماذا نعمل لكى نحول دون أن يتلاشى تألق  
النفس ونضرتها فى ضوء النهار المشترك بين الناس أجمعين ؟  
وبعبارة أعم ، كيف نربى الاطفال على مستوى المفاهيم دون

---

(١) شاعر رومانىكى انجليزى - المترجم

(٢) رجل انجليزى من رجال الدين عاش فى القرن السابع عشر

وله شعر صوفى - المترجم

أن تقتل قدرتهم على الخبرة المركزة التي لا يعبر عنها باللفظ؟ وكيف نوفق بين التحليل والرؤيا؟ وهناك أسئلة عديدة أخرى يجب أن نسألها وأن نجيب عنها \* مثلا ، هل هذا الطفل يمتص كل الفيتامينات التي يحتويها طعامه ، أم هل هو عرضة لنقص مستديم اذا نحن لم نتعرف عليه ونعالجه يحد من حيويته ، ويظلم مزاجه ، ويجعله يرى القبح ، ويحس الملل ، ويفكر تفكير الأحمق والحاقد؟ وماذا عن مقدار السكر في دمه ، وعن تنفسه ، وعن وقفته وجلسته والطريقة التي يستخدم بها كيانه العضوى حينما يعمل ، أو يلعب أو يدرس؟ ثم هناك أيضا تلك الاسئلة التي تتعلق بمواهبه الخاصة \* هل تبدو عليه امارات تدل على أن له موهبة موسيقية ، أو حسابية ، أو موهبة فى تناول الالفاظ ، ودقة الملاحظة والتفكير المنطقى والخيالى فيما يلاحظه؟ وأخيرا الى حد سوف يستجيب للايحاء عندما يكبر؟

ان كل الاطفال أفراد يسهل التأثير عليهم بالتنويم المغناطيسى - وهم فى هذا وسطاء جيدون لدرجة أن كل أربعة من خمسة منهم يمكن أن يساقوا بالكلام حتى يستطيعوا المشى وهم نيام \* فى حين أن النسبة على عكس ذلك مع البالغين \* فأربعة من كل خمسة منهم لا يمكن اطلاقا أن تحادثهم حتى يستطيعوا المشى وهم نيام \* واذا أخذنا مائة من الاطفال عشوائيا ، من هم العشرون طفلا الذين سوف يكبرون ويصبحون قبالين للايحاء الى حد المشى وهم نيام؟

سأل ويل : وهل تستطيعون أن تحددوهم مسبقا؟ ثم ماجدوى ذلك ان كان هذا ممكنا؟

أجاب مستر مينون : نعم نستطيع أن نحدددهم \* ومن الأهمية بمكان أن نتعرف عليهم \* بل هو أكثر أهمية فى عالمكم الذى تمشون فيه \* فمن الناحية السياسية تجد أن العشرين فى المائة الذين يمكن تنويمهم مغناطيسيا بسهولة والى حد معين هم أخطر العناصر فى مجتمعاتكم \*

ـ أخطر العناصر ؟

ـ نعم لان هؤلاء هم الذين قدر لهم أن يكونوا ضحايا الدعاة \* فى الديمقراطيات القديمة فيما قبل العصر العلمى كان الخطيب الذى يسحر بلفظه والذى يستند الى تنظيم من ورائه يستطيع أن يحول هذه العشرين فى المائة ممن عندهم استعداد للمشى أثناء النوم الى جيش منظم من المتعصبين الذين يكرسون حياتهم لطلب المزيد من المجد والسلطة للرجل الذى قام بتنويمهم \* وفى ظل النظام الدكتاتورى هؤلاء المنومون أنفسهم يمكن التحدث اليهم واقناعهم بعقيدة معينة ويمكن تعبئتهم ليكونوا نواة قوية للحزب الذى يقدر على كل شىء \* ومن ثم ترى أنه من الأهمية بمكان لأى مجتمع يقيم للحرية قدرها أن يكون باستطاعته أن يتعرف على أولئك الذين يمكن فى المستقبل تنويمهم وهم لما يزالون فى الصغر \* وبعد ما يتم التعرف عليهم ينومون ويدربون تدريبا منظما على ألا يستسلموا لتنويم أعداء الحرية \* ومن الافضل ـ بطبيعة الحال ـ اعادة تنظيم المؤسسات الاجتماعية لكى يصبح من العسير أو المستحيل أن يظهر أو أن يكون لهم أى تأثير \*

ـ وهذه هى الحال عندكم فى بالا على ما أظن ؟

قال مستر مينون : تماما \* ولذلك فان الذين لديهم الاستعداد لتلقى التنويم لا يشكلون خطرا ما \*

– لماذا اذن تجشمون أنفسكم مشقة التمسرف بهمهم  
مقدما ؟

– لأن موهبتهم لها قيمة كبرى اذا أحسن استخدامها •

سأل ويل : هل ذلك للتحكم فى المصير ؟ وتذكر ذلك الأوز  
العراقى الذى يستخدم فى العلاج النفسى ، وكل ما قالت  
سوزيلا بشأن امكان الضغط على أزرار النفس الذى يقوم به  
كل امرىء لنفسه •

هز وكيل الوزارة رأسه وقال : ان التحكم فى المصير  
لايتطلب شيئاً أكثر من غيبوبة خفيفة • وكل امرىء تقريبا  
قادر على ذلك • أما أولئك المستعدون لاستقبال التنويم فهم  
العشرون فى المائة الذين يمكن أن يروحووا فى غيبوبة عميقة •  
وفى الغيبوبة العميقة وحدها دون سواها يمكن تعليم الشخص  
كيف يتلاعب بالزمن •

وسأل ويل : وهل تستطيع أنت أن تتلاعب بالزمن ؟

هز مستر مينون رأسه وقال : لسوء حظى انى لم استطع  
قط ان اروح فى غيبوبة عميقة • كل ما اعرف تعلمته  
بالطريقه البطيئة الطويلة • ولكن السيدة نارايان كانت احسن  
منى حظا • كانت واحدة من العشرين فى المائة أصحاب الامتياز  
فأخذت كل أنواع الطرق التربوية المختصرة مما لم يتيسر أبدا  
لى ولأمثالى •

سأل ويل وقد التفت نحو السيدة المديرة : ماهذه الطرق  
المختصرة ؟

اجابت بقولها : هى طرق مختصرة للتذكر ، وللحساب ،

وللتفكير ، وحل المسائل - يبدأ الفرد بأن يتعلم كيف يحس  
عشرين ثانية وكأنها عشر دقائق ، والدقيقة كأنها نصف ساعة  
وهذا أمر سهل جدا فى حالة الغيبوبة العميقة - يستمع المرء  
الى ايعاء معلمه ويجلس ساكنا لفترة طويلة جدا - ساعتين  
كاملتين ، ويستطيع ان يقسم بذلك - وبعد ان يفيق من  
الغيبوبة ينظر الى الساعة ، فيدرك أن الزمن الذى أحسه  
ساعتين لم يستغرق سوى اربع دقائق فى الواقع -

قال مستر مينون : لا يعرف احد كيف يكون ذلك - غير ان  
كل تلك الحكايات التى تروى عن الفرقي الذين يرون حياتهم  
كلها منبسطة أمامهم فى بضع ثوان صادقة كل الصدق - ان  
العقل والجهاز العصبى - أو لعل من الاصح أن نقول بعض  
العقول وبعض الاجهزة العصبية - قادران على هذا العمل  
الغذ - وهذا كل ما يعرفه أى انسان - وقد عرفنا هذه الحقيقة  
منذ ستين عاما ، ونحن نستغلها منذ ذلك التاريخ - نستغلها  
- كما نستغل غيرها من الحقائق - لأغراض تربوية -

استأنفت السيدة نارايان حديثها قائلة : هذه - مثلا -  
مسألة حسابية - قد تستغرق فى الحالة الطبيعية نحو نصف  
ساعة لحلها - أما اليوم فأنت تستطيع أن تتلاعب بالزمن بحيث  
تصبح الدقيقة الواحدة فى اعتبارك الشخصى مساوية لثلاثين  
دقيقة - وعندئذ تشرع فى حل المسألة - وبعد ثلاثين دقيقة  
باعتبارك الشخصى تجد أن المسألة قد حلت - ولكن ثلاثين  
دقيقة باعتبارك الشخصى ليست بمؤشرات الساعة الا دقيقة  
واحدة - فأنت كنت تعمل - بغير احساس بالمجلة أو الاجهاد -  
بالسرعة التى يعمل بها أحد أولئك الاطفال الذين يحسبون  
بسرعة غير عادية ممن يظهرون بين الحين والحين - سوف يظهر



فى المستقبل عباقرة مثل أمبير (١) وجوس (٢) ، أو بلهاء مثل ديز - كلهم بحيلة التلاعب بالزمن التى نبثها فى نفوسهم يستطيع أن يؤدى عمل ساعة فى دقيقتين - وأحيانا فى بضع ثوان • أنا لست الا طالبة متوسطة ، ولكنى كنت أستطيع أن أروح فى غيبوبة عميقة ، فكان معنى ذلك أنه كان من المستطاع تعليمى كيف أختصر الزمن الى واحد على ثلاثين من طوله الطبيعى - والنتيجة أننى استطعت أن أستوعب قدرا من المعرفة ماكان من الممكن أن أستوعبه بالطريقة العادية • وتستطيع أن تتصور ما يحدث اذا عرف انسان من أصحاب معدلات الذكاء العبقرية أن يتلاعب بالزمن • سوف تكون النتائج خيالية !

قال مستر مينون : انهم لسوء الحظ قليلون جدا • ففى الجيلين السابقين توافر لنا اثنان فقط من أصحاب العبقريات الحقيقية الذين يستطيعون أن يتلاعبوا بالزمن ، ونحو خمسة أو ستة أشخاص من المرتبة الثانية • غير أن ماتدين به بالا لهذه القلة يفوق كل تقدير • ولذلك لا عجب اننا نبحت بدقة عمى لديهم استعداد لتلقى التنويم !

وبعد فترة قصيرة من الصمت ختم ويل الحديث بقوله : أنتم بالتأكيد توجهون أسئلة عديدة خاصة بفحص التلاميذ الصغار • ماذا تصنعون عندما تمثرون على ماتبتغون ؟

قال مستر مينون : نبدأ بتعليمهم وفقا لنتائج البحث • فنحن مثلا نوجه أسئلة خاصة بالتكوين البدنى للطفل وخاصة

---

(١) عالم فرنسى فى الطبيعة والرياضيات ( ٢٧٧٥ - ١٨٣٦ ) -

المترجم

(٢) عالم ألمانى فى الرياضيات والفلك ( ١٧٧٧ - ١٨٥٥ ) - المترجم

بمزاجه • وعندما نظفر بالاجابة نفرز أكثرهم خجلا ،  
وأشدهم توترا عصيبا ، وأكثرهم سرعة للاستجابة والمنطويين  
على أنفسهم من الاطفال ، ونضمهم فى مجموعة واحدة •  
وشيثا فشيئا تتضخم المجموعة • نضم اليها أولا بضعة أطفال  
ممن لهم ميول نحو الاجتماع بغير قيود ، ثم نضم بعد ذلك  
طفلا أو طفلين من أصحاب العضلات ممن لهم ميول عدوانية  
وعندهم حب للسيطرة • وقد وجدنا أن هذه هى أفضل السبل  
لكى نجعل الاطفال - بنين وبنات - المتطرفين فى هذه  
الاتجاهات الثلاثة متفاهمين متسامحين بعضهم مع بعض •  
وبعد بضعة أشهر من الاختلاط الذى يخضع للرقابة الدقيقة  
نجد أنهم على استعداد لان يعترفوا بأن الناس من أصحاب  
التكوين الوراثى المختلف لهم من حق البقاء ما لغيرهم •

قالت السيدة نارايان : وهذا المبدأ نعلمه صراحة كما  
نطبقه تدريجا • فى الصفوف الدنيا نقوم بالتعليم عن طريق  
التشبيه بالحيوانات المألوفة • القطط تحب الاعتزال ،  
والافغانم تحب التجمع • الدلق متوحش لايمكن استئناسه •  
وخنزير غينيا رقيق ودود • هل أنت كالقط أو النعجة أو  
الخنزير الغينى أو الدلق ؟ نتحدث فى هذا بالحكايات الرمزية ،  
ويتبين لنا أن الاطفال الصغار أنفسهم يمكن أن يدركوا حقيقة  
التنوع البشرى والحاجة الى التسامح المتبادل والعفو  
المتبادل •

قال مستر مينون : وفيما بعد حينما يبدأون فى قراءة  
(جيتا) (١) نبين لهم العلاقة بين التكوين والدين • أشباه

---

(١) مزامير هندوكية - المترجم

الغنم وأشباه الخنازير الفينينية يحبون الطقسوس والحفلات العامة والأحاسيس التي تثيرها الاجتماعات الدينية التي تعقد لأحياء الروح الدينية في النفوس . وهؤلاء يمكن توجيه ميول أمزجتهم نحو طريق العبادة . وأشباه القطط يحبون العزلة ويمكنهم بتأملاتهم الذاتية أن يسيروا في طريق معرفة النفس . وأشباه الدلق يريدون أن يصنعوا شيئاً ما ، والمشكلة هي كيف نحول رغبة العدوان في نفوسهم الى طريق العمل المنزه عن الغرض .

قال ويل : وهل طريق العمل المنزه عن الغرض هو ما كنت أشاهد بالأمس . الطريق الذي يتمثل في قطع الاخشاب وتسلق الصخور ؟

قال مستر مينون : قطع الاشجار وتسلق الصخور حالات خاصة . واذا عممنا الاحكام قلنا ان الطريق الذي يبلغ الى (كل الطرق) يتمثل في اعادة توجيه السيطرة .  
— وما تلك ؟

— المبدأ غاية في البساطة . تأخذ القوة التي تتولد عن الخوف أو الحسد أو كثرة النورا درينالين ، أو عن أى دافع باطنى آخر يكون لسبب ما وفي وقت ما فى غير موضعه — تأخذ هذه القوة وبدلاً من أن تستخدمها فى القيام بعمل يسيء الى شخص ما ، وبدلاً من كبثها وبذلك تفعل بصاحبها شيئاً لا يسر ، توجهها شعورياً فى مجرى يمكن عن طريقه أن تصنع شيئاً نافعا ، وان لم يكن نافعا فهو على الاقل لا يضر .

قالت المديرة : اليك مثالا بسيطا . الطفل الغاضب أو الذى خاب أمله يستجمع قوة تمكنه من أن ينفجر باكيا ، أو

أن يسب أو يقاتل • وإذا كانت القوة التى تولدت تكفى لشيء من هذا فهى تكفى للجري أو الرقص ، وأكثر من كافية للشهيق بعمق خمس مرات • وسوف أريك شيئاً من الرقص فيما بعد • أما الآن فدعنا نحصر أنفسنا فى التنفس • ان الشخص الغاضب الذى يتنفس خمس مرات بعمق يخفف كثيراً من التوتر وبذلك ييسر له أن يتصرف تصرفاً معقولاً • لذلك نحن نعلم أطفالنا كل أنواع الألعاب التى تعتمد على التنفس، يلعبونها كلما غضبوا أو اضطربوا • وبعض هذه الألعاب تقوم على أساس المنافسة ، من من المتنافسين مثلاً يستطيع أن يشهق بدرجة أعمق ويقول وهو يزفر (أوم) لاطول وقت ممكن ؟ هذه مضاربة بين اثنين تنتهى دائماً بالتصالح • غير أن التسابق فى التنفس لا يكون فى محله – بطبيعة الحال – فى كثير من الحالات • ولذلك كان لدينا لعبة صغيرة يستطيع الطفل الغاضب أن يلعبها منفرداً ، وهى لعبة تقوم على أساس الفنون الشعبية المحلية • اننا ننشئ كل الاطفال فى بالا على الاساطير البوذية ، وفى أكثر هذه القصص الخيالية الدينية يوجد شخص ما لديه رؤيا الكائن العلوى • البوذيساتفا (١) مثلاً يرى رؤياه فى تفجر الاضواء ، وفى المجوهرات وأقواس قزح • ومع الرؤيا المتألقة هناك دائماً حاسة للشم على نفس الدرجة من الروعة • فالصواريخ الضوئية تكون مصحوبة بعطر شذى يفوق الوصف • نحن نأخذ هذه الصور الخيالية التقليدية – وليست بى حاجة الى القول بأنها جميعاً تقوم على أساس التجارب الخيالية التى تحدث فعلاً من أثر الصوم أو حرمان الحواس أو بعض العقاقير – ونطلقها لتفعل فعلها •

(١) الشخص الذى يؤجل قيامه بدور بوزا لكى يساعد غيره من

نقول للاطفال ان المشاعر العنيفة هي كالزلازل • تهزنا هذا شديدا حتى تظهر الشروخ فى الجدران التى تفصل ذواتنا عن طبيعة بوذا العالمية المشتركة • يغضب المرء فيتشقق شىء فى نفسه ، ومن خلال الشقوق تهب نفحة من عطر الاستنارة السماوية ، فيها رائحة الشنبق والايلنغ والفردينيا ولكنها أكثر منها عجبا بدرجة لاتحد • وهذا المعنى السماوى الذى تكشف لك مصادفة يجب ألا يفوتك • هذا المعنى يوجد كلما ثار فى نفسك الغضب • استنشقه ، وتنفسه ، واملا به رثيتك ، مرة بعد أخرى •

– وأطفالكم يقومون بذلك فعلا ؟

– بعد ما نقوم بتعليمهم بضعة أسابيع يفعله أكثرهم كشأن من شئون حياتهم العادية • وكثيرون منهم – فوق ذلك – يشمون فعلا ذلك العطر الذى حدثتك عنه • والنواهى القديمة (لا تفعل كذا ، ولا تفعل كذا) تتحول الى ايجابيات (افعل كذا ، وافعل كذا ) ويجد ثوابه لما يفعل • لقد حولنا مسار القوة الضارة بطبيعتها الى اتجاهات لاتكون فيها ضارة ، بل قد تعود فعلا بالخير • وفى أثناء ذلك نعطى الاطفال – بطبيعة الحال – تدريبا منتظما ومتدرجا بعناية تامة فى الادراك وفى استخدام اللغة استخداما صحيحا • نعلمهم الانتباه الى ما يرون وما يسمعون ، ونطلب اليهم فى الوقت نفسه أن يلاحظوا كيف تؤثر مشاعرهم ورغباتهم فى ما يمارسونه فى العالم الخارجى ، وكيف تؤثر عاداتهم اللغوية فى مشاعرهم ورغباتهم بل وفى إحساساتهم • ان ما تسجله عينائى وأذنائى شىء ، والكلمات التى استخدمها والحالة النفسية التى أكون عليها وما تسمح لى بادراكه وتفهمه والعمل بمقتضاه الاهداف التى اتجه

نعوها - كل ذلك شيء آخر \* ومن ثم فأنت ترى اننا نضم ذلك كله بعضه الى بعض فى عملية تربوية واحدة \* ان ما تقدمه للاطفال فى وقت واحد هو تدريب فى الادراك والتخيل ، وتدريب فى الفسيولوجيا والسيكولوجيا التطبيقيين ، وتدريب فى السلوك الخلقى العملى والديانة العملية ، وتدريب فى استخدام اللغة استخداما صحيحا ، وتدريب فى معرفة النفس \* وبعبارة موجزة هو تدريب لمركب الجسم والعقل كله من كل أوجهه \*

سأل ويل : ما علاقة كل هذا التدريب المعقد لمركب الجسم والعقل بالتربية النظامية ؟ هل هو يماون الطفل فى حل مسائل الحساب ، أو التزام قواعد النحو فى الكتابة ، أو فهم مبادئ الفيزياء ؟

قال مستر مينون : ان ذلك يعاونه كثيرا ، فمركب الجسم والعقل المدرب يكون أسرع وأشمل كثيرا فى تعلمه من هذا المركب اذا لم يدرّب \* وهو كذلك أقدر على ربط الوقائع بالافكار ، وربطهما معا بحياة صاحبه \* وفجأة وعلى حين بفته أخذ يضحك عاليا ، وكانت مفاجأة لان ذلك الوجه المستطيل الحزين يوحى بأنه لا يتلاءم مع أى تعبير عن المرح أكثر من ابتسامة خفيفة يخرجها صاحبها من قلب حزين \*  
- ما يضحكك ؟

- طاف بخيالى شخصان التقيت بهما فى زيارتى الاخيرة لانجلترا ، فى كمبردج \* أحدهما عالم فى الذرة ، والاخر فيلسوف \* وكلاهما من المشاهير \* أما أحدهما فعمره العقلى - خارج المعمل - يبلغ نحو احدى عشرة سنة \* أما الآخر فقد كان أكلة بدينا ، لا يحاول أن يخفف من وزنه \* وهذان مثلان

متطرفان لما يحدث اذا أنت أخذت صبيا ذكيا ، وأخضعته  
خمسـة عشر عاما لتربية نظامية مركزة وأهملت مركب العقل  
والجسم الذى يقوم بالتعلم وبالعيش .

— أفهم من ذلك أن نظامكم لا يخرج هذا النوع الشاذ من  
الوحش الأكاديمى ؟

هز وكيل الوزارة رأسه وقال : لم أر قط أحدا من هذا  
الطراز حتى ذهبت الى اوربا . انهم هناك مبعث للضحك من  
شدة الغرابة . ولكنهم كذلك مدعاة للأسى . مساكين ! انهم  
منفرون بدرجة عالية !

— هذا الذى يدعو الى الأسى والذى ينفر بدرجة عالية هو  
الثمن الذى ندفعه نظير التخصص .

ووافق على ذلك مينون وقال : نعم للتخصص ، ولكن  
ليس بالمعنى الذى تستخدمون الكلمة لتدل عليه . التخصص  
بالمعنى الآخر ضرورى ولا مناص منه . وليست هناك حضارة  
بغير تخصص . ولكنك ان تعهدت بالتربية مركب العقل  
والجسم كله مع الذكاء الذى يستخدم الرمز ، فان ذلك النوع  
من التخصص السلازم لا يؤذى كثيرا . ولكنكم لاتتعهدون  
بالتربية مركب العقل والجسم . وعلاجكم للمبالغة فى  
التخصص العلمى هو بضع دراسات فى العلوم الانسانية .  
حسنا ! ان كل تربية يجب أن تتضمن دراسات فى العلوم  
الانسانية . ولكن لاتخدعكم الاسماء . ان العلوم الانسانية  
وحدها لاتجعل من الطالب انسانا . وليست الا صورة أخرى  
من صور التخصص على المستوى الرمضى . ان قراءة افلاطون  
أو الاستماع الى محاضرة عن ت . س . اليوت لاتربى الانسان

الكامل • انها تربي الطالب على معالجة الرموز - شأنها في ذلك شأن دراسة الفيزياء أو الكيمياء - وتترك بقية مركب العقل والجسم الحى فى حالة بدائية من الجهل البدائى والمعجز • ومن هنا كانت تلك المخلوقات المنفرة التى تثير الأسى أمثال أولئك الذين أدهشونى عند أول زيارة لى للخارج •

وسأل ويل : وماذا عن المعلومات التى لا غنى عنها والمهارات العقلية اللازمة ؟ هل تعلمون بالطريقة التى نعلم بها ؟

- نعلم بالطريقة التى أرجح أنكم سوف تعلمون بها بعد نحو عشر سنوات أو خمس عشرة سنة • خذ الرياضيات على سبيل المثال • بدأت الرياضيات - تاريخيا - بتطوير بعض الحيل النافعة ، وحلقت فيما وراء الطبيعة ، وأخيرا عبرت عن نفسها فى بنيات وتحولات منطقية • ونحن فى مدارسنا نعكس هذه المراحل التاريخية • نبدأ بالبنية والمنطق ، ونتخطى مرحلة ماوراء الطبيعة ، ونسير من المبادئ العامة الى تطبيقات معينة •

- وهل يفهم الاطفال ؟

- أفضل بكثير مما يفهمون لو بدأنا بالحيل النفعية • بعد الخامسة من العمر تقريبا يستطيع أى طفل ذكى أن يتعلم أى شىء تقريبا اذا نحن قدمناه له بالطريقة الصحيحة • المنطق والبنية فى شكل ألعاب والغاز • الاطفال يلعبون وبسرعة لاتصدق يدركون المغزى • وبمعدئك نستطيع أن ننتقل الى التطبيقات العملية • واذا نحن علمنا بهذه الطريقة تعلم الاطفال على الاقل ثلاثة أمثال مايتعلمونه اليوم من حيث



المقدار ، وأربعة أمثاله من حيث الشمول ، فى نصف الوقت •  
خذ مجالاً آخر يستطيع المرء فيه أن يستخدم الألعاب فى تثبيت  
فهم المبادئ الأساسية • ان كل التفكير العلمى يقع فى حدود  
الاحتمالات • والحقائق الأزلية الأبدية ليست سوى درجة  
عالية من الاحتمال • وقوانين الطبيعة التى لا تتغير ان هى  
الامتوسات احصائية • كيف يمكن أن نقحم هذه الافكار  
العميقة غير الواضحة فى رؤوس الاطفال ؟ نلعب معهم  
الروليت ، ونجرى القرعة ونسحب اليانصيب • نعلمهم كل  
صنوف الألعاب بالورق والنرد •

قالت السيدة نارايان : أكثر ما يحب الاطفال لعبة  
الافاعى والسلالم المتطورة كما يحبون لعبة الأسر المندلية  
السعيدة •

وأضاف مستر مينون : وفيما بعد نعلمهم لعبة أكثر من  
ذلك تعقيدا ، يشترك فيها أربعة أشخاص يلعبون بمجموعة  
من الأوراق مؤلفة من ستين ورقة مصممة برسوم خاصة  
ومقسمة الى ثلاثة أصناف - هذه اللعبة نسميها البريدج  
السيكولوجى • توزع الاوراق اعتباطا بالصدفة ، ولكن اللعبة  
يحتاج الى مهارة ، والى تمويه وتعاون مع الشريك •

قال ويل : ألعابكم فيها التطور ، ومنديل ، والسيكولوجيا •  
الظاهر ان التربية عندكم متأثرة بالبيولوجيا الى حد كبير •

قال مينون : هى كذلك • ان اهتمامنا الأول ليس  
بالفيزياء والكيمياء ، انما هو بعلوم الحياة •  
- هل هذا مبدأ من مبادئكم •

- ليس الى كل الحدود • انما هو أمر يتعلق كذلك بالملاءمة

والضرورة الاقتصادية • ليس لدينا المال الذى يكفى للبحث فى الفيزياء والكيمياء على نطاق واسع ، والواقع أننا لسنا فى حاجة فعلية الى مثل هذا البحث - فليست لدينا صناعات ثقيلة تنافس بها غيرنا ولا تسليح نجعله أشد فتكا ، ولا أقل رغبة فى الهبوط على ظهر القمر • طموحنا متواضع يقتصر على أن نميش بانسانية كاملة منسجمين مع أوجه الحياة الأخرى فوق هذه الجزيرة على خط العرض هذا على هذا الكوكب • نستطيع أن نأخذ عنكم نتائج البحوث فى الفيزياء والكيمياء ونطبقها - ان أردنا أو استطعنا ماديا - على أغراضنا الخاصة • وفى الوقت نفسه نركز على البحث الذى يبشر بأن يجلب الخير الوافر لنا - وذلك فى علوم الحياة والعقل • وأضاف الى ذلك قوله : لو أن رجال السياسة فى البلاد التى استقلت حديثا تصرفوا بالعقل لفعلوا مثلنا • ولكنهم يريدون أن يبددوا طاقاتهم ، يريدون أن تكون لهم جيوش ، ويريدون أن يخلقوا بأهل أمريكا وأوروبا الذين يدمنون التحرك بالآلات والنظر الى التلفزيون • وواصل حديثه قائلا «ليس أمامكم اختيار ، فأنتم ملتزمون بتطبيق الفيزياء والكيمياء بلا رجعة ، على الرغم من نتائجهما السيئة ، العسكرية والسياسية والاجتماعية • ولكن البلاد النامية غير ملتزمة • ليس عليها أن تحذو حذوكم • وما زالت حرة تستطيع أن تسلك الطريق الذى سلكنا - طريق البيولوجيا التطبيقية ، طريق تنظيم التناسل ، والانتاج المحدود والتصنيع المختار الذى يتيح تنظيم التناسل ، الطريق الذى يؤدى الى السعادة التى تنبع من الباطن وتنعكس على الظاهر ، من خلال الصحة ، والوعى ، وتغيير وجهة النظر الى العالم ، وليس الى أوهام السعادة التى تسير عكسا من الظاهر الى الباطن ، من خلال لعب الاطفال

وحبوب الدواء وأسباب اللهو التي لا تتوقف . هذه البلاد  
النامية مازال بوسعها أن تأخذ بأسلوبنا ، ولكنها لا تريد ،  
وترغب فى أن تكون مثلكم تماما . كان الله فى عونها . ولما  
كان مستحيل عليها أن تفعل ما فعلتم - على الأقل فى خلال  
الفترة التي قدرتها - فقد حكمت على نفسها بالفشل وخيبة  
الأمل ، وكتب عليها الشقاء الذى يترتب على الانهيار  
الاجتماعى والفوضى ، ومن ذلك الى شقاء العبودية للحكام  
المستبدين . هذه مأساة يمكن التنبؤ بها تماما ، وهم يسرون  
نحوها وعيونهم مفتوحة .

قالت المديرية : وليس بوسعنا أن نفعل شيئا فى هذا  
الصدد .

قال مستر مينون : لا نستطيع أن نفعل شيئا اللهم الا أن  
نستمر فى اداء ما نفعل الآن ونأمل أملا مستحيل التحقيق أن  
تكون الأمة التي وجدت سبيلها لأن تعيش عيشة سعيدة سعادة  
انسانية مثلا يحتذى . الفرصة ضعيفة جدا ، ولكن من يدرى  
ربما حدث ذلك .

«مالم تتكون راندنج الكبرى قبل ذلك» .

قال مستر مينون جادا وموافقا : نعم ، ما لم تتكون  
راندنج الكبرى قبل ذلك . ومع ذلك فلا بد لنا من مواصلة  
السير فى ما أخذناه على أنفسنا - أعنى التربية . هل هناك  
شئ آخر تريد أن تعرفه يامستر فارنبى ؟

قال ويل : هناك الكثير - مثلا متى تبدأون تدريس  
المعلوم ؟

– نبدأه فى نفس الوقت الذى نبدأ فيه تعليم الضرب  
والقسمة • والدروس الأولى فى علم البيئة •

– علم البيئة ؟ أليس هذا موضوعا معقدا بعض الشيء ؟

– من أجل هذا نبدأ به • يجب ألا نعطي الاطفال فرصة  
لكى يتخيلوا أن أى شيء من الأشياء له كيان مستقل عن غيره  
من الأشياء الأخرى • يجب أن نوضح لهم منذ البداية أن  
الحياة كلها علاقات • نريهم العلاقات فى الغابات ، والحقول ،  
والبرك والمجارى المائية ، والقرية والريف من حولها •  
ولا نكل التكرار •

وقالت المديرية : وأحب أن أضيف الى ذلك أننا نعلم دائما  
علم العلاقات موصولا بأخلاقيات العلاقات • الاتزان ، الأخذ  
والمعطاء ، لا اسراف – هذه هى القاعدة فى الطبيعة • وإذا  
نقلنا هذه القاعدة من الوقائع الى الاخلاق كان من الواجب أن  
تكون هى كذلك القاعدة بين الناس • وكما قلت من قبل ان  
الاطفال يجدون أن من اليسير أن يفهموا الفكرة اذا قدمناها  
لهم فى حكاية عن الحيوان • نعطيهم تفسيرا حديثا لحكايات  
ايسوب الخرافية – لا نقص عليهم القصص الذى نضفى فيه  
صفات الانسان على الحيوان ، وانما نحكى لهم حكايات صادقة  
من البيئة تنطوى على أخلاقيات عالمية فى ضلها •

ومن الحكايات المجيبة التى نرويها للاطفال قصة  
التآكل • وليس عندنا هنا أمثلة جيدة للتآكل ، ولذلك نعرض  
عليهم صورا لما حدث فى راندنج وفى الهند والصين واليونان  
وبنلاد المشرق ، فى افريقيا وأمريكا – كل الأماكن التى حاول  
فيها الانسان بجشعه وغبائه أن يأخذ ولا يعطى ، وأن يستغل

بغير محبة أو ادراك • اذا أنت أحسنت معاملة الطبيعة أحسنت الطبيعة معاملتك • واذا أنت أذيت الطبيعة أو حطمتها حطمتك الطبيعة • فى منطقة من المناطق التى تتصحّر بسبب اجهادها بالزراعة تظهر هذه الحقيقة بجلاء : (افعل بغيرك ماتحب أن يفعل بك) – ومن الاسهل للطفل أن يدرك ويفهم هذا المبدأ فى الطبيعة أكثر مما يستطيع فى أسرة أو قرية متهالكة • ان الجروح النفسية لا تظهر – وعلى أية حال فان الاطفال لا يعلمون عن الكبار الا القليل • ولما كانوا يفتقرون الى معايير للمقارنة فهم يظنون أن المواقف السيئة من المسلمات ، كأنها من طبيعة الأشياء • فى حين أن الفرق واضح بين عشرة أفدنة من المراعى الخضراء وعشرة أفدنة من الاخاديد الجرداء التى تعصف فيها الرمال • والرمال والاخاديد من الرموز التى تتمثل بها • اذا واجهها الطفل سهل عليه أن يدرك الحاجة الى المحافظة على الخضرة ، ومن المحافظة على الخضرة ينتقل الى الاخلاق – سهّل عليه أن ينتقل من (القاعدة الذهبية) فيما يتعلق بالنبات والحيوان والارض التى تغذيها الى (القاعدة الذهبية) فيما يتعلق بالانسان •

وهنا نقطة هامة أخرى • ان الاخلاق التى يصل اليها الطفل من حقائق علم البيئة ومن الحكايات الرمزية عن التآكل هى أخلاقيات عالمية • ليس فى الطبيعة (شعب مختار) ولا (أرض مقدسة) ولا (رؤيا تاريخية فذة) • ان الاخلاق القائمة على أساس الاحتفاظ بالخضرة لا تعطى الفرد مبررا لاحتباسه بعمو المنزلة ، أو لمطالبته بمزايا خاصة • ان مبدأ (افعل بغيرك كما تحب أن يفعل بك) ينطبق على تعاملنا مع كل أنواع الحياة فى كل أرجاء الارض • ولن يبقى الانسان فوق هذا الكوكب

الا اذا عامل الطبيعة بالرحمة والذكاء \* ان مبادئ علم  
البيئة تؤدي مباشرة الى مبادئ البوذية \*  
وبعد لحظة من الصمت قال ويل : منذ بضعة أسابيع كنت  
أتصفح كتاب ثوروالد عما حدث فى ألمانيا الشرقية فيما بين  
يناير ومايو من عام ١٩٤٥ \* هل اطلع أحدكما على هذا  
الكتاب ؟

هذا رأسيهما

فنصحهما ويل ألا يفعلوا وقال : كنت فى درس دن بعد  
ضربها بالقنابل فى شهر فبراير منذ خمسة أشهر \* وفى ليلة  
واحدة احترق من المدنيين الأحياء خمسون أو ستون ألفا -  
أكثرهم من اللاجئين الهاربين من الروس \* وقد حدث كل ذلك  
لان أودلف الصغير لم يتعلم علم البيئة \*  
وابتسم ويل ابتسامته التهامية الساخرة وقال : انه  
لم يتعلم المبادئ الأولية لصيانة الطبيعة \*  
وأخذ الناس ماحدث مأخذ الفكاهة لانه كان أفضح من أن  
يتناولوه بالحديث جادين \*

ونهض مستر مينون والثقط حقيبته \*

وقال : لا بد أن أنصرف \* وصافح ويل \* وكان اللقاء  
بينهما مصدر سرور له ، وتمنى مستر فارنبى اقامة سعيدة فى  
بالا \* وقال له انه ان أراد أن يعرف المزيد عن التريية فى  
بالا فليس عليه الا أن يسأل السيدة نارايان ، فليس هناك  
من يفضلها فى الارشاد والتعليم \*

وبعد ما انصرف وكيل الوزارة قالت السيدة نارايان :  
هل تحب أن تزور بعض فصول الدراسة ؟

ونفض ويل وسار خلفها حتى خرجا من الغرفة وبلغنا  
احدى الردهات •

وفتحت المديرية باب فصل من الفصول وقالت : هنا  
رياضيات ، وهذا هو الصف الخامس فى المرحلة الأعلى • تقوم  
بها السيدة أناند •

وانحنى ويل وهى تقدمه اليها • ورحبت به المدرسة ذات  
الشعر الابيض مبتسمة وقالت هامسة : نحن كما ترى  
مستغرقون فى احدى المسائل •

وتلفت حواليه • ورأى عشرين طالبا وطالبة منهمكين  
وهم فى مقاعد جلوسهم فى التفكير ، منكبين على كراسياتهم  
مركزين الاذهان فى صمت وهم يعضون أطراف الاقلام •  
تتألق فى حرارة الجو أجسامهم الذهبية فيما فوق السراويل  
القصيرة البيضاء أو الكاكي أو فيما فوق الجونيلات الطويلة  
زاهية الألوان • أجسام البنين يبدو منها القفص الصدرى  
تحت البشرة ، وأجسام البنات أكثر امتلاء وأشد نعومة ، وقد  
بدأت أنداؤهن الصغيرة تعلقو صدورهن ، قوية ، جميلة  
التكوين ، رشيقة كأنها من تصميم مثال زخرفة ينحت الحور  
من الصخر ، لايلتفت اليهن أحد " وما كان أشد سرور ويل  
لأن يكون فى مكان يباح فيه هذا الذى يعد فى مكان آخر اثما  
من الآثام •

وفى أثناء ذلك كانت السيدة أناند تشرح له - فى صوت  
خافت حتى لا تشتت أذهان المشتغلين بحل المسائل عن أداء  
واجبهم - كيف أنها تقسم كل فصل دراسى من فصولها  
مجموعتين • مجموعة الذين يتعلمون بالنظر ممن يفكرون فى  
اطار هندسى كما كان يفعل قدماء اليونان ، ومجموعة الذين

لا يتعلمون بالنظر الذين يفضلون الجبر والتجريدات التي لا شكل لها • وعلى كره منه صرف ويل نظره عن هذا العالم من الجمال الذي لا تأثيم فيه ، جمال الاجسام الشابة ، واستسلم لتفكير عميق فى تنوع البشر وتدريس الرياضيات •

وانصرفا • وفى الغرفة المجاورة • وهى عبارة عن فصل دراسى جدرانها باهتة زرقاء معلق عليها صور لحيوانات استوائية كان البوزيساتفا (صغار البوذيين) ومعهم الشاكتى (١) ، وهم يشكلون الصف الخامس الأدنى ، يتلقون درسا فى مبادئ الفلسفة التطبيقية يأخذونه مرة كل اسبوعين • وأثناء البنات فى هذا أصغر حجما ، والأذرع أرق والعضلات أخف • وطلاب الفلسفة هؤلاء لم يتجاوزا حد الطفولة الا بعام واحد فقط •

وعندما دخل ويل والسيدة نارايان الغرفة كان الرجل الواقف الى جوار السبورة يقول : الرموز شائعة • ورسم صفا من الدوائر الصغيرة وأخذ يرقمها ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ون • وقال تصوروا أن هذه الارقام تمثل أفرادا من الناس • ومن كل دائرة صغيرة رسم خطا يصل الدائرة بمربع على يسار السبورة • وفى وسط المربع كتب حرف «ر» وقال : هذا الحرف هو نظام الرمز الذى يستخدمه الناس عندما يريدون أن يتبادلوا الحديث • كلهم يتحدث نفس اللغة - انجليزى ، بالى ، اسكىمو ، الامر يتوقف على المكان الذى يعيشون فيه • الألفاظ عامة • يختص بها كل المتكلمين بلغة ما ، وهى مدونة فى القواميس • والآن دعنا ننظر الى الاشياء التى تحدث خارج الفصل •

(١) ربات الامومة والانوثة فى الهندوكية - المترجم



وأشار إلى النافذة المفتوحة وظهر من خلالها ستة ببغاوات  
تطير بألوانها الزاهية تحت سحابة بيضاء • ومرت الببغاوات  
خلف شجرة ثم اختفت • ورسم المعلم مربعا آخر فى الجانب  
الأخر من السبورة وأسماه « أ » - وهو الحرف الأول من  
«أحداث» ، وربط هذا المربع بالدوائر بخطوط • وقال : ان  
ما يحدث فى الخارج عام - أو على الأقل عام الى حد كبير •  
وما يحدث عندما يتكلم فرد ما أو يكتب الكلمات عام كذلك •  
ولكن ما يحدث داخل هذه الدوائر الصغيرة خاص • وأكد  
كلمة خاص بوضع احدى يديه على صدره • ثم مسح جبينه •  
وكرر كلمة (خاص) • ومس جفنيه وطرف أنفه بسبابته  
السمراء وقال : دعونا الآن نقوم بتجربة صغيرة • رددوا بعدى  
كلمة (يقرص) •

وبصوت واحد أجش ردد الطلاب «يقرص ، يقرص ••»  
«ى ، ق ، ر ، ص (يقرص) • هذه كلمة عامة ، تجدونها فى  
المعاجم اللغوية • والآن يقرص كل منكم نفسه • شديدا  
أشد !»

وفعل الأطفال كما أمروا متأوهين «آه ، أوه» ، وهم  
يقهقهون •

— هل يستطيع أحدكم أن يحس ما أحسه جاره ؟

رددوا جميعا بصوت واحد «لا» •

قال الرجل : «يبدو أن •••» كم عددكم ؟

ونقل بصره على المقاعد التى كانت أمامه وواصل  
الحديث قائلا : يبدو أنه كان هناك ثلاثة وعشرون ألما منفصلا

متميزا عن غيره • ثلاثة وعشرون فى هذه الغرفة الواحدة • وما يقرب ثلاثة آلاف مليون فى العالم كله • أضيف الى ذلك آلاف جميع الحيوانات • وكل ألم من هذه الآلام خاص كل الخصوصية • ليست هناك وسيلة لنقل الخبرة من أحد مراكز الآلام الى مركز آخر • لا اتصال الا بطريق غير مباشر عن طريق (ر) • وأشار الى المربع الذى يقع على يسار السبورة ، ثم الى الدوائر التى تقع فى الوسط وقال : هنا آلاف خاصة فى ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ن - وهناك أخبار عن الآلام الخاصة فى المربع (ر) حيث يمكنك أن تقول (يقصر) وهى كلمة عامة مدونة فى المعجم اللغوى • ولاحظ مايلي : هناك كلمة عامة واحدة هى (يقصر) لتدل على ثلاثة آلاف مليون تجربة خاصة ، كل واحدة منها تختلف عن غيرها بنفس الدرجة تقريبا التى يختلف بها أنفى عن أنوفكم ، كما أن أنوفكم يختلف كل واحد منها عن الآخر • الكلمة ترمز فقط للطرق التى تتشابه بها الاشياء أو الاحداث التى هى من نوع واحد عام • ولذلك كانت الكلمة عامة ، ولما كانت عامة فلا يمكن أن تمثل الطرق التى تختلف بها الاحداث التى هى من نوع واحد عام •

وساد صمت • ثم رفع المعلم بصره الى أعلى وألقى سؤالا :

— هل يعرف أحد منكم هنا شيئا عن ماهاكاسيابا ؟

وارتفعت أيد كثيرة • وأشار باصبعه الى فتاة صغيرة فى ازار أزرق وحول عنقها عقد من الصدف جالسة فى الصف الأول •

— آميا ، تكلمى •

وفى لهفة بدأت أميا تتكلم وفى لسانها لثغة •

قالت : ماهاكاثيايا هو الحوارى الوحيد الذى استطاع أن يفهم ماكان يتحدث عنه بوذا ؟

— وفيم كان بوذا يتكلم ؟

— انه لم يكن يتكلم ولذلك لم يفهموه •

— ولكن ماهاكاسيايا فهم ماكان يتحدث عنه على الرغم من أنه لم يتكلم — هل هذا ماقصدت ؟

وأومأت الفتاة الصغيرة برأسها ايجابا فقد كان ذلك ماقصدت تماما ، وقالت : ظنوا أنه سوف يلقي عليهم موعظة ، ولكنه لم يفعل • وكل مافعله هو أنه التقط زهرة ورفعها الى أعلى لكى يراها الجميع •

وصاح صبى صغير يرتدى مئزرا أصفر اللون كان يتلوى فى مقعده ، ويكاد لايستطيع أن يكبت رغبته فى الافصاح عما كان يعرف ، وقال : تلك كانت الموعظة ، ولكن أحدا لم يستطع أن يفهم هذا النوع من المواعظ ، فيما عدا ماهاكاسيايا •

• — وماذا قال ماهاكاسيايا عندما رفع بوذا تلك الزهرة ؟

صاح الصبى الذى كان يرتدى مئزرا أصفر اللون بنغمة الظافر «لاشئء !»

وأضافت الى ذلك أميا قولها : ابتسم فقط ، ومن ذلك عرف بوذا أنه فهم كل ماكان يقصد اليه • ولذلك بادله الابتسام ، ولبثا كذلك يبتسمان ، ويبتسمان •

قال المعلم : حسنا والتفت الى الصبي ذى المنزر الاصفر  
وقال له : اذكر لنا ماتظن أن ماهاكاسيابا قد فهم .  
وساد الصمت ، ثم هز الطفل رأسه خجلا وتمتم قائلا :  
لست أدري .

– وهل يدري منكم أحد ؟

وكانت هناك محاولات عدة للإجابة – ربما قد فهم أن  
الناس قد سئمت الموعظة – حتى موعظة بوذا . وربما كان  
يحب الزهور كما أحبها الواحد الرؤوف . وربما كانت  
الزهرة بيضاء اللون مما جعله يفكر فى (الضوء الصافى) .  
وربما كانت زرقاء اللون ، وذلك كان لون شيفا .

قال المعلم : هذه اجابات جيدة ، وبخاصة الاجابة الأولى .  
فالواعظ فعلا مملّة وبخاصة للواعظ . ولكن هناك سؤال  
آخر . اذا كانت احدى اجاباتكم هى ما فهم ماهاكاسيابا عندما  
رفع بوذا الزهرة ، فلماذا لم يعبر عنها بالألفاظ ؟

– ربما كان ممن لا يحسنون الكلام .

– بل كان متحدثا ممتازا .

– ربما كان فى حلقه التهاب .

– اذا كان حلقه ملتهبا ما ابتسم مبتهجا كما فعل .

ومن آخر الغرفة صاح صوت أجش قال : خبرنا أنت .

وقاطعته أصوات أخرى قائلة : نعم خبرنا أنت .

وهز المعلم رأسه وقال : اذا كان ماهاكاسيابا والواحد  
الرؤوف لم يستطيعا أن يعبرا بالكلمات فكيف أستطيع أنا ؟  
والآن دعنا نلقى نظرة أخرى على الاشكال المرسومة على

السبورة • هناك الكلمات العامة ، والاحداث العامة الى حد ما ،  
ثم الافراد ، وهم مراكز خاصة كل الخصوصية للألم واللذة •  
وانى لأتساءل هل هى خاصة كل الخصوصية • ربما كان ذلك  
لايصدق كل الصدق • ربما كان هناك نوع من الاتصال بين  
الدوائر – بطريقة غير الطريقة التى أتصل أنا بكم بها الآن ،  
أعنى الكلمات – طريقة مباشرة • وربما كان ذلك هو ماكان  
يتحدث بوذا عنه بعد ما انتهت موعظته التى ألقاها بالزهر  
ولم يستعمل فيها الكلمات • قال لتلاميذه ، عندى كنز من  
التعاليم التى لاتخطيء ، عقل النرفانا (١) العجيب ، الشكل  
الحقيقى الذى لا شكل له ، الذى يجاوز كل الالفاظ – أقصد  
التعليم الذى يعطى ويستقبل خارج جميع المذاهب • هذا  
التعليم أسلمته الآن لماهاكاسيابا •

والتقط المعلم اصبع الطباشير مرة أخرى ورسم قطعاً  
ناقصاً تقريبا أحاطت خطوطه كل الاشكال الاخرى على  
السبورة – الدوائر الصغيرة التى تمثل الكائنات البشرية ،  
والمربع الذى يمثل الاحداث ، والمربع الآخر الذى يمثل  
الالفاظ والرموز ، وقال : كل شكل من هذه الاشكال منفصل ،  
ومع ذلك فكلها واحد • الناس ، والاحداث ، والالفاظ : كلها  
مظاهر للمقل الكبير ، للحقيقة الكبرى ، للفراغ • وماكان  
يقصده بوذا وما فهمه ماهاياكاسيابا هو أن المرء لا يستطيع أن  
يعبر عن هذه التعاليم باللفظ ، وليس بوسعه الا أن يكون هو  
هى • وذلك شئ سوف تتكشفونه حينما يحين أو ان دخولكم  
أعضاء فى هذا المذهب •

---

(١) السعادة القصوى فى البوذية التى تتخطى الألم عن طريق قتل  
الشهوات ونسيان الواقع الخارجى – المترجم

قالت المديرية هامة : آن لنا أن نخرج .

ولما انغلق الباب خلفهما وأصبحا فى الردهة مرة أخرى  
قالت لويل : نحن نستخدم هذه الطريقة عينها عند تدريس  
العلوم ، بدءا بعلم النبات ؟

— ولماذا تبدأون بعلم النبات ؟

— لان هذا العلم يمكن ربطه بسهولة بما كان يدور حوله  
الحديث الآن — قصة ماهاكاسيا با .

— هل هذه هى نقطة البدء ؟

— لا . نحن نبدأ بداية عادية بالكتاب المقرر . نعطي  
الاطفال كل الحقائق الأولية الواضحة ، مرتبة ترتيبا محكما  
ومصنفة وفقا للمقالب المعروفة . المرحلة الأولى هى مرحلة  
علم النبات البحت . وتستغرق من ستة الى سبعة أسابيع .  
وبعد ذلك يقضى الاطفال يوما كاملا فيما تسميه بناء الجسور .  
ساعتان ونصف الساعة نحاول خلالها أن نجعل الاطفال يربطون  
كل ماتعلموا فى الدروس السابقة بالفن ، واللغة ، والدين ،  
ومعرفة النفس .

— علم النبات ومعسرفة النفس — كيف تقيمون بينهما  
جسرا ؟

أكدت له نارايان أن الأمر غاية فى البساطة وقالت :  
نعطي كل طفل زهرة معروفة — زهرة الخبيزة مثلا ، وأفضل  
منها زهرة الجاردينيا (لان زهرة الخبيزة ليس لها أريج) .  
ماهى الجاردينيا من الناحية العلمية ؟ مم تتألف ؟ أوراق ،  
والسداة ، والمدقة ، والمبيض ، وما الى ذلك . ونطلب الى

الاطفال أن يدونوا وصفا تحليليا للزهرة موضعين الوصف  
بالرسم الدقيق - وبعد ما يؤدون ذلك بمنحهم فترة للراحة ،  
وفى نهايتها نقرأ لهم قصة ماهاكاسيابا ونطلب اليهم أن  
يفكروا فيها . هل كان بوذا يعطى درسا فى علم النبات ؟ أم  
هل كان يعلم تلاميذه شيئا آخر ؟ وان كان الأمر كذلك  
فما هو ؟

— خبرينا ماهو ؟

— وليس هناك — بطبيعة الحال — اجابة يمكن أن تصاغ  
فى الالفاظ — كما يتضح ذلك جليا من القصة . لذلك نطلب  
الى البنين والبنات أن يتوقفوا عن التفكير ويكتفوا بالنظر ،  
ونقول لهم (لاتنظروا نظرة تحليلية ، لاتنظروا كما ينظر  
العلماء ، أو حتى كما ينظر البستاني - حرروا أنفسكم من  
كل شيء تعرفونه وانظروا ببراءة تامة الى ذلك الشيء المائل  
أمامكم والذي لاتكاد تصدقه العقول . انظروا اليه وكأنكم لم  
تروا له شبيها من قبل ، وكأنه لا يحمل اسما ولاينتمى الى  
فصيلة معروفة . انظروا اليه متنبهين ولكن بموقف سلبي ،  
مستقبليين ، دون أن تطلقوا عليه اسما أو تصدروا عليه حكما  
أو تخضعوه للمقارنة . واستنشقوا لغزه وأنتم تنظرون اليه،  
وتنفسوا روح الحس ، وعطر الحكمة ، حكمة الضفة الأخرى .

وعلق على ذلك ويل بقوله : ما أشبه ماتقولين بما كان  
يقول الدكتور روبرت فى حفل التنصيب .

قالت السيدة نارايان : شبيه به بطبيعة الحال - ذلك أن  
تعلم نظرة ماهاكاسيابا للامور هو أفضل اعداد لتجربة عقار  
الموكشا . كل طفل يبلغ سن التنصيب يقبل عليه بعد تربية

طويلة على فن الاستقبال ، أى أن يكون المرء مستقبلا •  
الجاردينيا أولا كنموذج نباتي ، ثم الجاردينيا ذاتها فى  
تفردا ، الجاردينيا كما تراها عين الفنان ، ثم بعد ذلك  
الجاردينيا وهى فى أشد حالات الاعجاز كما يراها بوذا  
وماهاكاسيايا •

ثم أضافت الى ذلك قولها : ولست بحاجة الى أن أقول اننا  
لا نحصر أنفسنا فى الزهور • كل دراسة يتلقاها الاطفال  
تتخللها وقفات دورية لبناء الجسور • كل شئ من الضفدعة  
المشرحة الى المجرة اللولبية ينظر اليه الطلاب مستقبلين له  
ومفكرين فيه ، باعتباره تجربة جمالية أو روحانية وباعتباره  
فى الوقت نفسه من حقائق العلم أو التاريخ أو الاقتصاد •  
والتدريب على الاستقبال متمم ومصحح للتدريب على التحليل  
ومعالجة الرموز • وكلا التدريبين لا غنى عنهما اطلاقا • اذا  
أنت أهملت أحدهما فلن تصبح كائننا بشريا كامل النمو •

وساد صمت ، وأخيرا سأل ويل : وكيف ينظر المرء الى  
الآخرين ؟ هل يأخذ بنظرة فرويد أو بنظرة سيزان ؟ بنظرة  
بروست أو بنظرة بوذا ؟

ضحكت السيدة نارايان وسألته : بأى نظرة من هذه  
النظرات ترانى ؟

أجاب : أعتقد أولا انى أراك بنظرة عالم الاجتماع •  
أنظر اليك باعتبارك ممثلة لثقافة غير مألوفة • ولكنى كذلك  
أدرك من أنت من حيث الانطباع • وأظن - وأرجو أن  
تسامحيني فى ظنى - انك قد تقدمت فى السن بصورة تثير  
الاعجاب • فأنت على صورة طيبة من حيث الجمال والعقل



والنفس والروح بأى معنى من معانى هذه الكلمة - واذا أخذت بالانطباع كان لذلك أهميته . أما اذا أنا لم آخذ بالانطباع وحكمت بمفهومي للكلمة كان الأمر كله هراء بحث .

وضحك ضحكة خفيفة كما يضحك الضبع .

قالت السيدة نارايان : يستطيع المرء دائماً - ان أراد - أن يستبدل بالفكرة الشائعة أفضل الافكار الذهنية التي يستمدّها من استقبال المحسوسات . ولكن المسألة هي :

- لماذا يحتم المرء على نفسه أن يختار اما هذا واما ذاك؟ لماذا لا يؤثر أن يستمع الى الجانبين ويوفق بين نظرتيهما ؟ صانع المفاهيم الذى تحكمه التقاليد والذى يأخذ بالتحليل ، ومن يستقبل المؤثرات الخارجية ويكون الصورة وهو متنبه برغم موقفه السلبي - ان كلا الطريقتين ليس معصوما من الخطأ ، وكلاهما معا يؤدي للمرء وظيفة طيبة معقولة .

واستوضحها ويل : الى أى حد يكون تدريبيكم على فتح الاستقبال فعالاً ؟

أجابت : للاستقبال درجات ، ففي دروس العلوم - مثلاً - قليل جداً منه . العلم يبدأ بالملاحظة ، ولكن الملاحظة دائماً تتخير ، فالمرء ينظر الى العالم من خلال نافذة مخرمة للمفاهيم التى أسقطت عليه . واذا أنت أخذت عقار الموكشا كادت هذه المفاهيم أن تتلاشى ، فلا تختار وتصنف خبراتك فوراً ، بل تكتفى بالاستقبال . والأمر فى هذه الحالة أشبه بما قاله وردزورث (هات معك قلباً يشاهد ويستقبل) . وفى ساعات بناء الجسور التى تحدثت عنها يكون هناك قدر كبير من

الانتقاء والاسقاط ، ولكنه أقل حجماً مما كان يحدث في  
الدروس السابقة للعلوم . فالطفل لا يتحول فجأة الى تاجاجاتا  
صغير ، ولا يصل الى حالة الاستقبال الصافية التي تأتي مع  
عقار الموكشا . ما أبعد الاطفال عن ذلك . وكل ما أستطيع  
أن أقوله ان الاطفال يتعلمون ألا يأخذوا الاسماء والأفكار  
السائدة مأخذ الجد . ولفترة قصيرة تراهم يأخذون أكثر مما  
يعطون .

— وماذا يفعلون بما يأخذون ؟

أجابت السيدة نارايان وعلى ثغرها ابتسامة : اننا نكتفى  
بأن نطلب اليهم أن يحاولوا المستحيل . نطلب اليهم بأن يترجموا  
الخبرة الى ألفاظ . ماذا تكون هذه الزهرة ؟ وهذه الضفدعة  
المشرحة ؟ وهذا الكوكب الذى تراه على الطرف الآخر من  
المنظار المقرب ؟

ماذا تعنى ؟ بماذا توحى اليك لكى تفكر ، أو تشعر ، أو  
تتصور ، أو تتذكر ؟ نوجه اليهم هذه الاسئلة لتكون جزءاً من  
العطاء البحث الذى لا يخضع للمفاهيم المسبقة . ونطلب اليهم  
أن يدونوا اجاباتهم على الورق . نقول لهم انكم بطبيعة الحال  
لن تفلحوا ، ولكن عليكم أن تحاولوا . فان ذلك يساعدكم على  
ادراك الفرق بين الالفاظ والاحداث ، بين أن تعرف عن  
الاشياء وأن تتعرف عليها . وبعد أن ينتهوا من الكتابة نقول  
لهم أعيدوا النظر الى الزهرة ، وبعد ذلك أغمضوا عيونكم  
دقيقة أو دقيقتين ، ثم ارسموا ما خطر لكم عندما كانت  
عيونكم مغمضة . ارسموه أيا كان — شيئاً غامضاً أو واضحاً ،  
شيئاً كالزهرة أو مختلفاً عنها كل الاختلاف . ارسموا مارأيتم

أو حتى مالم تروا ، ارسموه ولونوه بأصباغكم وأقلامكم •  
واستريحوا مرة أخرى ، وقارنوا الرسم الأول بالرسم الثاني ،  
وقارنوا بين الوصف العلمى للزهرة وبين ماكتبتم عنها حينما  
لم تكونوا تحللون ماترون ، وحينما كنتم تتصرفون وكأنكم  
لم تعرفوا شيئاً عن الزهرة ولم يكن متاحاً لكم سوى لغز  
وجودها يهبط عليكم طفرة من السماء • ثم قارنوا رسوماتكم  
وما كتبتم مع رسوم غيركم من البنين والبنات زملائكم فى  
الفصل الدراسى وماكتبوا • سوف تجدون أن الأوصاف  
والرسوم التحليلية متشابهة ، فى حين أن الرسوم والكتابات  
الأخرى يختلف كل واحد منها عن الآخر اختلافاً كبيراً •  
ما صلة ذلك بما تعلمتم فى المدرسة ، والبيت ، والغابة ،  
والمعبد ؟ عشرات الاسئلة ، وكلها ملحّة • ان المسور يجب أن  
تقام فى جميع الاتجاهات • يبدأ الطالب بعلم النبات - أو  
بأية مادة أخرى فى منهج الدراسة - ويجد أنه فى نهاية فترة  
بناء المسور يفكر فى طبيعة اللغة ، وفى الانواع المختلفة  
للخبرة ، وفيما وراء الطبيعة وسير الحياة ، وفى المعرفة  
التحليلية وحكمة (الشاطيء الآخر) •

سأل ويل : انى لأعجب أشد العجب كيف استطعتم أن  
تعلموا المعلمين الذين يقومون الآن بتعليم الاطفال بناء هذه  
المسور ؟

قالت السيدة نارايان : بدأنا تعليم المعلمين منذ مائة  
وسبعة أعوام • شكلنا فصولاً من الشبان والشابات ممن  
تلقوا تعليمهم بالطريقة التقليدية بين أهل بالا • تعلموا  
أدب المعاشرة ، والزراعة الجيدة ، والفنون والحرف الجيدة  
وشياً عن الطب الشعبى ، وطرائف عن الفيزياء والنبات

والعقيدة فى قوة السحر ، وصدق القصص الخيالية • لا علم ، ولا تاريخ ، ولا شىء عما يجرى فى العالم الخارجى • ولكن معلمى المستقبل هؤلاء كانوا من البوذيين التقاة ، مارس أكثرهم التأمل ، وقرأوا جميعا الكثير من فلسفة ماهايانا أو استمعوا اليها • ومعنى ذلك أنهم فى مجالات الميتافيزيقا التطبيقية وعلم النفس كان تعليمهم أكمل وأكثر واقعية عما تتعلمه أية مجموعة من معلمى المستقبل فى الجزء من العالم الذى تسكنونه • وكان الدكتور أندرو انسانيا تدرّب تدريبا علميا ولم يأخذ العقائد مأخذ التصديق بغير فحص ، كما كشف عن قيمة الماهيانا البحت والماهايانا التطبيقية • وكان صديقه الراجا بوذيا على مذهب تانترا وقد كشف عن قيمة العلم البحت والعلم التطبيقى • ومن ثم فلقد رأى كلاهما بكل وضوح أن المعلم الذى باستطاعته أن يعلم الاطفال كيف يكونون انسانيين كاملين فى مجتمع يلىق بالكائنات البشرية الكاملة أن يعيشوا فيه – هذا المعلم ينبغى أن يتعلم أولا كيف يستغل هذين العالمين أحسن استغلال •

– وماذا كان احساس هؤلاء المعلمين أثناء اعدادهم ازاء ذلك ؟ هل قاوموا هذا الأتجاه ؟

هزت السيدة نارايان رأسها وقالت : كلا ، لم يقاوموه لسبب وجيه وهو أن هذا الاتجاه لم يهاجم أى شىء عزيز عليهم • فلقد كانت بوذيتهم محلا للاحترام • وكل ما طلب اليهم التخلّى عنه هو علم العجائز والحكايات الخرافية • وفى نظير ذلك قدمت اليهم كل ضروب الحقائق التى كانت أكثر تشويقا والنظريات التى كانت أكثر نفعا • واتحدت الآن تلك الامور المثيرة الواردة من العالم الغربى ، عالم المعرفة

والقوة والتقدم ، مع نظريات البوذية والمقائق النفسية فى الميتافيزيقا التطبيقية ، وبمعنى ما خضع علم الغرب لمذهب البوذية . وهذا البرنامج الذى جمع بين أفضل ما فى العالمين لم يكن به ما يؤدى احساس الوطنيين المتدينين حتى أشدهم حساسية واكثرهم حماسة .

وبعد فترة من الصمت قال ويل : اننى افكر فى معلمى المستقبل عندنا . هل يمكن تعليمهم فى هذه المرحلة المتأخرة ؟ وهل يمكنهم أن يتعلموا كيف يستغلون أفضل ما فى العالمين أحسن استغلال ؟

— ولم لا ؟ فإنه لا يتحتم عليهم أن يتخلوا عن أى أمر من الأمور التى لها عندهم أهمية حقيقية . غير المسيحيين منهم يستطيعون أن يواصلوا تفكيرهم فى الانسان ، والمسيحيون يستطيعون أن يواصلوا عبادتهم لله . لن يحدث أى تغير ، غير أن يفكروا فى الله باعتباره موجودا فى كل الوجود ، ويفكروا فى الانسان على أنه يستطيع بطبيعته أن يتجاوز حدود نفسه .

ضحك ويل وقال : وهل تظنين أنهم يتقبلون هذا التغيير بغير احتجاج ؟ أنت متفائلة .

قالت السيدة نارايان : نعم متفائلة لسبب بسيط وهو أن الانسان اذا عالج مشكلة ما بذكاء وواقعية ، فان النتائج لا بد أن تكون طيبة . وهذه الجزيرة تبرز قدرا من التفاؤل . والآن دعنا نصرف لنشاهد درس الرقص .

وعبرا فناء تظلمه الاشجار ، ودفعا بابا متحركا ، وخرجا من الصمت الى دق الطبل الايقاعى وصوت الناي يردد نغمة حماسية كانت فى مسمع ويل شبيهة بالنغمة الاسكتلاندية .

وسأل : هل هذه موسيقى حية أم معبأة ؟

وأجابت نارايان فى اقتضاب : هذا شريط يابانى •  
وفتحت بابا آخر وكشفت عن جيمنازيم فسويح به شابان  
ملتحيان وسيدة عجوز تسترعى النظر بخفة حركتها وترتدى  
سروالا من الساتان الاسود ، وهؤلاء يقومون بتعليم حركات  
الرقص الرشيق لنحو عشرين أو ثلاثين من صغار البنين  
والبنات •

سأل ويل : ما هذا ؟ أهو لهو أو تعليم ؟

قالت المديرية : كلاهما ، وهو كذلك درس فى الاخلاق  
التطبيقية • شبيه بتمرينات التنفس التى كنا نتحدث عنها منذ  
لحظة - ولكنه أكثر فعالية لانه أشد عنفا •

كان الاطفال يتغنون غناء جماعيا بهذه العبارة :  
ضربوا بأقدامكم . ومع الغناء يضربون الأرض - بكل قواهم -  
بأقدامهم الصغيرة التى يكسونها بالصنادل • وفى المرة الاخيرة  
وهم يكررون قولهم : اضربوا بأقدامكم ، ضربوا الأرض  
بشدة ، وبدأوا حركة راقصة جديدة وهم يدورون ويهتزون •

قالت السيدة نارايان : هذه رقصة راكشاسى على

المزمارة •

سأل ويل : وما هى راكشاسى ؟

- راكشاسى نوع من العفاريت ، ضخم جدا ، منفر  
للغاية • كل الميول القبيحة تتمثل فيه • ورقصة راكشاسى على

المزمارة حيلة للتنفيس عن الطاقة التي يثيرها الغضب  
والفشل .

وطرقت مسمعى ويل مرة أخرى تلك الصيحة : اضربوا  
بأقدامكم يتغنى بها الاطفال مرددين .

وصاحت السيدة العجوز الضئيلة – وهى تضرب لهم مثلا  
قويا قائلة :

– اضربوا مرة أخرى ، بكل قواكم ، وكل عنف !

وفكر ويل بينه وبين نفسه : أيهما أفضل للاخلاق  
وللسلوك الرشيد ؟ طقوس العريضة أو «الجمهورية» (١) ،  
أخلاق نيقوماخوس أو الرقص الكوريبانتى (٢) ؟

قالت السيدة نارايان : كان الاغريق أعقل من أن يفكروا  
بصيغة اما هذا واما ذاك . كانوا يفكرون دائما بصيغة ليس  
هذا فقط ، وانما كذلك ، ليس فقط افلاطون وأرسطو ،  
وانما كذلك ربات المهرجانات . ولولا تلك المزامير التى تخفف  
التوتر لعجزت الفلسفة الاخلاقية ، ولولا الفلسفة الاخلاقية  
لما عرفت المزامير فى أى اتجاه تسير . كل ما فعلناه هو أننا  
أخذنا صفحة من كتاب الاغريق القديم .

قال ويل : حسنا ما فعلتم . ثم تذكر أنه رجل لا يصدق كل  
ما يقال (وكان دائما يتذكر ذلك فى الحين أو فيما بعد ، ومهما  
كان سروره ومهما كانت حماسته) . تذكر ذلك فانفجر

---

(١) يقصد جمهورية افلاطون – المترجم

(٢) طقوس اغريقية قديمة كانت تؤدى بصاحبة الرقص

والموسيقى – المترجم

ضحكا ، وقال : ان الرقص الكوريباتى لم يمنع الاغريق من القتاتل - وان كان ذلك أمر لا أهمية له على المدى البعيد - ثم ماذا ينفعكم رقص راكشاسى على المزمار اذا قرر الكولونيل ذيبا أن يتحرك ضدكم ؟ هل يساعدهم الرقص على الرضا بما قدر لكم ؟ ربما - وهذا كل مافى الأمر -

قالت السيدة نارايان : نعم هذا كل مافى الأمر ، غير أن مجرد الرضا بالقدر ميزة كبرى فى حد ذاته -

- الظاهر انك تأخذين كل الامور بنفس مطمئنة -

- وما جدوى أن نأخذ الامور بعصبية ؟ ان ذلك لا يجعل موقفنا السياسى أفضل - ولا يترتب عليه الا أن يكون موقفنا الشخصى أسوأ بدرجة كبرى -

وكان الأطفال يرددون جماعة «اضربوا بأقدامكم» والأواح الخشبية تهتز تحت أقدامهم الضاربة -

وواصلت السيدة نارايان حديثها قائلة : أرجو ألا تتصور أن هذه هى الرقصة الوحيدة التى نعلمها - نعم ان تحويل اتجاه القوى التى تولدها المشاعر السيئة أمر هام ، ولكن لا يقل عنه أهمية توجيه المشاعر الطيبة والمعرفة الصحيحة نحو الافصاح عن نفسها - فى هذه الحالة تكون الحركات تعبيرية ، وكذلك تكون الاشارات تعبيرية - لو أنك زرتنا بالأمس حينما كان الأستاذ الزائر هنا لأطلعتك كيف نعلم هذا النوع من الرقص - ولا أستطيع ذلك اليوم لسوء الحظ - ولن يعود الى زيارتنا قبل الثلاثاء -

- أى أنواع الرقص يعلم ؟



حاولت السيدة نارايان أن تصف هذا الرقص : لا وثب ،  
ولا رفس الى أعلى ، ولا عدو . الاقدام ثابتة دائما فوق  
الارض . مجرد انحناءات وحركات جانبية بالركب ومفاصل  
الأوراك . كل التعبير تقوم به الاذرع والمعاصم والايدي ،  
والرأس والعنق ، والوجه ، والمينان خاصة . حركات  
بالاكتاف الى أعلى والى أمام - حركات رشيقة فى حد ذاتها  
ومحملة كذلك بالمعنى الرمزي . الفكر يتخذ شكلا بالطقوس  
وبالحركات الرشيقة . الجسم كله يتحول الى حروف  
هيروغلوفية ، والحروف يتبع بعضها بعضا ، كما تتتابع  
الاضلاع متغايرة للانتقال من دلالة الى دلالة ، كالتصيدة  
الشعرية أو قطعة الموسيقى . حركات العضلات تمثل حركات  
الوعى ، والانتقال من الصيغة المثالية الى الصيغ المتعددة ،  
والانتقال من المتعدد الى الواحد الموجود فى كل مكان  
وزمان .

وختمت حديثها بقولها : انه تأمل بالحركة . هو  
ميتافيزيقا ماهايانا يعبر عنها لا بالكلمات ولكن بالحركات  
الرمزية والاشارات .

وانصرفا من الجيمنازيوم عن طريق باب غير الباب الذى  
دخلتا منه ، واتجها يسارا سائرين فى ممر قصير .

وسأل ويل : وماذا بعد ذلك ؟

وأجابت السيدة نارايان : الصف الرابع الأدنى ، وهم  
الآن يدرسون مبادئ علم النفس العملى .

وفتحت بابا أخضر اللون .

وسمع ويل صوتا ليس غريبا عنه يقول : تعلمون الآن

أنه لاداعى لان يحس أحد بالألم . فلقصد قلتم لأنفسكم ان  
الدبوس لا يؤذى ، فلم يؤذ .

وولجا الغرفة ، ووجدا سوزيلا ماك فيل ، طويلة القامة  
وسط نحو عشرين طالبا ، من الصغار ذوى البشرة السمراء ،  
بعضهم بدين وبعضهم هزيل . فابتسمت لهما ، وأشارت الى  
مقعدين فى احدى زوايا الغرفة ، ثم عادت الى الاطفال .  
وكررت قولها : لاداعى لان يحس أى انسان بالألم . ولكن  
لا تنسوا أبدا أن الألم دائما يعنى أن هناك خلا ما . لقد  
تعلمتم أن تبعدوا الألم ، ولكن لاتفعلوا ذلك بغير تفكير ،  
ولا تفعلوه دون أن تسألوا أنفسكم ما سبب هذا الألم ؟ واذا  
كان الألم شديدا ، أو اذا لم يكن هناك سبب واضح له ، افضوا  
الى أمهاتكم به أو الى معلمكم أو الى أى كبير فى نادى التبنى  
المتبادل الذى تنتسبون اليه . ثم ابعدوا الألم بعد ذلك .  
ابعدوه وأنتم تعلمون أنه اذا كانت هناك حاجة الى عمل ما ،  
فلا بد من أدائه . هل فهمتم ؟ . . .

وبعد ما أجابت عن جميع الاسئلة التى وجهت اليها  
قالت : والآن دعنا نقوم ببعض ألعاب التظاهر . اغمضوا  
عيونكم وازعموا أنكم تنظرون الى طائر المينة العجوز المسكين  
صاحب الساق الواحدة الذى يزور المدرسة كل يوم لكى  
تطعموه . هل ترونه ؟

وطبعا استطاعوا أن يروه . وكان من الواضح أن المينة  
صاحبة الساق الواحدة صديقة قديمة .

— انظروا اليه بالوضوح الذى رأيتموه به اليوم ساعة  
الغداء . ولا تحملقوا فيه . ولا تبتذلوا جهدا . اكتفوا بأن

تروا ما ينطبع فى أعينكم ، ونقلوا عيونكم - من منقاره الى ذيله ، ومن عينه المستديرة الصغيرة اللامعة الى ساقه البرتقالية .

وتلقائيا قالت فتاة صغيرة : اننى أسمعه كذلك . انه يصيح (كارونا ، كارونا !)

وبسخط شديد قال طفل آخر : ليس هذا صحيحا . انه يقول : انتباه !

وأكدت لهما سوزيلا انه يقول هذا وذاك : وربما كان ينطق بكلمات كثيرة غير ذلك . ولكننا الآن سوف نقوم بتظاهر واقعى ، اذعموا أن هناك طائرين من طيور المينة من ذوى الساق الواحدة . ثلاثة منها . أربعة . هل ترون الأربعة ؟

واستطاعوا

- أربعة طيور من طيور المينة ذوى الساق الواحدة فى الأركان الأربعة لأحد الميادين ، وطائر خامس وسط الميدان . والآن تخيلوا أن الطيور قد غيرت لونها فصارت بيضاء . خمس مينات بيضاء برؤوس صفراء وساق واحدة برتقالية . والآن تخيلوا أن الرؤوس زرقاء ، فاقعة الزرقة - والطائر فيما عدا ذلك قرنفلى اللون . خمسة طيور قرنفلية رؤوسها زرقاء . وهى فى تغير دائم ، فهى الآن أرجوانية . خمسة طيور أرجوانية رؤوسها بيضاء ولكل منها ساق واحدة خضراء باهتة اللون . يا الهى ! ما هذا الذى يحدث ! انها ليست خمسة ، بل هناك عشرة . لا ، عشرون ، خمسون ، مائة . مئات ومئات . هل ترونها ؟

واستطاع بعضهم أن يراها دون أدنى صعوبة . وأما

أولئك الذين لم يستجيبوا كل الاستجابة فقد اقترحت لهم  
سوزيلا أهدافا أكثر تواضعا .

قالت : تخيلوها اثنا عشر ، وإذا استكثرتم هذا العدد  
فاجعلوها عشرة أو ثمانية . فهذا العدد كذلك كبير جدا .

واسترسلت فى حديثها بعد ما استحضر الاطفال جميعا  
كل الطيور الارجوانية التى خلقها كل منهم وفق قدرته ،  
وقالت : والآن تطير المينات . وصفقت بيديها ثم قالت : طارت!  
كلها ، ولم تبق واحدة منها . ولن تتروا بعد ذلك مينات .  
ستروننى أنا . أنا واحدة صفراء . وأنا مرتين خضراء ،  
وأنا ثلاث مرات زرقاء فوقى بقع قرنفلية . أربعة منى فى  
لون أحمر قان ، كأشد ماتكون الحمرة . وصفقت بيديها مرة  
أخرى وقالت : لقد ولوا جميعا . وهذه المرة ترون السيدة  
نارايان مع ذلك الرجل العجيب صاحب الساق المتصلبة الذى  
جاء معها . أربعة من كل منهما ، ويقفون فى دائرة كبرى  
بالجيمينازيوم . انهم الآن يرقصون رقصة الراكشاسى على  
المزمار وينشدون ، «اضربوا بأقدامكم ، اضربوا بأقدامكم» .

وقهقهوا جميعا . لان ويل المتعدد والمديرة المتعددة  
ظهروا قطعاً فى صورة هزلية للغاية .  
وطقطقت سوزيلا بأصابعها .

وقالت : ابعادوا هذه الصور عن أذهانكم ! لقد اختفت!  
والآن كل منكم يرى ثلاثا من أمهاتكم وثلاثة من آبائكم يجرون  
حول الملعب . انهم يسرعون فى الجرى ، وفجأة يختفون ، ثم  
يظهرون . وبعد لحظة لاترونهم . انهم هناك ، انهم ليسوا  
هناك ، هناك ، لا . . .

• وتحولت القهقهة الى ضحك متواصل ، وعندما بلغ الضحك اقصاه دق الناقوس ، وانتهى درس مبادئ علم النفس العملي .

وبعد ما انصرف الاطفال الى اللعب وعادت السيدة نارايان الى مكتبها سأل ويل : ما مغزى هذا كله ؟

• اجابت سوزيلا : المغزى هو ان نجعل الناس يدركون أنهم ليسوا تحت رحمة الذاكرة أو التصورات الخيالية كلية . فاذا اضطرب المرء لما يجرى فى رأسه استطاع أن يفعل شيئا للتخلص من هذا الاضطراب . الأمر كله أن نعلمه مايفعل ونمكنه بعد ذلك من الممارسة - وهى الطريقة التى يتعلم بها المرء كيف يكتب أو يعزف بالزمار . هؤلاء الاطفال الذين رأيتهم كانوا يتعلمون طريقة غاية فى البساطة - طريقة سوف نمنحها فيما بعد حتى تصبح وسيلة للتحرر . ولن يكون التحرر كاملاً بطبيعة الحال . ولكن نصف الرغبة أفضل كثيرا من انعدام الخبز . ان هذه الطريقة لن تسوقك الى الكشف عن طبيعتك البوذية ، ولكنها تعينك على الاستعداد لهذا الكشف - تعينك بتحريرك من مطاردة ذكرياتك الأليمة لك ، ومطاردة الندم والقلق على المستقبل من غير مبرر .

قال ويل : صدقت ، وأحسنت اختيار اللفظ حينما قلت :  
المطاردة .

- ليست المطاردة أمرا محتوما . فان بعض الاشباح يمكن طردها بسهولة كبرى . كلما ظهر شبح منها عاجله بالخيال . وعامله كما تعاملنا مع تلك المينات ، ومعك ومع السيدة نارايان . غير زيه واعطه أنفنا آخر ، وعدده ، ثم مره

بالانصراف ، واستدعه مرة أخرى واجعله يقوم بعمل يثير الضحك . ثم امحه محوا . تصور ما كان بوسعك أن تفعله بأبيك لو كنت تعلمت قليلا من هذه الحيل الصغيرة فى طفولتك! لقد كنت تحسبه عملاقا مخيفا . ولكن ذلك لم يكن ضروريا . كنت تستطيع بخيالك أن تحول هذا العملاق الى صورة أخرى خيالية ، بل الى مجموعة من الصور الخيالية . فترى عشرين منها ترقص على كعوب أقدامها وتغنى وتنشد : رأيت فى المنام أنى أقطن قاعات من المرمر . ان دراسة مختصرة فى مبادئ علم النفس العملى كان من الممكن أن تجعل حياتك مختلفة كل الاختلاف .

وفكر ويل - وهما يتجهان نحو العربية الجيب التى كانت بانتظاره فيما كان يمكنه أن يفعل فى حادث وفاة مولى . أى طقوس كان يمكنه أن يمارسها بالتعاون الخيالية يطرد بها الأرواح الشريرة التى كانت تتلبس بها تلك الشيطانة البيضاء التى تعطرت بالمسك وجسدت رغباته المقيتة المسعورة ؟

وبلغا عربية الجيب . وسلم ويل سوزيلا المفاتيح واستقر فى مقعده بشيء من المشقة . واقتربت منهما عربية قديمة صغيرة من ناحية القرية محدثة ضجيجا عاليا وكأنها تحت دافع عصبى لتعوض حجمها الصغير . ودارت العربية على طريق سير العربات وهى ماتزال تقمقع وتهتز ، وأخيرا توقفت الى جوار عربية الجيب .

والتفتا . وألفيا مروجان مطلا من نافذة العربية أوستن الملكية ، ووراءه كانت تجلس الرانى بحجمها الضخم مرتدية الموصلين الابيض ومنتفخة كركام السحاب . وانحنى ويل فى اتجاهها واستخرج منها ابتسامة غاية فى اللطف ، سرعان

ما اختفت عندما التفتت الى سوزيلا التي ردت الرانى تحيتها  
بايمائة بعيدة برأسها .

وسألها ويل فى أدب جم : هل أنتما على سفر بالعربة ؟

قالت الرانى : حتى شيفابورام فقط .

وأضاف الى ذلك موروجان بشيء من مرارة النفس قائلا:  
إذا استطاع هذا القفص الصغير المحطم أن يتماسك حتى  
هناك .

وأدار مفتاح الحرارة ، وخرج من المحرك صوت أخير  
يشبه الفواق ثم توقف تماما .

وواصلت الرانى حديثها قائلة : هناك قوم لا بد لنا من  
لقائهم ، وبنغمة مفعمة بدلالات التآمر أضافت قولها ولعل مع  
الأصعب أن أقول ان هناك شخصا واحدا .

وابتسمت لويل وكادت أن تغمز له بعينيها .

وزعم ويل أنه لم يدرك أنها تتحدث عن باهو ، وعلق  
بقوله «صدقت» دون أن يلتزم برأى ما ، وأشفق عليها من  
الجهد والقلق اللذين لا بد أن يقتضيهما الحفل الذى يقام فى  
الأسبوع القادم بمناسبة بلوغ مورجان سن الرشد .

وقاطعه مورجان بسؤله : ماذا تفعل هنا ؟

— قضيت بعد الظهر مهتما اهتماما عميقا بالتربية فى  
بالا .

وردت الرانى العبارة الأخيرة فقالت : التربية فى بالا .

ومرة أخرى قالت بنخمة حزينة وبفاصل بين الكلمتين :  
التربية - فى بالا وهزت رأسها \*

قال ويل : أنا شخصيا اعجبت بكل ما رأيت وسمعت  
عنها - من المستر مينون والمديرة حتى الدرس فى مبادئ  
علم النفس العملى كما تعلمه السيدة ماك فيل ، محاولا بهذه  
الأخيرة أن يستدرج سوزيلا الى الحديث \*

وأشارت الرانى بأصبع الأتهام الغليظه الى الفزاعات التى  
ظهرت فى الحقول السفلية ، وما زالت تتجاهل سوزيلا عن عمد \*  
وسألت : هل رأيت هذه يامستر فاربنى ؟

وكان قد رآها فسأل : واين فى غير بالا يجد المرء  
فزاعات جميلة ، قديرة ، ولها دلالتها الميتافيزيقية فى آن  
واحد ؟

قالت الرانى بصوت يتهدج من الشعور بالسخط  
والاكتئاب : وهذه الفزاعات لا تفزع الطيور فتبعدها عن  
الارز فحسب ، بل تفزع كذلك الاطفال وتبعدهم عن فكرة  
تجسيد الآلهة ورفعت رأسها وقالت :

- استمع !

وكان قد انضم الى كريشنا ومارى ساروجينى خمسة أو  
سنة أصحاب ، وكلهم يلعب بشد الخيوط التى تهز العرائس  
الحارقة للطبيعة \* وصدرت عن المجموعة أصوات عالية تغنى  
سويا \*

وعندما تكرر الغناء للمرة الثانية تبينت كلمات الانشودة  
لويل \* كانوا ينشدون :



– شدوا هيا شدوا

– بالارادة القوية شدوا

– الارباب تهتز

– والسماء فى مكانها ثابتة

قال : برافو ثم ضحك .

وقالت الرانى منضلة : هذا لايسرنى ، ولا يضحكى ،  
إنها مأساة ، وأى مأساة .

وأصر ويل على موقفه وقال : أنا أعلم أن هذه الفزاعات  
القاتنة كانت من اختراع جد موروجان .

قالت الرانى : كان جد موروجان رجلا يدعو للاعجاب .  
غاية فى الذكاء ، وبنفس الدرجة غاية فى الانحراف  
– مواهبه عظيمة – ولكن للأسف ، يستخدمها فى الشر  
والايداء ! وأسوأ من هذا كله أنه كان مليئاً بالروحانية  
الكاذبة .

– الروحانية الكاذبة ؟ شخص ويل ببصره نحو أضخم  
نموذج للروحانية الصادقة ، ومن خلال الرائحة الأخاذة  
لمنتجات البترول استنشق رائحة خشب الصندل التى تشبه  
رائحة البخور التى ينفثها المالم الآخر . الروحانية الكاذبة؟  
وفجأة ألقى نفسه فى حالة من التعجب – وتخيل وقد  
أخذته الرعدة – على أية صورة تكون الرانى اذا هى تجردت  
فجأة من صفتها الصوفية وتعرضت عارية للضوء بكل  
ضخامتها وشحمها . والآن تخيل هذا الجسم البدين العارى  
مضروبا مرة فى ثلاثة ، ثم مرتين ، ثم عشر مرات – لقد طبق  
السيكولوجيا العملية التطبيقية بروح الانتقام !

وأخذت الرانى تكرر قولها : نعم ، الروحانية الكاذبة •  
يتحدث عن التحرر ، ولكنه - بسبب رفضه العنيد لاتباع  
الطريق الحق - يعمل دائما لمزيد من العبودية ، ويمثل دور  
المتواضع • ولكن فى قلبه كل الكبرياء - يامستر فارنبى -  
حتى لقد رفض أن يعترف بأية سلطة روحانية أعلى مع  
سلطته • السادة ، تجسد الآلهة ، والتقاليد الموروثة العظمى -  
كل ذلك ليس له عنده معنى • ومن ثم كانت هذه الفزاعات  
المخيفة • ومن ثم كان نشيد الكفر الذى تعلم الاطفال التغنى  
به • اننى حين أفكر فى هؤلاء الصغار المساكين الابرياء  
وكيف يزوج بهم عمدا على طريق الانحراف أكاد لا أطيع  
نفسى يامستر فارنبى ، وأجد •••

قال موروجان الذى كان ينظر فى قلق وبشكل واضح الى  
ساعة معصمه • اسمعى يا أمى ، اذا أردنا أن نعود على وقت  
العشاء ، فالأفضل أن ننصرف الآن •

وكان يتكلم بنغمة السلطة الجافة • وأحس بصورة  
واضحة وهو يمسك بعجلة قيادة السيارة - على الرغم من أنها  
أوستن قديمة صغيرة - انه أضخم حقا من حقيقته • وأدار  
محرك السيارة دون أن ينتظر من الرانى ردا • وزاد مع  
سرعتها تدريجا ولوح بيده ثم انطلق •

قالت سوزيلا : تخلصنا تخلصا حسنا •

- ألا تحبين مليكتك العزيزة ؟

- ان دمي يغلى منها •

وأشدد ويل : «اضربى بقدمك» ساخرا منها •

قالت : صدقت ، وهى تضحك • ولكن لسوء الحظ ليس

من المقول فى هذه المناسبة أن ترقص رقصه الراكشاشى على  
المزمار • وتألق وجهها فجأة بنار الشر ، وبغير انذار لكمته فى  
أضلعه لكمة قوية تدعو الى العجب وقالت : الآن أحس أننى  
مرتاحة •

أدارت محرك السيارة وانطلقا - هبطا الى الطريق الجانبي ، ثم صعدا الى الطريق العام الذى يقع بعيدا عن الطرف الآخر للقرية ، ثم اتجها نحو مجمع محطة التجارب • وتوقفت سوزيلا عند بيت صغير سقفه من القش ، كغيره من البيوت • وصعدا ست درجات الى الفراندة ، ثم دخلا حجرة المعيشة التى طليت جدرانها باللون الابيض •

وعلى اليسار كانت هناك نافذة متسعة علق ت بين العمودين الخشبيين الواقعين على جانبيها البارزين أرجوحة • فأشارت اليها وقالت : هذه لك ، وتستطيع أن ترفع ساقيك • ولما جلس ويل فى الأرجوحة الشبكية سأله بعد ما سحبت مقعدا من الاغصان اللينة وجلست الى جواره ، قالت : فيم نتحدث ؟

- هل نتحدث عن الخير والحق والجمال ؟

ثم ابتسم ابتسامة عريضة وقال : أم هل نتحدث عن القبح والشر وعما هو أكثر صدقا ؟

قالت وقد تجاهلت محاولته أن يتفكه : نستطيع فى ظنى أن نواصل الحديث عندما انتهينا اليه فى المرة الماضية - نتحدث عنك •

- هذا بعينه هو ما اقترحتة - القبح ، والشر ، والأصدق من كل صدق رسمى •

سألته : هل أنت تستعرض اسلوبك فى الحديث ، أم هل أنت تريد أن تتحدث عن نفسك فعلا ؟

أكد لها أنه يريد ويستमित فى ذلك فعلا « بمقدار ما أستमित فى عدم الرغبة فى حديثى عن نفسى» - ومن ثم ، كما رأيت ، كان اهتمامى الذى لايفتر بالفن ، والعلم ، والفلسفة ، والسياسة ، والأدب - أى شىء الا ما له فى النهاية أية أهمية» .

وساد صمت طويل . ثم بدأت سوزيلا تتحدث عن كاتدرائية ولز وكان ذكرها قد عادت اليها عرضا ، وعن استدعاء الغربان ، وعن الأوز العراقى الابيض الذى يسبح بين انعكاسات السحب الطافية . وبعد بضع دقائق كان هو أيضا يسبح .

قالت : كنت سعيدة جدا طوال الوقت الذى قضيته فى ولز . سعيدة بشكل عجيب . وكذلك كنت أنت ، أليس كذلك ؟

لم يحر ويل جوابا . وكان يستعيد فى ذاكرته تلك الأيام التى قضاها فى الوادى الأخضر ، قبل أن يتزوج مولى، وقبل أن يتحابا - ماأروع السكون ! وياله من عالم صلب حى بغير ديدان ، عالم الحشائش والزهور المفتحة ! حينما سرى بينهما شعور طبيعى لم تشبهه شائبة ، شعور لم يحس مثله منذ تلك الايام البعيدة وقتما كانت عمته مارى ماتزال على قيد الحياة . ذلك الشخص الوحيد الذى أحبه فعلا - ثم كانت مولى خليفة لها . أية سعادة ! لقد انتقل الحب الى مفتاح آخر - ولكن اللحن والايقاع الثرى الدقيق هو بعينه . وفى الليلة

الرابعة من مقامها طرقت مولى الجدار الذى كان يفصل بين حجرتيهما ، ووجد باب غرفتها مفتوحا الى نصفه فتحسس طريقه فى الظلام الى الفراش الذى كانت أخت الرحمة تبذل فيه الجهد لتؤدى دور الزوجة العاشقة ، وهى عارية مطمئنة الضمير . وبذلت جهدها ولكنها فشلت فشلا ذريعا .

وفجأة ، كما كان يحدث تقريبا كل مساء ، سمع رياحا عاصفة ووقع الامطار فوق الخضرة الكثيفة ، وقد كتم بعد المسافة صوت المطر - واشتد وقع الامطار المنهمرة كلما اقترب رذاذها . ومرت بضع ثوان طرقت بعدها قطرات المطر زجاج النوافذ ، كما كانت تفعل بنوافذ مكتبه فى ذلك اليوم الذى تم فيه لقاؤهما الأخير . وذكر قولها : هل تعنى حقا ماتقول ياويل ؟

آلمته الذكريات وأخجلته مما جعله يحس الرغبة فى النحيب ، وعض شفثيه .

سألته سوزيلا : فيم تفكر ؟

انه لم يكن يفكر ، بل كان يراها فعلا ، ويسمع صوتها فعلا وهى تقول : هل تعنى حقا ماتقوله ياويل ؟

ومن خلال وقع قطرات المطر رن فى اذنه ما أجاب به حينما قال : نعم أنا حقا أعنى ما أقول .

وخف صوت سقوط الامطار على زجاج النافذة - ولم يدر ان كان هنا أم هناك ، الآن أو حينذاك - وخف هبوب العاصفة حتى أمسى تمتمة وهمسا .

وأصرت سوزيلا على سؤالها : فيم تفكر ؟

– أفكر فيما فعلت بمولى •

– وما ذاك؟

لم يرد أن يجيب • ولكن سوزيلا كانت عنيدة متصلبة •

– خبرنى ماذا فعلت •

وعصفت الريح مرة أخرى بشدة حتى شخسخت النوافذ  
واشتد سقوط المطر ، وكأنه – كما ظن ويل – قد اشتد عمدا •  
وأمرت السماء بصورة تحتم عليه أن يستمر فى تذكر ما لم  
يُرد أن يذكر ، وأن يتفوه بصوت عال بأمور مخجلة يتبغى له  
أن يحتفظ بها لنفسه مهما كان الثمن •

– خبرنى •

وعلى الرغم من نفسه ، وعلى مضض ، أخبرها بما  
حدث •

– هل تعنى حقا ماتقول ياويل ؟ وبسبب بايز – نعم  
بايز ، كان الله فى عونه : صدقت أم لم تصدقى ! – كان  
فعلا يعنى مايقول ، وخرجت مولى والمطر ينهمر •

– وعندما رأيتها للمرة الثانية كانت فى المستشفى •

وسألته سوزيلا : وهل كان المطر مايزال منهمرا ؟

– نعم كان مايزال ينهمر •

– كما ينهمر الآن ؟

« تقريبا » والواقع أن ماسمعه ويل هذا المساء لم يكن  
ذلك الرذاذ الذى يسقط فى المناطق الاستوائية ، بل كان ذلك  
الطبل الذى كان يدق نافذة الحجرة الصغيرة التى كانت مولى  
تلفظ فيها أنفاسها الأخيرة •

وكان يقول لها من خلال وقع سقوط المطر « هذا أنا ،  
أنا ويل » • ولم يحدث شيء ما • وفجأة أحس بيد مولى تتحرك  
بين راحتيه حركة تكاد ألا تحس • كانت تضغط على يديه  
بارادتها ، وبعد بضع ثوان ارتخت يدها بغير ارادتها ارتخاء  
نهائيا •

– خبرني ثانية ياويل •

هز رأسه • فلقد كانت الذكرى اليمة مذلة •

وأصرت على قولها : خبرني مرة أخرى ، فتلك هي  
الوسيلة الوحيدة •

وبجهد جهيد بدأ يروي القصة البغيضة مرة أخرى • هل  
حقا كان يعنى مايقول ؟ نعم ، كان حقاً يعنى مايقول – يعنى  
الايذاء ، وربما يعنى القتل (وهل يعرف الانسان ماينوى  
حقاً ؟) • (كل شيء لبابز أو ضاعت الدنيا) ليست دنياه  
بطبيعة الحال – دنيا مولى ، وفي وسط هذه الدنيا الحياة التي  
أوجدتها • تنطفئ جذوتها من أجل تلك الرائحة العطرة في  
جناح الظلام ، ومن أجل استجابات عضلية ، من أجل متعة  
كبرى ، ومن أجل تلك المهارات التي لا حياء فيها ولكنها تسكر  
المرء وتبلغه الذروة •

– مع السلامة ياويل وانغلق الباب وراءها محدثاً طقطقة  
خفيفة حادة •

وأراد أن يسترجعها ، ولكن عشيق بابز تذكر المهارات ،  
والاستجابات ، وتذكر جسماً يفوح منه شذى العطر  
ويتأوه من فرط اللذة • تذكر كل ذلك ، ووقف عند النافذة  
يرقب السيارة وهي تشق طريقها وسط الامطار ، راقبها وهي



تدور عند الناصية وقد امتلأت نفسه بشعور الانتصار  
المشين • لقد تحرر أخيرا ! بل بات أكثر تحررا - كما تبين  
له ذلك بعد ثلاث ساعات وهو فى المستشفى - مما كان يظن -  
لانه كان الآن يحس ضغط أصابعها خفيفا فى النهاية ، ويحس  
رسالة حبها النهائية • ثم توقفت هذه الرسالة عندما ارتخت  
يدها وفجأة وبصورة مرعبة انقطعت أنفاسها • وهمس قائلا  
«لقد ماتت» ، وأحس بالاختناق • «لقد ماتت» •

قالت سوزيلا وقد قطعت صمتا طويلا : افرض انك لم  
تكن مسئولاً عن موتها ، وافرض أنها ماتت فجأة دون أن يكون  
لك دخل فى وفاتها • ألا يكون موتها فى هذه الحالة مؤسفا  
كذلك ؟

سألها : ماذا تقصدين ؟

قالت : أقصد أن الامر لا يقتصر على مجرد الشعور بالذنب  
لوفاة مولى • انما هو الموت نفسه ، والموت فى حد ذاته ، هو  
الذى تراه مروعا والآن تذكرت ديوجولد وأضافت قولها :  
انه شر لا معنى له •

كرر عبارتها «شر لا معنى له» ثم قال : نعم ، وربما كان  
هذا هو الذى حتم على أن أكون شاهدا محترفا للاعدام • لانه  
يخلو كلية من المعنى ، ولأنه وحشى للغاية • تابعت رائحة  
الموت فى الدنيا كلها من أقصاها الى أقصاها ، جسما كالنسر  
الوحشى • المرتاحون فى هذه الدنيا ليست لديهم أية فكرة عن  
أحوال العالم • ولست أقصد أحواله فى الأوقات الشاذة ،  
كأيام الحرب ، ولكن فى كل حين ، أى والله فى كل حين •  
وبينما كان يتكلم كان يرى - رؤيا مختصرة شاملة مفصلة كل

التفصيل كرؤيا الغريق - كل المناظر البغيضة التي شهدتها خلال رحلاته التي تقاضى عليها أجرا عاليا لكل جحيم وكل مجزرة تعافها النفس حتى لاتصلح للرواية . الزنوج في جنوب افريقيا ، والرجل يختنق في غرفة الغاز في سان كنتين ، والاجسام التي تكوى في بيت ريفى بالجزائر ، والجماهير في كل مكان ، ورجال الشرطة ورجال المظلات في كل مكان ، والاطفال ذوو البشرة السوداء في كل مكان ، وأصحاب الأرجل الخشبية ، وأصحاب الكروش ، والذباب فوق جفونهم القذرة ، والروائح المقززة للجوع والمرض في كل مكان ، ورائحة الموت النتنة . وفجأة ، من خلال رائحة الموت النتنة ، كان يتنفس شذى المسك الذي كانت تتعطر به بايز . يتنفسه ممزوجا ومشبعما برائحة الموت . يتنفس شذاها ويذكر فكاهته عن كيميائ المطهر والفردوس . المطهر تتراثيلين ديامين وهيدروجين كبريتيد ، والفردوس سيمترينيتير وبسيبوتيل تولوين مع بعض الشوائب العضوية المنوعة - ها - ها - ها ! (الا ما أحلى متع الحياة الاجتماعية) . ثم - وعلى حين غرة - تحل محل روائح الحب والموت رائحة حيوان نتنة - رائحة كلب .

واشدد هبوب الريح وطرقت قطرات المطر زجاج النوافذ وانتشرت على سطحه .

سألته سوزيلا : أما زلت تفكر في مولى ؟

أجاب : كنت أفكر في شيء نسيته تماما . ولا أحسب أنني جاوزت الرابعة من عمري عندما حدث ، والآن تعود الصورة الى ذاكرتي . تايجر المسكين .

سألته : من كان تايجر المسكين !

تايجر ، كلبه الاحمر الجميل • تايجر مصدر النور الوحيد فى ذلك البيت الكئيب الذى قضى فيه طفولته • تايجر المميز • وسط المخاوف والبؤس وفيما بين الطرفين ، الكره السافر لكل شىء وكل انسان من أبيه ، ورقة الشعور والتضحية بالنفس من أمه ، كان تايجر يبدي حسن النية بغير جهد ، ويظهر الصداقة تلقائيا ، يشب وينبج تعبيراً عن سرور لا يمكن كبتة ! كانت أمه تضعه فى حجرها وتحديثه عن الله وعن يسوع ، ولكن تايجر كان يحدثه عن الله أفضل مما كانت ترويه له أمه من قصص الانجيل • كان تايجر عنده هو التجسيد • وذات يوم أصاب هذا الحيوان المقدس سل الكلاب •

سألته سوزيلا : وماذا حدث بعد ذلك ؟

— سلته كانت فى المطبخ ، وكنت هناك جائماً الى جوارها • أربت عليه ، ولكن شعره يختلف فى ملمسه عما كان عليه قبل مرضه • أحسه لزجا ، وتفوح منه رائحة كريهة • ولولا أنى كنت افترط فى حبه لوليت هاربا • لم أحتمل أن أقترب منه • ولكنى أحبه ، أحبه أكثر من أى شىء وأكثر من أى انسان • وبينما كنت أربت عليه كنت أقول له انه سوف يشفى بعد قليل ، فى وقت قريب — صباح الغد • وفجأة يرتعد وأحاول أن أهدىء من رعدته فأمسك برأسه بين يدي • بغير جدوى • وتتحول الرعدة الى تقلص مريع ، وكنت أشعر بالاشمئزاز اذا نظرت اليه ، ويتملكنى الخوف — خوف شديد • وبعدئذ تهدأ الرعدة والرعدة وبعد برهة قصيرة يسكن سكونا مطلقا •

وإذا رفعت رأسه وألقيتها من يدي سقط الرأس مكانه  
ثقيلا ، كما تسقط قطعة اللحم وبدخلها عظام •

وتهدج صوت ويل ، وسال الدمع على خديه ، وأخذ يرتعد  
من النشيج كأنه طفل في الرابعة من عمره يبكي كلبه ويجابه  
حقيقة الموت المزعجة التي لا يستطيع ادراكها • ثم فى لمح  
البصر تغير مايجرى فى وعيه كالعربة تدير مفتاحها فتغير من  
سرعتها • وعاد رجلا رشيدا ، ولم يعد يسبح فى الخيال •

ومسح عينيه وتمنخط من أنفه وقال : أنا آسف ، ولكن  
هذا كان أول عهدى بالفزع الأكبر • كان تايجر صديقى ،  
وكان عزائى الوحيد • ومن الواضح أن ماحدث كان شيئا فوق  
طاقاة الفزع الاكبر • وحدث مثل ذلك مع عمى مارى -  
الشخص الوحيد الذى أحببته فعلا وأعجبت به ووثقت فيه •  
ثم أصابها الفزع الأكبر !

قالت سوزيلا : زدنى علما بما حدث •

تردد ويل ، ثم هز كتفيه وقال : ولم لا ؟ كانت مارى  
فرانسيس فارنبى الاخت الصغرى لأبى • تزوجت فى الثامنة  
عشرة من عمرها ، سنة واحدة قبل اندلاع الحرب العالمية  
الأولى ، من جندى فى الجيش العامل • فرانك ومارى ، ومارى  
وفرانك ، أى انسجام بينهما ، وأى احساس بالسعادة ! •  
وضحك ، ثم استرسل قائلا :

حتى خارج بالا يمكن أن يجد المرء هنا وهناك جزرا  
يسودها العيش الكريم ، جزرا صغيرة ، بل - ومن حين الى  
آخر - جزرا كاملة مثل تهايتى - ولكنها دائما محاطة بالفزع  
الأكبر • كانا فى شرح شبابهما يعيشان فى جزيرتهم بالا

الخاصة بهم . وذات صباح جميل فى ٤ أغسطس من عام ١٩١٤ ذهب فرانك وراء البحار فى حملة عسكرية ، وفى ليلة عيد الميلاد ولدت مارى طفلا مشوها عاش حتى شهدت أمه بعينيهما مايمكن أن يفعله الفزع الأكبر اذا حل بالانسان .  
الله وحده يستطيع أن يصنع مخلوقا بهذه البلاهة وضعف العقل . ولست بحاجة الى أن أقول ان فرانك أصيب بعد ثلاثة أشهر بشظية من قنبلة ومات متسما من جراحه . وصمت ويل قليلا ثم واصل حديثه قائلا :

حدث كل ذلك قبل عهدى . عندما عرفت عمتى مارى لأول مرة كانت فى العشرينات من عمرها ، تكرر نفسها لخدمة المسنين . المسنين فى المؤسسات ، والمسنين محبوسين فى بيوتهم ، والمسنين يطول بهم العمر وهم عبء على أبنائهم وأبناء أبنائهم – أمثال سترلد براج وتيثونس (١) . وكلما اشتد عجز العمر الذى لا رجاء فيه ، وأمعن فى نزواته وبالغ فى شكواه كان أفضل لديها . كنت فى صغرى أمقت أشدالمقت العجائز الذين كانت عمتى مارى تعنى بهم . رائحتهم كريهة ، قبحهم مخيف ، يبعثون الملل ودائما غاضبون . ولكن عمتى مارى كانت تحبهم من كل قلبها – تحبهم مهما كانت الظروف ، تحبهم على الرغم من كل شيء .

وكانت أمى تتحدث كثيرا عن فعل الخير فى المسيحية ، ولكنى لسبب ما لم أصدق ما كانت ترويه لى ، كما أنى لم أحب قط كل الاشياء التى كانت تضحى بنفسها من أجلها وهى

---

(١) أمير طروادة فى الاسطورة اليونانية أحبته الآلهة ايروس وجلبت له الخلود ولكنها لم تجلب له دوام الشباب . فلما شاخ أخذت ترعاه . ولكنها فى النهاية حولته الى جنديب – المترجم

ترغم نفسها على ذلك ارغاما - لم تكن محبة ، بل كان واجبا  
تؤديه . ولكنى لم أكن مع عمته ماري فى أدنى شك . كان  
حبها أشبه بالاشعاع الطبيعى ، شيئا يكاد يحسه المرء احساسه  
بالضوء والحرارة . وعندما كانت تأخذنى لأقيم معها فى  
الريف ، وفيما بعد عندما كانت تفد الى المدينة وأزورها كل  
يوم تقريبا ، كنت أحس كأنى أخرج من ثلاجة الى ضوء  
الشمس . كنت أحس الحياة تدب فى بدنى فى الضوء الصادر  
عنها ، فى دفئها المشع . وبعدئذ فعل الفرع الأكبر فعله .  
وكانت تتفكه به أول الأمر ، وبعد العملية الأولى قالت : أنا  
الآن أمازون (١) .

سألته : ولماذا شبهت نفسها بالأمازون ؟

- لان الامازونيات كن يبترن أئداءهن اليمنى . كن  
محاربات والثدى يقف عقبه فى الطريق وهن يطلقن السهام  
بالقسى الطويلة . وكرر عبارته (الآن أنا من الامازون)  
واستطاع بسخيلته أن يرى البسمة على وجهها الذى يشبه وجه  
النسر ، وأن يسمع بذاكرة الاذن نغمة السرور فى صوتها  
الواضح الرنان . واستطرد قائلا : وكان لابد بعد بضعة  
أشهر من بتر الثدى الآخر . وكانت بعد ذلك الاشعة السينية  
والمرض ثم الانهيار شيئا فشيئا . وارتسمت على وجه ويل  
الضراوة والقسوة ، واستطرد قائلا : لولا أن حالتها كانت  
شنيعة فوق الوصف ، لقلت ان الامر مدعاة حقا للضحك .  
انها صورة رائعة لسخرية القدر ! هنا روح يشع منه الخير  
والحب والمحبة النادرة ، ثم - ولسبب غير معروف - يحدث  
شئ من الخلل . وبدلا من أن يستهين الجسم بهذا الخلل ، نرى  
(١) الامازون فى الاساطير اليونانية امرأة طويلة قوية مسترجلة -

المترجم

أن جزءا منه يخضع للقانون الثانى للديناميكا الحرارية • ومع تدهور الجسم يفقد الروح فضيلته ، هويته الخاصة • ففارقته بطولتها ، وتبخرت منها المحبة وطيبة القلب • ولم تعد فى الشهور الاخيرة من حياتها العمه مارى التى أحبها وأعجب بها • كانت انسانا آخر ، انسانا لا يكاد يتميز عن أسوأ العجائز وأضعفهم الذين صادقتهم فى ماضيها وكانت لهم سندا قويا (وكانت هذه آخر وأروع لمسة من لمسات القدر الساخر) • لا مناص من اذلالها والخط من قدرها ، ولما بلغت أدنى درجات الخطه ، ألقى بها الى الموت فى عزلتها ، ببطء وبألم شديد •

وألح فى قوله أنها كانت فى عزلة ، لا يستطيع أحد – بطبيعة الحال – أن يعينها ، ولا يمكن لانسان أن يكون الى جوارها • ان الناس قد يقفون الى جانبك وأنت تعاني الألم أو تعالج سكرات الموت • ولكنهم فى الواقع الى جوارك فى عالم آخر • أما فى عالمك فأنت وحيد تماما • وحدك فى آلامك وفى موتك ، كما تكون وحدك فى حبك ، وحتى فى المتعة التى لا تكون أبدا الامشركة •

روائح بابز وتايجر ، ورائحة العمه مارى وهى تموت بعدما أحدث السرطان ثقبا فى الكبد وشاعت فى جسمها المهزول رائحة نفاذة عجيبة ، رائحة الدم الفاسد • ووسط هذه الروائح ، التى كان يعيها متقززا أو كالمخمور ، كان هناك شعور منعزل – شعور الطفل ، والصبى ، والرجل ، فى عزلة دائمة ، وحيدا لا سبيل الى الخروج من وحدته • ثم قال : وفوق كل شئ آخر ، لم تزد هذه المرأة فى عمرها عن الثانية والأربعين • ولم ترد أن تموت ، ورفضت أن تقبل

ماكانوا يفعلون بها • ولكن الفزع الاكبر كان لابد أن يشدها بقوته الى أسفل • وكنت هناك ، وشهدت ماحدث •

– ومن أجل ذلك كنت من الراضين ؟

ورد عليها بقوله : وهل يمكن لأى انسان الا أن يكون رافضا • الرضا تظاهر ، وتفكير ايجابى وحسب • ولكن الحقيقة الاساسية النهائية هى الرفض دائما • (لا) للروح ، (لا) للحب ، (لا) للعقل ، (لا) لأى مغزى ولأى انجاز !

هذا تايجر ملء بالحسوية ، مرح ، فيه شىء لله • ثم يتحول بفعل الفزع الاكبر الى حزمة من المهملات يأتى الطبيب البيطرى ويؤجر على ازلتها • ثم هذه العمة مارى بعد تايجر • تتكسح وتتعذب • وبعدئذ تسحل فى الوحل ، وتنحط ، وأخيرا تتحول – كما تحول تايجر – الى حزمة من المهملات • غير أن الحانوتى فى حالتها هو الذى وكل اليه ابعادها ، وقد جىء بقسيس مأجور ليوهمنا أن كل شىء على مايرام بمعنى سام وبنظرة بيكويك • وبعد عشرين عاما جىء بقسيس مأجور آخر ليكرر هذا الاجراء المعقد العجيب بعينه بجوار نعش مولى • «اذا كنت كغبرى من الناس قد قاتلت مع الوحوش فى افيسس (١) ، فأى فائدة لى من هذا اذا لم يبعث الموتى ؟ دعنا نأكل ونشرب ، لاننا فى الغد سوف نموت» •

وضحك ويل كالضبع مرة أخرى : أى منطلق صارم ، أى احساس ، وأى قواعد خلقية مهذبة !

---

(١) مدينة فى آسيا الصغرى ، وجه اليها القديس بولس رسالة خاصة بالوثام والانسجام فى الحياة الروحية – وهو تشبيه مشهور للمسيحى فى نضاله الروحى بالجندى المحارب – المترجم •



ولكنك من الراضين • فلماذا تثير أى اعتراض ؟

— أنت على حق وماكان ينبغي لى ، ولكن الانسان بطبيعته يعيش الجمال ، ويعب أن يرفض باسلوب جميل • وأشاح بوجهه ليعبر عن اشمئزاه وهو يردد قوله : دعنا نأكل ونشرب ، لاننا فى الغد سوف نموت ، وكشر فى نظرتة تعبيرا عن شعوره بالاشمئزاز •

قالت سوزيلا : ومع ذلك فالنصيحة رائعة بمعنى ما • الأكل والشرب والموت — ثلاثة مظاهر أولية للحياة العالمية غير الشخصية • الحيوانات تعيش هذه الحياة العالمية غير الشخصية دون علم بطبيعتها • وعامة الناس يعرفون طبيعتها ولكنهم لا يعيشونها ، واذا هم فكروا فيها جديا يرفضون قبولها • أما الشخص المستنير فهو يعلمها ، ويعيشها ، ويقبلها قبولا كاملا • انه يأكل ويشرب واذا جاء أجله يموت — ولكنسه يأكل وهو مكتثر ، ويشرب وهو مكتثر ، ويموت وهو مكتثر •

وسأل متهمكا : ويبعث مرة أخرى مع الموتى ؟

— هذا سؤال كان بوذا يرفض أن يناقشه • ان الاعتقاد فى حياة أبدية لم يساعد انسانا قط على العيش فى الابدية • وبطبيعة الحال لم يساعده على ذلك عدم الاعتقاد • لذلك يجب أن تتوقف بتاتا عن الادلاء بالحجج التى تؤيد أو الحجج التى تدحض (هذه هى نصيحة بوذا) وامض فى عملك •

— أى عمل ؟

— عمل كل انسان — الاستنارة • ومعناها : الآن وفى هذا المكان ، المهمة الاولى لممارسة كل أنواع اليوجا التى تزيد من وعيك •

قال ويل : ولكنى لا أريد المزيد من الوعى ، بل أريد أن  
أكون أقل وعيا • أقل وعيا بالاهوال كموت عمتى مارى ،  
والأحياء الشعبية فى رندانج لوبو • أقل وعيا بالمناظر المؤذية  
والروائح الكريهة – بل والروائح المستساغة أحيانا • وقد  
أضاف ذلك عندما تذكر رائحة الكلب وسرطان الكبد ونفحة  
الطيب التى كانت تهب عليه من الركن القرنفلى • «أقل وعيا  
بدخلى الكبير مع فقر الآخرين فقرا ينزلهم عن المكانة الانسانية  
أقل وعيا بصحتى الممتازة فى خضم من الملاريا والدوستتاريا ،  
وأقل وعيا بمتعتى الجنسية المحصنة من الامراض وسط خضم  
من الاطفال الذين يموتون جوعا • (اللهم سامحهم لأنهم  
لا يعلمون ما يفعلون) • انها نعمة ، ولكنى لسوء الحظ أعلم  
ما أفعل • ولكنى أعلمه أكثر مما ينبغى • ثم تطلبين الى بعد  
ذلك أن أكون أكثر وعيا مما أنا عليه ؟

قالت : أنا لا أطلب اليك شيئا • انما أنا أنقل اليك فقط  
نصيحة توارثها حكيم عن حكيم بدءا من جوتاما وانتهاج براجا  
العجوز • وابدأ بأن تكون على وعى تام بما تظن من تكون ،  
ان ذلك يعينك على أن تصبح على وعى بمن أنت فى الواقع •  
هز كتفيه وقال : يظن المرء أنه فذ وعجيب وانه مركز  
الكون • فى حين أنه ليس فى الواقع سوى معوق بسيط فى  
سير الانتروبيا (١) المستمر •

– هذا بعينه هو النصف الأول من رسالة بوذا • الزوال ،  
ليست هناك روح باقية ، وحزن لا مناص منه • ولكن بوذا لم

---

(١) الانتروبيا فى علم الفيزياء مقياس للطاقة فى نظام دينمى  
حرارى – لترجم •

يقف عند هذا الحد ، ولسالته نصف آخر • هذا التباطؤ المؤقت  
فى الانتروبيا هو كذلك حقيقة من الحقائق المثالية الصافية ،  
وعدم وجود الروح الباقية هو كذلك الطبيعة البوذية •

– عدم وجود الروح – هذا أمر من اليسير مجابته •  
ولكن ماذا عن وجود السرطان ، ووجود الانهيار البطيء ؟  
وماذا عن الجوع وكثرة النسل والكولونيل ديبا ؟ هل هؤلاء  
كذلك من المثالية البحث ؟

– طبعاً • ولكنى لست فى حاجة الى أن أقول انه يستحيل  
اطلاقاً على أولئك المنغمسين الى الاذقان فى أى من هذه الشرور  
أن يكشفوا عن طبيعة بوذا فى نفوسهم • ان الصحة العامة  
والاصلاح الاجتماعى شرطان مسبقان لا غنى عنهما لأى نوع  
من أنواع الاستنارة العامة •

– ولكن على الرغم من الصحة العامة والاصلاح  
الاجتماعى فان الناس يموتون • وأضاف ساخراً : حتى فى  
بالا •

– ولذلك كانت بوذية ديانا (١) من النتائج الطبيعية  
للفاهية – كل يوجات الحياة والموت لايد منها ، لكى تكون  
على وعى – حتى عند الآلام النهائية – بمن أنت فى الواقع ،  
على الرغم من كل شىء •

وسمع وقع أقدام على خشب الفرنادة ، وصوت طفلة  
ينادى «أماء !»

وردت سوزيلا : أنا هنا يا عيزتى •

---

(١) بوذية التأمل – المترجم

وانفتح الباب الخارجى على مصراعيه ودخلت الغرفة  
مارى ساروجونى على عجل .

وقالت بأنفاس متقطعة : أمى . انهم يريدونك أن  
تحضرى فوراً . ان جدتى لاكشمى . . . . . ووقع بصرها لأول  
مرة على انسان فى الارجوحة الشبكية ، فذعرت وكفت عن  
الكلام . ثم قالت : لم أكن أعلم أنك هنا .

ولوح لها ويل بيده دون أن يتكلم . وردت عليه بابتسامة  
آلية ، وعادت تقول لأمها : ساءت حال جدتى لاكشمى فجأة .  
ولايزال جدى روبرت فى محطة المرتفع العالى ، ولم يمكن  
الاتصال به تلفونيا .

– هل أتيت عدوا طوال الطريق ؟

– الا فى الاماكن شديدة الانحدار .

وطوقت سوزيلا الطفلة وقبلتها ، ثم نهضت على قدميها  
فى خفة وكأنها تتأهب لعمل ما .

وقالت : انها أم ديوجولد .

قال : هل هى ؟ . . . ؟

وصوب نظره نحو مارى ساروجينى ، ثم عاد فنظر الى  
سوزيلا . هل الموت من المحظورات ؟ وهل يجوز للمرء أن  
يتحدث عنه فى حضرة الاطفال ؟

– تريد أن تقول هل هى تموت ؟

أوما برأسه ايجابا .

قالت سوزيلا : كنا نتوقع موتها طبعاً ، ولكن ليس

اليوم ، فقد بدت اليوم أحسن حالا ثم هزت رأسها وقالت .  
لا بد أن أذهب وأكون الى جوارها حتى ان كانت فى عالم  
آخر ثم أضافت قولها : الواقع انه ليس عالما آخر تماما كما  
تظن . أنا أسفة لاننا نترك عملنا ناقصا . ولكن سوف تكون  
هناك فرص أخرى . والآن ماذا تريد أن تفعل ؟ تستطيع أن  
تبقى هنا ، وأستطيع أن أنزلك عند الدكتور روبرت ،  
وتستطيع أن ترافقنى ومارى ساروجينى .

– كمحترف لمشاهدة الاعدام .

وأجابت مؤكدة : لا ، ليس بهذه الصفة ، بل كإنسان ،  
بحاجة الى أن يعرف كيف يعيش ثم كيف يموت - بحاجة ماسة  
الى ذلك ، كشأننا جميعا .

قال : بل بحاجة الى ذلك أكثر من أغلب الناس . ولكن  
ربما كنت عائقا .

– اذا كنت تستطيع ألا تعوق نفسك فلن تكون عائقا  
لغيرك .

وتناولت يده وساعدته على النزول من الارجوحة . وبعد  
دقيقتين كانا يسيران بالعربة بعد بركة اللوتس ، وتمثال بوذا  
الضخم وهو يتأمل تحت رأس الأفعى ، والعجل الابيض ، وولجا  
البوابة الرئيسية للمجمع - وقد انتهى سقوط المطر ، وفى  
سماة خضراء ومضت السحب الضخمة كأنها ملائكة السماء -  
وناحية الغرب كانت الشمس متوهجة كأنها من الخوارق .

غروب الشمس والموت ، الموت ومن أجله كانت القبلات ،  
القبلات والميلاد ثم الموت لجيل آخر ممن يشاهدون غروب  
الشمس .

سأل ويل : ماذا تقولون لمن يأتيه الموت عندكم ؟ هل تقولون لهم ألا يزعجوا أنفسهم بالخلود ، وأن يواصلوا المسير ؟

– اذا أردت أن تضع السؤال فى هذه الصيغة ، أقول لك نعم هذا بعينه هو ما نفعل • نستمر فى حالة الوعى – هذا هو فن الموت كله •

– وأنتم تعلمون هذا الفن ؟

– أريد أن أضع الحقيقة فى صيغة أخرى • اننا نعاونهم على الاستمرار فى ممارسة فن العيش حتى وهم يموتون • أن يعرف المرء من هو فى الحقيقة ، وان يستشعر الحياة العامة غير الشخصية التى تعيش فى كيان كل منا – هذا هو فن العيش ، وهذا ما نستطيع أن نعين من يموتون منا على الاستمرار فى ممارسته – حتى النهاية ، وربما بعد النهاية •

سألها : بعد النهاية ؟ ولكنك قلت ان هذا شئ تفترضون أن من يجيئه الموت منكم لا يفكر فيه •

– اننا لانسألهم أن يفكروا فيه • انما نحن نعاونهم – اذا كان هناك شئ من هذا – على أن يمارسوه • اذا كان هناك شئ من هذا (كررت العبارة) واذا كانت الحياة العامة مستمرة بعد ما تنتهى الحياة الخاصة بالفرد •

– وهل أنت شخصيا تعتقدين أنها مستمرة ؟

ابتسمت سوزيلا وقالت : ان ما أراه أنا شخصيا ليس فى صميم الموضوع • وكل ما يهم هو ما يمكن أن يمارسه لا

شخصيا - وأنا على قيد الحياة ، وأنا أموت ، وربما وأنا من  
الأموات •

وسارت بالعربة حتى مكان أوقفها فيه وأوقفت محركها  
ودخلا القرية على الاقدام • وكان عمل اليوم قد انتهى ،  
واشتد الزحام فى الشارع الرئيسى حتى تعذر عليها المسير •

وأعلنت سوزيلا أنها سوف تواصل المسير وحدها ، ثم  
التفتت الى ماري ساروجينى وقالت لها «كونى بالمستشفى بعد  
ساعة ، لا قبل ذلك» • وخلفتهما لتشق طريقها بين جماعات  
المشاة ، وسرعان ما اختفت عن الانظار •

قال ويل وهو يبتسم للطفلة التى كانت تجاوره : انت  
الآن مسؤولة •

فأمأت يראسها جادة وأمسكت بيده وقالت : هيا بنا الى  
الميدان لنشاهد مايجرى فيه •

وسألها ويل وقد شرعا فى المسير فى الشارع المزدحم :  
- ما عمر جدتك لاكشمى ؟

أجابت ماري ساروجينى : اننى فى الواقع لا أدرى •  
ولكنها تبدو مستنة جدا • وربما كان ذلك لانها مصابة  
بالسرطان •

سألها : هل تعرفين ماهو السرطان ؟

وكانت ماري ساروجينى على علم تام به • قالت : انه  
مايحدث عندما ينسى جزء منك كل مايعلق ببقية الاجزاء ،  
ويسلك مسلك المجانين - ينتشر وينتشر كأن العالم ليس به

أحد غيره • وتستطيع أحيانا أن تعالج الأمر • ولكنه فى العادة  
يوصل الانتشار حتى يموت المصاب •

– وهذا ماجدث – كما فهمت – لجذتك لاكمى •

– وهى الآن بحاجة الى شخص يساعدها على الموت •

– وهل أمك كثيرا ماتعاون الناس على الموت •

أومأت برأسها وقالت : نعم ، انها تتقن ذلك كل

الاتقان •

– هل شهدت فى حياتك أحدا يموت ؟

أجابت مارى ساروجينى ، وقد بدت عليها الدهشة لان  
يوجه اليها مثل هذا السؤال وقالت «طبعا» وأخذت تحسب فى  
عقلها وقالت : شهدت خمسة أشخاص وهم يموتون • أو ستة  
إذا عددنا الاطفال •

– أنا لم أر أحدا قط يموت وأنا فى مثل سنك •

– عجباً !

– شهدت كلبا فقط •

– موت الكلاب أسهل من موت الناس • لان الكلاب

لايتحدثون عن الموت قبل وقوعه •

– وما هو احساسك نحو ••••• نحو من يموت من

الناس ؟

– الموت أسهل من ميلاد الاطفال • الميلاد مريع • أو على

الأقل يبدو مريعا • ولكنك يجب أن تذكر أن الميلاد لا يؤذى

أبدا • فلقد استبعدوا هنا الألم •



قال ويل : صدقت أو لا تصدقين ، أنا لم أر قط في حياتي طفلا يولدا \*

ودهشت لذلك مارى ساروجينى وقالت : أبدا ؟ حتى حينما كنت فى المدرسة ؟

وتخيل ويل ناظر مدرسته وهو بملابسه الرسمية الكاملة يقوم على تربية ثلاثمائة صبي فى ثياب سوداء ويقودهم فى رحلة الى الراقدين بالمستشفى ، وقال بصوت مرتفع : حتى حينما كنت فى المدرسة \*

— لم تر أحدا يموت ، ولم تر طفلا يولد ، كيف عرفت الحقائق ؟

قال : فى المدرسة التى كنت أذهب اليها لم نعرف الحقائق ، وكل ما عرفناه هو الألفاظ \*

نظرت اليه الطفلة ، وهزت رأسها ، ثم رفعت يدا صغيرة سمراء وضربت جبهتها ضربة لها دلالتها ، وقالت : هذا جنون ، أم هل كان معلموك أغبياء ؟

ضحك ويل وقال : كانوا مريين أصحاب العقول الجبارة يؤمنون بأن العقل السليم فى الجسم السليم ويتمسكون بتقاليدنا الغربية السامية \* والآن خبرينى ، ألم تخافى أبدا ؟

— من منظر النساء وهن يلدن ؟

— لا ، من منظر الناس وهم يموتون \* ألم يروعك هذا ؟

— وبعد لحظة من الصمت قالت : نعم روعنى \*

– وماذا صنعت ؟

– صنعت ما علموننى أن أصنع – حاولت أن أتبين أى جانب منى خاف ولماذا خاف •

– وأى جانب وجدت ؟

أشارت مارى ساروجينى بسبابتها الى فمها المفتوح وقالت : هذا • هذا الذى يقوم بكل الكلام • كان فيجايا يسميه (المتحدث الصغير) • انه يتكلم دائما عن كل شيء كريبه أذكره ، وكل شيء ضخم عجيب مستحيل أتصور أنى أستطيع أدائه • انه هو الذى يخاف •

– لماذا يخاف ؟

– فى ظنى أنه يخاف لانه لا يكف عن الحديث عن كل الامور المفزعة التى قد تحدث لصاحبه • يتحدث أحيانا جهرا وأحيانا سرا • ولكن هناك بين جنبى جانبا آخر لا يخاف قط •

– وما هو ؟

ذلك الجانب الذى لا يتكلم – انه يكتفى بأن ينظر ويصغى ويحس مايجرى فى باطنى • وأضافت مارى ساروجينى الى ذلك قولها : وهو أحيانا يرى بغتة أن كل شيء جميل حقا • لا ، لقد أخطأت • انه يرى الجمال فى كل حين ، ولكنى لا أستطيع ذلك – اللهم الا اذا نبهنى وذلك عندما يحدث فجأة • كل شيء جميل ، جميل ، جميل ، حتى قذارة الكلاب وأشارت الى عينة منها عند أقدامهما تقريبا •

ومرقا من الشارع الضيق الى السوق • وكانت الخيوط

الاحيرة من الشمس الغاربة لاتزال تسقط على برج المعبد  
المخروط ، وعلى تلك الابراج الصغيرة القرنفلية المقامة على  
سطح صالة البلدية . اما فى السوق فقد كانت هناك بوادر  
الشفق ، كما أسدل الليل ستاره فعلا تحت شجرة التين  
الضخمة . وقد أشعلت النسوة البائعات فوق الاكشاك  
المصاييح التى تدلت فى حبال عقدت على غصون الاشجار .  
وظهرت تحت ظلال الاشجار بقع لها شكلها ولونها ، ومن  
فراغ تكاد لاتراه العين برز أشخاص سمر البشرة الى الضوء  
لحظة ثم اختفوا ثانية فى الفراغ المجهول . وفى المساحات  
التي تقع بين الابنية المرتفعة رنت أصوات حديث بالانجليزية  
المختلطة بلغة أهل بالا ، كما ترددت الضحكات ، والصيحات  
ونغمات الغناء ونباح الكلاب وصياح البيغاوات . وفوق أحد  
الابراج القرنفلية الصغيرة قبعت مئنتان تصيحان بغير كلل  
نداء الانتباه والرأفة . ومن مطبخ فى العراء وسط الميدان  
هبت نكهة طعام شهى يطهى فوق النار ، نكهة البصل والفلفل ،  
والسمك المقلى ، والكمك ، والأرز المغلى - ومن خلال هذه  
الروائح القوية الطيبة هبت رائحة زكية حلوة صافية كالأثير ،  
هى رائحة أكاليل الزهر ذات الألوان المتعددة معروضة للبيع  
بجوار نافورة مياه ، وتذكر المرء بالعالم الآخر .

أحلو لك الظلام وفجأة أشعلت المصاييح التى تدلت من  
أقواس عليا فوق الرؤوس . وتلألأت عقود النسوة وخواتمهن  
وأساورهن براقه لامعة على بشرتهن المتوردة النحاسية الزيتية .  
وفى ضوء المصاييح المتدلية بدت خطوط أجسادهن وأشكالهن  
أكثر سحرا وأظهر صورة وأقوى وجودا . وفى محاجر العيون  
وتحت الأنوف والأذقان اشتد عمق الظلال . وبرزت النهود

الصغيرة وقد شكلها الضوء والظلام ، وظهرت الخطوط  
والتجاعيد واضحة في أوجه المعجزة .

• وسارا بيدين متشابكتين وسط الزحام .

وحيت ماري ساروجيني امرأة نصف ، ثم اتجهت نحو  
ويل وسألته : هل أنت ذلك الرجل الذى وفد من الخارج ؟

وأكد لها أنه من الخارج من كل جانب من جوانبه  
تقريبا .

وحدقت فيه لحظة فى صمت ، ثم ابتسمت له مشجمة  
وربتت على خده .

• قالت : كلنا فى غاية الأسف لك .

وانطلقا ، حتى بلغا حاشية مجموعة من الناس تجمعت  
عند سفح درجات المعبد لتستمع الى شاب يعزف على آلة  
موسيقية طويلة الرقبة تشبه العود ويغنى بلغة بالاء . وكان  
يعزف نغما متلاحقا مرة ، متقطعا كزقزقة الطير مرة أخرى ،  
وينتهى بنغمة عالية قوية بهيجة فى أعقابها صيحة • وتضحك  
الجماهير • ويتلو ذلك بعض الفواصل الموسيقية وبيت أو  
بيتان من النشيد ، ثم يضرب المغنى ضربته الأخيرة على الوتر •  
وردد الحاضرون صياح الاستحسان وعلت ضحكاتهم وأخذت  
جماعة منهم تعلق على ما سمعت بعبارات غير مفهومة •

سأل ويل : ماذا يعنى كل هذا ؟

أجابت ماري ساروجيني : انه نشيد للبنين والبنات  
وهم يتزاوجون •

وأحس بريبة المذنب ، ولما تطلع الى وجه الفتاة المطمئنة

أدرك أنه لم يكن ثمت داع لقلقه • إذ كان من الواضح أن  
تزاوج البنين والبنات أمر مسلم به تماما كالذهاب الى المدرسة  
أو تناول ثلاث وجبات كل يوم ، أو الموت •

واستمرت ماري ساروجيني في حديثها قائلة : ان  
ما أضحكهم هو قوله ان بوذا المستقبل لن يغادر منزله ليجلس  
تحت شجرة بوذي ، فسوف تأتيه الاستنارة وهو في فراشه مع  
الاميرة •

سألها ويل : وهل تظنين هذه فكرة حسنة ؟

أومأت برأسها مؤكدة وقالت : ومعنى ذلك أن الاميرة  
سوف تستنير كذلك •

قال ويل : أصبت كبد الحقيقة ، واني باعتباري رجلا  
لم أفكر في الأميرة •

وضرب العازف على أوتار العود ضربات متلاحقة عجيبة ،  
أتبعها بنغمات متموجة وشرع يغنى بالانجليزية هذه المرة ،  
وأنشد :

الكل يتحدث عن الجنس  
لا تأخذهم مأخذ الجسد  
مومسا كانت أم راهبا  
بولس كان أم فرويد  
إذا أنت أحببت  
استحالت شفتاك  
واستحال ثدياها بمعجزة

الى طبيعتهما  
الى الصورة المثلى  
والفراغ المطلق

وانفتح باب المعبد على مصراعيه . وهبت رائحة البخور  
ممتزجة بروائح البصل والسماك المقلى من حولهم . وبرزت  
امرأة عجوز وفي حذر شديد أحنث ظهرها المهتز وهى ترقى  
درجة بعد درجة .

وسألته مارى ساروجينى وهما يتأهبان للمسير : من هو  
بولس ، ومن هو فرويد ؟

وقص لها قصة الخطيئة الأولى وقصة الخلاص . وأصغت  
اليه الفتاة باهتمام مركز .

وعلقت بقولها : اننى لا أدهش لما جاء فى الأغنية ، بالأ  
نأخذهما مأخذ الجد .

قال ويل : 'ونأتى بعد ذلك الى الدكتور فرويد ونظرية  
مركب أوديب .

قالت مارى ساروجينى : أوديب (١)؟ هذا اسم استعراض  
للمرائس . شهدته فى الاسبوع الماضى ، وسوف يعرضونه مرة  
أخرى هذا المساء . هل تحب أن تشاهده ؟ انه لطيف .

قال : لطيف ؟ لطيف ؟ كيف تقولين عنه ذلك ، وقد تبين

---

(١) أوديب فى أساطير اليونان ، بطل طيبة ، قتل أباه لايرس  
وتزوج أمه جو كاستا دون علم منه ، ولما عرف الحقيقة فيها بعسء فقأ  
عينيه وانحرت أمه وظل هائما على وجهه يكفر عن خطيئته التى أنزلت  
النقمة بطيبة ، وبأبنائه حتى مات فى كولونا - المترجم .

إن المرأة العجوز هي أمه وقد شنقت نفسها ، وفقاً أوديب  
عينيه ؟

قالت ماري ساروجيني : ولكنه لم يفتق عينيه •

— بل لقد فعل في البلد الذي وقدت منه •

— ليس هنا • انه يقول فقط انه سوف يفتق عينه ، وهي  
تقول انها تحاول فقط أن تشنق نفسها • وقد تم انقاذهما  
بالحديث مع كل منهما •

— من فعل ذلك ؟

— فتى وفتاة من بالا •

سأل ويل : كيف تدخل في الامر ؟

— لست أدري • ولكنهما هناك • نحن نسمى المسرحية  
هنا (أوديب في بالا) • ولذلك كان وجودهما لا بد منه •

— تقولين انهما تحدثا الى جوكاستا وأنقذاها من الانتحار ،  
والى أوديب وأنقذاه من أن يعمر نفسه ؟

نعم ، وفي الوقت المناسب • وكان ذلك عندما لفت الحبل  
حول رقبتها ، وعندما أمسك بدبوسين ضخمين • ولكن الفتى  
والفتاة من بالا قالوا لهما ألا يتصرفا تصرفاً أحمق • والأمر  
كله لم يكن سوى مصادفة • فهو لم يعرف أن الرجل العجوز  
أبوه • ومع ذلك فإن الرجل العجوز هو الذي بدأ بالمدوان  
وضربه على رأسه فأفقد أوديب صوابه — ولم يكن أحد قد  
علمه رقصة راكشاسى على الزمار • ولما نصبوه ملكاً تزوج  
الملكة العجوز — وهي فى الحقيقة أمه ، ولكن كليهما لم يكن  
على علم بذلك • وبطبيعة الحال كل ماكان ينبغي لهما عمله

عندما عرفا الحقيقة أن يتخليا عن الزواج • وقصة زواجه  
بأمه كانت سببا في أن يموت كل انسان بفيروس - كل هذا  
هراء ، اخترعه قوم أغبياء كان علمهم محدودا •

- ولقد ظن الدكتور فرويد أن كل الأولاد الصفار  
يريدون فعلا أن يتزوجوا من أمهاتهم ويقتلوا آباءهم • والأمر  
على عكس ذلك مع البنات - انهن يردن أن يتزوجن من  
آبائهن •

سألت ماري ساروجيني : أى الآباء وأى الأبناء ، عندنا  
الكثير منهم •

- تقصدين فى نادى التبني المتبادل •

- فى نادينا اثنان وعشرون منهم •

- الأمان فى كثرة العدد ؟

- ولكن أوديب المسكين لم ينتم الى ناد من هذه النوادي •  
ثم انهم - فوق ذلك - علموه تلك الحكايات المريعة التى تروى  
غضب الآلهة على الناس كلما ارتكبوا خطأ من الأخطاء •

وشقا طريقيهما فى الزحام حتى بلغا ساحة سورت  
بالجبال بها مائة أو يزيدون من المشاهدين الذين استوا على  
مقاعدهم • وفى أقصى الساحة لمحا مقدمة خشبية زاهية اللون  
فى حمرة ذهبية تتألق فى ضوء مصابيح قوية سلطت عليها ،  
هى مقدمة مسرح العرائس • وأخرج ويل حفنة من قطع  
النقود الصغيرة كان قد أعطهاها اياه الدكتور روبرت ودفع  
بمن تذكرتين • ودخلا ثم جلسا فوق مقعد أعد لشخصين •

دق الناقوس وارتفع ستار المسرح الصغير فى غير جلبة،



ووقعت عيونهما على أعمدة بيضاء قائمة على أرض خضراء ،  
تشكل واجهة قصر طيبة الملكى ، وظهر تمثال لاله من آلهة  
اليونان له شعر كث فى خديه جالسا وسط سحابة تعلو المثلث  
الذى أقيم فى أعلى واجهة المبنى . ومن اليمين دخل قسيس  
شبيه بالاله تماما الا أنه أصغر حجما وأقل فخارا فى رداءه ،  
وانحنى للمشاهدين ثم اتجه صوب القصر وصاح بصوت  
كصوت المزمار لايتفق بتاتا مع اللحية المهيبة للقسيس بصورة  
مضحكة ، صاح قائلا : «أوديب» ودقت الطبول ايذانا بانفتاح  
الباب للملك القادم متوجا ينتعل حذاء يبلغ منتصف الساق  
كان يلبسه ممثلو التراجيديا اليونانية ، وحياء القسيس  
بانحناء الاحترام ، ثم سمح الملك الدمية له بالكلام .

قال صاحب الصوت المزمارى : استمع الى مآسينا .  
أطرق الملك برأسه وأصغى .

قال : انى أسمع أنات الرجال على فراش الموت ، وأسمع  
عويل الأرامل ، ونحيب من فقدوا أمهاتهم ، وتمتمة دعاء  
وتضرع .

قال الاله المتلفع بالسحاب : تضرع ! حياكم الله . وربت  
على صدره .

قالت مارى ساروجينى هامسة : أصابهم فيروس ، كالحمى  
الآسيوية ، بل وأسوأ منها .

قال القسيس متبرما بصوته الرفيع : انتنا لانكف عن  
الابتهال ، ونقدم الضحايا الثمينة ، كلنا أطهار ، نكفر عن  
خطايانا بتعذيب أنفسنا أيام الاثنين والاربعاء والجمعة .

ولكن طوفان الموت يزداد انتشارا ويزداد عدد الموتى يوما بعد يوم .  
• أعنا أيها الملك أوديب ، أغنا .

– الله وحده يعين .

صاح الاله المعتلى : حياك الله ، حياك الله .

– ولكن كيف ؟

– الله وحده يملك القول .

قال الاله بصوته العميق : صحيح ، صحيح تماما .

– لقد ذهب كريون شقيق زوجتى الى العرافة يستشيرها .  
وعندنا يعود – ولا بد أن يعود على عجل – سوف نعرف ماتنصح  
به السماء .

وصححه صاحب الصوت العميق قائلا : بل ماتأمر به  
السماء .

ضحك المشاهدون وسالت ماري ساروجينى : هل كان  
الناس حقا بكل هذه الحماسة ؟

قال لها ويل مؤكدا : حقا وصدقا .

وبدأ الفونوغراف يعزف نشيد الموتى .

ومن اليسار الى اليمين سار على خشبة المسرح فى بطء شديد موكب الشاكلين فى ثياب الحداد يحملون النعوش المكسوة بالملاءات .  
دمية بعد دمية ، وما أن اختفت المجموعة جهة اليمين حتى عادت ثانية من اليسار .  
وكأن الموكب بغير نهاية وجثث الموتى بغير حصر .

قال اوديب وهو يشهد مرور الموكب : هذا ميت ، وهذا ميت ، آخر ، وآخر ، وآخر ، وآخر .

قال صاحب الصوت العميق : هذا درس لهم • كل انسان  
يتحول الى شىء تافه !

واستمر اوديب فى كلامه فقال :

نعش الجندى ، ونعش البغى

والطفل فى برودة الصخر

ينضم الى ثديين لم يرضعا

يحسان ألما خفيفة

والشابة فى هلع تنصرف

عن الوجه الاسود المنتفخ

الذى كان فيما مضى

يرفع الرأس عن الوسادة يفضضها بنوره القمر

متلهفا للقبل

ماتوا ، كلهم ماتوا

يبكيهم من من بعدهم يموتون

ويحملهم من حكم عليهم بالفناء

ويخطى ثقيلة يسرون

الى حديقة من أشجار السرو

وهناك تستقبلهم حفرة عميقة

ومنهم تفوح الروائح الكريهة

فى وجه القمر •

وبينما كان يتحدث دخلت من ناحية اليمين دميثان

أخريان ، فتى وفتاة ، فى أبهى حلة بالية ، واتجها الى الناحية

الأخري نحو الشاكلين فى ثوب الحداد ، ووقفا بذراعين  
متشابكتين على خشبة المسرح على يسار الوسط بقليل .

وما ان انتهى أوديب من كلامه حتى قال الفتى :

— ولكننا نحو الحدائق الوردية نسير

وهناك يتلى هراء من طقوس الرؤيا

يبعث فى الأذهان

من جلود ممسوسة

ولحم يذوب

الأبدى الموجود فى كل الوجود .

ومن الفضاء الاعلى دمدم صاحب الصوت العميق سائلا :

وماذا عنى ؟ الظاهر أنكم نسيتم أننى من العالم الآخر

الكامل .

وواصل الموكب الحزين الذى لا يكاد ينتهى مسيره نحو

المقابر . والآن سكت المترنمون بنشيد الموت ، وخفت الموسيقى

فلم تسمع الا نغمة واحدة من البوق والطبل ، واستمرت الى

ما لا نهاية . ورفع الفتى يده وقال :

— أنصتوا ! هذا اللحن الرتيب . هذه النغمة الموسيقية

المتكررة . وأخذ الشاكلون يرددون سويا على آلات غير

منظورة .

— الموت ، الموت ، الموت ، الموت . . .

قال الفتى : ولكن الحياة تعرف أكثر من نغمة واحدة .

وقاطعته الفتاة بقولها : الحياة تستطيع أن تغنى بصوت

عال وصوت منخفض .

– وهذا النغم الرتيب الذى لاينتهى ، نغم الموت ، يجعل  
الموسيقى أكثر غنى .

قالت الفتاة : نعم أكثر غنى .

وشرع الصادح والثلاثى يتغنون غناء شجيا .

وأخذ اللحن الرتيب والغناء يخفتان تدريجا حتى انتهيا  
الى الصمت . اوختفى آخر الثاقلين وأوى الفتى والفتاة الى  
ركن قصى يستطيعان فيه أن يتبادلا القبلات ، دون أن يزعجهما  
أحد .

ودقت الطبول مرة أخرى ، ودخل كريون (١) ، بدينا  
يرتدى سترة قصيرة ضيقة ، قادما لتوه من دلفى ، وفى جعبته  
كثير من اجابات الكهان . ودار الحديث لبضع دقائق بين كريون  
وأوديب بلفغة أهل بالا ، وقامت مارى ساروجينى بدور  
المترجم .

– يسأل أوديب ماذا قالت الآلهة ، ويرد الآخر ان ماقالته  
الآلهة هو أن كل ماحدث يرجع الى أن رجلا ما قتل الملك  
المجوز ، الملك الذى سبق أوديب . ولم يستطع أحد أن يلقى  
القبض عليه ، وهو مايزال حيا فى طيبة ، وهذا الفيروس  
الذى يفتك بالناس جميعا أرسلته الآلهة نوعا من أنواع  
العقوبة – هذا ماروى كريون عما قيل له . ولست أدرى لماذا  
يجازى كل هؤلاء الناس الذين لم يعتدوا على أى أحد ، ولكن  
هذا ماقال ان الآلهة قد أفضت به اليه . ولن يخفى الفيروس  
حتى يقبضوا على الرجل الذى قتل الملك المجتوز ويطرده

(١) فى قصة أوديب الاغريقية هو شقيق جوكاستا الذى حكم طيبة  
بعد نفى أوديب – المترجم .

من طيبة • ويقول أوديب - طبعاً - انه سوف يقوم بكل  
شئ بمستطاعه ليعثر على الرجل ويتخلص منه •  
وشرع الفتى يلقي خطاباً من الركن الذى أوى اليه -  
وكان الخطاب هذه المرة بالانجليزية :

هذا الاله

الذى يكون على حقيقته  
عندما يكون غامضاً متسامياً  
يتكلم هراء غير ربانى  
حينما يكون واضح الكلام •  
فى غضبة الأسد يقول  
المخطيئة سبب الوباء  
وعليكم يكون الندم  
ونقول : هذه قدارة فاكسحوها •

وضحك المشاهدون ، وفى أثناء ذلك ظهرت مجموعة  
أخرى من الشاكليين من الجانبين وعبرت المسرح فى بطء  
شديد •

قالت الفتاة : كارونا ، الرافة • ان معاناة الاغبياء  
واقعية كأية معاناة أخرى •

وأحس ويل بلمسة على ذراعه ، وتلفت واذا به ينظر الى  
الوجه العابس الجميل ، وجه موروجان •

قال موروجان غاضباً «كنت أبحث عنك فى كل مكان»  
وكان ويل قد أخفى نفسه عمداً لاشئ الا لكى يفضيه •

ورفع صوته فى الكلام فالتفتت اليه رؤوس كثيرة ، ونادى بعضهم يطلب الصمت .

واستمر الصبى فى تدمره بغض النظر عن صياح الاحتجاج وقال : لم أجدك عند الدكتور روبرت ، ولم أجدك عند سوزيلا .

– الصمت ، الصمت . . .

وصاح صاحب الصوت العميق صيحة عالية من بين السحب التى كانت تحيط به وقال : «الصمت !» وأضاف متضجرا : ان الأمور تتأزم والهكم لا يستطيع أن يسمع حديث نفسه .

قال ويل وقد اشترك بضحكه مع الضاحكين : حسنا ، حسنا . ونهض قائما وهرع الى باب الخروج يتبعه موروغان ومارى ساروجينى .

سألته مارى ساروجينى : ألا ترى النهاية . ثم التفتت الى موروغان وقالت فى نفمة التائب : كنت تستطيع أن تبقى .

قال موروغان فى اقتضاب : كونى فى حالك .

ووضع ويل احدى يديه على كتف الطفلة وقال : لحسن الحظ ان روايتك للنهاية كانت من الواضح بحيث لم أرد أن أشهدا بعينى رأسى . ثم أضاف متهكما : وبالطبع صاحب السمو يجب دائما أن يكون فى المحل الأول .

واستل موروغان ظرف خطاب من جيب البيجاما الحريرية

البَيْضَاءُ التي كانت تخطف عينَ الممرضة الصغيرة وسلمها لويل  
قائلا : هذه الرسالة من أمي • وهي عاجلة \*

وعلقت ماري ساروجيني وهي تشم عير خشب الصندل  
الحلو الذي كان يفوح من رسالة الراني ، وقالت : ما أحلى  
رائحتها !

وفض ويل الرسالة وهي من ثلاث ورقات في زرقعة  
السماء مزينة بخمس نجوم زهراء من اللوتس ذهبية اللون  
تحت تاج ملكي • ما أكثر الكلمات التي تحتها خط ، وما أكثر  
الكلمات التي كانت مخطوطة بحروف التاج ! وشرع يقرأ :

لقد كان صوتي الضعيف ياعزيزي فارنبي على حق -  
كفادته ! قيل لي مرارا وتكرارا عن الدور الذي قدر لصديقنا  
المشترك أن يؤديه لبالا الصغيرة المسكينة و (عن طريق المعونة  
المالية التي سوف تسمح له بالآ بالاسهام بها للحملة الصليبية  
الروحية) للعالم أجمع • ولذلك لم تكن مفاجأة لي عندما قرأت  
البرقية (التي وصلت منذ بضع دقائق عن طريق باهو المخلص  
وزميله في السلك السياسي في لندن) ان اعلم ان اللورد «أ»  
قد أعطاك السلطة الكاملة (والتي تخول لك من غير شك) في  
أن تتفاوض نيابة عنه - نيابة عنا ، لان مصلحته هي مصلحتك  
ومصلحتنا (لاننا جميعا صليبيون كل بطريقته الخاصة)  
ومصلحة الروح !!

وليس وصول برقية اللورد «أ» هو النبا الوحيد الذي أنهيه  
اليك • فالحوادث (كما علمنا اليوم مساء من باهو) تسير على  
عجل نحو نقطة التحول الكبرى في تاريخ بالآ - تسير على  
عجل أكثر مما ظننت من قبل أن يكون في حدود الامكان •



ولأسباب بعضها سياسى. (الحاجة الى تعويض الانهيار الذى أصاب حديثا شعبية الكولونيل «د») وبعضها اقتصادى (أعباء الدفاع أثقل من أن تتحملها رندانج وحدها) وبعضها فلكى (يقول الخبراء ان هذه الايام مواتية بصورة فذة لمغامرة مشتركة يسهم فيه الحمل (أنا وموروجان) وذلك النموذج للعقرب ، الكولونيل «د» ) تقرر التعجيل بالاجراء الذى كان محدها له أصلا ليلة خسوف القمر فى نوفمبر القادم . ولما كان الامر كذلك فانه من الضرورة بمكان لثلاثتنا هنا أن نجتمع بغير ابطاء لكى نقرر مايجب عمله ، فى هذه الظروف الجديدة سريعة التغير ، لكى ننهض بمصالحنا الخاصة - المادية والروحية - ان (الصدفة) المزعومة التى أتت بك الى شواطئنا فى أشد اللحظات حرجا فى هذا الزمن كانت - كما يتبين قطعا لك - الهية بصورة واضحة . وبقى علينا أن نتعاون كصليبيين مخلصين مع تلك القوى المقدسة التى تناصر قضيتنا بصورة لا لبس فيها . لذلك لايد أن تحضر فورا . وموروجان عنده عربية يحضرك بها الى بيتنا المتواضع ، حيث تلقى بالتأكيد ياعزيزى فارنبى استقبالا حارا جدا من المخلصة لك فاطمة ر .

طوى ويل الأوراق الثلاث العطرة الزرقاء التى خطت فيها الرسالة وأعادها الى الظرف . ولم يرتسم على وجهه أى تعبير ، ولكنه كان يخفى وراء هذا القناع من اللامبالاة غضبا شديدا . غضب لهذا الفتى سىء الخلق المائل أمامه ، فاتنا فى بيجماتته الحريرية البيضاء ، كريها فى سخفه المدلل ، وغضب عندما شم من الخطاب نغمة أخرى لتلك المرأة الهمجية البشعة التى بدأت بافساد ابنها باسم محبة الام وظهادة النفس ، وهى

الآن تحته باسم الله وباسم جماعة من الاسباد الواصلين لكى يصبح صليبييا روحانيا يرمى القنابل تحت راية جو الديهايد التى تفوح برائحة البترول . وغضب - فوق هذا وذاك - من نفسه لانه تمادى فى مشاركته لهذا الزوج السخيف الخبيث فى مؤامرة - الله وحده يعلم مقدار دناءتها - ضد الاصول الانسانية التى لم يمنعه قط رفضه لما يشيع بين الناس من الايمان بها والتحرق شوقا اليها .

قال موروجان بنغمة تظاهر فيها بالثقة : هل ننصرف الآن ؟ وكان واضحا أنه يفترض أن من المبادئ المسلم بها أن فادأمة ر . حينما تصدر أمرا كانت الطاعة بالضرورة واجبة بغير تردد .

أحس ويل أنه بحاجة الى بعض الوقت تبرد فيها حرارة الغضب فلم يسارع بالرد عليه . بل أشاح بوجهه لكى يشاهد الدمى التى ابتعدت عنه الآن . وكانت جو كاستا وأوديب وكريون يجلسون على درجات سلم القصر ينتظرون فيما يبدو وصول تيريسياس ( ١ ) . وفى أعلى ظهر صاحب الصوت العميق وقد أخذته سنة من النوم . كما كانت مجموعة من الثاكلين المتشعحين بثوب الحداد تعبر المسرح . وعلى مقربة من أضواء مقدمة المسرح بدأ الفتى البالى يلقي خطابا فى شعر منشور :

الضياء والرافة -

أمران بسيطان بساطة يعجز عنها التعبير .

وهذه البساطة لبثت جيلا بعد جيل

---

(١) كاهن فى الأساطير اليونانية كفيف البصر عاش فى طيبة . وقد عوضه زيوس عن فقدان بصره بالقدرة على التنبؤ - المترجم .

بانتظار الحيل الفكرية  
التي تعرف الواحد فى المتعدد  
وان كل شىء هنا حاضر  
• وأن الحقيقة مستترة فى الخيال •  
انتظرت ولاتزال تنتظر  
فى تيه من العبث  
وفى غموض شديد  
يتشابكان بغير تمييز —  
النزوة تختلط بالمحبة  
والصدق بوظيفة الكلية  
والجمال فى الطعام المهضوم  
• والصفراء ، والسائل المنوى •  
واسم الله مع الطعام  
واسم الله مع غياب الطعام  
أو رنين الاجراس  
وهى تدق فجأة  
دقة ، دقتين ، ثلاث دقات  
فى آذان مصفية

وضرب العازفون على أوتار القيثارة ، ونفخ النافخون  
أنفاساً طويلة فى المزمار •

وقال مروجان مرة أخرى : هل ننصرف الآن ؟

ولكن ويل رفع يده ليسكته • وتحركت الى وسط المسرح  
الفتاة الدمية وهى تغنى

ثلاثة مليارات من خلايا المخ  
من الداخل الى الخارج  
ذلك هو الفكر  
وبلايين من أشواط ألبليارد  
تحدد للانسان ايمانه وشكه  
الايمان عندى تصادم بينها  
والمنطق عندى انزيم لديها  
والادريينالين القرنفلى رؤياى  
والادريينالين الابيض جرائمى  
أنا التنظيم المحسوس  
لعشرات من حركاتها  
وكل ذرة فى وحدتها  
تنبىء بالضرورة من آكون

نفد صبير موروجان فأمسك بويل من ذراعه وقرصه  
قرصة قوية ، وصاح قائلا : هل أنت آت ؟

والتفت اليه ويل غاضبا ، وجذب ذراعه ليخلصها من  
قبضة الفتى وقال له : ما هذا الذى تصنع بى ، أيها الأحمق  
الصغير ؟

وشعر موروجان بشىء من الخوف فغير من نعمته وقال :  
أردت أن أعرف هل أنت مستعد للذهاب الى أمى ؟

أجابه ويل : لست مستعدا ، ولن أذهب .  
وصاح موروجان بنغمة تنم عن دهشة بالغة وقال :  
- كيف لاتذهب ، وهى بانتظارك ، وهى ...  
- قل لأمك اننى آسف وعندى موعد سابق مع انسان  
يحتضر .

- ولكن الامر غاية فى الاهمية .  
- وكذلك الموت .

وأخفض موروجان صوته وقال همسا : ان شيئا ما  
يحدث .

ومن خلال ضجيج الزحام المضطرب صاح ويل : أنا  
لا أستطيع أن أسمعك .

وتلفت موروجان حوالياه وجلا ، ثم خاطر برفع صوته  
قليلا وقال : ان شيئا ما يحدث ، شيئا خطيرا .  
وبالمستشفى شىء يحدث أشد خطرا !

وبدأ موروجان يتكلم وقال : لقد سمعنا لتونا .. ثم  
تلفت حوالياه مرة أخرى ، وهز رأسه ، وأكمل العبارة قائلا :  
لا ، أنا لا أستطيع أن أخبرك بالأمر هنا . ولذلك لا بد لك أن  
تأتى الى المنزل . الآن . ليس لدينا وقت نضيعه .

ونظر ويل الى ساعته وردد عبارته : ليس لدينا وقت  
نضيعه ثم التفت الى مارى ساروجينى وقال : لا بد من الذهاب  
نضيعه . ثم التفت الى مارى ساروجينى وقال : لا بد من  
الذهاب .

أى الطرق نسلك ؟

قالت : سأريك وانطلقا بأيد متشابكة .

وقال موروغان متوسلا : مهلا ، مهلا ! ولما توقف ويل  
ومارى ساروجينى عن المسير شق طريقه فى الزحام ليلحق  
بهما . وصاح فى أعقابهما : ماذا أقول لها ؟

وقد كان مايدا على الصبى من فزع مذلا له بصورة تدعو  
الى الضحك . وتغيرت حال ويل من الفضب الى التفكه ، وضحك  
ضحكة عالية ، ثم توقف عن المسير وسأل : ماذا تقولين لها  
يامارى ساروجينى ؟

قالت الطفلة : أقول لها ماحدث بالضبط . أقصد لو  
كانت أمى . وبعد اعادة التفكير قالت : ولكن الرانى ليست  
أمى . وتطلعت الى موروغان وسألته : هل تنتمى الى ناد من  
نوادى التبني المتبادل ؟

وطبعا لم يكن موروغان ينتمى الى أى ناد منها . كما كانت  
فكرة هذه النوادى عند الرانى من الكفر . لأن الله وحده هو  
الذى يجعل المرأة أما . وأرادت هذه الصليبية الروحانية أن  
تكون وحدها مع هذه الفريسة التى أعطاها الله اياها .

هزت مارى ساروجينى رأسها وقالت : ليس لك ناد ، هذا  
أمر مريع ! لو كان لك ناد لذهبت الى احدى أمهاتك ومكثت  
معها بضعة أيام .

وتملك الرعب قلب موروغان عندما خطر له أنه سوف  
ينهى الى أمه الوحيدة نبأ فشله فى مهمته ، وفى حالة هستيرية  
عاد الى الموضوع بصيغة أخرى ، وظل يردد قوله : لست أدري  
ماذا تقول .

قال له ويل : هناك وسيلة واحدة تعرف بها ماذا سوف  
تقول . اذهب الى بيتك واستمع .

وتوسل اليه موروجان أن يرافقه وشدده قبضته على ذراع  
ويل \*

قال ويل : قلت لك لا تمسنى \* فسحب يده القابضة فورا \*  
وابتسم ويل مرة أخرى \* ورفع عصاه مشيرا بها للوداع  
وقال : خيرا فعلت \* طبت مساء يا صاحب السمو \* ثم التفت  
الى مارى ساروجينى وقال بروح مرححة : أرنى الطريق  
ياماك فيل \*

وسألته مارى ساروجينى : هل كنت تتصنع أم هل كنت  
غاضبا فعلا ؟

وأكد لها أنه فعلا غضب وصدقا \* ثم تذكر ماشهده فى  
جيمنازيوم المدرسة \* ودمدم بالنغمات الأولى لأغنية راكشاسى  
المزمارية ، وضرب على الرصيف بمصاه ذات الطرف الحديدى \*  
قال : هل كان ينبغى لى أن أضرب بقدمى \*

— ربما كان أفضل \*

— هل تظنين ذلك ؟

— سوف يمقتك بعد ما يتخلص من الرعب الذى تملكه \*

هز ويل كتفيه ، مستهينا الى أقصى حد \* ثم أخذ الماضى  
يتراجع والمستقبل يقترب وهما يبتعدان عن قوس المصابيح  
التي كانت تضىء السوق ويصعدان الشارع المظلم شديد  
الانحدار الذى يتلوى حتى المستشفى ، وعندئذ بدأت تتغير  
حالته النفسية \* قال لها : أرنى الطريق ياماك فيل — ولكن  
الى اين يتجه الطريق ، ومن اين يبتعد ؟ انه يتجه نحو مظهر  
آخر من مظاهر الفزع الأكبر ويبتعد عن كل أمل فى الاستمتاع

بسنة التحرر التي وعده بها جو الديهايد والتي كان من  
الميسور (لأن بالا كان محكوما عليها بالهلاك على اية حال)  
وليس من الخيانة ولا مما يتنافى مع الأخلاق أن يظفر بها .  
ولا يعتمد عن الأمل في الحرية فحسب ، بل ربما يعتمد كذلك  
عن أى رجاء فى أجر عال يتقاضاه نظير استعباده كمراقب  
محترف للاعدام ، اذا شكت الرانى لجو واذا سخط عليه جو  
بخطا شديدا ، فهل يعود ، هل يحاول أن يجد موروجان ، ويقدم  
له الاعتذار ويقبل ما تأمره به تلك المرأة المريفة ؟ وعلى بعد  
مائة ياردة فى أعلى الطريق بدت له أضواء المستشفى وهى  
تتألأ بين الأشجار .

قال : دعنا نسترح لحظة .

سألته ماري ساروجيني جرعة : هل أنت متمب ؟

— قليلا .

وتلفت الى الوراء واستند على عصاه وألقى على السوق  
نظرة . وفى ضوء قوس المصابيح تألقت صالة البلدية باللون  
القرنفلى كأنها جرعة ضخمة من شراب التوت . وفوق قمة  
برج المعبد رأى مجموعة من التماثيل الهندية فى ترتيب  
فوضوى الى آخر حد وقد علا بعضها بعضا فوق الافاريز —  
أفيال ومجموعة من البوذيساتافا ، والعفاريت ، وبناات  
بخارقات للطبيعة ذوات نهود بارزة وأرداف ضخمة ، ومجموعة  
من تماثيل شيفا وهى تطفر مرحا ، وصفوفا من بوذات سبقت  
وبوذات المستقبل هادئة منتشية . وفى أسفل المساحة التى  
تقع بين صالة البلدية وهذه التماثيل الميثولوجية ، كان  
جمهور من الناس يتزاحم ، وظهر بين الزحام وجه عابس  
وبيجاما بيضاء من الساتان . فهل يعود ؟ ربما كان ذلك هو



التصرف الصحيح ، الآمن ، الحكيم • ولكن صوتا باطنيا -  
وليس صوتا ضعيفا كصوت الرانى ، ولكنه صوت جهير صاح  
به «قذارة ! قذارة !» هل هو الضمير ؟ كلا • الاخلاق ؟ لا قدر  
الله ! انما قذارة زائدة ، وقبح ، وانحطاط لايرضاها ندام  
الواجب - هذه أشياء لايمكنه كرجل صاحب ذوق أن يسهم  
فيها •

قال لمارى ساروجينى : هل نواصل السير ؟

ودخلا دهليز المستشفى ، وكانت لدى الممرضة الجالسة  
عند المكتب رسالة من سوزيلا اليهما ، مؤداها أن تذهب مارى  
ساروجينى مباشرة الى منزل السيدة راو حيث تستطيع هى  
وتوم كريشنا أن يقضيا ليلتهما • أما فارنبى فعليه أن يتوجه  
فورا الى الغرفة رقم ٣٤ •

قالت الممرضة : الطريق من هنا وفتحت بابا متراجعا •

وتقدم ويل • وبفعل شرطى منعكس قال تلقائيا فى أدب  
جهم شكرا وابتسم • ولكنه بشعور المكتئب المستاء فى أعماقه  
أخذ يعرج نحو المستقبل المخوف •

قالت الممرضة : الباب الأخير على اليسار ، وعادت الى  
مكتبها فى الدهليز ، وقالت والباب ينغلق من خلفه : والآن  
أتركك لتسير وحدك •

وأخذ يردد لنفسه : وحدى ، وحدى وتطابق المستقبل  
المخوف مع الماضى الذى يطارده ، وتمثل له الفزع الأكبر بغير  
حدود فى الزمان والمكان • ان هذا الممر الطويل بجدران  
الخضراء شبيهه كل الشبه بالممر الذى سلكه منذ عام ليصل الى  
الغرفة الصغيرة التى رقدت فيها مولى تلفظ أنفاسها الأخيرة •  
وعاوده الحلم المزعج • وبحكم القضاء والقدر ، وبوعى منه ،

تقديم نحو قمة الاحلام المزعجة • الموت ، صورة أخرى من  
الموت •

وأخذ يعد دقائق قلبه ، اثنتان وثلاثون ، ثلاثة وثلاثون ،  
أربعة، وثلاثون ٠٠٠ وطرق الباب وأخذ يصغى الى دقائق  
القلب • وانفتح الباب ، واذا به أمام رادا الصغيرة وجهها  
لوجه •

همست قائلة : كانت سوزيلا بانتظارك •

وسارويل وراءها فى الغرفة • وانعطف حول احدى  
الستائر فوقعت عينه على صورة جانبية لسوزيلا هى ظلها فى  
ضوء المصباح ، وعلى سرير مرتفع ، ووجه نحيل أسمر ملقى  
على وسادة ، وذراعين لا تزيدان عن عظام يكسوها الجلد ،  
وعلى يدين كأنهما مغلبان • الفرع الأكبر مرة أخرى •  
ارتعد وابتعد • وأشارت رادا الى مقعد بجوار النافذة المفتوحة  
فجلس عليه وأغمض عينه - أغمضها ماديا عن الحاضر ولكنه  
بذلك فتحهما فى دخيلة نفسه على ذلك الماضى البغيض الذى  
ذكره به الحاضر • رحل بمخيلته الى تلك الغرفة التى استلقت  
فيها العمه ماري ، أو على الأصح من كانت فى وقت ما العمه  
ماري ، أما أنتذ فهى شخص آخر لا تكاد تعرفه - شخص آخر  
كأنه لم يسمع بفعل الخير وبالشجاعة وهما لب حياة العمه  
ماري ، شخص آخر امتلأت نفسه حقدا على كل من اقترب منه  
بغير تمييز ، كارهة لهم أيا كانوا لا لشيء الا لأنهم لم يصابوا  
بالسرطان ، لأنهم لا يتألمون ، ولم يحكم عليهم بالموت قبل الأوان •  
ومع هذا الحسد الحبيث لما يتمتع به غيرها من صحة وسعادة  
كانت تتبرم بمرارة اشفاقا على نفسها ، وتستعشر اليأس  
القاتل •

لماذا يحدث هذا لي ؟ لماذا •

فى مخيلته أستطاع ويل أن يسمع هذا الصوت الأجنش الشاكى ، وأن يرى هذا الوجه الذى تشوه وسالت فوئه الدموع • وقد كانت الشخص الوحيد الذى أحبه فعلا وأعجب به من كل قلبه • ومع ذلك فقد أحس نحوها بالازدراء وهى تنهار - الازدراء بل المقت الشديد •

ولكى يفر من الماضى فتح عينيه • فرأى رادا جالسة على الأرض ، تضع ساقا على ساق ، معتدلة ، وقد جلست جلسة التأمل • وظهرت سوزيلا مثلها فى سكون التأمل جالسة فى كرسيها الى جوار السرير • ثم نظر الى الوجه المستلقى على الوسادة • وكان كذلك ساكنا ، فى هدوء يكاد أن يكون هدوء الموت البارد • وفى الخارج فى ظلمة الخضرة صاح طاووس على حين غرة • وتلت فترة من الصمت اشتد عمقه بالقياس الى هذا الصياح • الصمت الحافل بالمعانى الملتغزة المريعة •

وضعت سوزيلا احدى يديها على ذراع المرأة المعجوز وقالت : لاكشمى • وأعادت التداء بصوت أعلى : لاكشمى • وما عتم الوجه الذى اكتسى بهدوء الموت جامدا لا يتحرك •

قالت سوزيلا : لاتسترسلى فى النوم •

لاتسترسلى فى النوم ؟ ولقد كان النوم - النوم المصطنع الذى أعقب الحقتن - بالنسبة للعممة مارى فترة الراحة الوحيدة من تمزق النفس الذى أصابها من اشفاقها على نفسها ومن المخاوف التى ألحت عليها •

- لاكشمى !

## وعادت الحياة الى وجهها

وقالت السيدة العجوز همسا : لم أكن فى الحقيقة نائمة .  
أنتما هو الضعف الميت ، وكأنى أطفو بعيدا عن هذا  
المكان .

قالت سوزيلا : ولكن لا بد لك أن تكونى هنا ، ولا بد لك  
من أن تعلمى انك هنا . فى كل حين . ودفعت وسادة أخرى  
تحت كتفى المرأة العجوز ، ومدت يدها الى زجاجة بها أملاح  
لها رائحة خاصة كانت موضوعة على النضد الصغير المجاور  
للسريز .

واستنشقت لأكشمى ، وفتحت عينيها وحدقت فى وجه  
سوزيلا ، وقالت : لقد نسيت كم أنت جميلة ، ولكن ديوجولد  
كان دائما ذا ذوق حسن . وارتسم على وجهها الأعجم للحظة  
واحدة شبح ابتسامة مزعجة . وبعد لحظة أخرى غيرت مع  
لهجة حديثها وقالت : مارأيك ياسوزيلا ؟ هل سنراه ثانية ؟  
أقصد هناك ؟

وفى صمت ربتت سوزيلا على يد المرأة العجوز . ثم  
ابتسمت بفتة وقالت : كيف كان الراجا العجوز يصوغ هذا  
السؤال ؟ هل تظنين أننا سوف نراه هناك ؟  
- وماذا تظنين أنت ؟

- أظن أننا خرجنا جميعا من ضياء واحد واننا جميعا  
سوف نعود الى نفس الضياء .

ودار بذهن ويل أن هذه كلها كلمات فى كلمات فى  
كلمات . وبجهد جهيد رفعت لأكشمى احدى يديها وأشارت  
فى اتهام الى المصباح الذى كان على النضد المجاور للسريز .

وهمست قائلة : انه يتوهج فى عيني •

خلعت سوزيلا المنديل الحريرى الاحمر الذى كانت تلف به رقبتها ولفت به ظلة المصباح المصنوعة من الرق • وتحول الضوء من أبيض كاشف بلا موراة الى معتم وردى يشع الدفء كذلك الضوء - كما طاف بمخيلة ويل - الذى سقط على فراش بايز المتفضن كلما أضاء الاعلان عن شراب بورترزجين باللون القرمزى •

قالت لاكشمى : هذا أفضل • وأغمضت عينيها • ثم عادت الى الكلام بعد فترة طويلة من الصمت وقالت فجأة : الضوء ، الضوء ، انه لايزال يسطع • وسادت فترة من السكون ، ثم همست أخيرا بقولها «ما أجمله ، ما أجمله !» وفجأة جفلت وعضت شفتها •

ووضعت سوزيلا يد المرأة العجوز بين راحتيها وسألتها هل الألم شديد ؟

قالت لاكشمى : يكون الألم شديدا لو كان من آلامى ، ولكنه - لست أدري كيف - ليس من آلامى • الألم هنا ، وأنا فى مكان آخر • الأمر شبيه بما يتكشف للمرء عندما يتعاطى عقار الموكشا • لاشئ فى الواقع يتعلق به • حتى الألم • - هل لازلت ترين الضوء ؟

هزت لاكشمى رأسها وقالت : عندما أعود بذاكرتى الى الوراء أستطيع أن أقول لك متى اختفى • اختفى عندما بدأت أقول ان الألم ليس فى الواقع من آلامى • - مع أن ماقلت كلام طيب •

– أعلم ذلك ، ولكنى كنت أعبر عنه (بالكلام) • وارتسم  
على وجه لاكشمى مرة أخرى شبح المادة القديمة ، عادة  
الانزعاج لغير ما سبب •

سألته سوزيلا : فيم تفكرين ؟

– فى سقراط •

– سقراط ؟

– ثرثرة فى ثرثرة فى ثرثرة – حتى حينما تناول تلك  
المادة فعلا • لاتجعلينى أتكلم ياسوزيلا • عاونينى على أن  
أخرج من ضياء نفسى •

وبعد فترة من السكون قالت سوزيلا : هل تذكرين ذلك  
الوقت الذى ذهبنا فيه جميعا الى معبد شيفا القديم الذى يقع  
فوق محطة المرتفع الشاهق ؟ أنت وروبرت وديوجولد وأنا  
والطفلان – هل تذكرين ؟

وابتسمت لاكشمى مسرورة بالذكرى •

– أذكر خاصة ذلك المنظر الذى يشاهده الرائي من  
الجانب الغربى للمعبد – المنظر الذى يمتد فوق البحر • اللون  
الأزرق ، والأخضر والأرجوانى – وظلال السحب كالمداد •  
والسحب نفسها – الثلج ، والرصاص ، والفحم النباتى ، ولون  
الساتان • ثم ألقىت سؤالاً ونحن نشاهد المنظر • هل تذكرين  
يالاكشمى ؟

– تقصدين سؤالى عن الضوء الصافى ؟

قالت سوزيلا مؤكدة : نعم عن الضوء الصافى • لماذا  
يتحدث الناس عن (العقل) وكأنه ضوء ؟ هل لأنهم رأوا ضوء

الشمس فوجدوه من الجبال بحيث يمتنى من الطبيعي أن يطابقوا طبيعة بوذا مع أصفى ما يمكن من كل ضوء صاف ؟ أم هل وجدوا ضوء الشمس جميلا لانهم - بالشعور أو بالاشعور - شاهدوا منذ بدء حياتهم للعقل الأكبر رؤى على شكل الضوء ؟ وقالت سوزيلا وهى تبتسم لنفسها : وكنت أول من أجاب • وكنت قبل ذلك قد قرأت شيئا لأحد السلوكيين الامريكان ولم أكف عن التفكير - ولم أقدم اليك سوى (وجهة النظر العلمية) • ان الناس يسوون بين العقل (أيا كانت طبيعته) وهلوسة الضوء ، لانهم كثيرا ماشاهدوا الشمس وهى تغرب وتأثروا بها أشد التأثير • ولكن روبرت وديوجولد لايريان هذا الرأى ، ويصران على أن الضوء الصافى هو الذى يسبق •

- ان المرء يولع بغروب الشمس لانه يذكره بما يجرى دائما - عرف أو لم يعرف - داخل جمجمته وخارج الزمان والمكان • وقد وافقتهما يالاكشمى - هل تذكرين ؟ قلت (كنت أود أن أؤيدك ياسوزيلا ، على الأقل لانه ليس من الصواب أن يكون رجالنا على حق فى كل الأوقات • ولكنهم فى هذه الحالة مصيبون بشكل واضح جدا • وبالطبع كانوا مصيبين وبالطبع كنت مغطئة كل الخطأ • وليست بى حاجة الى القول انك عرفت الاجابة الصحيحة قبل أن تسألنى السؤال» •

وهمست لأكشمى قائلة : اننى لم أعرف شيئا قط ، بل استطعت فقط أن «أرى» •

وقالت سوزيلا : أذكر ما قلته لى عن رؤيتك للضوء الصافى • هل تريدني أن أذكرك به ؟

وأومات المرأة المريضة برأسها موافقة •

قالت سوزيلا : كانت المرة الأولى وأنت في الثامنة من عمرك ، عندما وقعت عينك على فراشة برتقالية على ورقة من أوراق الشجر ترفرف بجناحيها في ضوء الشمس - وفجأة تألق الضوء الصافى - الذى يرمز للحقيقة الكبرى، المثالية البحت - من خلالها ، كأنه شمس أخرى •

وهمست لأكشمى : بل أشد اشراقا منها •

- ولكنه ضوء أخف ، فأنت تستطيعين أن تحددى في الضوء الصافى ولا يصيبك العمى • واذكرى هذا الآن • فراشة على ورقة خضراء ، ترفرف بجناحيها - واذا بطبيعة بوذا حاضرة حضورا كليا ، انه الضوء الصافى الذى يفوق ضوء الشمس فى اشراقه • وكنت حينذاك فى الثامنة فقط من عمرك •

- وماذا فعلت لاستحق ذلك ؟

وتذكر عندئذ ويل تلك الأمسية التى سبقت وفاة عمته ماري بأسبوع أو مايقرب منه والتى حدثته فيها عن تلك الأوقات السعيدة التى قضياها معا فى بيتها الصغير قريبا من أروندل ، البيت الذى كانت وصية عليه ، والذى قضى به أحسن أيام عطلاته ، يشعل النار فى أعشاش الدبابير فيطردها منها بدخانها ، ويقوم بالرحلات فوق العشب أو تحت أشجار الزان ، ويذكر لفائف السجق فى بوجنور ، وقارئة البخت الفجرية التى تنبأت له أن يصل الى منصب وزير المالية، وتذكر حامل الصولجان فى الكنيسة بردائه الاسود وأنفه الأحمر الذى طاردهما خارج كاتدرائية تشيتشستر لأنهما أغرقا فى



الضحك • وكررت العمدة ماري في مرارة : اغرقتما في الضحك ، اغرقتما في الضحك •••

وواصلت سوزيلا حديثها قائلة : والآن عودي بذاكرتك الى ذلك المنظر الذي بدا من معبد شسيفا • واذكرى تلك الأضواء والظلال على سطح البحر ، وتلك البقع الزرقاء التي تتخلل السحاب • اذكرىها ، ثم أطلقى العنان لفكرى ، أطلقى له العنان حتى يظهر اللافكر • أشياء فى الفراغ • وفراغ فى الحقيقة الكبرى • والحقيقة الكبرى فى صورة أشياء مرة أخرى ، داخل عقلك • اذكرى ماجاء فى سوترا (١) «وعيك المشرق ، الفراغ ، الذى لاينفصل عن الجسم المشرق العظيم ، لاينضغ لميلاد أو موت ، انما هو نفس الضوء الثابت الذى لايتغير ، هو بوذا أميتابها (٢) •

وكررت لاكمشى العبارة قائلة : هو نفس الضوء ، ومع ذلك فقد أظلمت الدنيا كلها مرة أخرى •

قالت سوزيلا : أظلمت لأنك تجهدين نفسك ، وأظلمت لانك تريدونها أن تضىء • اذكرى ما أعتدت أن تقولى لى وأنا طفلة صغيرة : بخفة يابنيتى ، بخفة • تعلمى أن تصنعى كل شىء بخفة • فكرى بخفة ، واعملى بخفة ، واشعرى بخفة – نعم اشعرى بخفة ، حتى أن كنت بعمق تشعرين • دعى الامور تحدث بخفة واجهيها بخفة • وكنت فى تلك الأيام جادة بشكل غير معقول ، كنت صغيرة متزمتة لا تجد الفكاهة الى

---

(١) السوترا فى الهندوكية تفسير الأوبانيشاد ( كتاب التصوف الهندى ) ، ومنها تفرعت المدارس الفلسفية الهندية – المترجم  
(٢) اميتابها هو رب الجنة الغربية – أرض الصفاء والنقاء – المترجم

نفسى سببيلًا • بخفة ، بخفة شديدة : هذه أغلى نصيحة قدمت  
لى • والآن أنا أقول لك نفس هذا الكلام يالأكشمى • • بخفة ،  
ياعزيزتى ، بخفة حتى فى ساعة الموت • ليس هناك أمر  
ثقيل ، أو يندر بالشر ، أو أكيد • لا فصاحة فى الكلام ، ولا  
هزات فى الموسيقى ، ولا تشخيص يحس صاحبه أنه يحاكي  
المسيح أو جوته أو نيل الصغيرة • وبالطبع لا لاهوت ولا  
ميتافيزيقا • مجرد حقيقة الموت وحقيقة الضوء الصافى •  
ألقى كل أعباءك وسيرى الى الامام • حواليك رمال متحركة ،  
تجذب قدميك ، وتحاول أن تسيخ بك الى هوة الخوف  
والاشفاق على النفس واليأس • لذلك يجب أن تخففى الوطأ  
فى المسير • مهلا ياعزيزتى • على أطراف أصابع قدميك ،  
لا أعباء على ظهرك ، ولا حتى حقيبة الاسفنج • تخلصى من  
كل العوائق •

تخلصى من كل العوائق • • • ذكرت ويل هذه العبارة  
بعمته المسكينة مارى وهى تفوص الى أبعاد أعمق وأعمق كلما  
خطت خطوة فى الرمال المتحركة • أعمق وأعمق حتى غابت  
نهائيا والى الأبد فى الفزع الأكبر وهى تكافح وتحتج حتى  
آخر رمق فى حياتها • ونظر مرة أخرى الى ذلك الوجه الأعجف  
المستلقى على الوسادة ورأى على شفثيه ابتسامة •

واستمع الى همس أجش ينادى : الضوء ، الضوء الصافى •  
انه أمامى ، أراه وأنا أحس الألم ، على الرغم من الألم •

سألها سوزيلا : وأين أنت ؟

— هناك ، فى الزواية • حاولت لأكشمى أن تشير ، ولكن  
الاصبع المرفوعة اهتزت وسقطت على الملاءة بلا جراك • أرى  
نفسى هناك ، وتستطيع هى أن ترى جثمانى فوق الفراش •

— هل تستطيع أن ترى الضياء ؟

— لا • الضياء هنا ، حيث يستلقى جسدى •

وانفتح باب غرفة المريضة فى هدوء ، والتفت ويل  
وأمكنه أن يرى شيخ الدكتور روبرت النحيل يخرج من وراء  
الستار الى الشفق الوردى •

ونهدت سوزيلا وأشارت اليه ليجلس مكانها فوق  
الفراش • وجلس الدكتور روبرت ، وانحنى الى الأمام ،  
وأمسك بيد زوجته فى احدى يديه ووضع يده الاخرى على  
جبينها •

وهمس قائلا : هذا أنا •

— أخيرا •••

قال لها ان شجرة قد سقطت فوق خط التلفون • ولم  
يمكن الإتصال بمحطة المرتفع العالى الا بالمسير على الطريق •  
وقد بعثوا برسول فى عربة ، ولكن العربة تحطمت ، فضاع  
من الزمن أكثر من ساعتين ، وختم الدكتور روبرت حديته  
قائلا : ولكن أحمد الله فقد استطعت أن أكون هنا فى  
النهاية •

وتنهدت المرأة التى تعانى سكرات الموت تنهدا عميقا ،  
وفتحت عينيهما لمظة ، وتطلعت اليه وهى تبتسم ، ثم أغمضت  
عينيهما ثانية ، وقالت : عرفت أنك حضرت •

وبصوت هادىء قال : لاكشمى ، لاكشمى وسحب أطراف  
أصابعه فوق جبينها المجدد مرة تلو المرة وهو يقول :

«محبوبتى» وسال الدمع على خديه ، ولكن صوته كان ثابتا  
وتحدث بحنان يصدر عن قوة لا عن ضعف .

وهمست لاكشمى : لم أعد هناك .

وفسرت سوزيلا لخميتها هذه العبارة وقالت : كانت هناك  
فى الزاوية وهى تنظر الى جسدها هنا فى الفراش .

• - ولكنى عدت الآن • أنا والألم ، أنا والضياء ، أنا  
وأنتم - كل ذلك معا .

وصاح الطاووس مرة أخرى ، ومن خلال أصوات  
الحشرات التى تعد فى هذه الليلة الاستوائية نوعا من الصمت ،  
ومن بعيد ولكن فى وضوح تام سمع صوت موسيقى مرحة ،  
بالمزامير وعلى الأوتار وبدق الطبول المستمر .

قال الدكتور روبرت : انصتوا • هل تستطيعون أن  
تسمعوا • انهم يرقصون •

ورددت لاكشمى وراءه : يرقصون ، يرقصون •

وهمست سوزيلا : يرقصون برقة كأن لهم أجنحة •

وارتفع صوت الموسيقى مرة أخرى وطرقت الاسماع •

قالت سوزيلا : موسيقى الغزل باروبرت ، هل تذكر ؟

- وهل أنسى أبدا ؟

وقال ويل لنفسه : هل يستطيع المرء أن ينسى أبدا ؟ هل  
يستطيع المرء أن ينسى تلك الموسيقى الأخرى البعيدة  
من وقريبا منه ، فى سرعة وضحل غير عاديين صوت أنفاس  
النزع الاخير تطرق أذنى صبى صغير ؟ فى البيت القائم على

الجانب الآخر من الشارع كان شخص ما يتدرب على موسيقى  
براهمز فالس التي كانت عمته ماري تحب أن تعزفها .  
وأخذت تعد ضرباتها ، واحد ، اثنين ، ثلاثة ، واحد ، اثنين ،  
ثلاثة ، ثم وووواحد ، اثنين ، ثلاثة ، واحد ، واحد ، اثنين ،  
ثلاثة ، واحد ، و . . . وهنا اهتزت تلك المرأة الغريبة  
البغيضة . التي كانت فيما مضى العممة ماري وتنبهت من  
سباتها المصطنع وفتحت عينيها . وظهر على وجهها الشاحب  
النحيل تعبير عن أسوأ حالة من حالات المرض الخبيث . وكادت  
تصيح بصوت أجش لا يميز السامع قائلة : اذهب وقل لهم كفوا  
عن العزف . وتحولت آثار المرض الخبيث الى آثار اليأس ،  
وشرعت هذه الغريبة - هذه الغريبة البغيضة التي تدعو الى  
الاشفاق - فى النحيب ولم تتمالك نفسها . دقائق موسيقى  
براهمز فالس : تلك كانت قطع الموسيقى - بين كل ماتملك  
من الانغام - التي أحبها فرانك أكثر من أى شيء آخر .

وهبت نفحة أخرى من الهواء البارد جلبت معها نغمة  
أعلى من تلك الموسيقى المرححة البهيجة .

قال الدكتور روبرت : هؤلاء الشباب الذين يتراقصون ،  
وهذا الضحك وهذه الشهوة ، وتلك السعادة التي لاتشوبها  
شائبة ! كل ذلك هنا ، يخلق جوا ، كأنه مجال من مجالات  
القوة . سرورهم وحبنا - حب سوزيلا ، وحبى - كل ذلك  
يأتلف ويقوى بعضه بعضا - الحب والسرور يلفك ياعزيزتى .  
الحب والسرور يرفعانك الى هدوء الضوء الصافى . استمعى  
الى الموسيقى . هل لازلت تسمعينها يالاكشمى ؟

قالت سوزيلا : لقد شطحت مرة أخرى ، حاول أن  
تستعيدها .

ودفع الدكتور روبرت احدى ذراعيه تحت جسدها  
المهزول ورفعها قليلا الى وضع الجلوس • وتدلى رأسها على أحد  
الجانبين واستند الى كتفه •

وظل يهمس لها «حبيبتي ، حبيبتي •••»

وانفرج جفناها لحظة • وفي همس يكاد لا يسمع كمر  
ويل قوله : «اشتدى بريقا» • وعندئذ ارتسمت على شفيتها  
ابتسامة السعادة ، قوية حتى لتكاد أن تكون ابتهاجا ، وغيرت  
من ملامح وجهها •

ومن خلال دموعه بادلها الدكتور روبرت الابتسام ، وأخذ  
يربت على شعرها الأشيب ويقول : الآن تستطيعين أن ترحلي  
ياعزيزتى وأخذ يردد قوله : ارحلى ، ارحلى • ارحلى عن هذا  
الجسم المسكين المعجوز • انك لم تعودى بحاجة اليه • دعيه  
يسقط عنك • اتركيه راقدا هنا ككومة من الثياب البالية •

وفغر فوها فى وجهها الأعرج ، وفجأة تحولت أنفاسها الى  
غطيطة •

وضمها الدكتور روبرت الى صدره وهو يقول : حبيبتي ،  
عزيزتى • ارحلى الآن • ارحلى • اتركى جسدك البالى هنا ،  
واذهبي ياعزيزتى الى الضياء ، الى السكون ، الى السكون  
الحى ، سكون الضوء الصافى •••

ورفعت سوزيلا احدى اليدين المرتخيتين ولثمتها ، ثم  
التفتت الى رادا الصغيرة •

وقالت لها همسا وقد لمست كتفها : أن لك أن تذهبي •  
تنبعت رادا من تأملاتها وفتحت عينيها وأومات برأسها ،

واتجهت فى صمت على أطراف أصابع قدميها صوب الباب  
وكأنها تزحف زحفا • واستدعت سوزيلا ويل بإشارة منها ،  
وسارا معا خلف رادا • وفى صمت سار ثلاثتهم فى الممر  
خارج الغرفة ، وعند الباب المتأرجح استأذنت رادا  
بالانصراف •

وقالت همسا : أشكركما على استبقائكما لى معكما •  
قبلتها سوزيلا وقالت : بل الشكر لك لانك عاونت  
لاكشمى على تخفيف الامر عليها •

وتبع ويل سوزيلا عبر الردهة حتى زلنا الى الظلام  
الداقىء العطر • وفى صمت هبطا من الجبل متجهين نحو  
السوق •

وأخيرا قال وهو تحت ضغط عجيب أراد به أن يخفى  
مشاعره ويتظاهر بنوع رخيض من السخرية : أظن أنها  
ستسرع الآن لتمارس شيئا من الماثيونا مع صديقتها الفتى •

وقالت سوزيلا فى هدوء : الواقع أنها مكلفة بالسهر فى  
أداء واجبها • واذا لم يكن الأمر كذلك فماذا يمنع انتقالها  
من يوجا الموت الى يوجا الحب ؟

ولم يجب ويل فى الحال ، فقد كان يفكر فيما حدث بينه  
وبين بايز ليلة تشييع مولى • يوجا نقيض الحب ، يوجا الادمان  
الممقوت ، والشهرة وبغض النفس الذى يعزز النفس ويجعلها  
أكثر مدعاة للبغض •

وأخيرا قال : أنا أسف فقد حاولت أن أكون ممجوجا •  
— هذا شبح أبيك ، وسوف نحاول أن نبعده عنك •  
وعبرا ساحة السوق وبلغنا الآن — عند نهاية الشارع

القصير الذى يسلكه الخارج من القرية - المكان المكشوف الذى كانت تقف فيه عربة الجيب • وعندما ساءت سوزيلا العربة الى الطريق العام سطع شعاع المصابيح الامامية على عربة صغيرة خضراء كانت تسير هابطة من الجبل صوب الطريق الجانبى •

- أليست هذه هى العربة أوستن الصغيرة الملكية ؟

قالت سوزيلا : هى بعينها • وتمجبت الى أين كانت الرانى وموروجان يتجهان فى هذا الوقت من الليل •

وخطر ببال ويل أنها لا يقصدان خيرا • وبدفعة مفاجئة أفضى لسوزيلا بمهمة رحلته التى كلفه بها جو الديهايد ، ويمداولاته مع الملكة الام والمستر باهو •

واختتم حديثه قائلا : ولديك ما يبرر ابعادى عن البلاد غدا • وأكدت له أن ذلك لا يمكن أن يتم الآن وهو بسبيل تغيير رأيه وأضاف قولها : ومع ذلك فان مافلته لا يمكن أن يكون له تأثير على القضية الحقيقية • عدونا هو البترول بوجه عام • وليس هناك فارق بين أن تستغلنا شركة جنوب شرقى آسيا للبترول أو شركة ستاندارد فى كليفورنيا •

- هل تعلمين أن موروجان والرانى كانا يتآمران ضدك؟

- انهما لا يخفيان ذلك •

- لماذا اذن لاتتخلصين منهما ؟

- لان الكولونيل ديبا يعيدهما فى الحال • الرانى هى أميرة زندانج • اذا نحن طردناها كان ذلك سببا فى اشتعال الحرب •

- ماذا اذن تستطيعين ان تفعلنى ؟



– أحاول أن أردهما الى الصواب ، وأن أجعلهما يفيران رأيهما ، وأمل فى نتيجة طبية ، واستعد لأسوأ الظروف •

– وماذا انت فاعلة اذا حلت بك اسوأ الظروف ؟

– احاول ان استغل الموقف احسن استغلال • فالفرد حتى فى اسوأ المجتمعات يستبقى شيئاً من الحرية • الانسان يفكر بينه وبين نفسه ، ويتذكر ويتخيل بينه وبين نفسه ، ويعب بينه وبين نفسه ، ويموت وحيداً – حتى تحت حكم الكولونيل ديبا • وصمتت قليلاً ثم سألته : هل سمح لك الدكتور روبرت بتعاطى عقار الموكشا ؟ وأوما برأسه ايجاباً ، فقالت : هل تحب أن تجربه ؟

– الآن

– الآن • اذا كان لايهمك أن تسهر الليل كله بفعله

– ليس عندى ما هو خير من ذلك •

وحذرتة سوزيلا قائلة : ربما وجدت أنك لم تحب قط شيئاً أسوأ منه • فعقار الموكشا قد يسمو بك الى السماء ، وقد يقذف بك فى المجحيم • وقد يدفع بك اليهما معا فى وقت واحد أو بالتناوب • وربما دفع بك (ان كنت حسن الحظ ، أو ان أنت تأهبت لذلك) الى ماوراء كل منهما • ثم الى ماوراء ذلك ، وتعود الى نقطة الابتداء – الى هنا ، الى روثامستد الجديدة ، والى عملك المعتاد • ولكن الآن بالطبع هذا الفعل المعتاد مختلف كل الاختلاف •

دقة ، دقتان ، ثلاث دقائق ، أربع - وهكذا حتى  
اثنتى عشرة ، أعلنت بها الوقت الساعة التي كانت بالمطبخ .  
أى تناقض هذا ، لان الزمن لم يعد له وجود ! ان جرس الساعة  
يدق دقائق مزعجة لا معنى لها وسط احداث الحاضر التي  
لايحدها زمان ، وسط اللحظة الراهنة لا تفتأ تتغير لا بأبعاد  
الثوانى والدقائق ولكن بأبعاد الجمال ، والدلالة ، والكثافة ،  
والالغاز الذى يزداد عمقا .

«سعادة مشرقة» - خرجت الكلمات من أضحال عقله  
كالفقاقيع ، وطفت على السطح ثم اختفت فى متاهات الضوء  
الحى التي كانت تنبض وتتنفس من وراء عينيه المنمضتين .  
«سعادة مشرقة» . هذا هو أقرب وصف لما رآه . ولكن ذلك  
الحدث الذى لا يحده زمان والذى لا يفتأ يتغير كان شيئا  
لاستطيع الكلمات أن تعبر عنه الا بالكاريكاتير والتصغير ،  
ولا يمكنها اطلاقا أن تنقله . لم تكن سعادة فقط بل كان كذلك  
ادراكا . ادراكا لكل شىء ، دون معرفة بأى شىء . المعرفة  
تقتضى أن يكون هناك من يعرف والاوجه المختلفة المتعددة  
للمعروف ولما يمكن أن يعرف . أما الآن ، وراء عينيه  
المنمضتين فلا شاهد ولا مشهود . ليست هناك الاحقيقة واحدة

يمارسها ، وهي اتحادة فى شعور من السعادة مع وحدة الوجود (١) .

وفى رؤى متعاقبة اشتد الضوء اشراقا ، والادراك عمقا ، واشتد الاحساس بالسعادة الى درجة مستحيلة لا تطاق . قال لنفسه «يا الهى العزيز !» . ثم سمع صوت سوزيلا آت من عالم آخر .

— هل تشعر أنك تريد أن تقول لى شيئا عما يحدث ؟

وانقضى بعض الوقت حتى استطاع ويل أن يجيب على سؤالها . فقد كان النطق عسيرا ، لا بسبب عائق مادي ، ولكن لأن الكلام كان يبدو شيئا من السخف الذى لا يتحقق من ورائه هدف . وأخيرا همس قائلا : الضياء .

— وأنت هناك تنظر الى الضياء ؟

وبعد فترة طويلة من صمت التفكير قال : أنا لا أنظر اليه ، انما أنا هو . وكرر قوله مؤكدا أنا هو .

وفى حضور الضياء كان غيابه . وليام أسكويث فارنبى — لم يكن هناك هذا الشخص لا فى أساسه ولا جوهره . فى الأساس والجوهر لم يكن هناك شىء سوى السعادة المشرقة ، والادراك الذى لا يعرف ، والاتحاد مع الوحدة فى وعى بغير حدود لا يفرق بين شىء وآخر . هذه — كما اتضح له — هى الحالة الطبيعية للعقل . كما كان هناك — بصورة لا تقل

---

(١) فى هذا الفصل نرى ويل فارنبى وقد وصل الى مرتبة عليا من مراتب التصوف متأثرا بعقائده أهل بالا حيث يحل الادراك المباشر محل المعرفة اللفظية . كل ما يرى وما يسمع يبعث على التأمل العميق — المترجم

تأكيداً - ذلك المراقب المحترف للاعدام ، ذلك المقبل فى ادمان على بايز والذى يمقت نفسه لهذا السبب . كان هناك كذلك ثلاثة آلاف مليون نوع من أنواع الشعور كل منها منفصل عن الآخر ، وكل منها مركز لعالم من عوالم الاحلام المزعجة ، عالم يستحيل فيه لأى مخلوق ذى عينين أو ذرة من الاخلاص مع النفس أن يقبل الامور على علاقتها . آية معجزة خبيثة تلك التى حورت الحالة الطبيعية للعقل الى هذه الجزر الشيطانية التى تنعزل كل واحدة منها عن الأخرى ، جزر البؤس والانحراف ؟

وفى دنيا السعادة والادراك هذه كانت تعود الى الذاكرة بين الحين والحين ذكريات قديمة وآثار متخلفة من المشاعر السابقة كالوطاويط تظهر فى ضوء الشمس الغاربة . ومن هذه الذكريات القديمة فلسفة أفلوطين (١) ، ومذهب المعرفة الروحية (٢) ، ومذهب الواحد الأحد وما يتفرع منه ، وهكذا أخذ يعود الى الماضى السحيق حتى أحس الهول المتراكم . ومن المشاعر المتخلفة الشعور بالغضب والاشمئزاز عندما أصبحت الأهوال المتراكمة ذكريات معينة لما رآه وفعله ، ولما أصابه من غيره وأصاب غيره منه . وهو (وليام آسكويث فارنبى) الآن لا وجود له أساساً .

ولكن خلف هذه الذكريات المضطربة ومن حولها ومن

---

(١) مؤسس الأفلاطونية الحديثة (٢٠٥ - ٢٧٠) بشر بأن كمال الانسان يتحقق بتجرده عن الجسد واندماجه مع الواحد (الله) ومعرفته بالشهود المباشر - المترجم

(٢) مذهب بعض المسيحيين الذين اعتقدوا ان المادة شر وان الخلاص يأتى عن طريق المعرفة الروحية - المترجم

داخلها بشكل ما ذلك العالم السماوى ، عالم السعادة  
والطمأنينة والادراك • وقد تبدو بعض الوطاويط فى ضوء  
الشمس الغاربة ، ولكن هناك حقيقة ثابتة ، وهى أن معجزة  
المخلق الرهيبة قد انقلبت – فبعد أن كان بائسا منحرفا بصورة  
خارقة للطبيعة تحول الى عقل محض ، الى عقل على حالته  
الطبيعية ، ليست له حدود ، ولا يميز شيئا عن شيء ، سعيدا  
سعادة مشرقة ، مدركا بغير معرفة •

الضوء الآن ، والضوء فى هذا المكان • ولما كان المكان  
بغير حدود والزمان بغير توقيت فلم يكن هناك شخص خارج  
الضوء لينظر الى الضوء • أمست الحقيقة هى الوعى والوعى  
هو الحقيقة •

ومن ذلك العالم الآخر ، فى مكان ما الى اليمين طرق أذنه  
للمرة الثانية صوت سوزيلا •

سألته : هل أنت سعيد ؟

اكتسحت موجة من اشعاع أشد اشراقا كل تلك الافكار  
والذكريات المضطربة ، ولم يعد هناك الآن شيء سوى الشفافية  
البلورية للنعمة والسعادة •

وبغير أن ينطق ، ودون أن يفتح عينيه ابتسم وأوما  
برأسه ايجابيا •

واصلت حديثها قائلة : هذا ما أسماه ايكهارب (١) الله •  
سعادة ساحرة ، مكثفة بدرجة لا يتصورها العقل وتجل عن

---

(١) عالم من علماء الدين الألمان المتصوفين ( ١٢٦٠ - ١٣٢٨ ) كان  
يرى ان الله قريب من الانسان ، بل ان فى كل فرد منا قبس من نور الله -  
الترجم •

الوصف • ووسط هذه الحالة يتجلى الله ولا ينطفىء نوره •

( يتجلى الله ولا ينطفىء نوره ) ••• ما أصدق هذا القول ! ولشد ما كان تأثيره على ويل فأخذ يقهقه من غرابة التشبيه • وقال وهو يلهث : هل يكون نور الله كالنور ينبعث من بيت يحترق ؟ أو كالنور فى احتفالات الرابع عشر من شهر يوليه ! وانفجر مرة أخرى فى ضحكات عالية •

ومن وراء جفنيه المغمضتين تدفقت السعادة المشرقة الى أعلى كأنها شلال منعكس • تدفقت الى أعلى من اتحاد الى اتحاد أكمل ، ومن انعدام الشخصية الى مايجاوز الذاتية بدرجة مطلقة •

كرر لنفسه : هل يكون نور الله كنور الرابع عشر من شهر يوليه ! ومن قلب تيار السعادة المتدفق الى أعلى أطلق ضحكة أخرى تنطوى على الفهم والتمييز •

سألته سوزيلا : وما رأيك فى الخامس عشر من شهر يوليه ، والصبيحة التالية ؟

— ليست هناك صبيحة تالية •

هزت رأسها وقالت : اننى أشتبه فى أن تكون فى حالة نيرفانا •

— وماذا يضير فى هذا ؟

— هذا روح محض ، نقاؤه مائة فى المائة — هذا شراب لا يستسيغه الا أشد الناس ادمانا فى التأمل • البوذيستافا يخفون النيرفانا بمقادير متساوية من الحب والعمل •

— هذه حالة أفضل •

– تقصد أنها ألد • لذلك كان اغراؤها قويا • الاغراء  
الوحيد الذى يرضى عنه الله • انه ثمرة الجهل بالخير والشر •  
ثمرة حلوة المذاق ، كأنها المنجة الفاخرة ! هى الطعام الذى  
تناولته الآلهة بلايين السنين • وفجأة ظهر الانسان ، وتفجرت  
معرفة الخير والشر • فأثبت الله نوعا جديدا من الثمرات أقل  
فى مذاقه حلوة • وقد طعمت منذ لحظة شريحة من المنجة  
الفاخرة الأولى ، لذلك فأنت تستطيع أن تدرك الله •

وسمع صريرا صادرا من أحد المقاعد ، وخشخشة ثياب ،  
ثم سلسلة من أصوات الحركة التى لم يستطيع تفسيرها • ماذا  
كانت تصنع ؟ كان يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال لو أنه  
فتح عينيه • ولكن من ذا الذى يهمله حينذاك ماكانت تصنع؟  
لم يعد لأى شىء أهمية سوى بريق هذا التيار من السعادة  
والادراك الذى يندفع الى أعلى •

قالت : من المنجة الفاخرة الى ثمرة المعرفة – سوف  
أفطمك على مراحل متدرجة •

طرق أذنه طنين • ومن الاضحال طفت الى سطح الشعور  
فقاعة من فقاقيع المعرفة • كانت سوزيلا تضع اسطوانة على  
قرص الحاكي المستدير ، وبدأ الفونوغراف يدور •

وسمعها تقول : هذا جوهان سباستيان باخ • أقرب  
الموسيقى الى السكون ، أقربها الى الروح الصافية مائة فى  
المائة على الرغم من ارتفاع النغم •

وتحول الطنين الى أصوات موسيقية • وانبثقت الى أعلى  
فقاعة أخرى من فقاقيع المعرفة • وكان يستمع الى كونسرتو  
براندنبرج الرابع •

كانت بطبيعة الحال هي بعينها كونسرتو براندنبرج الرابع التي كثيرا ما استمع اليها في الماضي - هي بعينها ، ومع ذلك فهي على أتم اختلاف معها . هذا الأليجرو ( الموسيقى الخفيفة السريعة ) كان يعرفه عن ظهر قلب . ومعنى ذلك انه كان في أحسن وضع ممكن ليتأكد أنه لم يسمع به قط من قبل . فأولا أنه لم يكن هو - وليام أسكويث فارنبي - الذي كان يصنى . وكانت الأليجرو تكشف عن نفسها باعتبارها عنصرا في الحدث الراهن العظيم ، كانت مظهرا لايبعد الا خطوة واحدة عن السعادة المشرقة . وربما كان ذلك وصفا لها لطيفا . ففي ظروف أخرى يكون هذا الأليجرو هو السعادة المشرقة ، هو الفهم الذي لايستند الى معرفة لكل شيء يدرك من خلال ناحية معينة من نواحي المعرفة . كان الوعي الذي لايسيز مجزءا في نغمات وعبارات موسيقية ومع ذلك فمايزال هو هو بعينه بكل مغزاه . وكل ذلك بطبيعة الحال لم يخص أحدا ما . فقد كان في نفس الوقت هنا ، وهناك ، وفي اللامكان . ان الموسيقى التي استمع اليها - باعتباره وليام أسكويث فارنبي - مائة مرة من قبل ، ولدت مرة أخرى وعيا لايمتلكه . ولذلك كان الآن يستمع اليها لأول مرة . ان كونسرتو براندنبرج الرابع - وهو ليس ملكا له - من روعة الجمال وعمق المعنى الكامن فيه مايفوق كثيرا أى شيء ألتمسه من قبل في نفس هذه الموسيقى عندما كانت ملكا خاصا له .

ثم طفت فقاعة معناها «يا لك من أبله» وكأنها تعليق ساخر . وهذا الأبله دأب على ألا يقبل أى أمر من الأمور الا ماكان منه فى مجال الجمال . وكان دائما ينكر - لأنه لايمثل



الانفسه - كل جمال وكل معنى يتمنى قبوله . لم يكن وليام  
أسكويث فارنبى سوى مصفاة قدرة ، يتسرب اليه منها البشر ،  
والطبيعة ، بل والفن الذى يعشقه بعد ما تتممه كله سحابة  
داكنة ويتلوث بالوحل ، وتقل قيمته ، ويتغير ، ويصبح أقبح  
من حقيقته . أما فى هذا المساء فلأول مرة يكون وعيه بقطعة  
من الموسيقى مباشرة لا يعوقه عائق . بين عقله والصوت ، وبين  
عقله والنموذج . وبين عقله والدلالة لا توجد بليلة من سير  
الاشخاص التى لا علاقة لها بالموضوع ، والتى تفرق الموسيقى  
أو تخلق نشازا ليس له معنى . كونسرتو براندنبرج الرابع  
هذا المساء حقيقة نقية ، لا يفسده تاريخ شخصى ، ولا أفكار  
ثانوية ، ولا غباوات متأصلة يغطى بها الأبله المسكين الذى  
يرفض كل شىء وبخاصة فى الفن - شأنه فى ذلك شأن كل  
نفس أخرى - يغطى بها معطيات الخبرة المباشرة .

لم يكن كونسرتو براندنبرج الرابع هذا المساء مجرد  
شىء غير مملوك فى حد ذاته ، بل كان كذلك - بطريق  
المستحيل - حدثا راهنا فى فترة من الزمن لاتنتهى . وربما  
كان من الأصح أن نقول بغير زمان (بطريقة أكثر استحالة ،  
نظرا لانه كان يتألف من ثلاث حركات ويعزف بسرعه  
المعتادة) . وبندول الايقاع يسيطر على كل عبارة من عباراته ،  
ولكن مجموع العبارات لم يكن مدى من الثوانى والدقائق .  
كان هناك (ايقاع) ولم يكن هناك زمن . ماذا كان هناك  
اذن ؟

أجاب ويل رغما عنه «الخلود» . لان هذه الكلمة كانت  
من تلك الالفاظ الميتافيزيقية السخيفة لايحلم رجل مهذب  
الفكر أن ينطق بها حتى لنفسه ، بله أن يتفوه بها أمام

الجمهور • وقال بصوت مرتفع : الخلود يا اخوانى • الخلود ،  
هراء فى هراء • ولم يكن لسخريته - كما توقع - أى تأثير •  
ففى هذه الليلة كان لهذه الكلمة من الدلالة المحسوسة ما لغيرها  
من الكلمات الاخرى التى يحرم ورودها على اللسان • وبدأ  
يضحك •

سألته : ما يضحكك ؟

أجاب : الخلود • وسواء صدقتنى أم لم تصدقنى ، انه  
حقيقة ككل ما يفرزه جسم الانسان •

ووافقته وقالت : حسنا ما قلت !

ولبث هناك ممعنا فى الاصغاء لايتحرك ، يتسابع باذنه  
وبصيرته تيارات الصوت المتشابكة ، وتيارات الضوء التى  
تقابلها وتنسجم معها ، والتى تتدفق فى تسلسل متعاقب غير  
محدودة بزمن • وكل جملة من هذه الموسيقى المألوفة المبتدلة  
كانت كاشفا غير مسبوق لصورة من صور الجمال تندفع الى أعلى  
كأنها نافورة غزيرة المياه • وتتتابع الرؤى ، وكل منها جديد  
منهل فى حد ذاته • تيسار يتداخل فى تيار - تيار عزف  
الكممان المنفرد ، وتيارات الاسطوانتين ، والتيارات المتنوعة  
من البيان القيثارى والاوركسترا الصغيرة المؤلفة من أوتار  
متنوعة • كل منها منفصل ، متميز ، منفرد - ومع ذلك فكل  
تيار كان منسجما مع غيره ، كل منها كان على طبيعته بفضل  
علاقته بالكل الذى هو جزء منه •

وسمع صوته الباطنى يقول : يا الهى •

ووسط هذه التفريعات المتتابعة بغير حدود زمنية كانت  
الاسطوانات تنفث نغمة طويلة واحدة • نغمة لاتشوبها نغمات

جانبيهة أعلى ، واضحة ، صافية ، فارغة كأنها من السماء .  
نغمة (وقد خرجت هذه اللفظة فوارة كأنها فقاعة) من التأمل  
الصافى . وهنا وردت على خاطره كلمة فاحشة أخرى غير  
موحية وقد اكتسبت الآن معنى ماديا ويمكنه أن ينطق بها  
دون احساس بالحنج . تأمل صاف ، لايعبأ بشيء ، يجاوز اماكن  
الحدوث ، ويخرج عن اطار الاحكام الخلقية . ومن خلال  
الاضواء المندفعة الى أعلى لمح فى ذاكرته صورة لوجه رادا  
المشرق وهى تتحدث عن الحب باعتباره تأملا ، وصورة أخرى  
لرادا وهى تجلس ساقا على ساق فى سكون عميق مركز فى  
مؤخرة السرير الذى كانت لاكشما تلفظ فوقه أنفاسها  
الأخيرة . هذه النغمة الطويلة الصافية كانت معنى كلماتها  
والتعبير المسموع لصمتها . ومع هذا الفراغ السماوى لصوت  
المزمار الذى يدعو الى التأمل كان يتدفق دائما من خلاله  
ويحذائه صوت الكمان الثرى ، ذبذبة فى ذبذبة عاطفية  
قوية . وتحيط بهما معا - نغمات الانفصال الذى يدعو الى  
التأمل ، ونغمات الاشتباك الماطفى - شبكة من النغم الحاد  
الجاف تنبعث من أوتار البيان القيثارى . الروح والغريزة ،  
العمل والرؤيا - تحيط بها كلها شبكة العقل . يدركها بالفكر  
المنطقى ، ولكن من الواضح أنه يدركها من الظاهر فقط فى  
حدود الخبرة التى تختلف اختلافا أساسيا عن الاطار الذى  
يزعم الفكر المنطقى أنه يوضحه .

قال : انه شبيه بالوضعى المنطقى .

- أى شيء ؟

- ذلك البيان القيثارى .

• كالوضعى المنطقى ذلك ماكان يجرى فى اضحال عقله •  
اما فى الاعماق فان ذلك الحدث الأكبر - حدث الضوء  
والصوت - كان يتكشف فى بيان سرمدى • كالوضعى المنطقى  
يتحدث عن أفلوطين وجولى دى ليسبيناس (١) •

وتغيرت الموسيقى مرة أخرى ، وأصبح الكمان هو الذى  
يواصل (بنغمه العاطفى) نغمة التأمل الطويلة ، فى حين أن  
الاسطوانتين كانتا تعزفان موضوع المشاركة بالعمل ،  
وتكررانه بما يدعو الى الانفصال ، وهنا بين الحين والحين كان  
يتردد الوضعى المنطقى ، فى سخف وان يكن ليس غنسه غنى ،  
يحاول أن يشرح فى لغة لاتتناسب مع الحقائق كل ماكان  
يدور •

• وفى الخلود الذى كان واقعا كأفرازات الجسيم البشرى  
استمر فى اصغائه لهذه التيارات الصوتية المتداخلة ، واستمر  
يشاهد التيارات الضوئية المتشابكة ، واستمر فى كونه فعلا  
(هناك ، وهنا وفى اللامكان) كل مارأى وكل ماسمع •  
والآن - على حين غرة - تعرضت صفة الضوء لشيء من  
التغير • فلقد انتفت صفة الاستمرار عن تلك التيارات  
المتشابكة التى كانت أول عامل من عوامل التميز المرن لفهم  
مايقع على الجانب الأبعد لكل معرفة تفصيلية • وحلت محلها  
- فجأة - هذه الاشكال التى ينفصل أحدها عن الآخر فى تتابع  
لاينتهى - وهى أشكال لاتزال محملة بصورة واضحة بالنغمة  
المشرقة للوجود الذى لايميز شئيا عن شئ ، ولكنها الآن

---

(١) جولى دى ليسبيناس كاتبة فرنسية عاشت فى القرن الثامن  
عشر ، واشتهرت بصالونها الأدبى الذى كان مركزا للموسوعيين - المترجم

محددة ، منعزلة ، متفردة • ظهرت له سلسلة من الكواكب  
المضيئة ، فضيئة ووردية ، صفراء وخضراء شاحبة وزرقاء  
جنطيانية ، وقد برزت من مصدر خبيء للاشكال ، ومع توقيت  
الموسيقى تجمعت عن عمد فى صفوف جميلة مركبة تركيبا  
لايصدقه العقل • نافورة لاتنفد تنتشر فى تشكيلات يحسها ،  
وفى تشابك من النجوم الحية • وأخذ يرمقها ويعيا حياتها  
كما يعيا حياة الموسيقى التى كانت تسايرها ، وهى تتكاثر  
فى تشابكات أخرى ملأت الابعاد الثلاثة لفضاء داخلى ،  
وتتحول باستمرار الى بعد أبدي آخر من أبعاد النوع  
والدلالة •

سألته سوزيلا : ماذا تسمع ؟

وأجاب : أسمع ما أرى ، وأرى ما أسمع •

— صف لى ماتشاهد •

وبعد صمت طويل أجاب ويل : مرآها ومسمعها هو الخلق •

ولكنه ليس الخلق الذى يتم دفعة واحدة • انما هو الملق

الذى يتواصل ولا يتوقف •

— خلق متواصل من لاشيء ولا مكان الى شيء ما ومكان

ما — هل هو كذلك ؟

— هو كذلك

— أنت تحرز تقدما •

لو واتاه اللفظ ، ولو كان اللفظ عند النطق به أقل

تفاهة ، لشرح لها ويل كيف أن الفهم الذى لا يستند الى معرفة

والسعادة المضيئة يفضلان حتى موسيقى جوهان سباستيان

باخ •

وقالت سوزيلا مرة اخرى : أنت تحرز تقدما ثم أضافت :  
ولكن لا يزال أمامك طريق طويل • هل تحب أن تفتح عينيك  
الآن ؟

هز ويل رأسه مؤكدا رفضه •

– أن الألوان لكى تعطى نفسك فرصة لاكتشاف حقائق  
الاشياء •

تمتم قائلا : حقائق الاشياء هى هذا الذى أرى •

وأكدت له أنها ليست هى وقالت : ان كل ما رأيت  
وسمعت وكنت ليس الا الحقيقة الأولى • والآن لا بد لك أن  
ترى الحقيقة الثانية • تنظر ، ثم تضم الحقيقة الأولى الى  
الحقيقة الثانية وتجعل منهما حقيقة واحدة • لذلك افتح عينيك  
ياويل وافتحهما واسعتين •

أخيرا قال وعلى مضض «ليكن ذلك» وفتح عينيه وهو  
يستشعر الخوف من حظ سيء ينتظره • وقد اختفى الضوء  
الداخلى فى نوع آخر من الضوء • وحل محل نافورة الاشكال  
والاجرام السماوية الملونة وهى مصطفة صفوفها يراها رأى  
العين والاشكال المشبكة التى تتغير قصدا تكوين ثابت يتألف  
من أعمدة وخطوط قطرية ومسطحات واسطوانات منحنية ،  
وكلها منحوت من مادة تشبه العقيق الحى ، وكلها يخرج من  
مصدر واحد للؤلؤ الحى النابض • ونظر ويل الى هذا فى  
ذهول وشيء من عدم الادراك كرجل أعمى أبل من عماء حديثا  
ليجابهة للمرة الأولى لغز الضوء واللون • وبعد انتهاء عشرين  
فاصلة موسيقية من كونسرتو براندنبرج الرابع طفت فى  
شعوره فقاعة من فقاقيع التفسير •

وفجأة عرف ويل أنه ينظر الى مائدة صغيرة مربعة ، خلفها مقعد هزاز ، وخلف المقعد حائط غفل أبيض • وكان تفسير ذلك مطمئنا له ، ذلك أن اللغز الذى واجهه فى الابدية التى مارسها - فيما بين فتح عينيه وظهور المعارف التى شاهدها - قد اشتد عمقه من جمال لا تفسير له الى ذروة من الغربة المضيئة التى امتلأت بها نفسه وهو ينظر بشيء من الفزع الميتافيزيقى • وهذا اللغز المخيف لم يكن سوى قطعتين من أثاث وحائط فسيح • وخفت مخاوفه ، ولكن دهشته تضاعفت • كيف يمكن لاشياء مألوفة عادية أن تكون على هذه الصورة ؟ لم يكن ذلك قطعا بالامكان ، ولكن ها هو ذا قد حدث •

وانتقل اهتمامه من التكوينات الهندسية بالعقيق البنى الى خلفيتها اللؤلؤية • وكان يعرف أن اسمها «جدار» ولكنها فى واقع الخبرة عملية حية ، وسلسلة متصلة من التحول من الجص والطلاء الى مادة خارقة للطبيعة - الى لحم المسيح الذى ما فتئ يتغير وهو ينظر اليه من مجد الى مجد • حاولت الكلمات الفقاعية أن تفسر ما رآه على أنه طلاء أبيض للجدار ، ولكن روحا لها قدرة التشكيل كانت تثير فى مخيلته سلسلة لا نهاية لها من الألوان الاخرى التى يتميز كل منها تماما عن غيره ، باهتة أحيانا غزيرة أحيانا أخرى ، برزت له من مكان مستتر وألقت نورها المتوهج على ذلك الجلد السماوى المتألق •

ياللمعجب ! ولا بد أن تكون هناك معجزات أخرى ، عوالم أخرى يغزوها وتغزوه • وأدار رأسه يسارا (وقد ظهرت الكلمات الفقاعية الملائمة فى الحال) فوقعت عينه على المنضدة

ذات السطح المرمرى التى تناولا عليها طعام العشاء . ثم  
توالى الفقاعات كثيفة يتلو بعضها بعضا . ان هذه الرؤية  
التى تسمى (المنضدة) يمكن أن يراها الانسان على أنها صورة  
رسمها فنان تكعيبى عجيب ، انسان مهلم مثل جوان جرى (١)  
بروح تراهيرن (٢) وموهبة لرسم المعجزات بالاحجار الكريمة  
وبألوان أوراق الزنبق التى تتغير أطياها .

وأدار رأسه قليلا نحو اليسار وأذهله بريق المجوهرات  
التى رآها . أى مجوهرات هذه ! ألواح ضيقة من الزمرد  
والتوباز ، ومن الياقوت الأحمر والياقوت الأزرق واللازورد ،  
كلها يتوهج ، صفا فوق صف ، أشبه ما تكون بقوالب الطوب  
الاحمر الكثيرة فى أحد جدران أورشليم الجديدة . وأخيرا  
- وليس فى البدء - كانت الكلمة . فى البدء كانت الجواهر ،  
والنوافذ المصنوعة من الزجاج الملون ، وجدران الفردوس .  
والآن فقط ، وفى النهاية البعيدة ظهرت الكلمة (خزانة  
الكتب) للنظر .

رفع ويل بصره من الجواهر الناطقة واذا به فى قلب منظر  
طبيعى من المنطقة الاستوائية . لماذا ؟ وأين ؟ ثم تذكر أنه  
(وهو فى عالم آخر) عندما دخل الغرفة أولا كان قد لاحظ  
فوق خزانة الكتب صورة كبيرة رديئة بالالوان المائية . بين  
الكتبان الرملية وأجام النخيل يجرى مصب نهر يأخذ فى  
الاتساع كلما اتجه نحو البحر ، وتبدو فوق الأفق آكام  
السحب ترتفع فى السماء الشاحبة . ومن أضحال نفسه

(١) مصور تكعيبى أسباني (١٨٨٧ - ١٩٢٧) - المترجم

(٢) قسيس انجليزى أديب كتب نثرا ونظم شعرا ميثافيزيقيا

(١٦٣٧ - ١٦٧٤) - المترجم



خرجت كلمة «ضعيفة» كالفقاعة تطفو فوق سطح الماء • ومن الواضح أن الصورة من رسم هاو للفن موهبته محدودة •

ولكن هذا الخاطر ليست له الآن أية أهمية ، لان المنظر الطبيعي لم يعد صورة ، وانما هو موضوع الصورة – هو نهر حقيقي ، وبحر حقيقي ، ورمال حقيقية تتوهج فى ضوء الشمس ، وأشجار حقيقية باسقة فى سماء حقيقية ، حقيقية الى ما لا نهاية ، حقيقية الى حد المطلق •

وهذا النهر الحقيقى الذى يختلط بالبحر الحقيقى هو كيانه شخصيا وقد احتوته القدرة الالهية • وظهرت فوق السطح فقاعة لفظية تتساءل فى سخرية : هل هى القدرة الالهية بين علامات التنصيص ، أم القدرة الالهية التى تدعو الى التعجب بالمعنى البكويكى الحديث ؟ هز ويل رأسه • والجواب عنده كان هى القدرة الالهية فحسب – ليست القدرة التى يمكن أن يمتقد فيها المرء ، ولكنها القدرة الواقعية التى تواجهه وتفصح عن نفسها • ومع ذلك فهذا النهر لايزال نهرا ، وهذا البحر هو المحيط الهندى • وليس شيئا آخر فى ملابس تنكرية • انما هما هما بعينيهما بغير لبس • ولكنهما كذلك القدرة الالهية بغير لبس •

سألته سوزيلا : أين أنت الآن ؟

لم يدر رأسه نحوها وقال : فى السماء على ما أظن • وأشار الى صورة المنظر الطبيعي •

– مازلت فى السماء ! متى تهبط على الأرض ؟

ومن الأضحال الغرينية خرجت فقاعة من فقايع الذكريات •

– فى مكان أعمق يحتويه الضياء ، كما قال وردزورث •  
– ولكن وردزورث تحدث كذلك عن موسيقى الانسانية  
الساكنة الحزينة •

قال ويل : ليس فى صورة المنظر الطبيعى التى أشاهدها  
– لحسن الحظ – بشر •

وضحكت ضحكة خفيفة وقالت : ولا أى حيوان • سحبت  
فقط وخضروات تخدع بمنظرها البريء • ويحسن بك لذلك  
أن تنظر الى ما فوق الأرض •

وأرخبى ويل بصره • وتمثلت له الفواصل فى ألواح  
خشب الأرضية فى صورة نهر بنى اللون ، وهذا النهر عبارة  
عن رسم تخطيطى فى دوامة لا تفتقر عن الدوران للحياة  
الديوية المقدسة • ووسط هذا الرسم تقع قدمه اليمنى ،  
عارية تحت أربطة الصندل الذى ينتعله ، ولشد ما كانت  
دهشته حينما أدرك أن لهذه القدم أبعادا ثلاثة وكأنها قدم من  
المرمر لتمثال بطل من الابطال تسطع عليه الأضواء • ومن  
الألفاظ العفوية التى تفسر له ما يشاهد ، «الالواح» ،  
«الفواصل» ، «القدم» ارتد اليه اللغز الذى لا سبيل الى حله  
ولكنه مفهوم ، على ما فى ذلك من تناقض • مفهوم ذلك الفهم  
الذى لا يستند الى المعرفة وهو الفهم الذى كان ما يزال مهياً له  
على الرغم من الأشياء المحسة والألفاظ التى برزت من الذاكرة •

وفجأة ، وبطرف عينه ، لمح حركة اندفاع سريع • وتحقق  
له أن الانفتاح للسعادة والفهم هو كذلك انفتاح للفزع ،  
ولعدم الإدراك بتاتا • وبدأ قلبه يدق بشدة أرجفته ، وكان  
هذا القلب مخلوق غريب يسكن صدره ويضطرب من ألم

ميرح • واعتقد على كره منه أنه يوشك أن يلقى الفزع  
الأكبر فأدار رأسه وأخذ ينظر حواليه •

قالت مطمئنة له : هذه احدى سحليات توم كريشنا التي  
يلهو بها •

كان الضوء ساطعا كأي وقت سبق ، ولكن السطوع  
هذه المرة كان يرمز الى شيء آخر • وميض الشر المطلق يشع  
من كل قشرة رمادية خضراء على ظهر المخلوق الذي تراه  
له ، كما يشع من عينين كالسبح ، ومن حلقه القرمزي النابض ،  
ومن أطراف خياشيمه المسلحة وفمه المشقوق • وصرف عنه  
النظر • ولكن عبثا • لان الفزع الاكبر كان يتطلع اليه من  
كل شيء يقع عليه البصر • ان تلك التكوينات التي رسمها  
فنان تكميبى للغز انقلبت الآن الى آلات معقدة تنفث الضغينة •  
وذلك المنظر الطبيعي الاستوائى الذي مارس فيه اتحاده مع  
الله – بات الآن – وفي نفس الوقت – أشبه بتلك الصور  
المقلدة التي تعافها العين والتي شاعت فى المعهد الفيكتورى ،  
أو كأنها السعير فى حقيقته • وصفوف المجوهرات الناطقة  
خيم عليها وهى على رفوفها حلك الظلام كأشد ما يكون الظلام •  
هذه الجواهر التي خرجت من أعماق الاعماق تبدو الآن  
رخيصة • مبتذلة بدرجة لاتوصف ! وبعد أن كانت ذهبنا  
ولؤلؤا وأحجارا ثمينة لم تعد الآن الا كزينة شجرة عيد الميلاد،  
والبريق الزائف يشع من الصفيح الملون والبلاستيك • لايزال  
كل شيء ينبض بالحياة ، ولكنها الحياة التي تلمسها فى أخس  
صالات البيع والشراء التي تقع فوق سطح الأرض • وهذه  
– كما أكدت الموسيقى الآن – هو ماتخلقه دائما القدرة  
الكبرى – شيء شبيه بمحلات ولورث على النطاق العالمى ،

محلات مليئة بالاهوال التي تنتج على أوسع نطاق • أهوال  
الابتذال ، وأهوال الألم ، والقسوة ، وانعدام الذوق  
والبلاهة والحقد المقصود •

واستمع الى سوزيلا وهي تقول : انها ليست وزغة (١) ،  
ليست واحدة من السحالي المنزلية اللطيفة الصغيرة • انها من  
ذلك النوع الغريب الضخم تسربت من الخارج ، انها من  
مصاصات الدماء • ولكنها - بطبيعة الحال - لامتص الدماء ،  
حلوها حمراء - هذا كل ما فى الأمر ، يتحول وجهها الى اللون  
الأرجوانى اذا أنت أثرتها • ومن ثم اكتسبت ذلك الاسم  
السئ • انظر اليها ! انها تتحرك هناك !

وطأطأ ويل رأسه مرة أخرى • انها حقيقة خارقة  
للطبيعة - تلك السحلية المريمة ذات القشور ، والعينين  
السوداويين الخاويين ، وفم كضم القاتل ، وحلق فى حمرة  
الدماء ينتفخ مع بقاء الجسم ممتدا على الارض ساكنا سكون  
الموت - هذه السحلية هى الآن على بعد ست بوصات من  
قدمه •

قالت سوزيلا : لقد رأيت بعينيها غداءها • انظر الى  
يسارك عند حافة الحصير •  
أدار ويل رأسه •

وواصلت حديثها وقالت : جونجيلس جونجيلويديس (٢) •  
هل تذكر ؟

---

(١) سام ابرص - المترجم  
(٢) نوع من أنواع الحشرات - المترجم

نعم كان يذكر • ذكر (فرس النبي) تلك الحشرة الضارعة  
التي استقرت على سريره • لكن ذلك كان فى عالم آخر • ان  
مارآه فى ذلك العالم لم يكن سوى حشرة غريبة المنظر • أما  
ما يراه الآن فهو عبارة عن كائنين وحشيين طول كل منهما  
بوصة ، رهييبين للغاية ، يتلاقحان • لونهما شاحب فى زرقة  
مخملط ومعروق بلون قرنفل ، ترفرف بأجنحتها باستمرار ،  
كأنها أوراق الزهر يهزها النسيم ، ملونة عند أطرافها باللون  
البنفسجى الداكن • كأنها زهور مقلدة • ولكن المرء لا يخطئ  
فيهما الشكل الحشرى • والآن تغيرت حتى ألوانها الزهرية •  
واستحالت تلك الأجنحة الى زوائد لأداتين لامعتين مطليتين  
بالمينا مما يعرض فى صالة البيع للأشياء الرخيصة ، وكأنهما  
نموذجين صغيرين مما يراه الانسان فى الكابوس ، أو آلتين  
مصغرتين لعملية اللقاح • والآن أدارت إحدى آلتى الكابوس  
– وهى الانثى – رأسها الصغير المفلطح ، وكأنها استحالت كلها  
فما فأخرا ، عيناها بارزتان فى نهاية عنقها الطويل – أدارت  
رأسها (وياللمجب) بدأت تلتهم رأس الآلة الذكر • مضغت  
أولا عينا ارجوانية ، ثم أردفتها بالوجه المزرق • وسقط على  
الأرض مابقى من الرأس • وترنح العنق المقطوع بوحشية  
ولم يعقه ثقل العينين والفكين • أما الآلة الانثى فقد أطبقت  
بفكيها على القطعة المقطوعة التى كانت ترشح ، وأمسكت  
بها ، فى الوقت الذى ثابر فيه الذكر مقطوع الرأس على أن  
يحياكى فى سخرية بغير انقطاع آريز (١) بين ذراعى  
أفروديت ، وهو يلتهم التهاما •

---

(١) آريز فى الأساطير اليونانية آله من آلهة الحرب أحب أفروديت  
حبا عنيقا وتزوج منها – المترجم

وبطرف عينه لمح ويل حركة وثب أخرى ، فأدار رأسه  
بعده وأمكنه أن يرى السحلية وهي تزحف نحو قدمه •  
وأخذت تقترب شيئاً فشيئاً فوجه بصره وجهة أخرى فزعا •  
وأحس شيئاً يمس أصابع قدمه ، واستمر يدغدغ مشط القدم •  
ثم توقفت الدغدغة ، ولكنه أحس شيئاً من الشغل فوق قدمه ،  
قشورا جافة تلمسها • وأراد أن يصيح ، ولكنه كان فاقد  
الصوت ، وحاول أن يتحرك فأبت عضلاته أن تستجيب •

وأخذت الموسيقى تعزف المقطع الأخير السريع بغير  
توقيت ، الفزع يتقدم بنشاط ملحوظ ، الفزع فى زى  
مزرکش مزخرف يقود الرقص •

الفزع متمثلاً فى القشور ، ساكن تماماً ، فيما خلا  
النبض فى حلقه الأحمر ، هذا الفزع رقد على مشط قدمه  
يحديق بعينين لاتعبران فى فريسته التى حكم عليها القدر •  
وقد تشابك النموذجان الصغيران للكابوس وأخذنا يرتعشان  
كما ترتعش أوراق الزهر فى الريح ، ويهتزان فى تشنج من  
أثر الآلام التى يثيرها التلاحق والموت فى وقت واحد معا •  
وانقضت فترة كأنها قرن من الزمان طويل ، واستمرت الرقصة  
المرحة الخفيفة ، رقصة الموت ، على فاصل موسيقى بعد فاصل  
آخر •

وفجأة أحس خمشا من أنياب صغيرة تتحرك فوق جلده •  
لقد زحفت مصاصة الدماء من فوق مشط قدمه الى الأرض •  
ولبت مكانها ساكنة سكونا مطلقا لفترة كأنها عمر طويل •  
وبسرعة غير معقولة انطلقت فوق الالواح الخشبية وفوق  
الحصير • وفتحت فاما الذى يشبه الشق ثم أغلقتة • ومن بين  
الفكين القاضمين برز طرف جناح يتفسجى اللون مازال

يرفرف كورقة السحلبية يهزها النسيم • واهتزت ساقان هذا  
عنيفة برهة من الزمن ، ثم اختفتا عن الانظار •

ارتعد ويل وأغمض عينيه • ولكن فيما بين ما أحسن من  
أشياء وما تذكر وما تخيل - وهو يعبر الطريق - طارده  
الفرع • وفي وهج الضوء الباطني امتد عمود لا نهاية له  
من الحشرات التي لمعت كما يلعب الصفيح ومن الزواحف  
البراقة ، متجهة من اليسار الى اليمين ، وخارجة من مصدر  
خفى للكابوس نحو ذروة وحشية مجهولة • جونجيلس  
جونجيلويديس بالملايين ، تتوسطها مصاصات للدماء لاتعد  
ولا تحصى • أكل ومأكول - الى الأبد •

وفي أثناء ذلك - كان المقطع الموسيقي الأخير من  
كونسرتو براندنبيرج الرابع يعزف ويعزف باستمرار  
بالقيثارة والمزمار والكمان • يالها من موسيقى خفيفة مرحة  
تعزف نشيد الموت • يمين ، شمال ، يمين ، شمال ••• ولكن  
ماهى كلمة الأمر للحشرات سداسية الأرجل ؟ وفجأة تحولت  
الحشرات سداسية الأرجل الى حيوانات تسير على قدمين •  
وتحول العمود اللانهائي من الحشرات بفتة الى عمود لانهائي  
من الجندي ، يسرون كأولئك الجندي ذوى القمصان البنية التي  
كانت تسير فى شوارع برلين قبل اندلاع الحرب بعام واحد •  
ألوف الألوف من الجندي ، أعلامهم ترفرف ، وأزياؤهم الرسمية  
تتهيج ببريق جهنمي كأنهم نفايات يسطع عليها الضوء  
الكاشف • كالحشرات يسرون بأعداد لا حصر لها ، وكل  
واحد منهم يتحرك بدقة الآلة ، وبالانقياد الكامل الذى تتصف  
به الكلاب الوفية • ووجوههم ، يالها من وجوه ! لقد شهد من

قبل ختام شريط الانباء الالماني ، وهاهم يعودون مرة أخرى ،  
بصورة واقعية خارقة للطبيعة حية ذات أبعاد ثلاثة •

وهذا وجه هتلر الوحشى بضمه المفتوح يصيح • وهذه  
وجوه المستمعين من كافة الفئات المتنوعة • وجوه ضخمة بلهاء  
تستقبل كل مايلقى عليها فوق لوحة بيضاء • وجوه أناس  
يمشون وهم نيام بمعيون مفتوحة • وجوه شباب نوردى  
ملائكى تسبح فى رؤى طوبوية • وجوه قديسين فى حلل  
مزخرفة فى بهجة ونشوة • وجوه المحبين وقد بلغت بهم اللذة  
ذروتها • شعب واحد ، مملكة واحدة ، قائد واحد • اتحاد فى  
وحدة خلية النحل • فهم بغير معرفة للهراء والشعوذة •

ثم يعود شريط الانباء الى الصفوف المكتظة ، الى  
الصليبان المعقوفة ، الى الفرق النحاسية ، ومنومها المغناطيسى  
يصيح فوق المنصة • وهنا مرة أخرى فى وهج ضيائه الباطنى  
يظهر طايور الاشخاص فى الزى البنى فيما يشبه الحشرات ،  
يسير الى غير غاية على أنغام هذه الموسيقى التافهة المزعجة •  
الى الامام أيها الجنود النازيون • الى الامام أيها الماركسيون ،  
الى الامام أيها المسيحيون ، الى الامام كل شعب مختار ، وكل  
صليبي ، وكل صانع للحرب المقدسة • الى الامام نحو الشقاء ،  
والشر ، والموت •

وفجأة وجد ويل نفسه متطلعا الى ماسوف يتحول اليه هذا  
الطابور السائر عندما يبلغ نهاية المسير - ألوف الجثث فى  
أوحال كوريا ، كتل لا حصر لها من القاذورات تتسخ بها  
الصحراء الافريقية • وهنا (وقد أخذ المنظر يتغير بسرعة  
ومفاجأة مذهلة) هنا ترقد الجثث الخمس الملوثة التى رآها منذ  
بضعة أشهر فقط ، وجوهها الى أعلى وحلوقها جريحة فى فناء



عزبة جزائرية • وهنا - من ماض يسبق هذا التاريخ بنحو  
عشرين عاما - ترقد تلك المرأة العجوز ، ميتة عارية تماما  
وسط صخور بيت مشيد من الجص فى غابة سنت جون • وهنا  
- بغير انتقال - غرفة نومه الرمادية الصفراء ، تنعكس فى  
مرآة خزانة الملابس صورة جسمين شاحبين ، جسمه وجسم  
بابز ، يتزاوجان فى جنون بمصاحبة ذكرياته عن جنازة  
مولى ، ونغمات موسيقى الجمعة الحزينة من باريسيفال - يبتها  
راديو شتوتجارت •

وتغير المنظر مرة أخرى ، واذا بوجه العمدة مارى يبتسم  
له فى مرح شديد ، فى مكان يتزين بنجوم من الصفيح  
ومصاييح خيالية ثم تحول الوجه أمام عينيه الى وجه تلك  
الغريبة المنتحبة الخبيثة ، التى حلت محلها خلال تلك الأسابيع  
الأخيرة الشنيعة التى سبقت التحول النهائى الى  
النفايات المتخلفة • اشعاع من الحب وعمل الخير ثم أسدل  
الستار ، وأغلقت النافذة ، ودار المفتاح فى القفل - واذا بهما  
كل فى مكانه - هى فى المقبرة ، وهو فى سجنه الخاص محكوم  
عليه بالحبس الانفرادى ، وذات صباح جميل لايعرف أجله  
يدركه الموت • المذاب فى صالة البيع الرخيصة فى الدور  
الأسفل من المبنى • والصلب وسط زينات شجرة عيد الميلاد •  
فى الخارج أو الداخل ، والعيون مفتوحة أو والعيون مغمضة -  
لا مجال للهروب •

وهمس لنفسه «لا مجال للهروب» وأكد باللفظ الحقيقة،  
وحولت كلماته الحقيقة وجعلتها أمرا مؤكدا بغياضا ، ينفث

تارة الى أعلى ، وتارة الى أسفل ، والى عمق فى اثر عمق من  
الابتدال الخبيث ، جعيم اثر جعيم من آلام ليس من ورائها  
البتة غاية •

وبقوة كقوة الالهام أدرك أن هذه الآلام لم تكن فقط  
عديمة الجدوى ، بل كانت كذلك تتراكم ، وتصبح من تلقاء  
نفسها أبدية • ومن المؤكد ، ومما يفرح كذلك ، أن الموت  
كما جاء لمولى وكما جاء لعمته مارى ولغيرهما ، لا بد أن يأتيه ،  
ولكنه لن يبلغ هذا الحد من الخوف ، ومن الاشمزاز ، ومن  
عذابات تأنيب الضمير ، وكراهية النفس • الألم سوف يستمر  
الى الأبد ، على الرغم من خلوه دائما من المعنى • الانسان فى  
كل ناحية من نواحيه محدود بشكل بشع وبصورة تدعو الى  
الازدراء • ولكنه ليس كذلك من ناحية الآلام •

هذه الجلطة الدموية المكثفة المظلمة الصغيرة فى حجمها  
والتي يسميها المرء «أنا» • • قادرة على تحمل الآلام قدرة  
ليست لها حدود ، وسوف تستمر الآلام الى أبد الأبد على  
الرغم من الموت • آلام الحياة ، وآلام الموت ، ورتابة الكروب  
المتتابعة فى صالة البيع السفلى ، والصلب الأخير فى عالم  
زائف يتوهج وهج الصفيح والبلاستيك – هذه الآلام سوف  
تبقى دائما يتردد صداها وتتضخم على الدوام • وهذه الآلام  
لا تنتقل من شخص الى آخر • والعزلة كاملة • ان وعى المرء  
بوجوده وعى بعزله دائما • عزلة لا تختلف عن عزله وهو  
فى سرير بابز الذى يفوح منه المسك ، أو عزله وهو يشكو  
الألم فى أذنه أو ذراعه المكسورة ، أو مرضه السرطانى فى  
دوره النهائى ، أو وحدته فى آلامه الدائمة ، بعد ما يظن أن  
كل شئ قد انتهى •

وفجأة أدرك أن شيئاً قد طرأ على الموسيقى - فلقد تغير  
ايقاعها - دقت نغمة الانتهاء - نهاية كل شيء لكل انسان -  
وعزفت موسيقى الموت القصيرة المرحية يسير على نغمتها  
المشاة حتى حافة الجبل ، وكانوا يترنحون عند سفحه -  
وواصلت الموسيقى عزف مقطوعها الأخير - سقطت الموت ،  
السقوط فى حفرة الموت - وفى الوقت المحدد وبالضرورة جاءت  
النغمتان المتوقعتان ، ثم كانت الذروة ، فالنهاية التى لا لبس  
فيها - وأعقب ذلك خممش ثم دقة حادة ساد بعدها السكون -  
ومن خلال النافذة المفتوحة أمكنه أن يسمع نقيق الضفادع  
البعيدة ، وأصوات الحشرات الخشنة الرتيبة - ومع ذلك فقد  
ظل الصمت سائداً بشكل عجيب - وكالذباب فى كتلة من  
العنبر ، تاهت الاصوات فى عالم شفاف لا لغو فيه وعجزت  
عن شقه أو حتى تحويره ، وبقيت فيه نشازا كلياً - وازداد  
الصمت عمقا ، يتحول من كثيف الى أكثف ، لا يحده زمان -  
الصمت فى كمين ، صمت مترقب متأمر أشد خبثا من مسيرة  
الموت التافهة المروعة التى سبقتها -

هذه هى الهوة التى ساقه صوت الموسيقى الى حافتها - الى  
الحافة ، والى ما بعد الحافة ، الى هذا السكون الأبدى -  
همس قائلاً : الألم لا نهاية له ، ولا تستطيع أن تتكلم ،  
بل ولا تستطيع أن تصرخ -

وقع المقعد ، ورفرف الحرير ، وأحس الهواء الذى  
جلبته الحركة على وجهه - كان ذلك اقتراب انسان - ومن  
خلف جفنيه المغمضين أدرك بشكل ما أن سوزيلا تركع أمامه -  
وبعد لحظة أحس يديها وهى تمس وجهه - راحتها فوق  
خديه ، وأصابعها تعبث بعارضتيه -

وأخذت الساعة الكبيرة فى المطبخ تنز ثم بدأت تدق  
ايذانا بالوقت .دقة ، دقتان ، ثلاث دقات ، أربع . وهبت  
فى الحديقة الخارجية نسمة هامسة خشخشت بين أوراق  
الشجر بغير توقف . وصاح الديك ، وبعد لحظة ، ومن بعيد ،  
جاء الصدى ، وتلاه صدى بعد صدى فى تلاحق . ثم كان  
صدى الصدى ، وأصداء أخرى تتردد . ألحان التحدى  
تتعداها ألحان أخرى ، وأنغام الاعتراض تعترضها أنغام أخرى .  
وبعدئذ انضم الى الجوقة صوت آخر مختلف . واضح النبرة ،  
ولكنه ليس انسانيا . ومن خلال صياح الديك وضوضاء  
الحشرات نادى :

— انتباه ، انتباه ، انتباه .

وكررت سوزيلا بعده الكلمة : «انتباه !» ، وبينما كانت  
تنطق بالكلمة أحست أصابعها وقد بدأت تتحرك فوق جبهته .  
وبخفة سارت بها من حاجبيه الى شعره ، ومن عارضتيه الى  
النقطة التى تتوسط بين العينين . وأخذت تحرك أصابعها الى  
أعلى وإلى أسفل ، وإلى الخلف وإلى الامام ، تخفف من تقلصات  
العقل ، وتسوى أحاديده الحيرة والألم . قالت «تنبه الى هذا»  
وضاعفت من ضغط راحتيها على عظام صدغيه ، ومن ضغط  
أطراف أصابعها فوق أذنيه . وكررت عبارتها «تنبه الى هذا»  
الى اللحظة الراهنة . الى وجهك بين راحتي . ثم خففت من  
شدة الضغط ، وبدأت أصابعها تتحرك مرة أخرى فوق  
جبهته .

ومن خلال صياح الديك الاجش الذى كان نشازا فى  
تلك اللحظة ، نادى الصوت منبها فى الحاف «انتباه ، انتباه ،  
انتبا . . .» وهنا قبل أن تتم الكلمة سكت الصوت .

هل يتنبه الى راحتها فوق وجهه ، أم هل يتنبه الى وهج الضياء الباطنى ؟ أم الى تلك النجوم المتكاثرة من الصفيح والبلاستيك ؟ أم - من خلال صنوف الابتدال المتدفقة - الى تلك النفاية التى كانت مولى فيما مضى ؟ أم الى المرأة فى بيت العاهرة ؟ الى تلك الجثث الملقاة فى الوحل والتراب والصخور المتكسرة والتى لا يصيها العد ؟ وهناك أيضا السحالى وجونجيس جونجيلويديس بالملايين ، وطواير المشاة ، وتلك الوجوه السابحة فى عالم آخر ، وجوه الملائكة النورديين الممعنين فى الاصغاء .

وبدأ طائر المينة ينادى ثانية من الجانب الآخر للبيت :

- انتباه ، انتباه .

هز ويل رأسه وقال : انتباه الى ماذا ؟

- الى هذا .

وغاصت بأظافرها فى جلد جبهته . ثم قالت :

- هذا . الآن وفى هذا المكان . وهو ليس شيئاً رومانسياً كالمعاناة والآلام . انه مجرد الاحساس بأظافر أصابعى . وحتى ان كان ذلك أسوأ من الآلام التى عرفتھا ، فهو لا يمكن أن يدوم الى الأبد أو يستمر الى ما لا نهاية . ليس هناك أبدى ، ولا لانهاى . اللهم الا - ربما - طبيعة بوذا .

وحركت يديها ، ولكن اتصالتها به هذه المرة لم يكن بالأظافر ، انما كان بالجلد ، وأنزلت أطراف أصابعها على حاجبيه ، وبخفة شديدة نقلتها الى جفنيه المغمضين . ولأول ومضة عين استولى عليه خوف قاتل : هل كانت تستعد لقف

عينيه ؟ وقبع مكانه متأهبا ليلقى برأسه الى الوراء ويشب على قدميه عند أول حركة من حركاتها • غير أن شيئا لم يحدث • وتبددت مخاوفه شيئا فشيئا ، وبقي وعيه بهذه اللمسة الودود التي لم يكن يتوقعها ، والتي يكمن فيها الخطر • وكان الوعي حادا جدا ولأن العينين حساستان الى أقصى حد كان هذا الوعي كذلك مشتملا على كل نفسه بحيث لم يبق له ما يدرك به الضوء الباطنى أو الاحوال والامور المتبدلة التي تتكشف له عن طريق هذا الضوء •

وهمست قائلة له : انتبه •

وكان من المستحيل ألا ينتبه • ومهما يكن من أمر فقد تحسنت بأطراف أصابعها برفق وفى رقة شديدة أعماق أعماق شعوره • واستطاع الآن أن يرى غزارة الحياة فى هذه الاصابع • أى دفء يشع منها ويشعره بوخز خفيف !

تعجب قائلا : انها كالتيار الكهربائى •

قالت : ولكن الاسلاك لحسن الحظ لاتحمل رسائل • أنت تمس وبهذا المس تمس • اتصال كامل ، وليس هناك ما ينقل • الأمر كله تبادل حياة بحياة وصمتت برهة ثم قالت :

– هل تدرك يا ويل أنك فى هذه الساعات الطوال التي جلسناها هنا معا – وهى فى حالتك قرون ، وأبد الأيديع – لم تنظر الى مرة واحدة ؟ هل أنت تخشى مايمكن أن تراه ؟ وفكر فى هذا السؤال وأخيرا أوماً برأسه ايجابا •

ثم قال : ربما كان الأمر كذلك • أخشى أن أرى شيئا

يتحتم على أن أشارك فيه ، أمرا ربما تحتم على أن أفعل شيئا  
بشأنه .

– لذلك تشبثت ببإخ وبالمناظر الطبيعية وبالضياء  
الصافى فى الفراغ .

وقال شاكيا : وهو ما حرمتنى من النظر اليه .

– لأن الفراغ لا يجديك نفعا الا ان أنت شهدت ضيائه  
فى كل شىء وفى الناس . وهو أحيانا أشد عسرا .  
تدبر قولها : أشد عسرا .

وطافت بذكرته طواير المشاة وانعكاس الاجساد فى  
المرآة ، وكل تلك المثلث الملقاة على وجوه أصعابها فى الوحل ،  
وهز رأسه وقال : هذا مستحيل .

وأصرت قائلة : لا . ليس مستحيلا . الضياء والرأفة  
أمران متلازمان . المتأمل الشره هو الذى يريد أن يمتلك  
الضياء ولا يعبأ بالرأفة . الناس الطيبون فحسب يحاولون أن  
يكونوا رحماء ويأبون أن يأبها بالضياء . وكما عهدت ، المسألة  
هى أن تفيد من العالمين أكبر الفائدة . ثم قالت : وقد أن لك أن  
تفتح عينيك وتسرى كيف يكون شكل الكائن البشرى فى  
الواقع .

وتحركت أطراف أناملها من جفنيه الى جبهته ، ثم الى  
عارضتيه ، والى خديه ، ثم الى طرفى فكيه . وبعد لحظة أحس  
بهما على أصابعه ، وكانت تضم يديه الى راحتيهما .

وفتح ويل عينيه ولأول مرة منذ أن تناول عقار الموكشا  
وجد نفسه يتفرس وجهها بامعان .

وأخيرا همس قائلا : يا الهى !

ضحكت سوزيلا وسألته : هل هو قبيح قبح مصاص  
الدماء ؟

ولكن الأمر لم يكن الآن هزلا • وهز ويل رأسه قلقا ،  
واستمر فى تفرسه • كان محجرا عينيها وما يغشاهما من ظلال  
أمرا ملغزا ، وفيما خلا هلال ضئيل من الضوء يسطع على  
عظام خديها ، كان كذلك الجانب الأيمن من خدها بأسره  
معتما • أما الجانب الأيسر فقد تلالأ باشعاع ذهبى -  
بريقه خارق للطبيعة ، ولكنه بريق لا هو وهج الظلام  
المبتذل الخبيث الذى يراه ولا هو اللهب البهيج الذى تكشف له  
فى الفجر البعيد لأبديته خلف جفنية المغمضين ، كما تكشف  
له عندما فتح عينية فى الجواهر الناطقة ، وفى تكوينات  
الفنانين التكميين العجيبين ، وفى المناظر الطبيعية التى تغيرت  
فى شكلها • ان ما يراه الآن هو تناقض الاضداد التى تلاقى  
لقاء لا فكاك منه ، تناقض الضوء يشع من الظلام ، والظلام  
فى قلب الضياء •

وأخيرا قال : انه ليس الشمس وليس مدينة تشارترز (١)  
وليس صالون البيع المهنى بحمد الله • انه كل ذلك فى وقت  
واحد • وأنت أنت ، وأنا أنا - وان كان كل منا يختلف عن  
الآخر تماما • أنا وأنت لو رسمنا رامبرانت ، بل وأضعاف  
ذلك آلاف المرات •

---

(١) مدينة فى شمال فرنسا • وتشتهر بكنائسها التى يتمثل فيها  
جمال فن العمارة وتكثر فيها النوافذ ذات الزجاج الملونه - المترجم



وصمت لحظة ، ثم أوما برأسه ليؤكد ما ذكر ، ثم قال :  
نعم ، هو ذاك . الشمس فى تشارترز ، والنوافذ ذات الزجاج  
اللون فى صالون البيع . وصالون البيع هو كذلك غرفة  
التعذيب ، ومعسكر الاعتقال ، والمقبرة تزينها شجرة عيد  
الميلاد . والآن ينعكس صالون البيع ، فيضم تشارترز  
وشريحة من الشمس ، وينقلب الى هذا - أنت وأنا بريشة  
رامبرانت . هل لذلك أى معنى لديك ؟

وأكدت له أن له عندها كل معنى فى هذه الدنيا .

ولكن ويل كان منشغلا بالنظر اليها بدرجة لم تمكنه من  
الاصغاء الى ما كانت تقول . وأخيرا قال : أنت جميلة بشكل  
لا يصدقه أحد . ولو كنت قبيحة بشكل لا يصدقه أحد لما  
اكثرثت ، فسوف تظلين صورة من رسم رامبرانت مضاعفة  
أثارها خمسمائة مرة وأخذ يكرر قوله : جميلة ، جميلة ،  
ومع ذلك لا أحب أن أتزوج منك . لا ، هذا غير صحيح ، بل  
أحب ، والى درجة كبيرة جدا حقا . ولكنى اذا لم أفعل  
ما اكثرثت ، فسوف أظل محبا لك . بالطريقة التى يفترض  
أن يحب بها المرء سواه اذا كان مسيحيا وكرر قوله : المحبة ،  
المحبة ، انها أيضا من تلك الكلمات التى تلوث معناها . اذا  
قيل (انه يحب) أو (يمارس الحب) فالاستعمال هنا صحيح .  
ولكن (المحبة) الخالصة ؟ هذا فحش لا أستطيع النطق به .  
ولكن دعينا من هذا الآن . . . » وأبتسم وهز رأسه وقال :  
صدقت أم لم تصدقى ، أنا الآن أستطيع أن أفهم ما يقصدون  
حيثما يقولون (الله محبة) . قد يبدو ذلك هراء ، ولكنه  
الحق . ثم ان هناك وجهك غير العادى بصورة لا تصدق .

لكأنى أنظر الى كرة من البلور - صورة تتجدد فى كل حين -  
انك لاتستطيعين أن تتخيلي ...

ولكنها كانت تستطيع أن تتخيل وقالت : لاتنس أننى  
كنت هناك بنفسى -

- وهل نظرت الى أوجه الناس ؟

أومات برأسها ايجابيا وقالت : نظرت الى وجهى فى المرأة،  
وطبعما نظرت الى وجه ديوجولد - ورأيت عجبا ! فى تلك المرة  
الأخيرة التى تعاطينا فيها معا عقار الموكشا ! بدا أول الأمر  
كأنه بطل من أبطال الاساطير المستحيلة - أساطير الهنود فى  
ايسلندة ، أو الفايكنج فى التبت - ثم فجأة وبغير انذار سابق  
صار ميتريا بوذا (١) - هو بعينه ميتريا بوذا ! يشع منه  
الضوء ، ولازلت أرى ...

وسكنت عن الكلام ، وفجأة ألقى ويل نفسه ناظرا الى  
الشكل مجسدا وكان سبعة سيوف تلعن قلبها - رأى علامات  
الألم فى العينين السوداوين ، وحول أطراف فمها ذى الشفتين  
الغليظتين فعرف أن الجرح كاد أن يقتلها ، وانه لايزال مفتوحا  
تسيل منه الدماء - عرف ذلك وفى قلبه وخز الألم - ضفط على  
يديها - وبالطبع لم يكن لديه ما يقول - لا كلمات ، لا عزاء  
يفكر فلسفى - لم يكن هناك سوى لغز التلامس المشترك ، هذا  
الاتصال من الجلد الى الجلد والذى يتدفق بغير نهاية -

وأخيرا قالت : ما أسهل أن يعود المرء الى الماضى - ذلك

---

(١) بوذا المنتظر - المترجم

أمر غاية فى السهولة ، وكثيرا ما يتكرر وتنفست تنفسا عميقا واعتدلت فى جلستها •

وقد حدث فى وجهها وفى جسمها كله تغير آخر أمام عينيه • فلقد رأى فى ذلك الجسم النحيل قوة تكفى لمقاومة أى نوع من أنواع المعاناة ، ارادة أقوى من كل السيوف التى يمكن للقدر أن يطعنها بها • رابطة الجأش ، قوية العزيمة •

وعاد الى ذاكرته ذلك الصوت الهادىء الذى كان يخاطبه فى حديث متدفق لا يقاوم عن الاوز العراقى ، والكاتدرائية، وعن السحب والمياه الساكنة • وبينما كان يستعيد ذكرياته بدا له وجهها متوهجا بشعور النصر • انها قوة كامنة - رأى التعبير عنها • وأحس وجودها المريع فتراجع أمامها •

همس قائلا : من تكونين ؟

وحدقت فيه لحظة دون أن تنبس ببنت شفة ، ثم قالت فى مرح وهى تبتسم : لا ترع ، فلست أنثى فرس النبى •  
وبادلها ابتسامة بابتسامة - وكأنه يرد ابتسامة فتاة ضاحكة تشتتهى القبل وتدعو اليها فى صراحة •

قال : حمدا لله وعاد اليه الحب الذى كان قد تقلص من الفزع ، عاد اليه يجرفه تيار من السعادة •

- على أى شىء تحمده ؟

- على أنه أعطاك نعمة الاحساس •

ابتسمت مرة أخرى وقالت : أرى أن القبط قد خرج من منجباء •

قال : كل هذه القوة ، وكل هذه الارادة المريعة التى تدعو الى الاعجاب • كان من الممكن أن تكونى شيطانا ، ولكن لحسن الحظ ، وبارادة الله •••

وفك ارتباط يده اليمنى بيدها ، وبطرف سبابته الممتدة لمس شفيتها • واستطرد قائلا : نعمة الاحساس المباركة - كان فيها خلاصك • ثم قال : اقصد نصف خلاصك بتعديل للعبارة الأولى ، وقد تذكر الجنون الرهيب الذى لاينتوى على حب الذى أصابه فى الفجوة القرنفلية • وأضاف : انه ناحية واحدة من نواحي خلاصك • لان هناك بالطبع ذلك الأمر الآخر : معرفة من أنت فى الواقع • وصمت لحظة ، واستطرد قائلا : مارى والسيوف تطعن قلبها ، وسيرسى (١) ، ونيون دى لينكلوس (٢) ، والآن - من ؟ شخص مثل جوليانا النوريتشيه (٣) وكاترين الجنوية • هل أنت حقا كل هؤلاء ؟

أكدت له أنها كل هؤلاء مضاف اليهن امرأة بلهاء ، وأخرى شديدة القلق وأم ليست على قدر كبير من كفاية الامومة • وهى فوق ذلك شديدة التمسك بالمبادئ حاملة فى يقطتها منذ الطفولة • وكذلك تكمن فى المرأة المعجوز التى

- 
- (١) ساحرة فى الأساطير اليونانية ، استطاعت أن تحول رفقاء اوديسيوس الى خنازير ، ولكنه ارغمها على ابطال السحر - المترجم
- (٢) امرأة فرنسية جميلة عاشت فى القرن السابع عشر عشقها الكثيرون من مشاهير الرجال - المترجم
- (٣) كاتبة انجليزية عاشت فى القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر وعرفت بكتاباتها الدينية التى عبرت فيها عن حب الله للبشر ، ومن ثم عن بشاعة الخطيئة والآثام - المترجم

تعانى سكرات الموت ، والتي نظرت الى من المرأة فى المرة  
الاخيرة التى تناولنا فيها عقار الموكشا مما . وبعد ذلك نظر  
ديوجولد ورأى منظره بعد أربعين عاما . وأضافت :

– وفى أقل من شهر بعد ذلك كان من الاموات .

ما أسهل الرجوع الى الماضى ، وما أكثر الرجوع اليه . .  
وفى ظلام شبه اللغز ، وفى توهج الضوء الذهبى العجيب تحول  
وجها مرة أخرى الى قناع من الآلام . واستطاع أن يرى  
عينيهامغمضتين داخل محجريهما المظلمين . فلقد عادت الى  
زمن آخر وكانت وحيدة فى مكان آخر ، توخزها السيوف  
ويسيل الدم من جرحها . وكانت الديوك فى الخارج تصيح ،  
وبدأت مينة أخرى تنادى بنغمة أعلى من سابقتها قليلا مطالبة  
بالرأفة .

– كارونا (١) .

– انتباه ، انتباه .

– كارونا .

ورقع ويل يده مرة أخرى ولمس شفيتها .

– هل تسمعين مايقولون ؟

ومضى وقت طويل قبل أن تجيب . ثم رفعت يدها  
وأمسكت بأصبعه الممتدة وضغطتها بشدة على شفيتها السفلى .  
وقالت :

---

(١) معناها الرأفة – المترجم

ـ شكرا لك •

وفتحت عينيها مرة أخرى •

ـ لماذا تشكريني؟ أنت التي علمتني ما أفعل •

ـ والآن أنت الذي ينبغي لك أن تعلم معلمتك •

وكمعلمين هنديين روحانيين متنافسين كل منهما يروج  
لمذهبه الروحاني صاحبت الميئتان احدهما تقول : كارونا  
والاخرى تقول : انتباه ، وكل منهما يحاول أن يفرق حكمة  
الآخر في المضاربة • وكان هناك في الحديقة المجاورة ديك  
صغير صاح بصوت قوى معلنا عن تأله زاعما أنه وحده  
يملك جميع الاناث ولايعجز عن ارضائها أبدا ، متحديا كل  
مدع للذكورة كاذب ، بايمان من لايقهر •

ومن خلال قناع الآلام ابتسمت سوزيلا • وقد عادت من  
عالمها الخاص ـ عالم السيوف والذكريات ـ الى الحاضر •  
وقالت : هذا الصياح الذي يصدر عن الديك الصغير كم  
أعشقه ! ما أشبهه بتوم كريشنا حينما يطوف سائلا كل من  
لاقاه أن يتحسس عضلاته • وهذه المينات التي لايتصورها  
العقل ، انها تردد باخلاص النصائح الطيبة التي لا تفقه لها  
معنى • انى أعبدها كما أعبد البنظم (دجاج صغير الحجم) الذي  
أقتنيه •

وسألها : وما رأيك في ذلك النوع الآخر من ذوات  
القدمين • ذلك النوع الذي لايفتن الى هذا الحد ؟

وكانت اجابتها أن انحنت الى الأمام ، وأمسكت به من  
ناصيته وجذبت رأسه الى أسفل وقبلته في أنبسة أنفسه ،  
وقالت : والآن حان الحين لكي تحرك ساقيك •

ونهضت على قدميها ومدت يدها اليه • وأمسك بها  
وجذبتة من مقعده •

وقالت : بعض ذوات القدمين يصيح صياحا سلبيا ،  
ويلوك كاللبغاء كلما خلوا من الحكمة •

وسألها : ما الذى يضمن لى أنى لا أعود الى الغثيان ؟  
وأكدت له فى ابتهاج : ربما عدت اليه ، ولكنك ربما  
عدت أيضا الى هذا •  
وتوثبا على الاقدام •

ضحك ويل : هذا عندى تجسيد خفيف للشر • وأمسكته  
من ذراعه وسارا معا حتى النافذة المفتوحة • واذا برياح  
خفيفة تهب متقطعة وتهز سعف النخيل ايدانا باقتراب  
الفجر • وفى أسفل ظهرت شجيرة خبيزة تمتد جذورها فى  
الأرض الندية التى تفوح منها رائحة لاذعة - وفرة بالغة من  
أوراق الشجر البراقة اللامعة والنباتات المتسلقة قرمزية  
اللون وقد أظهرها فى ظلام الليل الذى تزيد من حلكته  
الاشجار الباسقة سهم من نور المصباح يخرج من الغرفة •

قال غير مصدق لما يرى : هذا مستحيل • وقد طاف بخاطره  
نور السماء متمثلا فى الرابع عشر من شهر يولييه •

ووافقته بأن ذلك مستحيل وقالت : ولكنه - كأى شىء  
آخر فى الكون - أمر واقع • والآن وقد أدركت وجودى ،  
اسمح لك أن تفعل ما يثلج صدرك •

ووقف مكانه بلا حراك • يحملق ويحملق وتدور بذهنه  
أفكار عميقة تتزايد ودلالات عويصة تتكاثر فى تتابع لا نهاية

له • واغرو رقت عيناه بالدموع وسالت أخيرا على خديه ،  
فأخرج منديله ومسحها •

واعترذر قائلا : لا أستطيع أن أكفكف الدمع •

لم يستطع ذلك لانه لم تكن لديه وسيلة أخرى يعبر بها  
عن الشكران • شكران لامتيازته فى أن يبقى على قيد الحياة  
ويشهد هذه المعجزة - ولا يكفى أن نقول يشهد بل الأصح أن  
نقول يشارك ، أو أن يكون وجها من وجوها • الشكران لهبة  
السعادة المضيئة والفهم الذى لا يستند الى معرفة • شكران  
لانه فى وقت واحد اتحد مع الوحدة المقدسة مع بقائه هذا  
المخلوق المحدود بين غيره من المخلوقات المحدودة •

قال وهو يخفى منديله : لماذا يبكى المرء حينما يكون  
شكورا ؟ الله أعلم • ولكن هذا يحدث • وطففت فوق سطح  
أوحال مطالعته الماضية فقاعة من فقاقيع التذكر • تذكر  
قول القائل : الاعتراف بالجميل هو جنة النعيم بعينها ثم قال:  
هذا هراء ، ولكنى الآن أرى أن بليك (١) كان انما يسجل  
حقيقة بسيطة • انه جنة النعيم بعينها •

قالت : وهى جنة أكثر نعيما لانها جنة فوق الارض  
وليست جنة فى السماء •

وعلى حين غرة ، وسط صياح الديوك ونقيق الضفادع ،  
ووسط ضوضاء الحشرات وجدل المعلمين الهنود الروحانيين ،  
سمع صليل أسلحة آت من بعيد •

---

(١) فنان وشاعر انجليزى ( ١٧٥٧ - ١٨٢٧ ) - المترجم



وتعجبت قائلة : عجيبى ، ما هذا ؟

أجاب مبتهجا : انهم الاطفال يلعبون بالصواريخ .

هزت سوزيلا رأسها وقالت : اننا لانشجع هذا النوع من  
الصواريخ . بل ولا نقتنيها .

وفى الطريق العام الذى يقع خلف جدران المجمع تعالى  
صوت عربات ثقيلة تصعد فى بطء شديد . وقد شق ضجيج  
العربات صوت جهير له صرير يلقى من خلال مكبر للصوت  
كلاما غير مفهوم .

وفى الظلال المخملية بدت اوراق الأشجار كقشور من  
اليشم والزمرد ، ومن قلب بريق هذا الحشد من الجواهر  
لمعت قطع من الياقوت المنحوت بصورة عجيبة على شكل خمسة  
أنجم . شكرا ، شكرا . ومرة اخرى اغرورقت عيناه  
بالدموع .

وقد تجمعت مقاطع من الكلمات التى خرجت من مكبر  
الصوت وتكاملت فى الفاظ مفهومة . وأخذ يصفى على الرغم  
منه .

سمع المنادى يقول : يا أهل بالا . ثم تحول الصوت فى المكبر  
الى مقاطع منفصلة . وكان ، صرير ثم زئير ، ثم صرير ، ثم  
بقية العبارة : أنا الراجا أخاطبكم . . . الزموا الهدوء . . .  
رحبوا بأصدقائكم الوافدين عبر المضيق . . .

وأشرقت الحقيقة : هذا موروجان

– يصحبه جند ديبا

صاح الصوت المتردد المنفعل قائلا : التقدّم ، الحياة  
الحديثة ... وتنقل من سيرز الى روبك الى الرانى وكوت  
هومي ، ثم صاح : الحق ، القيم ... الروحانية الصادقة ...  
البتروول \*

قالت سوزيلا انظر ، انظر ! انهم يتجهون نحو المجمع \*  
وسطعت أشعة موكب المصابيح الأمامية لحظه على الحد  
الأيسر لتمثال بوذا الصخرى الى جوار بركة اللوتس ثم  
اختفت ، ثم أشارت مرة أخرى الى امكان التحرر المنشود  
واختفت للمرة الثانية \* وقد ظهرت هذه الأشعة من فجوة  
تفصل بين أجمتين من آجام الخيزان \*

صاح الصوت الذى تضخم فى مكبر الصوت : عرش أبى  
ينضم الى عرش أسلاف أمى \* أمتان شقيقتان تسييران الى  
الامام ، بأيد متشابكة ، نحو المستقبل ... وتعرف منذ الآن  
باسم مملكة رندانج وبالا المتحدة ... والكولونيل ديبا ذلك  
القائد السياسى الروحانى هو أول رئيس للوزراء بالمملكة  
المتحدة ...

اختفى موكب المصابيح الكشافة خلف سلسلة كبيرة من  
المبانى وتشتت الصوت الصادر من المكبر حتى سكت نهائيا \*  
ثم ظهرت الاضواء مرة أخرى ووضح الكلام \*  
كان المنادى يقول فى غضب : الرجعيون والخائنون  
لمبادئ الثورة الدائمة ...

وهمست سوزيلا قائلة بنغمة تنم عن الذعر : انهم يقفون  
أمام منزل الدكتور روبرت \*

وصدرت عن الصوت الكلمة الأخيرة ، واطفئت المصابيح

الكشافة ، وأوقفت محركات العربات التي كانت تزار  
بالضجيج • وفى السكون المظلم المتوقع واصلت الضفادع  
والحشرات مناجاتها لا تبالي ، ورددت المينات نصيحتها الطيبة:  
انتباه ، كارونا • وتطلع ويل الى شجيرته المحترقة ورأى  
الحقيقة المثلى للعالم ، كما رأى وجوده ، يومضان بالضوء  
الصافى ، وهو بعينه الرأفة (كما وضع الآن كل الوضوح !)  
– ذلك الضوء الصافى الذى اختار ويل دائما – كغيره من  
الناس – ان يعمى عنه ، وتلك الرأفة التى آثر عليها التعذيب  
دائما ، التعذيب يتحملة أو يوقعه ، فى صالات البيع  
الرخيص ، وفى عزلته الزرية ، مع بابز الحية أو مع موسى  
الميتة فى مقدمة الصورة ، أو مع جو الديهايد وسط الصورة ،  
وفى الخلفية البعيدة ذلك العالم الكبير عالم القوى المجهولة  
والاعداد المتكاثرة والمصابين جماعة بالجنون ، والشعوذة  
المنظمة •

وهناك دائما وفى كل مكان صياح المتومين المغناطيسيين  
أو تسلطهم وهم ساكنون ، وفى أعقاب الموحين الحاكمين تسير  
دائما وفى كل مكان حشود المهرجين والمروجين ، ومحترفو  
الاكاذيب ، والمتعهدون الذين يقدمون أسباب اللهو التى لاتمت  
بصلة الى الواقع • وضحاياهم فى أزياء موحدة يكييفون منذ  
المهد ، وتصرف أنظارهم بلا توقف ، وينومون بنظام ،  
فيواصلون المسير الى الامام والى الخلف طائعين – دائما وفى كل  
مكان – يقتلون ويقتلون فى طاعة تامة كطاعة الكلاب  
المدرية •

ومع ذلك ، وعلى الرغم من موقف الرفض الذى له  
مايبرره كل التبرير فهناك حقيقة ثابتة وسوف تبقى على

ثباتها دائما وفي كل مكان - وهي أن هناك قدرة حتى عند  
المجنون على التفكير الذكي ، وقدرة حتى عند من يعبد  
الشیطان على المحبة • ستبقى هذه الحقيقة : وهي أن أساس  
الوجود كله يمكن أن يظهر بتمامه فى شجرة مزهرة ، أو فى  
وجه انسان ، وستبقى أيضا هذه الحقيقة : وهي أن هناك  
ضياء وان هذا الضياء هو كذلك الرأفة •

وسمعت طلقة من بندقية ، ثم انفجار طلقات من بنادق  
آلية •

وغطت سوزيلا وجهها بيديها • وأخذت ترتجف ولا تملك  
زمام نفسها •

وطوق بذراعه كتفيها وضمها اليه •

ان عمل مائة عام يتحطم فى ليلة واحدة • ومع ذلك  
فهناك حقيقة ثابتة - وهي حقيقة نهاية الاحزان وحقيقة  
الاحزان ذاتها •

وأديرت محركات العربات ، وأخذت الآلات المحركة  
واحدة بعد الاخرى تزار زئير الحركة ، وأشعلت الاضواء  
الكاشفة ، وبعد دقيقة من جلبة المناورة ، بدأت العربات  
تتحرك ببطء شديد عائدة من الطريق الذى أتت منه •

ودوى مكبر الصوت بفاتحة النشيد العسكري مصحوبا  
بأنشودة المرح الفاسق ، وعرف ويل ان هذا هو النشيد القومى  
لرندانج • وسكت النغم وظهر موروجان مرة أخرى •

ونادى الصوت : هذا الراجا يتحدث اليكم • وبعد ما  
عزفت الموسيقى نفمة خاصة توحى بالاعادة ، تلا المنادى مرة

أخرى ذلك الخطاب الذى ألقاه من قبل عن التقديم والقيم  
والبتروول والروحانية الحق • وبفتة - كما حدث مع قبل -  
اختفى الموكب عن الانظار والأسماع • وبعد دقيقة واحدة  
ظهر مرة أخرى مصحوبا بصوت مرتعش يصدر عن رجل  
يترنم بمزايا أول رئيس للوزراء بالمملكة المتحدة الجديدة •

وزحف الموكب ، ومن يمينه هذه المرة سطعت الانوار  
الكاشفة لأول عربية مسلحة على وجه الاستنارة الهادىء  
الباسم • ولبت ذلك لحظة واحدة ، ثم تحرك شعاع الضوء  
فظهر تاجاجاتا (١) للمرة الثانية ، فالثالثة ، فالرابعة ،  
فالخامسة • واختفت العربية الأخيرة • وبقيت حقيقة الاستنارة  
وقد انصرفت عنها فى الظلام الانظار • وخف صوت محركات  
العربات ، وتحول صرير مكبر الصوت الذى كان يعلن الخطاب  
الى تمتمة غير واضحة ، ومع سكون الضوضاء الدخيلة ظهرت  
الضفادع ، والحشرات التى لا تفتت ، وطيور المينة تصيح :

- كارونا ، كارونا وبنغمة أخف : انتباه •

---

(١) معناها فى البوذية الواحد المستنير استنارة كاملة - المترجم

جمهورية مصر العربية

مطبوعات

الجلس الاعلى للثقافة

رقم

- ٢٥١ -

القاهرة

١٤٥٣ هـ - ١٩٨٣ م

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٧٢٩/١٩٨٣

